

تجويد خط العربى

فى عصور العربيه الراحمه

الجزء الثالث

العصر العباسى الاول

تأليف

أحمد زكى صفوت

وكيل كلية دارالعلوم جامعة القاهرة سابقاً

المكتبة العلمية



تجمل خط العرب في عصور العربية الزاهرة

الجزء الثالث

العصر العباسي الأول
ويليه ذيل الجهرة

تأليف

أحمد زكي صموت

وكل كلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقاً

المكتبة العلمية
ميدان روتاند

تصدير

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم وقتني إلى إتمام ما بدأت ، فلك الشكر والمنة في البدء والنهاية ،
وأصل وأسلم على خاتم رسلك ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وبعد : فهذا ثالث الأجزاء من « جمهرة خطب الغرب » في خطب العصر العباسي
الأول ، وهو على نسق سابقه ضبطاً وتحريراً ، وشرحاً وتعليقاً ، ويليه ذيل الجمهرة ،
في خمسة أبواب من الخطب :

الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربة .

» الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها .

» الثالث : في نثر الأعراب .

» الرابع : في خطب النكاح .

» الخامس : في خطب من أرتج عليهم ، ونوادير طريقة لبعض الخطباء .

وبذا تم ما قصدت إلى جمعه في هذا المؤلف ، وإلى أتبهل إلى المولى القدير أن يحقق
ما رجوته من استفادة قارئيه به ، وأن يسد خطانا جديداً إلى سبيل الرشاد ،
إنه الكبير المتعال ؟

أحمد ذكي صفوت

حرر بالقاهرة في { شهر ربيع الثاني سنة ١٣٥٢ هـ
م ١٩٣٤ م

فهرس

مأخذ الخطب في هذا الجزء

- الأمالى : لأبى على - القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : « التاسع
صحيح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : « الأول - التاسع
نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : « السادس
عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
الكامل : لأبى العباس النبرد : الجزء الأول
العقد الفريد : لابن عبد ربه : « الأول - الثانى - الثالث
زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : « الأول - الثانى - الثالث
البيان والتبيين : للجاحظ : « الأول - الثانى - الثالث
شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى
أمالى السيد المرتضى : « الأول - الرابع
مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : « الأول
تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : « التاسع - العاشر
تاريخ الكامل : لابن الأثير : « السادس
مروج الذهب : للسمعودى : « الثانى
وفيات الأعيان : لابن خلكان : « الأول - الثانى

— • —

مواسم الأدب: للسيد جعفر اليعقبي المأوى : الجزء الثاني

الصناعتين : لأبي هلال العسكري

مقدمة ابن خلدون

المنية والأمل : لأحمد بن يحيى الرنضي



الباب الرابع

الخطبة والبوصايا

في

العصر العباسي الأول

١ - خطبة أبي العباس السفاح وقد بوع بالخلافة

(توفي سنة ١٣٦ هـ)

صعد أبو العباس^(١) السفاح المنبر حين بوع له بالخلافة ، قام في أعلاه ، وصعد
عنه داود بن عليّ قام دونه ، وتكلم أبو العباس ، قال :

« الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تَكْرِمَةً ، وَشَرَفَهُ وَعِظَةً ، واختاره لنا
وأَيَّدَهُ بنا ، وجعلنا أهله وَكَفَّه^(٢) وحِصْنَهُ ، والقَوَامَ بِهِ ، والذائِبِينَ عنه ، والناصرين له ،
وَالزَّمَنَا كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وَجَعَلَنَا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَخَصَّنَا بِرَحِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أول الخلفاء العباسيين ، بوع

(٢) الكيف : الوزر والمجاء .

عليه وسلم وقراهه ، وأنشأنا من آياته ، وأبنا من شجرته ، واشققنا من نبعه ^(١) ،
جعلنا من أضنا عزيراً عليه ما عشتنا ^(٢) ، حريصاً علينا ، بالثومين رهوقاً رحيماً ،
ووضعتنا من الإسلام وأهل بالموضع الرفيع ، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يتلى
عليهم ، قال عز من قائل فيا أنزل من تحكم القرآن : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ الرِّجْسَ ^(٣) أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » وقال : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا إِلَّا لَوَدَّةٍ فِي الْقُرْبَى » ، وقال « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » وقال : « مَا آفَأَ ^(٤)
اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فِيهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى » ، وقال :
« وَأَطِيعُوا أَمْرًا غَنِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَخُصُّ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى » فأعلمهم
جل ثناؤه فضلنا ، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا ، وأجزل من النية ^(٥) والغنية نصيبنا ،
نكرمة لنا ، وفضلا علينا ، والله ذو الفضل العظيم .

وزعمت السنية الضلال أن غيرنا ^(٦) أحق بالرياسة والخلافة منا ، فشاعت ^(٧)
وجوههم ! يَمَ ولم أيها الناس ! وبنا هدى الله الناس بعد ضلالهم ، وبصرهم بعد
جهالتهم ، وأهدمهم بعد هلكتهم ، وأظهر بنا الحق ، وأدخض بنا الباطل ، وأصلح بنا
منهم ما كان فاسداً ، ورفع بنا الخبيصة ، وأتم بنا النقيصة ، وجمع الفرقة ، حتى عاد الناس
بعد العداوة أهل تعاون وبر ، ومواساة في دينهم ودنياهم ، وإخواناً على سرر متقابلين
في آخرتهم ، فتح الله ذلك مينةً ومنحةً لحمد صلى الله عليه وسلم ، فلما قبضه الله إليه قام
بذلك الأمر من بعده أصحابه ، وأمرهم شورى بينهم ، فحوروا مواريث الأمم ، فذلوا فيها ،

(١) النبع في الأصل : شجر نقيض والسهم . (٢) انصت بالتصريح : دعول المشقة على الإنسان .

(٣) القدر ، وكل ما يستقر من العمل . (٤) ما أعاده عليه أي صيره له .

(٥) النية . (٦) يهود الطويين .

(٧) شاء وجهه شوما بالفتح : قبح .

وَوَضَعُوهَا مُوَاضِعَهَا ، وَأَعْطَوْهَا أَهْلَهَا ، وَخَرَجُوا خِصَاصًا^(١) مِنْهَا ، ثُمَّ وَثَبَ بَنُو حَرْبٍ وَمَرْزَوَانٌ فَابْتَدَوْهَا وَتَدَاوَلُوهَا بَيْنَهُمْ ، فَجَارُوا فِيهَا ، وَاسْتَأْثَرُوا بِهَا ، وَظَلَمُوا أَهْلَهَا ، فَأَمَلَى^(٢) اللَّهُ لَهُمْ حِينًا حَتَّى آسَفُوهُ^(٣) ، فَلَمَّا آسَفُوهُ انْتَقَمَ مِنْهُمْ بِأَيْدِينَا ، وَرَدَّ عَلَيْنَا حَقًّا ، وَتَدَارَكَ بَنَا أَمْتَنَا ، وَوَلَّى نَصْرَنَا وَالْقِيَامَ بِأَمْرِنَا ، لِيُحْمَنَ بَنَا عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَفُوا فِي الْأَرْضِ ، وَخَتَمَ بَنَا كَمَا افْتَحَ بَنَا ، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنَّ يَأْتِيَكُمْ الْجُوزُ مِنْ حَيْثُ أَنَا كَمَا الْخَيْرُ ، وَلَا الْقَسَادُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكُمْ الصَّلَاحُ ، وَمَا تَوْفِيقُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَّا بِاللَّهِ .

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، أَنْتُمْ مَحَلُّ مَحَبَّتِنَا ، وَمَنْزِلُ مَوْدَّتِنَا ، أَنْتُمْ الَّذِينَ لَمْ تَنْفَرُوا عَنْ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَفْنِكُمْ عَنْ ذَلِكَ تَحَامُلُ أَهْلِ الْجُوزِ عَلَيْكُمْ ، حَتَّى أَدْرَكْتُمْ زَمَانَنَا ، وَأَنَا كَمَا اللَّهُ بَدَلُونَا ، فَأَنْتُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بَنَا ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْنَا ، وَقَدْ زِدْتُمْ فِي أُعْطِيَاتِكُمْ مِائَةَ دَرَاهِمَ ، فَاسْتَمْلُوا ، فَإِنَّا السَّخَّاحُ لِلْبَيْعِ ، وَالنَّائِثُ لِلْبَيْرِ^(٤) .

وَكَانَ مَوْعُودًا فَاشْتَدَّ بِهِ الْوَعْدُ^(٥) ، فَجَلَسَ عَلَى النَّبْرِ ، وَصَعِدَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ، فَقَامَ دُونَهُ عَلَى مَرَاقٍ^(٦) لِلنَّبْرِ . فَقَالَ :

(تَلْخِيزُ الْعِلَاقَةِ ٩ : ١٢٥ ، وَشَرَحَ ابْنُ أَبِي الْحَسَنِ ٢ : ص ٢١٣)

٢ — خُطْبَةُ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، شُكْرًا شُكْرًا شُكْرًا ، الَّتِي أَهْلَكَ عَدُوَّنَا ، وَأَصَارَ إِلَيْنَا مِيرَاثَنَا مِنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيُّهَا النَّاسُ : الْآنَ أَقْسَمْتُ^(١) خَدَايَسُ الدُّنْيَا ، وَأَنْكَشِفَ

(١) جِزَاءُ جَمْعِ خَيْسٍ مِنْ خَيْسٍ مَثَلَةُ الْمَيْمِ أَيْ غَلَا ، وَالتَّخَصُّصُ : التَّجَاوُزُ ، وَهُوَ خَصَانٌ بِالْفَتْحِ : وَخَيْسُ الْحَشَا : ضَامِرُ الْبَطْنِ . (٢) أَمَلَى : أَمْلَاهُمْ . (٣) أَنْفَضَهُ : (٤) أَبَاهُ : أَلْطَفَهُ . (٥) الْوَعْدُ : أَقْبَى الْحَقِّ وَوَجْهًا ، وَالْمِنْ شِدَّةِ التَّجَبُّ . (٦) جَمْعُ مِرْقَاةٍ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا . (٧) تَلَمَّحَتْ الرِّيحُ السَّحَابَ : كَشَفَتْهُ كَقَشَمَتْ فَتَقَشَّعَ وَتَقَشَّعَ ، وَالتَّخَادُّسُ جَمْعُ حَتْلَسٍ يَكْسِرُ الْجَدَّ وَالدَّالُّ وَهُوَ الْعَلَّةُ .

غَطَاوْهَا ، وَأَشْرَقَتْ أَرْضُهَا وَسَمَاوْهَا ، وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَطْلَعِهَا وَزَبَرَ الْقَمَرُ مِنْ مَبْرَزِهِ . وَأَخَذَ الْقَوْسَ بَارِيهَا ، وَعَادَ السَّهْمَ إِلَى النَّزْعَةِ^(١) . وَرَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نِيَابِهِ^(٢) ، فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ، أَهْلِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بِكُمْ وَالْمُطَفِّ عَلَيْكُمْ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا وَافَقَهُ مَا خَرَجْنَا فِي طَلَبِ هَذَا الْأَمْرِ لَنَكْثِرَ لِحَبَّتِنَا . وَلَا عَقِيَانَا^(٣) ، وَلَا نَخْفِرَ نَهْرًا ، وَلَا تَبْنِي قَصْرًا ، وَإِنَّمَا أَخْرَجْنَا الْأُمَّةَ مِنْ ابْتِزَازِمِ حَقِّهَا ، وَالنُّصْبُ لِبَنِي عَمَّا ، وَمَا كَرَرْنَا^(٤) مِنْ أُمُورِكُمْ ، وَبِهَظُنَّا مِنْ شَتُونِكُمْ ، وَقَدْ كَانَتْ أُمُورُكُمْ تَرْمِضُنَا^(٥) . وَنَحْنُ عَلَى فَرْشِنَا ، وَنَشْتَدُّ عَلَيْهَا سَوْدَ سِيرَةِ بَنِي أُمِيَّةَ فِيكُمْ ، وَخَرَجْتُمْ بِكُمْ . وَاسْتَدْلَاهُمْ لَكُمْ ، وَاسْتَنْتَارَهُمْ بِفَيْسِكُمْ وَصَلَاتِكُمْ وَمَقَائِمِكُمْ عَلَيْكُمْ . لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِمَّةُ الْمَلَأَسِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ نَحْكُمَ فِيكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَنَعْمَلُ فِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَنَسِيرَ فِي الْعَامَّةِ مِنْكُمْ وَالْخَاصَّةِ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَبَا تَبَا لِبَنِي حَرْبِ بَنِي أُمِيَّةَ وَبَنِي سَهْوَانَ ، آتَوْا فِي مَدِينَتِهِمْ وَعَصَرَهُمُ الْعَاجِلَةَ عَلَى الْأَجَلَةِ ، وَالِدَارَ الْقَانِيَةَ عَلَى الدَّارِ الْبَاقِيَةِ ، فَرَكِبُوا الْأَنْثَامَ ، وَظَلَمُوا الْأَنْثَامَ ، وَانْتَهَكُوا الْحَاكِمَ ، وَغَشَوْا الْجَرَائِمَ ، وَجَارَوْا فِي سِيرَتِهِمْ فِي الْعِبَادِ ، وَسَخَّنَهُمْ فِي الْبِلَادِ ، الَّتِي بِهَا اسْتَلْزَمُوا تَسْرِيبَ الْأَوْزَارِ ، وَتَجَلُّبُ الْأَصَارِ^(٦) ، وَمَرَحُوا فِي أَعْيَةِ الْمَاضِي ، وَرَكَضُوا فِي مِيَادِينِ الْقَتْلِ ، جَلَا بِاسْتِدْرَاجِ اللَّهِ ، وَأَمْنًا لِمَكْرِ اللَّهِ ، فَأَنَامَ بَأْسُ اللَّهِ سَيَّاتَا وَهَمَّ نَاعُونَ ، فَأَصْبَحُوا أَحَادِيثَ ، وَمَزَقُوا كُلَّ مُزَقِّقٍ ، فَبَعْدًا لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَأَدَانَا^(٧) اللَّهُ مِنْ مَرْوَانَ ، وَقَدْ غَرَّهَ بِالْقَةِ التَّرَوُّرُ ، أُرْسِلَ لِمَدُو اللَّهِ فِي عَيْنَانِهِ ، حَتَّى عَثَرَ فِي فَضْلِ خَطَامِهِ ، فَظَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ، فَغَادَى حِزْبَهُ ، وَجَمَعَ مَكَايِدَهُ ، وَرَمَى بِكِتَابَتِهِ ، فَوَجَدَ أَمَامَهُ وَوَرَاءَهُ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، مِنْ مَكْرِ اللَّهِ وَبَأْسِهِ

(١) جَعَلَ نَازِحًا : وَهُوَ الْقَرَارُ يَهْدِي الْوَتَرَ إِلَى الْخَضَعِ فِيهِ السَّهْمُ : وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى النَّزْعَةِ أَيْ قَامَ بِإِصْلَاحِهِ أَمِلَ الْأَنْثَامَ : وَهَذَا السَّهْمُ إِلَى النَّزْعَةِ : رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَمَلِهِ . (٢) أَصْلُهُ . (٣) ذُعِيَا . (٤) كَرَرْتُمْ . (٥) كَرِهْتُمْ لِقَوْمٍ كَثِيرٍ وَنَصَرْتُمْ : ائْتَدَيْتُمْ عَلَيْهِ كَمَا كَرِهْتُمْ . (٦) أَرْمَضَهُ : أَوَّجَعَهُ وَأَسْرَعَهُ ، وَأَرْضَى الْحَرْبَ الْقَوْمَ : ائْتَدَيْتُمْ عَلَيْهِمْ فَكَادَهُمْ . (٧) جَمَعَ إِصْرًا كَعَمَلٍ وَهُوَ الْغُلْبُ . (٨) نَمَرْنَا عَلَيْهِ .

ونقته ، ما أملت بالله ، وفتح خلاه ، وجعل دائرة السوء به ، وأحيا شرفنا وعزنا ، وردنا إلينا حقنا وإرثنا .

أيها الناس ، إن أمير المؤمنين - نصره الله نصرأ عزيزاً - إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة ، أنه كره^(١) أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعته عن استقام الكلام بعد أن استخفّر^(٢) فيه شدة الروعك ، وادعوا الله لأمر المؤمنين بالعافية ، فقد أبدلكم الله بمرؤس عدو الرحمن ، وخليفه الشيطان ، للتيق للشفة الذين أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، بإبدال الدين ، وانتهاك حريم المسلمين ، الشاب^(٣) للتكامل للتتمهل ، لقتدى بشفة الأبرار الأخيار ، الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعلم الهدى ، ومناهج التقوى « - فمخ الناس له بالهداء - ثم قال :

« يا أهل الكوفة : إنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا ، حتى أتاح الله لنا شيمتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا ، وأفلج^(٤) بهم حجتنا ، وأظهر بهم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون ، وإليه تتشوقون ، فأظهر فيكم الخليفة من هاشم وبشيص به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشام ، ونزل إليكم السلطان وعز الإسلام ، ومن عايكم بإمام منعه العدالة ، وأعطاه حسن الإيالة^(٥) ، فغذوا ما آتاكم الله بشكر ، والزمو طاعتنا ، ولا تخذعوا عن أنفسكم ، فإن الأمر أمركم ، فإن لكل أهل بيت مصراً ، وإنسكم مصرنا ، ألا وإنه ماصد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار بيده إلى أبي العباس - فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا ، حتى نسله إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه ، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا . »

(تاريخ الطبري ٩ : ١٢٦ ، وشرح ابن أبي المعيد ٢ : ص ٢١٢)

(١) أي لانه كره . (٢) استخفّر الخليل : اتسع في كلامه . (٣) كانت منه حين ولد الخلافة ٢٨ سنة إذ ولد سنة ١٠٤ هـ . (٤) نصر . (٥) آل الملك رحمه إبالا : سالمهم ، وآل علي القوم للإبالا وليلة : ول .

٣ - خطبة داود بن علي - وقد أرتج على السفاح

وروى أنه لما قام أبو العباس في أول خلافته على النهر ، قام بوجه كورقة المصنف طسعيًا فلم يتكلم ، فهم داود بن علي - حتى صعد النهر ، قال المنصور : قُلت في نفسي : شيخنا وكبيرنا ويدعو إلى نفسه ، فلا يخطف عليه اثنان ، فانتصبت سيفي ، وغطيته بشوي^(١) ، وقلت : إن فل ناجرته ، فلما رقي عتبا استقبل الناس بوجه دون أبي العباس ، ثم قال : « أيها الناس ، إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فضله ، ولأنزُر الفِعال أجدي عليكم من تشيق^(٢) المقال ، وحسبكم بكتاب الله مُتَنَلًا^(٣) فيكم ، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة عليكم ، والله - كما برأ لا أريد به إلا الله - ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق به من علي بن أبي طالب ، وأمير المؤمنين هذا ، فليظن ظانكم ، وليتهن هامكم » قال أبو جعفر : ثم نزل ، ورثمت^(٤) سيفي .

(ميرود الأخبار ٢ : ص ٢٥٢ ، وشرح ابن أبي المجد ٢ : ص ٢١٣ ، ومواسم الضرب ٢ : ١١٤)

٤ - خطبة أخرى له

وروى السيد المرتضى في أماليه قال :

أراد أبو العباس السفاح يومًا أن يتكلم بأمر من الأمور بعد ما أفضت الخلافة إليه - وكان فيه حياة مُفْرِط - فأرتج عليه ، قال داود بن علي - بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس ، إن أمير المؤمنين اتقى قلبه الله سياسة رعيته ، عُقِل من لسانه ،

(١) في ميرود الأخبار : « وغطيت ثوبي » وهو تحريف . (٢) شق الكلام : أخرجه أحسن

خرج . (٣) امثل طريقته : تبعها فلم يعبها . (٤) شام سيفه يشويه : غمد (واسطه أيضًا : ضد) .

عند ما يُنْهَد من بَيَّاتِهِ ، ولكل مرتقٍ بُهْرٌ^(١) ، حتى تنفضَ العاداتُ ، فأبشِرُوا
بنعمةِ الله في صلاحِ دينكم ، ورَغَدِ عَيْشِكُمْ . (الحل إليه المرتضى : ١٩)

٥ - خطبة أخرى للسفاح بالكوفة

وخطب السفاح في الجمعة الثانية بالكوفة ، قال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَزِفُوا بِالْمَقُودِ » والله لا أَعِدُّكُمْ شيئاً إلا وُفِيتْ بالوعد
والوعد ، ولَأُعِيبَنَّ الَّذِينَ لَا تَنْفَعُ إِلَّا الشُّدَّةُ ، وَلَأُعْجِدَنَّ السِّيفُ إِلَّا فِي إِقَامَةِ حَدٍّ ،
أَوْ بُلُوغِ حَقٍّ ، وَلَأُعْطِيَنَّكُمْ حَقِّي أَرَى الْمُطِيعَةَ ضَيْعاً ، إِنْ أَهْلُ بَيْتِ الْعَلَمَةِ وَالشَّجَرَةِ^(٢)
لِلْمُؤَنَةِ فِي الْقُرْآنِ ، كَانُوا لَكُمْ أَعْدَاءً ، لَا يَرْجِعُونَ مَعَكُمْ مِنْ حَالَةٍ إِلَّا إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مَبْهَاجاً ،
وَلَا يَبْلِي عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَالٍ إِلَّا تَعْنِي مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، وَإِنْ كَانَ لِاخِيرٍ فِي جَيْمِهِمْ ، مَنَعُوكُمْ
الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا ، وَمَالَابُوكُمْ بِأَدَائِهَا فِي غَيْرِ وَقْتِهَا ، وَأَخَذُوا لِقَبْلِ الْمَذِيرِ^(٣) ، وَالْجَارَ
بِالْجَارِ ، وَسَلَطُوا شِرَارَكُمْ عَلَى خِيَارِكُمْ ، فَقَدْ نَحَى اللَّهُ جُورَكُمْ ، وَأَزْهَقَ بَاطِلَهُمْ ، بِأَهْلِ
بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ، فَمَا تَوَخَّرَ لَكُمْ عَطَاءٌ ، وَلَا نَضِيعَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ حَقٌّ ، وَلَا تُجْعَلُكُمْ فِي بَيْتٍ ،
وَلَا تَخْطُرُ بِكُمْ فِي قِتَالٍ ، وَلَا تَبْذُلُكُمْ دُونَ أَنْفُسِنَا ، وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ بِالْوَفَاءِ
وَالْاجْتِهَادِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ » ثم نزل . (شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٢)

٦ - خطبة السفاح بالشام حين قتل مروان

ولما قُتِلَ مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ - آخر خلفاء بني أمية - خطب السفاح ، فقال :

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَذَلُوا رِشْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُتُولِ ، جَهَنَّمَ

(١) البهر : انقطاع النفس عن الإعياء . (٢) هي شجرة الزقوم التي كانت في أصل الجحيم ،

جعلها الله نعمةً للمشركين إذا تالروا : إِنْ تَطَرَّقَتْ الشَّجَرَةُ فَكَيْفَ تَلْبَسُ .

(٣) انظر قول زيد بن أبيه في خطبة اليوماء الجزء الثاني ص ٢٧٢ .

يَعْلَمُونَهَا وَيَفْهَمُونَ الْقَرَارُ^(١) نَكَمَ بِكُمْ يَاهِلَ الشَّامِ آلَ حَرْبٍ وَآلَ مَرْوَانَ، يَنْسَكُمُونَ^(٢)
بِكُمُ الْعَلَمَ، وَيَهْوَرُونَ بِكُمْ مَذَاحِصَ^(٣) الزَّلَقِ، يَطْلُتُونَ بِكُمْ حَرَمَ اللَّهِ^(٤) وَحَرَمَ رَسُولِهِ^(٥)،
مَاذَا يَقُولُ زَعَاوِكُمْ غَدًا؟ يَقُولُونَ: «رَبَّنَا هُوَ لَدَا أَصْلَانَا قَاتَيْتَهُمْ عَذَابًا ضِيقًا مِنَ النَّارِ»
إِذْ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «لِكُلِّ ضِيفٍ وَلَكِنْ لَا تَنْفَكُونَ»^(٦) أَمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
قَدْ انْتَفَ^(٧) بِكُمْ التَّوْبَةَ، وَانْخَضِرْ لَكُمْ الزَّلَّةَ، وَبَسْطَ لَكُمْ الْإِقَالَةَ^(٨)، وَعَادَ بَفَضْلِهِ
عَلَى تَقْصُصِكُمْ، وَجَعَلَ عَلَى جِهَلِكُمْ، فَلْيَفْرِخْ رَوْعَكُمْ^(٩)، وَلْيَطْمِئِنْ بِهِ دَارَكُمْ، وَلْيُقْطَعْ
مَصَارِعُ أَوَائِلِكُمْ، «فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ مِمَّا ظَلَمُوا»^(١٠). (المعتمد للقرية ٢ : ١٤٥)

٧ - خطبة عيسى بن علي حين قتل مروان

وخطب عيسى بن علي - عم السفاح - لما قتل مروان، فقال :

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَغْوِيهِ مَنْ طَلَّبَ، وَلَا يُعْجِزُهُ مَنْ هَرَبَ، خَدَعَتْ وَاللَّهِ الْأَشْرَقَ
خُصْ، إِذْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ مُنْهَلُهُ، وَيَتَأَبَّى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تُبَيِّنَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ،
لَغَى مَتَى، وَإِلَى مَتَى؟ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كَرِهْتَهُمُ الْعِيدَانِ^(١) الَّتِي افْتَرَعُوها، وَأَمْسَكَتِ السَّمَاءُ
دَرَاهِمَهَا^(٢)، وَالْأَرْضُ رَيْعَهَا^(٣)، وَقَعَلَ الضَّرْعُ^(٤)، وَجَزَّ الْفَنَيْقُ^(٥)، وَأَسْمَلُ^(٦)

(١) تسكع : علم فيها متصفا . (٢) جمع مدخنة : وهي المزلقة . (٣) يشير إلى ما كان
من مقاطعة الخليلج عبد الله بن الزبير بمكة ، ورميه الكعبة بالمنجنيق في عهد عبد الملك بن مروان
(٤) يشير إلى وقعة الحرة وما أحدثه جهل مسلم بن عقبة المري بالديرة على عهد يزيد بن معاوية .
(٥) اسطاف واجدا . (٦) أقال قمره : دغفه من سقوطه . (٧) الروح : بالهمز القلب ،
أو موضع الفزع منه والروح بالفتح : الفزع . والفزع الثبيشة : خرج الفزع منها ، أي أخرج الروح
من روعكم وتهدموا وقطعتوا .

(٨) أي أهراد المقابر ، وانزعوها : أي طردوا . (٩) مطرد . (١٠) الربيع : الخفاء
والزهادة . (١١) قتل : يمس جلده على مثله . (١٢) فتنق : الفحل المكرم لا يؤخذ لسكراته
على أمه ولا يركب ، والجفز : كشمس السرعة في المضي ، ولم تذكر كعب الله ضبط قطه ، وجاء في السناد :
«الجفز : سرعة المضي بآنية» ، حكاهما ابن دويده ، قال : ولا أدري ما صنعها ، وفي رواية حرام الأعب :
«وجعل فنيق الشرك» . (١٣) أسمل القلوب وجعل ، كدغل وكرم : أخفى .

جلبابُ الدين ، وأبطلت الجبود ، وأغذرت السماء ، وكان ربك بالمرصاد ، فقدم^(١) عليهم ربهم يذنبون فسوالها ، ولا يخاف عقابها ، وملكتنا الله أمركم عبادة الله ، لينظر كيف تعملون ، فالشكر الشكر ، فإنه من دولتي للزبد ، أعاذنا الله وإياكم من مضلات الأهواء ، وبفتات الفتن ، فلما نحن به وله .

(شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٥)

٨ — خطبة داود بن علي بمكة^(٢)

وخطب داود بن علي الناس بمكة في أول موسم ملكه بنو العباس ، قال :
« شكرًا شكرًا ، إنا والله ما خرجنا لتخفيف فيكم نهراً ، ولا لتبني فيكم قصراً ،
أظنَّ عدوَّ الله أن لن تقدر عليه ، أن رُوحي^(٣) له من خطابه ، حتى عثر في فضل زمامه ؟
فلأن حيث أخذ القوس باربها ، وعادت النبل إلى الزعة ، ورجع اللق في نصابه
من أهل بيت النبوة والرحمة - والله لقد كتبنا تتوَّج لكم ونحن في قرشنا - أمين
الأسود والأحر^(٤) ، لكم ذمة الله ، لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
لكم ذمة العباس ، لا ورب هذه البنية - وأوما بيده إلى الكعبة - لا نهيج
منكم أحداً » .

(تهذيب الكامل ١ : ١٨ ، والفتحة الكبرى ٢ : ١٤٧ ، والبيان والبيان)

١ : ١٨٠ ، وابن أبي الحديد ٢ : ٢١٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤)

(١) دعم القوم ، ودعم طبعهم : طبعهم لأعاليكم ، فسوالها : أي التمسها ، أي صمم بها فلم يفلت منهم أحد .
(٢) ولأبو العباس الكوفة وسوادها ، ثم ولأه المدينة ومكة واليمن والعمامة سنة ١٣٢ ولأه إمارة الحاج في هذه السنة ، ومات بالمدينة في ربيع الأول سنة ١٣٣ هـ (الطبري ج ٩ ص ١١٧)
(٣) أي لأن روعي له ، ظن أن لن تقدر عليه .
(٤) المهرل : المجمع لأن لدا ب حل ألوانهم البيضاء والمهرة .

٩ - خطبته بالمدينة

قال : « أيها الناس : حَتَّامٌ يَهْتِفُ بِكُمْ صَرِيحُكُمْ ^(١) ؟ أَمَا أَنَا لِرَأْدِكُمْ أَنْ يَهْبُ : من نومه ؟ كَلَّا بَلْ رَأَى ^(٢) عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ، أَغْرَكُمُ الْإِمَالُ حَقٌّ حَيْثُمُوهُ الْإِمَالُ ؟ هِبَاتُكُمْ وَكَيْفُكُمْ ، وَالسُّوْطُ كُنْفِي ، وَالسَّيْفُ مُشَهَّرٌ ^(٣) ! حَقٌّ يُبَيِّنُ قَبِيلَةَ قَبِيلَةٍ وَيَعَصِّنُ كُلَّ مُتَّقِفٍ بِالْمَأَمَرِ ^(٤) وَيُحْمِنُ رَبَّاتِ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا يَسْعُنُ غُرُضَ ذَوَائِبِ الْأَيَّامِ ^(٥) (الفتح القريب ٢ : ١١٦)

١٠ - خطبة أخرى له ^(٦)

وخطب فقال : « أحرز لسان رأسه ، انمط امرؤ بغيره ، اعتبر عاقل قبل أن يستبر به ، فأنك الفضل من قوله ، وقدم الفضل من عمله » ثم أخذ بقائم سيفه ، فقال : « إن بك داء هذا دولوه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع » . (ميراث الأخبار ٧ : ص ٢٥٢ ، ومواسم الأديب ٢ : ١١٤)

(١) الصريح : المستعجب (والغيت أيضا) (٢) غلب. (٣) ظهر سيفه كمنع ، وشهره بالمشهد : انتباه فرقه على الناس . (٤) كقنيت الرماح : تسويها . (٥) قوله ويحمن : أي الرماح ، والقصير يعود على (كل مطف) . حواسر : جمع حاسر وهي كل مكتوفة الرأس والذراعين . (٦) هذه الخطبة أوردها ابن قتيبة ، وحرأها إلى دلود بن علي ، ونسبها صاحب الفقه إلى المنصور ، وأنه قلها لقتل الأمويين (راجع الفتح ٧ : ص ١٤٥) .

ونسبها كما أوردها : « أحرز لسان رأسه ، انتبه امرؤ لخطئه ، نظر امرؤ في يومه لنفده ، فشى القصد ، وقال الفضل ، وجانب المجر » ، ثم أخذ بقائم سيفه ، قال : « أيها الناس : إن بك داء هذا دولوه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ، فليعتبر عبد قبل أن يُفْتَبَّرَ به ، فإنما بعد الوعيد الاقطاع ، وإنما يفتقر الكذب القين لا يؤمنون بآيات الله » . والمجر : القبح من الكلام .

١١ - خطبته وقد بلغه أن قوماً أظهروا شكاً في العباس

وبلغته أن قوماً أظهروا شكاً في العباس ، فافتزع المنبر ، وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَعْدَرَا يَا هَاهُنَا الْخَطْرُ^(١) وَالتَّحْدِيدُ ؟ أَلَمْ يَرُدَّ عَكُمْ الْفَتْحُ الْمُبِينُ^(٢) ، عَنْ الْخَوْضِ فِي ذِمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ كَلَّا وَاللَّهِ حَتَّى تَحْمِلُوا أَوْزَلَكُمْ وَأَوْزَارَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكُمْ ، كَيْفَ قَامَتْ شِفَاهَكُمْ بِالشَّكْوَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ بَعْدَ أَنْ حَانَتْ آجَالُكُمْ فَأَرْجَاهَا ، وَابْتَعْتُمْ دِمَاؤَكُمْ فَحَقَّهَا ، الْآنَ يَا مَنَابِتَ الدِّمَنِ ، مَشِيمَ الْفُرَاةِ^(٣) ، وَدَبَّيْتُمْ الْخَطَرَ^(٤) ، أَمَا وَعَدِ الْعَبَّاسِ إِنْ عُدْتُمْ لِمِثْلِ مَا بَدَأْتُمْ ، لَأَخْضُدَنَّكُمْ بِغُلَابَاتِ السُّيُوفِ ، ثُمَّ يُنْفِىَ رَبَّنَا عَنْكُمْ . وَنَسْتَبْدِلُ غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمَنَّا لَكُمْ .

مهلاً يَا رَوَايَا^(٥) الْإِرْجَافَ ، وَأَبْنَاءَ الْفِتَاقِ ، عَنْ الْخَوْضِ فِيَا كُنْفَيْتُمْ . وَالتَّضَلُّى إِلَى مَا حَذَّرْتُمْ . قَبْلَ أَنْ تَتَلَفَ غُوسٌ ، وَيَقْلَّ عَدَدٌ . وَيَنْزِلَ عِزٌّ ، وَمَا أَنْتُمْ وَتِلْكَ ؟ أَلَمْ تَحْدُوا مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا مِنْ إِبْرَاطِ الْمُسْتَضْفِينَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ؟ تَلَى وَالْحِجْزِ وَالْحِجْزِ^(٦) ، وَلَكِنَّهُ حَسَدٌ مُضْمَرٌ . وَحَسَكُ^(٧) فِي الصَّدُورِ ، قَرْنَحًا لِلْمَاطِسِ^(٨) ، وَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(٩) . »

(١) الخطر : الضرر . أو أخطره . (٢) في الأصل : أَلَمْ يَرُدَّ عِلْمُ الْفَتْحِ الْمُبِينِ عَنْ الْخَوْضِ فَهَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٣) الفُرَاة : الحَجَرُ الْمَلْتَفُ فِي الْوَادِي ، يُقَالُ : تَوَارَى الصَّيْدُ مِنْهُ فِي الْغُرَاةِ ، وَفُلَانٌ يَمِشُ الْفُرَاةَ : إِذَا مَشَى مُسْتَخْفِيًا فِيهَا يَهْرَؤُ مِنَ الشَّجَرِ . (٤) في الأصل : وَدَبَّيْتُمْ الْحَمْرَاءَ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَصَوَابُهُ مَا ذَكَرْنَا ، وَالْحَمْرَاءُ بِالتَّحْرِيكِ : كُلُّ مَا وَرَكَ مِنْ شَجَرٍ أَوْ بَنَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَغَيْرُ كَتُوحٍ : قَوَارِي ، وَمِنْ أَهْلِهَا : « يَلْبَسُ لَهُ الْفُرَاةُ ، وَيَمِشُ لَهُ الْحَمْرَاءُ » وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ الرَّجُلُ يَضِلُّ صَاحِبَهُ . (٥) الرَوَايَا جَمْعُ رَاوِيَةٍ : وَهِيَ الْمَزَادَةُ فِيهَا الْمَاءُ . (٦) الْحِجْزُ : حَبْرُ الْكُتُبَةِ ، وَهُوَ مَا حَوَاهُ الْخَطِيمُ الْفَادِرُ بِالْكُتُبَةِ مِنْ جَانِبِ الثَّيَالِ . (٧) الْحَسَكُ : الْحَدُّ وَالْمَدَارَةُ . (٨) الْمَاطِسُ جَمْعُ مَطَسٍ كَيْسُ وَمَقْدُ وَهُوَ الْأَنْفُ ، وَالرَّهْمُ : الْفُلُّ . (٩) وَرَوَى صَاحِبُ الْمَقْدَةِ

١٢ - خطبته وقد أرتج عليه

وخطب داود بن عليّ ، فحمد الله جل وعز ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قال : أما بعد ، امتنع عليه الكلام ، ثم قال :

« أما بعد ، قد يحذر العنبر ، ويغسر الموتر ، ويقفل الحديد ، ويقطع الكليل ، وإنما الكلام بعد الإغمام ، كالإشراق بعد الإغلام ، وقد يعزب البيان ، ويقيم الصواب ، وإنما اللسان ، مضعة من الإنسان ، يفتر بقتوره إذا نكل ، ويثوب بانبساطه إذا ارتجل ؛ ألا وإننا لانتطق بطرا ، ولا نسكت حصرا ، بل نسكت معتبرين ، وننطق مرشدين ، ونحن بعد أمراء القول ، فينا وشجت^(١) أعراقه ، وعلينا عطفت أغصانه ولنا تهدأت ثمرته ، فتنغير منه ما أخولّى وعذب ، ونطرح منه ما اثلّوخ^(٢) وخبث ، ومن بعد مقامنا هذا مقام ، وبعد أيامنا أيام ، يعرف فيها فضل البيان ، وفصل الخطاب والله أفضل مستعان » ثم نزل^(٣) .

(كتاب الصناعتين ص ٢١ ، وأمال السيد المرتضى ٤ : ١٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٨٥)

بعض هذه الخطبة وعزما إلى أبي جعفر المنصور ، فقال : « خطب المنصور حين عروجه إلى الشام فقال :

شِشْنَةُ أَعْرِضْهَا مِنْ أَحْزَمَ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ

ههنا مهلا رويها الإرجاف ، وكهوف النفاق . . . إلى آخر الخطبة » ، راجع لفتح القريبه ٢ : ١٤٥ - والفتنة : الهبة والمادة ، وهو مثل لأي أحزم الطئ ، وكان له ابن يقال له أحزم ، وكان حاكما ، فأت وترك بنين ، فوثبوا يوما على جده أبي أحزم فأدموه فقال :

إن بني ضر جوفى بالقدم ششنة أعرها من أحزم

أي إن هؤلاء أشبهوا أباهم في الفتوق : يضرب في قرب قلبه ، ويكلم : يمحرم .

(١) وشجت الثروق والأفصان كوعه وشجا ووشجا : اشتبكت ، والواشجة : الرحم المشبكة .

(٢) وروي الحميري في زهر الآداب بعض هذا القول وعزاه إلى عبد الله بن صالح ، وروي السيد

المرتضى في أماله قال :

« صعد أبو العباس السفاح المنبر ، فأرتج عليه فقال : « أيها الناس ، إن اللسان بضعة

(٢ - بحرة غضب العرب - ثالث)

١٣ - خطبة صالح بن علي

وخطب صالح بن علي^(١) عم السفاح ، فقال :
يا أعضاء النفاق ، وعُبد الضلالة ، أغرّكم لين أساسي ، وطولُ إيناسي ؟ حتى ظن
جاهلُكم أن ذلك لقولُ حدّ ، وفُتورُ جدّ ، وخَوَرُ^(٢) كُفّاء ، كذّبتِ الظنونُ ، إنها
العبرةُ ببعضها من بعض ، فإذا قد استوليتُم العافية ، فمندی فِطام وفِكَاك ، وسيفُ يَهْدُ
المقامَ ، وإني أقول :

أغرّكم أني بأكرم شيمَةٍ رفيقٍ ، وأني بالقواحشِ أخرفٍ ؟
ومثلي إذا لم يُعزَّ أحسنَ سَمِيهِ تَكَلَّمُ نُمَاهُ فِيهَا فَتَنَطَّقُ
لَعَمْرِي لقد فاحشَتني فَنَلْبَتُنِي هِنِثًا مَرِيثًا أَنْتَ بِالْفَحْشِ أَرْفُقُ
(العهد الفردي ٢ : ١١٦)

١٤ - خطبة سديف بن ميمون

وروى صاحب القصد قال :

لما قَدِمَ القَمَرُ بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس السَّفَّاح في ثمانين رجلاً من
من الإنسان ، يَكُلُّ إذا كَلَّ ، وينفِج بانفاحه إذا كَسَح ، ونحن أمراء الكلام ، منا
فَرَعَت فروعه ، وعلينا تهذلت غصونه ، ألا وإنا لا نتكلم هَذَرًا ، ولا نَسْكُ إلا
معتبرين » ثم نَزَلَ ، فبلغ ذلك أبا جعفر ، فقال : « لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر ،
لكان من أخطب الناس » ، وهذا الكلام يروى لداود بن علي اهـ .

والبيعة يفتح الباب وقد تكسر : قطعة من اللحم ، واخذ بالتحريك : سقط الكلام وبسكون فقال
مصدر طرد في منقلبه كضرب ولصر .

(١) هو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح ، وقد وُلد السفاح مصر سنة ١٣٢ ثم فلسطين ،
ثم وُلد مصر ثانية سنة ١٣٦ ، حتى قدم الخبر بموت السفاح في ذي الحجة سنة ١٣٦ ، فأنزله المنصور على
عمل مصر ثم خرج إل فلسطين ، ومات وهو عامل حمص بقتريين . (٢) ضف .

بنى أمية ، وضمت لهم الكراسى ، ووضعت لهم تماثيل ^(١) ، وأجلسوا عليها ، وأجلس
النمر مع نفسه في الملئ ، ثم أذن لشيخته فدخلوا ودخل فيهم سُدَيْف بن مَيْمُون ^(٢) ،
وكان متوشحاً سَيْفياً ، متنكباً قوساً ، وكان ملوياً آدم ^(٣) ، فقام خطيباً .

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيزعم الضَّالُّ بما حَبِطَت ^(٤) أعمالهم أن غير
آلِ محمد أولى بالخلافة ؟ فليَ وَيَمَّ أيها الناس ؟ لكم الفضلُ بالصَّحابة ، هون حقُّ
ذوى القرابة ، الشركاء في النسب ، الأكفَاء في الحسب ، الخاصَّة في الحياة ، الوُفَاء ^(٥)
عند الوفاة ، مع ضَرَبِهِمْ على الدين جاهلكم ، وإطامِهِمْ في الأولى جائِعكم ، فكم قَصَمَ
اللهُ بِهِمْ من جَبَّار باغ ، وفاسق ظالم ، لم يُسَمِعْ بِمِثْلِ العباس ، لم تخضع له أمة بواجب حق ،
أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبيه ، وجِلْدَةٌ ما بين عينيه ^(٦) ، أُمَيْيَةُ لَيْلَةُ الْعَقَبَةِ ^(٧)
ورَسُولُهُ إلى أهل مكة ، وحاميه يوم حُنَيْن ^(٨) ، لا يَرُدُّ له رأياً ، ولا يَخَالِفُ له قَسْماً ،
إنسكم والله معاشرَ قريش ما اخترتم لأنفسكم من حَيْثُ ما اختاره الله لكم ، تَبَيَّنَ ^(٩) مرة ،
وعَدَوِيَّ ^(١٠) مرة ، وكنتم بين ظَهْرَانِي قوم قد آثَرُوا العاجِلَ على الآجِلِ ، والفَاقِ
على الباقي ، وَجَمَعُوا الصدقات في الشهوات ، وَالتَّقَى في اللذات والفناء ، وَلَفَّارِمْ ،

(١) تخاريف جمع تمرة كقنفذة : وهي الفرساة الصغيرة . (٢) مولد أبو العباس السفاح .

(٣) وصف من الأدمة ، وهي كالسرة وزنا وسحق . (٤) ضلعت . (٥) الوفاة جمع

واف . (٦) خطب الوليد بن عبد الملك فقال : « إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : « إن

الحجاج جِلْدَةٌ ما بين عيني ، ألا وإنه جِلْدَةٌ وجهي كله » - البيان والتميين ١ : ١٦٠ و ٣ : ٢١ - .

(٧) يوم مبايعة الأصنام لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وكافروا ثلاثة وسبعين رجلاً منهم امرأتان

وليس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عمه العباس - وهو على دين قومه - ولكنه رأى أنه يحضر

أمر ابن أبي لهب ليقول له . (٨) كان العباس من ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة

حنين ، حين انهزم المسلمون أول الموقعة ، وكان أعلاً بنجام بقله . (٩) يريد أبا بكر الصديق

رضي الله عنه ، وهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤي . (١٠) يريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو

من طيء بن كعب بن لؤي .

في المحارم ، إذا ذُكِرُوا بالله لم يذكروا ، وإذا قدّموا بالحق أذبرُوا ، فذلك زمانهم ، وبذلك كان يعملُ شيطانُهم ^(١) .
(المقدمة القرية : ٢ : ٢٠١)

١٥ — خطبة أبي مسلم الخراساني

وروى ابن أبي الحديد قال :

وخطب أبو مسلم بالمدينة في السنة التي حج فيها في خلافة السفاح ^(٢) ، قال :
« الحمد لله الذي حمّد نفسه ، واختار الإسلام ديناً لعباده ، ثم أوحى إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ما أوحى ، واختاره من خلقه ، نفسه من أنفسهم ، وبيته من بيوتهم ، ثم أنزل عليه في كتابه الناطق الذي حفظه بعلمه ، وأشهد ملائكته على حقه ، قوله : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » ، ثم جعل الحق بعد محمد صلى الله عليه وآله في أهل بيته ، فصبر مَنْ صبر منهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله على الألواء ^(٣) والشدة ، وأغصى على الاستبداد والأثرة ، ثم إن قومًا من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ، جاهدوا على مِلَّة نبيهِ وسُنَّته بعد عصر من الزمان ، مَنْ عَمِلَ بطاعة الشيطان ، وعداوة الرحمن ، بين ظَهْرَانِي قوم آمَنُوا العاجِل على الآجِل ، والقائِي على الباقي ، إن رَتِقَ جَوْزُ فضوه ، أو فُتِقَ حق رَسَوِهِ ، أهل سُخُورٍ وَمَاخُورٍ ، وطمَإِير ^(٤) وَمَزَامِير ، إن ذُكِرُوا لم يذكروا ، أو قُدِّمُوا إلى الحق أذبرُوا وجعلوا الصدقات ، في الشُّبُهَات ، والمَنَافِعِ في المحارم ، والنِّقْيَةِ في النَّقْيَةِ ، هكذا كان زمانهم ، وبه كان يعمل سلطانهم ، وزعموا أن غير آل محمد أولى بالأمْر منهم ، فلم وَجِمَ أيُّها الناس ؟ ألكم الفضل بالصَّحَابَةِ ، دون ذَوِي القُرَابَةِ ، الشركاء

(١) قهر هذه الخطبة سرورية في خطبة أبي مسلم الخراساني الآتية بعدما ، ولكن أثرت إيراد الروايتين جيبًا كما وردتا . (٢) وذلك في سنة ١٢٦ هـ . (٣) القصة .

(٤) الطماير : جمع طمبور كمشفور ، وهو قنن يلبس به .

في النسب ، وَالْوَرْتَةَ فِي السَّلْبِ ^(١) ، مع ضربهم على الدين جاهلكم ، وإطامهم في الجذب جائئكم ، والله ما اخترتم من حيث اختار الله لنفسه ساعة قط ، وما زلتُم بعد نبيه تختارون تيمناً مرة ، وَعَدَوِيّاً مرة ، وَأُمُورِيّاً مرة ، وَأَسَدِيّاً ^(٢) مرة ، وَمُتَمَيِّناً مرة ، وَمَرَوَانِيّاً مرة ، حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه ولا يته ^(٣) يضربكم بسيفه ، فأعطيتموها عَنَوَةً ، وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ ؛ أَلَا إِنَّ آلَ مُحَمَّدٍ أُمَّةَ الْهُدَى ، وَمَنَارُ سَبِيلِ النَّقَى ، الْقَنَاطَةُ الدَّادَةِ السَّادَةِ ، بَنُو عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمُنَزَّلَ جَبْرِيلَ بِالنَّزِيلِ ، كَمَ قَسَمِ اللَّهِ

(١) ما سلب ، والمراد ورثته في الخلافة . (٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد ابن أسد . (٣) قال ابن أبي الحديد : « يعني نفسه لأنه لم يكن سلوم القسب ، وقد اغتبط فيه أبو مولد أم مرو » وقال ابن خلكان في (وفيات الأعيان ١ : ٢٨٠) في ترجمته : « أبو مسلم عبد الرحمن ابن مسلم وقيل عثمان الخراساني لقتاله المعركة الميامية ، وقيل هو إبراهيم بن عثمان بن سيار بن سندس بن جردون من ولد بزرجهر بن البخثكان القناري ، وقد اغتبط القناس في نسبه ، فقبل إنه من العرب ، وقيل إنه من العجم ، وقيل من الأكراد ، وفي ذلك يقول أبو دلالة :

أبا مجرم ما غير الله نسبه على عبده حتى يغيرها الله
أقودلة المنصور وحاولت خذره ألا إن أملاً للهدى آياتك المكره

وقال ابن طباطبائي في الفهرست ص ١٢٢ : « أما نسبه ففيه اختلاف كثير ، فقبل : هو سر من وله بزرجهر ، وأنه وله بأصفهان ، ونشأ بالكوفة ، فالتصل بإبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس فغير اسمه وكناه بأبي مسلم ، وثقفه وفتح ، حتى كان من ما كان . وقيل هو عبد تنقل في الفرق ، حتى وصل إلى إبراهيم الإمام ، فلما رأه أعجبه منه وعقله ، فاجتمع من مولاه وثقفه وفتح ، وصار يرسله إلى شيعته وأصحاب دعوتهم بخراسان ، وما زال على ذلك حتى كان من الأمر ما كان .

وأما هو فإنه لما قويت شوكة ادعى أنه ابن سليل بن عبد الله بن عباس ، وكان لعبد الله بن عباس جندي فوقع عليها مرة ، ثم أصغر لها علة فاستنكحها عبداً فوطئها ، فولدت منه خلاصة سليفاً ، ثم أنصته بهد الله بن عباس ، وأنكره عبد الله ولم يترف به ، ونشأ سليل ، وهو أكره الخلق إلى عبد الله بن عباس ، فلما مات عبد الله فازع سليل ورثته في ميراثه ، وأعجب ذلك بني أمية ليخطبوا من علي بن عبد الله ابن عباس ، فأمانوه وأرصوا قاضي دمشق في الباطن ، فإلى إليه في الحكم وحكم له بالميراث ، فادعى أبو مسلم حين قويت شوكة أنه من ولد سليل هذا .

وذكر ابن خلكان أن المنصور قال له قبل قتله ، وقد جد له مساوي وقتت عت : « زعم أنك ابن سليل بن عبد الله بن عباس ! لقد ارتقت لا أم لك مرتق صبا ! » .

بهم من جبار طائع ، و طاق باغ ، شَيدَ الله بهم المدي ، وَجَلَّ بهم القتي ، لم يُسع بمثل العباس ، وكيف لا تخضع له الأمم لِواجب حقِّ الحرمة ؟ أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبيه ، وإحدى يديه ، وَجِلْدَةٌ بين عينيه ، أَمِينُهُ يَوْمَ الْقَبَةِ ، وَنَاصِرُهُ بِمَكَّةَ ^(١) ، ورسوله إلى أهلها ، وَحَامِيهِ يَوْمَ حُتَيْنَ ، عند ملتقى الْفَتْنَيْنِ ، لا يخالف له رسماً ، ولا يَمِصُّ له حكماً ، الشافع يَوْمَ نَيْقِ الْعُقَابِ ^(٢) ، إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الأحزاب ، ها إن في هذا أيها الناس لَمِيزَةً لِأَوَّلِي الْأَبْصَارِ .

(شرح ابن أبي الحديد م : ٢ : ٢١٥)

١٦ - خالد بن صفوان وأحوال السفاح

روى الجاحظ قال :

كان خالد بن صفوان الْأَهْشَقِيَّ من تَحَارِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، وأهل للنزلة عنده ، خَضَرَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ بَنِي عَارِثٍ ^(١) ، وَأَكْثَرُوا فِي الْقَوْلِ ، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ يَا خَالِدُ ؟ قَالَ : « أَخْوَالٌ ^(٢) أَمِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ » قَالَ : « فَأَنْتُمْ أَعْمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ » قَالَ خَالِدٌ : وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ لِقَوْمٍ ، كَانُوا بَيْنَ نَاسِجٍ بَزْدٍ ، وَدَانِغٍ جِلْدٍ ،

(١) يشير إلى ما كان من العباس في غزوة أحد ، وذلك أن جيش المشركين خرج من مكة لمحاربة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى زلوا مقابل المدينة ، وبلغ الخبر الرسول من كتاب يمت به إليه مع العباس الله لم يخرج معهم في هذه الحرب مصحبا بما أصابه يوم بدر ، وكان بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار المشركين (وقيل إنه كان قد أسلم قبل الهجرة ، وكان يحكم لإمامته) .

(٢) موضع بين مكة والمدينة . وذلك أن العباس شفع فيه يوم فتح مكة في أبي سفيان ، وفي أهل مكة خلفا للنبي صلى الله عليه وسلم منهم .

(٣) انظر الجزء الثاني ٢٢٥ . (٤) كانت أم السفاح من بني الحارث ، وهي ديلة بنت عبد الله بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، ولذا كان يقال له ابن الحارثية .

وسائس قرود ، وراكب عرود^(١) ، كل عليهم عدهد^(٢) ، وغرهم فارة^(٣) ،
وملكهم امرأة^(٤) ؟ » .
(البيان والتبيين : ١ : ١٨٤)

وروى الحصري في زهر الآداب قال :

« دخل خالد بن صفوان على أبي العباس السفاح ، وعنده أخواله من بني الحارث
ابن كعب ، قال : ما تقول في أخوالي ؟ قال : « هم حامة^(٥) الشرف ، وعززين^(٦)
الكرم ، وعرس الجود ، إن فيهم خلا ما اجتمعت في غيرهم من قومهم ، لأنهم
أطولهم لِمَا^(٧) ، وأكرم شَيْئًا ، وأطيهم طَمًا^(٨) ، وأوْطَمَ ذِمًّا ، وأبدم همًا ،
الخنزرة في الحرب ، والرؤفد^(٩) في الجذب ، والرأس في كل خطب ، وغيرهم
بمنزلة المتجب^(١٠) » .

قال : وصفت أبا صفوان فأحسنت ، فزاد أخواله في الفخر ، فغضب أبو العباس

(١) العرد : الحمار .

(٢) يشير إلى حديث المحدث مع سليمان عليه السلام في قوله تعالى : « وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ
لَا أَرَى الْمُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ، لَأَعَذَّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي
بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ، فَكُتِبَ عَلَيْهِ قَوْلُ الْحَقِّ : « أَطْعَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَجِئْتِكَ مِنْ سَبِيلِ
بَنِي إِسْرَءِيلَ » ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ،
وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ
عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَمْتَنِعُونَ . . . الآيات » .

(٣) يشير إلى ما يزرعه المورعون من أن سيل العرم لدى غرب اثنين كان عليه قرص الجرذ لشد مأرب
انظر الجزء الأول ص ١٠٥ . (٤) هر بلقيس (بالسكسر) ملكة سبأ .

(٥) نخامة : رأس كل شيء . (٦) الرنين : الأنف ، أو ما صلب من فظفه ، ومن كل شيء .
أوله . (٧) في الأصل « أَمَا » وأراه عرفًا ، وصوابه « لِمَا » وائتم جمع لة بالسكسر ، وهي الشعر الجاوز
شعبة الأذن . (٨) الطعم : الطعام . (٩) الرؤفد : العطاء والصلوة . (١٠) المتجب : أسل
اللقب ، ومؤخر كل شيء .

لأعمامه ، فقال : افخر يا خالد على أخوال أمير المؤمنين ، قال : وأنت من أعمامه ، قال :

« كيف أفاخر قوماً بين ناسج بُرْد ، وسانس قِرْد ، ودابغ جِلْد ، وراكب عَرْد ، دلّ عليهم هُدُود ، وغرّتهم جُرُود ، وملسكهم امرأة ؟ » ، فأشرق وجه أبي العباس .
(زهر الآداب ٢ : ١٣٠ ، ٢٤٦)

١٧ — خالد بن صفوان ورجل من بني عبد الدار

وفاخر خالد بن صفوان رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون النخيلة ، فقال له العبدري : من أنت ؟ قال : أنا خالد بن صفوان بن الأهم ، فقال له العبدري : أنت خالد « كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ^(١) » وأنت ابن صفوان ، وقال الله تعالى : « كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ^(٢) » ، وأنت ابن الأهم ، والصحيح خير من الأهم ^(٣) ، فقال له خالد ابن صفوان : يا أخا بني عبد الدار ، أتسكلم ؟ وقد هُشمتك هاشم ، وأُمتك ^(٤) بنو أمية ، وخزمتك بنو مخزوم ، وجمحتك بنو جحج ^(٥) ؟ فانت عبد دارم ^(٦) فتتح إذا دخلوا ، وتُتلق إذا خرجوا « فقام العبدري عموماً .

(أساطير العرب المرفقة ١ : ٢١٥ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٢)

(١) وتنام الآية الحكيمية : « وَشَقُوا مَاءَ حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ » .

(٢) صفوان جمع صفوانة : وهي الحبر السوداء كالمفرد والصفاء ، والآية الحكيمية : « يَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَبْغِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَكَسَلَ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ، فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ، فَتَرَكَ صَلْدًا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ . مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » .

(٣) هم كفرض : انكسرت ثلثاه من أسوطا فهو لهم . (٤) قادنك (٥) انظر

الجزء الثاني ص ٩٨ . (٦) وكانت الحجابة في بني عبد الدار ، انظر الجزء الثاني ص ٩٨ أيضاً .

١٨ - خالد بن صفوان يرثى صديقاله

وقال الجاحظ : قيل لرجل - أراه خالد بن صفوان ^(١) - مات صديق لك ، فقال :
« رحمة الله عليه ، لقد كان يملأ العينَ جمالاً ، والأذنَ بياناً ، ولقد كان يُرثى
فلا يَحْشَى ، ويُفْشَى فلا يَفْشَى ، ويُفْعَلُ فلا يَفْعَلُ ، قليلاً لدى الشرِّ حضوره ، سليماً
للصديق ضيمه » .
(البيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، والأعمال ٢ : ١٧٤)

١٩ - خالد بن صفوان يمدح رجلاً

وذكر خالد رجلاً ، فقال :
« كان والله بديع المنطق ، دَلِقَ ^(٢) الجزاء ، جَزَلُ الألفاظ ، عربيٌّ اللسان ، ثابت
المقدمة ، رقيق الحواشي ، خفيف الشفتين ، كيليل الريق ، رَحْبُ الشرف ، قليل
الحركات ، خَفِيُّ الإشارات ، خُلُوُ الشماثل ، حَسَنُ الطلاوة ^(٣) ، حَيِّياً جَرِيئاً ، قَتُولاً
صَمُوناً ، يَفْلُ ^(٤) الحز ، وَيُصِيبُ الفاصل ، لم يكن بالمدثر ^(٥) في منطق ، ولا بالزَّمين ^(٦)
في مَرُوءته ، ولا بالخرق ^(٧) في خليقته ، متبوعاً غير تابع ، كأنه عَلمٌ في رأسه نار » .
(زهر الآداب ٢ : ١٦٧)

٢٠ - كلمات بليغة لخالد بن صفوان

وقال خالد بن صفوان لبعض الولاءة : « قَدِمْتَ فَأَعْطَيْتَ كُلاًّ بِقِسْطِهِ مِنْ وَجْهِكَ

-
- (١) ورواية القتال : عن الأصمعي قال خالد بن صفوان لفتى بين يديه : رحم الله أباك . . . الخ .
(٢) مأخوذ من « سيف دلق » أي سهل الخروج من غده ، ويقال : اندلق السيل أي اندفع ،
واندلق السيف : أي شق حافته فخرج منه . (٣) الطلاوة خلطة : القبول . (٤) الحز : القتل .
(٥) حذر في الأمر تطيراً ، إذا قصر ولم يجته . (٦) أي المعب ، والزمالة كسابة : العامة ،
ومن كفرح فهو زمن وزمين . (٨) الخرق : الذي لا يحسن العمل والتصرف في الأمور .

«وكرامتك»^(١)، حتى كأنك من كل أحد، وحتى كأنك لست من أحد» .

(الأمال ١ : ٢١٦ ، زهر الآداب ٣ : ٣٥٧ ، ١٦٧)

وقال شبيب بن شيبية لخالد بن صفوان : «مَنْ أَحَبَّ إِخْوَانَكَ إِلَيْكَ ؟» قال :

«مَنْ سَدَّ خَلِّي ، وَغَرَّ ذَلِّي ، وَقَبِلَ عَلَيَّ .» (الأمال ١ : ١٩٨)

وذُكر شبيب عنده مرة ، فقال : «ليس له صديق في السر ، ولا عدو في العلانية» .

قال الجاحظ : « وهذا كلام ليس يعرف قدره إلا الراسخون في هذه الصناعة » .

(البيان والبيان ١ : ١٨٤ ، زهر الآداب ٣ : ٣٠٩)

وقال خالد : « ما الإنسانُ ، لولا اللسانُ ، إلا صورةٌ ممثلةٌ ، أو بهيمةٌ مُهتلةٌ » ،

وقال « أتعلمون أبحانيق^(٢) الضفء » يريد الدعاء . (البيان والبيان ١ : ١٩٠)

وذُكر المزاح بخضرة خالد بن صفوان ، فقال : « يُنْشِقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْفَرْذَلِ ،

يُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْفَرْجِلِ ، وَيَزِمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَتَمَرَحُ ! » .

(زهر الآداب ٥٢ : ٨)

٢١ - عمارة بن حمزة والسفاح

وقال نَحْمَارَةُ بن حمزة لأبي العباس السفاح - وقد أَمَرَ له بموازنة نفيسة وكِسْوة وصِلَة ،

وَأَدْنَى مجلسه :

« وَصَلَّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَرَكَ ، فَوَاللَّهِ أَنَّنِ اردْنَا شُكْرَكَ عَلَى كُنْهِ^(٣) »

صِلَتِكَ ، إِنْ الشُّكْرَ لَيَقْصُرَ عَنْ نِعْمَتِكَ ، كَمَا قَصُرْنَا عَنْ مَنَزَلَتِكَ ، ثُمَّ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى

جَلَّ لَكَ فَضْلًا عَلَيْنَا ، بِالتَّقْصِيرِ مِنَّا ، وَلَمْ تَحْرِمْ مِنَّا الزِّيَادَةَ مِنْكَ لِنَقْصِ^(٤) شُكْرَنَا » .

(زهر الآداب ٣ : ٢٤٦)

(١) وفي رواية زهر الآداب : « من نظرك ومجلسك في صوتك ومذك » .

(٢) جمع منجنيق يفتح الميم وكسرهما : آلة ترمى بها الحجارة . (٣) كنه القوم : حقيقتهم .

(٤) في الأصل : « لبعض » ولراء محرقا .

خطب أبي جعفر المنصور (توفي سنة ١٥٨هـ)

٢٢ - خطبه بمكة

خطب أبو جعفر المنصور بمكة ، قال :

« أيها الناس : إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ، وتسيده وتأييده ، وحارسه على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ، قد جعلني الله عليه قُلا ، إن شاء أن يفتحنى فتحنى لإعطائكم ، وقسم أرزاقكم ، فإن شاء أن يُفلقني عليها ألقني ، فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به إذ يقول : « الْيَوْمَ أَكُنْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » أن يوفقني للرشد والصواب ، وأن يُلهيني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، أقول قول هذا وأستغفر الله لي ولكم » .

(المنتهى للفرهيد ٢ : ١٤٥ ، وميون الأخبار ٢ ص ٢٥١ ، تاريخ الطبري ٩ : ٢١)

٢٣ - خطبته بمكة بعد بناء بغداد

وحج بعد بناء بغداد فقام خطيباً بمكة ، فكان يحافظ من كلامه ^(١) : « وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ^(٢) مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، أَمْرٌ مُبَرَّمٌ ، وَقَوْلٌ عَدْلٌ ، وَقَضَاءٌ فَضْلٌ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَفْلَحَ ^(٣) حُجَّتُهُ ، وَبُئْدَأُ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ،

(١) عز صاحب القصد هذه الخطبة إلى سليمان بن علي (انظر ٢ ص ١٤٥) ، وكذا صاحب مواسم

الأدب (الطرح ٢ : ص ١١٥) . (٢) قبل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة ، وبالأحرار الروح

المحفوظ . (٣) نصر .

الذين اتخذوا الحكمة غرضاً ، والقرآن عِزِينَ^(١) ، لقد حاقَ بهم ما كانوا به يستهزئون ، فكم ترى من بر منعة^(٢) وقصر مشيد ، أمهلهم الله حتى بدلوا السنة ، واضطهدوا العترة^(٣) وعندوا^(٤) واعتدوا واستكبروا ، وخاب كلُّ جبارٍ عنيد ، ثم أخذهم فلْ يُحْسِ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْوَةً^(٥) .
(تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، وكمال لابن الأثير ٦ : ١٢)

٢٤ - خطبه بمدينة السلام

وخطب بمدينة السلام « بغداد » قال :
« يا عباد الله ، لا تظالموا ، فإنها مظلة يوم القيامة ، والله لولا يد خاطئة ، وظلم ظالم ، لمشت بين أظهركم في أسواقكم ، ولو علت مكان من هو أحق بهذا الأمر مني لأتيته حتى أدفعه إليه » .
(تاريخ الطبري ٩ : ٣١٠)

٢٥ - خطبه وقد أخذ عبد الله بن حسن وأهل بيته

ولما أخذ عبد الله بن حسن^(١) وإخوته ، والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته ، صعد المنبر ، حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

(١) الذمة : القرعة والقطعة والجميع حقون ، وجعل المشركون القرآن مغبين أي فراقه القول ، فجلوه كذباً وسحراً وكهانة وشعراً ، فهم قد (مضوا) بانتقده أعضاء أي جزء . وه أجزاء ، وهو يرهب هنا الأمويين يشير إلى أنهم سطروا بعض أوامر القرآن بما أقوه من الأعمال من رمي الحكمة ، واضطهد أهل البيت الخ . (٢) متروكة لا يفتن منها لهلاك أهلها ، ومشيد : مرفوع أو سطل بالثنية (بالكر) وهو ما مل به الخاطئ من جسم ونحوه ، أي محلل خال من ساكنيه أيضاً . (٣) الفترة نسل الرجل وروحه وصغيرته الأذنون . (٤) حته (ثلاث النون) من الطريق : مال (٥) الصوت الخفي

(٦) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد حقه للتصور هو وأهل بيته ، مع المدينة إلى العراق سنة ١٤٤ هـ ، والقام في غزوات الجيون حتى ماتوا بسجن الكوفة ، وكان يخوف أن يغالبه على الخلافة محمد بن عبد الله هذا (وهو محمد الملقب بالنفس الزكية) وقد خرج عليه باللهيئة نوحه المنصور جيشاً لقتله فقتل سنة ١٤٥ هـ ، وخرج أخوه إبراهيم عن المنصور بالبصرة فقتل أيضاً في مدة السنة .

« يا أهل خراسان : أتم شيعتنا وأنصارنا ، وأهل دولتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منّا ، وإن أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب ، تركناهم والله الذي لا إله إلا هو والخلافة ، فلم تعرض لهم فيها بقليل ولا كثير ، فقام فيها علي ابن أبي طالب ، فقلع ، وحكم عليه الحكيم ، فافترقت عنه الأمة ، واختافت عليه الكلمة ، ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه ، وبطانته وثقاته فقتلوه . ثم قام من بعده الحسن بن علي ، فوالله ما كان فيها برجل ، قد عرضت عليه الأموال فقبلها ، ففسس إليه معاوية : إني أحملك ولي عهدي من بعدى ، فغدعه فانسخ له مما كان فيه ، وسلمه إليه ، فأقبل على النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غداً ، فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه ، ثم قام من بعده الحسين بن علي ، فغدعه أهل العراق وأهل الكوفة أهل الشقاق والنفاق ، والإغراق في الفتن ، أهل هذه النذرة السوداء ، وأشار إلى الكوفة فوالله ما هي بحرب فأحاربها ولا سلم فأسلمها ، فرقى الله بيني وبينها ، فغذوه وأسلموه حتى قتل ، ثم قام من بعده زيد بن علي ، فغدعه أهل الكوفة وغرّوه ، فلما أخرجوه^(١) وأظهروه أسلموه وقد كان أتى محمد بن علي^(٢) ، فناشده في الخروج ، وسأله ألا يقبل أقاويل أهل الكوفة ، وقال له : إنا نجد في بعض علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكوفة ، وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب ، وناشده عتي داود بن علي ، وحذره غدر أهل الكوفة ، فلم يقبل وتم^(٣) على خروجه ، فقتل وصلب بالكناسة^(٤) ثم وثب علينا بنو أمية ، فاماتوا شرفنا ، وأذهبوا عزنا ، والله ما كانت لهم عند نكرة^(٥) يطلبونها ، وما كان ذلك كله إلا فيهم ، وبسبب خروجهم عليهم ، فنفّونا من البلاد فصرنا مرة بالطائف . ومرة بالشام ، ومرة بالشرقية^(٦) ، حتى ابتشمكم الله لنا شيعة

(١) وقد خرج في خلافة هشام بن عبد الملك ، فقاتله يوسف بن عمر الثقفي والي العراق ، وقتل وصلى سنة ١٢١ هـ . (٢) يزيد أبناء محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . (٣) ثم على الأمر : استمر عليه . (٤) موضع يقرب الكوفة . (٥) ثار . (٦) موضع بين دمشق والحلقة (الكرك الان) .

وأنصاراً، فأحبنا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان، ودفع بحكم أهل الباطل، وأظهر حقنا، وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم، فقرر الحق مقره، وأظهر مناره، وأعز أنصاره، وقطع دابر القوم الذين ظلموا واتخذوا لله رب المآلين، فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله فيها وحكمه العادل لنا، وثبوا علينا ظلماً وحسداً منهم لنا، وبنيانا لما فضلنا الله به عليهم، وأكرمنا به من خلافته، وميراث نبيه صلى الله عليه وسلم :

جَهْلًا عَلَى وَجْهِنا عَنْ عُدُوهمُ كَيْنَتْ اتَّخَذْتَانِ الْجَهْلُ وَالْجَبْنُ

فإني والله يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الأمر ما أتيت بجهالة، بلفي عنهم بعض السقم والتمرد^(١)، وقد دسست لهم رجالاً، قلت : قم يا فلان، قم يا فلان، فخذ معك من اللال كذا، وحدوث لهم مثلاً يعملون عليه، فخرجوا حتى أتوهم بالدينة، فلدسوا إليهم تلك الأموال، فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب، ولا صغير ولا كبير، إلا بأيهم بيعة استحلّت بها دماءهم وأموالهم، وحلّت لي عند ذلك بنففسهم بيمتي، وطلبهم الفتنة، والتأسيهم المروج على، فلا يرون أني أتيت ذلك على غير يقين « ثم نزل وهو ينزل على درج المنبر هذه الآية « وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَأَ فُتِلَ بِأَشْيَائِهِمْ مِنْ قَبْلُ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ » .

(تاريخ الطبري ٩ : ٣١٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٤١)

٢٦ - خطبته حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن

ولما خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله، شن^(٢) للنصور عليه درعه، وتقلد سيفه، وصعد المنبر، حمد الله، وأثنى عليه ثم قال :

مَا لِي أَكْفِكَ عَنْ سَعْدٍ وَتَشْتَنِي؟ وَلَوْ شِئْتُ بَنِي سَعْدٍ لَقَدْ سَكَنُوا

(١) الأصل فيه : تمره : تمره ونزع ما عليه من العلم . (٢) شن عليه درعه : صبا .

جَنَلاً عَلَيْنَا وَجَنَّبْنَا عَنْ عُلُومٍ لَيْسَتْ اَتَلْتَلَنَ الْجَهْلُ وَالْجُنُ
أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَجَمَّرُوا عِمَاقَنَا بِهِ ، فَاَعَصَدُوا الْكَافِ ، وَمَا شَكُرُوا لِلنَّعْمِ ، فَاِذَا
حَاولُوا أَشْرَبَ رَقًا عَلَى غَصَصٍ ، وَأَيَّيْتُ مِنْهُمْ عَلَى مَضَضٍ ، كَلَّا وَاللَّهِ لَا أَصِلُ ذَا رَحِمٍ
حُلُولَ قَطِيعَتِهَا ، وَلَنْ لَمْ يَرْضَ بِالْفَوِ لِيَطَابَنَّ مَا لَمْ يَوْجَدْ عِنْدِي ، فَلْيُتَبَقِّ ذُو نَفْسٍ
عَلَى نَفْسِهِ ، قَبْلَ أَنْ تَمُتَ ، فَلَا يُبْكِي عَلَيْهِ . (موسم الأدب ٢ : ١١٩)

٢٧ - خطبه وقد قتل أبا مسلم الخراساني

وخطب بالمدائن عند قتل أبي مسلم الخراساني^(١) ، فقال :
« أَيُّهَا النَّاسُ : لَا تَخْرُجُوا مِنْ أُنْسِ الطَّاعَةِ إِلَى وَخْشَةِ الْمَعْصِيَةِ ، وَلَا تُسْرِثُوا غَشَّ
الْأَثَمَةِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُسِرَّ أَحَدٌ قَطُّ مَنَكْرَةً إِلَّا ظَهَرَتْ فِي آثَارِ يَدِهِ ، وَفَلَّتْ لِسَانُهُ ،
وَصَفَحَتْ وَجْهَهُ ، وَأَبْدَاهَا اللَّهُ لِإِمَامِهِ ، بِإِعْزَازِ دِينِهِ ، وَإِعْلَافِ حَقِّهِ ، إِنَّا لَنْ نَبْخَسَكَم
حَقُوقَكُمْ ، وَلَنْ نَبْخَسَ الدِّينَ حَقَّهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّهُ مِنْ نَارِ عَنَّا عُرُوءَ هَذَا الْقَمِيصِ أَجْزَرَانَهُ
خَبِيٍّ هَذَا الْغَمْدُ ، وَإِنْ أَبَا مُسْلِمٍ بَايَعْنَا وَبَايَعَ النَّاسَ لَنَا ، عَلَى أَنَّهُ مِنْ نَكْتٍ بَنَّا فَقَدْ
أَبَاحَ دَمَهُ ، ثُمَّ نَكْتٌ بَنَّا ، فَحَكَمْنَا عَلَيْهِ لِأَنفُسِنَا حُكْمَهُ عَلَى غَيْرِهِ لَنَا ، وَلَمْ تَمْنَعْنَا
رِعَايَةَ الْحَقِّ لَهُ ، مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ عَلَيْهِ . »
(تاريخ الطبري ٩ : ٢١٣ ، وجميع الأشكال ١ : ٣١٨ ، وموسم الأدب ٢ : ١٢٠ وغرو
المصالح والرخصة ٧٦) .

(١) قتل أبو مسلم سنة ١٣٧ . وذلك أَنَّ الْمُتَصَوِّرَ كَانَ قَدْ أَرْسَلَهُ لِحَرْبِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ — وَكَانَ
قَدْ خَرَجَ عَلَيْهِ بِالشَّامِ كَمَا سَأَلْنَا — فَلَمَّا ظَهَرَ أَبُو مُسْلِمٍ ، وَغَنِمَ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي صُكْرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَانْهَزَمَ مُحَمَّدُ بْنُ
إِلَى الْبَصْرَةِ ، أَرْسَلَ الْمُتَصَوِّرُ بَعْضَ عَشْرَةِ الْخِصَافِ إِلَى مَاقِ الصُّكْرِ مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَغَضِبَ أَبُو مُسْلِمٍ ، وَقَالَ :
أَمِينَ عَلَى الْعَمَلِ ، خَالَتْنِي فِي الْأَمْوَالِ ! وَشَتَمَ الْمُتَصَوِّرَ ، وَعَزَمَ عَلَى الْخِلَافِ ، وَأَنَّ يَتَوَجَّهَ إِلَى خُرَاسَانَ ،
فَجَبَلَ الْمُتَصَوِّرَ بِمُطْلَقٍ بِهِ حَتَّى اسْتَقْبَلَهُ إِلَيْهِ وَقَتْلَهُ .

٢٨ - خطبة أخرى

وخطب فقال :

« أيها الناس ، لا تنفروا أطراف النعمة بقلة الشكر ، فتحلَّ بِكُمْ النِّعْمَةُ ، ولا تستروا غِشَّ الأئمة ، فإنَّ أحداً لا يستر مُنْكَرًا إلا ظهر في فَلَائِتِ لسانه ، وَصَفَحَاتِ وجهه ، وَطَوَالِعِ نظره ، وإنا لا نجعل حقوقكم ماعزَ قَمِ حَقَّنَا ، ولا ننسى الإحسان إليكم ما ذَكَّرْتُمْ فضْلَنَا ، ومن نازَعَنَا هذا القميصَ أوطأنا أُمَّ رَأْسِهِ خَبْءٌ ^(١) هذا النِّفْد .
والسلام . »

(موسم الأدب ٢ : ١٢٠)

٢٩ - قوله وقد قوطع في خطبته

وخطب يوم الجمعة . فقال :

« الحمد لله أحده . وأستعينه . وأؤمن به . وأتوكل عليه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : أيها الناس . اتقوا الله . فقام إليه رجل . فقال : أذكرك من ذَكَّرْتَنَا به يا أمير المؤمنين . فقطع الخطبة . ثم قال : « سمعنا سمعاً لمن فهم عن الله . وَذَكَّرَ به . وأعوذ بالله أن أكون جَبَّاراً عنيداً . وَأَنْ تَأْخُذَنِي الْمِزَّةَ بِالْإِثْمِ . لَقَدْ ضَلَّكَ إِذَنْ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَعِدِّينَ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْقَائِلُ . فوالله ما أردتَ بها وجهَ الله . ولكنك حاولتَ أن يقال : قامَ فقال . فتوقبَ فَصَبَرَ . وأهونُ بها ! وبذلك لو هممت ^(٢) فاهْتَبِلَهَا ^(٣) إِذْ غَرَّتْ . وإياك وإياكم مشرَّ الناسِ أَخْتَهَا فَإِنَّ الْحِكْمَةَ عَلَيْنَا نَزَلَتْ . ومن عندنا فَصَّلَتْ . فردوا الأمر إلى أهلِهِ . نُورِدُوهُ مَوَارِدَهُ . وَتُصْنِدُوهُ مَصَادِرَهُ . ثم عاد في خطبته . فسكَّته يقرؤها من كفه . فقال : وأشهد أن محمداً عبده ورسوله »

(تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والشفعة لقرني ٢ : ١٤٥ ، ومعيون الأخبار ٢ : ٢ ص ٣٣٦ ،

والكمال لابن الأثير ٦ : ١٢ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٦٢) .

(١) الحب : ما يحس . (٢) أي لو هممت بقتلك . (٣) الهتبتها .

٣٠ - المنصور يصف خلفاء بني أمية

واجتمع عند المنصور أيام خلافته جماعة من ولد أبيه . منهم عيسى بن موسى والعباس بن محمد وغيرهما . فتذاكروا خلفاء بني أمية . والسبب الذي به ساءوا عزم . فقال المنصور :

« كان عبد الملك جبّاراً لا يبالي ماصنع . وكان الوليد لحنّاً مجنوناً . وكان سليمان مهمته بطنه وفرجه . وكان عمر أعمى بين عُثمان . وكان هشام رجل القوم . ولم يزل بنو أمية ضابطين لما مُهد لهم من السلطان ، يحوطونه ويصونونه ويحفظونه . ومحمّدسون ما وهب الله لهم منه ، مع تسليمهم معالي الأمور ، ورَفَضهم أدانيها ، حتى أفضى أمرهم إلى أحداثٍ مُتَرَفِّين من أبنائهم ، فضبطوا^(١) النعمة ، ولم يشكروا العافية ، وأسأدوا الرعاية . فابتدأت النعمة منهم ، باستدراج الله إياهم ، آمنين مكره ، مطرحين صيانة الخلافة ، مستغنيين بحق الرياسة ، ضامين عن رسوم السياسة ، فسلمهم الله العزة ، وألبسهم الذلة ، وأزال عنهم النعمة » . (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢١٥)

٣١ - المنصور يصف عبد الرحمن الداخل

وقال المنصور يوماً لأصحابه : أخبروني عن صفّ قريش ، من هو ؟ قالوا : أمير المؤمنين ، الذي راض^(٢) الملك ، وسكّن الزلازل ، وحسّم الأدواء . وأباد الأعداء . قال : ما صنعتُم شيئاً . قالوا : فمأوية . قال : ولا هذا . قالوا : فبعدد الملك بن مروان . قال : ولا هذا ، قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ قال عبد الرحمن بن معاوية^(٣) ، الذي عبر

(١) خط النعمة : يطرأ وسحقها .

(٢) ذل . (٣) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن رولان المعروف بالداخل

طرس دولة بني أمية بالأندلس وسبغ .

البحر ، وقطع القفر ، ودخل بها أعجميًا مُفَرِّدًا ، فصر الأُمصار ، وجند الأجناد ، ودون
الحوارين ، وأقام مُلكا بعد انقطاعه ، بحسن تديره ، وشدة شِكيمته . إن معاوية
نهض بِمِرْكَب حمله عليه مُحرٌّ وعُثمان ، ودلّاه صَعبه ، وعبد الملك بِبَيْعَةٍ قَدَّمَ لَهُ
عَقْدُهَا ، وأمير المؤمنين يَطْلُبُ غيره واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مُؤَيَّد
بِرَأْيِهِ ، مستصحب لزمه .

(تلخه القريه ٢ : ٢٠٢)

وصايا المنصور لابنه المهدي

٣٢ - وصية له

قال المنصور لابنه المهدي : « يَا بُنَيَّ لَا تُتْرِمَ أَمْرًا حَقَّ تَفَكُّرُ فِيهِ ، فَإِنْ فِكْرُهُ الْعَاقِلُ مِرَّآئُهُ ، تُرِيهِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَا يُصْلَحُهُ إِلَّا الْقَوَى ، وَالسَّاطَانَ لَا يُصْلَحُهُ إِلَّا الطَّاعَةُ ، وَالرَّعِيَّةَ لَا يُصْلَحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ ، وَأَوَّلَى النَّاسِ بِالْعَمَلِ أَفْبَرُهُمْ عَلَى الْعَقُوبَةِ ، وَأَبْقَى النَّاسِ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مِنْ هُودُونِهِ » .

(نهاية الأرب ، ١ : ١١ ، وفتح القدر ، ١ : ١١)

٣٣ - وصية أخرى له

ووصاه فقال له : « إِنِّي لَمْ أَدْعُ شَيْئًا إِلَّا قَدْ قَدِمْتُ إِلَيْكَ فِيهِ ، وَسَأَوْصِيكَ بِمُخَالَاتَةِ اللَّهِ مَا أَظْنُكَ تَعْمَلُ وَاحِدَةً مِنْهَا - وَكَانَ لَهُ سَقَطٌ فِيهِ دَقَّارُ عِلْمِهِ ، وَعَلَيْهِ قَوْلٌ لَا يَأْمَنُ عَلَى فَتْحِهِ وَمِفْتَاحِهِ أَحَدًا ، يَقُصِّرُ مِفْتَاحَهُ فِي كَيْفٍ قِيَصِهِ - قَالَ لِلْمَهْدِيِّ : انْظُرْ هَذَا السَّقَطَ فَاحْضِظْ بِهِ ، فَإِنْ فِيهِ عِلْمٌ بِآبَائِكَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَأَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ أَحْزَنَكَ أَمْرٌ فَانْظُرْ فِي الدَّرَجَةِ الْأَكْبَرِ ، فَإِنْ أَصَبْتَ فِيهِ مَا تُرِيدُ ، وَإِلَّا فَالثَّانِي وَالثَّالِثُ حَتَّى يَبْلُغَ سَبْعَةً ، فَإِنْ تَقَلَّ عَلَيْكَ فَالْكِرَّاسَةُ الصَّغِيرَةُ ، فَإِنَّكَ وَاجِدٌ فِيهَا مَا تُرِيدُ ، وَمَا أَظْنُكَ تَعْمَلُ ، وَانْظُرْ هَذِهِ لِلدِّينَةِ فَلْيَاكُ أَنْ تَسْقُبِلَ بِهَا ، فَإِنَّهَا يَتَنَكَّرُ بِكَ ، قَدْ جَمَعْتُ لَكَ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ ، مَا إِنْ كَبُرَ عَلَيْكَ الْخُرَاجُ عَشْرَ سَنِينَ ، كَانَ عِنْدَكَ كِفَايَةٌ لِأَرْزَاقِ الْجُنْدِ وَالتَّنْفِقَاتِ ، وَعَطَاءِ الْقَرِيَّةِ ، وَمَصْلَحَةِ النُّفُورِ ، فَاحْضِظْ بِهَا فَإِنَّكَ لَا تَزَالُ عَزِيزًا مَا دَامَ

يت مالك عابراً ، وما أظنك تفعل . وأوصيك بأهل بيتك ، أن تُظهر كرامتهم
وتُقدمهم ، وتُكثر الإحسان إليهم ، وتعظم أمرهم ، وتوطئ الناس أعتابهم ، وتوليهم
للنابر ، فإن عزك عزم ، وذكرم لك ، وما أظنك تفعل ، وانظر مراكمك فأحسن إليهم
وقربهم ، واستكثر منهم ، فإنهم مادتك لشدة إنزلت بك ، وما أظنك تفعل .
وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بدّلوا أموالهم في دولتك ،
ودمائم دونك ، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم ، أن تُحسن إليهم ، وتجاوز عن
سببهم ، ونكائهم . على ما كان منهم ، وتخلف من مات منهم في أهله وولده ،
وما أظنك تفعل ، وإياك أن تبني مدينة الشرقية ، فإنك لائم بناءها ، وما أظنك تفعل ،
وإياك أن تستعين برجل من بني سليم ، وأظنك ستفعل ، وإياك أن تُدخل النساء
في مشورتك في أمرك ، وأظنك ستفعل . (تاريخ الطبري ٩ : ٢١٩)

٣٤ - وصية أخرى له

ووصى للهدى أيضاً ، قال : « اتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بصدى ،
يحمل لك فيما كرتك وحزرك تخرجاً ، ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث
لا تحسب ، احفظ لابني عمداً صلى الله عليه وسلم في أمته ، يحفظ الله عليك أمورك ،
وإياك والدم الحرام ، فإنه حوب^(١) عند الله عظيم ، وعار في الدنيا لازم مقيم ، والزم
الحلال ، فإن فيه ثوابك في الآجل ، وصلاحك في العاجل ، وأقم الحدود ، ولا تمتد
فيها قبور^(٢) ، فإن الله لو علم أن شيئاً أصاح لدينه ، وأزجر عن معاصيه من الحدود ،
لأمر به في كتابه ، واعلم أنه من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف المذاب
والعقاب على من سى في الأرض فساداً ، مع ما ذكر له عنده من العذاب العظيم ، قال :

« إِنَّمَا جَزَاهُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لِمَنْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، فالسلطان يابى حبلُ الله للذين ، وعروته الوثقى ، ودين الله القيم ، فاحفظه وحطه ، وحسنه وذّب عنه ، وأوقع بالمُحْدِثِينَ فِيهِ ، وأقم للمارقين منه ، وأقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم ، ولِلثَلَاثِ^(١) بهم ، ولا تتجاوز ما أمر الله به في مُحْكَمِ الْقُرْآنِ ، واحكم بالعدل ولا تشاط ، فإن ذلك أقطع للشغب ، وأحسن للعدو ، وأجمع في الهواء ، وعِفَّ عَنِ الْقِيءِ ، فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك ، وانتصح عليك بصلة الرِّجَمِ وَبِرِّ الْقَرَابَةِ ، وإياك وَالْأَثَرَةَ ، والتبذير لأموال الرعية ، وَاشْحَنَ^(٢) الثَّغُورَ ، وَاضْبِطِ الْأَطْرَافَ ، وَأَمِّنِ السُّبُلَ وَخَصَّ الْوَاسِطَةَ^(٣) ووسَّعِ الْمَاشِ ، وَسَكَّنِ الْعَامَةَ ، وأدخل للمرافق عليهم ، واصرف للكاره عنهم ، وأعدّ الأموال واخزنها . وإياك والتبذير ، فإن النوائب غير مأمونة ، والحوادث غير مضونة ، وهي من شيم الزمان ، وأعدّ الرجال والكراع^(٤) والجند ما استطعت . وإياك وتأخير عمل اليوم إلى غد ، فتتدارك عليك الأمور وتضع ، جِدِّ فِي إِحْكَامِ الْأُمُورِ النَّازِلَاتِ لِأَوَّلَاتِهَا أَوْ لَا فَاوَلَا ، واجتهد وشمر فيها ، وأعدّ رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ، ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل ، وياشر الأمور بنفسك ولا تفجر ، ولا تسكل ، ولا تقشل ، واستعمل حسن الظن بربك ، وَأَسِئِ الظن بمالك وكتائبك ، وخذ غسك بالتيقظ ، وتقد من يبيت على بابك ، وسهل إذنك للناس ، وانظر في أمر الزَّعَاعِ إِلَيْكَ ، ووكل بهم عيناً غير نائمة ، وخساً غير لاهية ، ولا تَمِّمْ فَإِنَّ أَبَاكَ لَمْ يَنْمَ مِنْذُ وَلِيَ الظِّلَافَةَ ، وَلَا دَخَلَ عَيْنُهُ غَضَبٌ إِلَّا وَقَلْبُهُ مُسْتَقِظٌ ، هذه وصيتي إليك ، وَاللَّهُ خَلِيقِي عَلَيْكَ . .

(تاريخ الطبري ٩ : ٢٢٠)

(١) جمع حطة : وهي الضربة . (٢) أي الملاحمة بالعدو . (٣) القوس

(٤) الكراع ، اسم جمع للكل .

٣٥ - خطبة النفس الزكية حين خرج على المنصور

لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب للقب بالنفس الزكية^(١) على المنصور ، قام على منبر المدينة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنه قد كان من أمر هذا الطاغية أبي حنيفة من بناء القبة الخضراء ، التي بناها معاندة لله في ملكه ، وتصنيده الكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعون حين قال : « أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى » . وإن أحقَّ الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين ، والأنصار للوأمين ، اللهم إنهم قد أحلوا حرامك ، وحرّموا حلالك وعملوا بنير كتابك ، وغيّروا عهد نبيك صلى الله عليه وسلم ، وآمنوا من أخفت ، وأخافوا من آمنت ، فأخصهم عدداً ، وأقتلهم بدداً^(٢) ، ولا تبقِ على الأرض منهم أحداً » .

(فيل لامل ص ١٢١)

(١) كان يترحم ... الفيلبيون واليهود - قد اجتمعوا أشرفت البصر الأدي . وتذكروا حلم وما هم عليه من الاضطهاد ، وما قد آل إليه أربى أمة من الاضطراب ، وانفقوا على أن يدعوا الناس إليهم سرا ، ثم قالوا لا بد لنا من رئيس نابع ، فانفقوا على مباينة النفس الزكية ، وكان من سادات بني حاتم ورجلهم فضلا وشرفا وحلم ، وشده القدر أن يظهر البهيمون بالخلافة ، فوليها السطاح من المنصور ، ولم يكن المنصور هم منه تبوا حرضا سوى طلب النفس الزكية ليقفه ، وأغواء يملك أن الناس كانوا يندى الميل إليه ، وكانوا يصدقون فيه الفضل والشرف والرياسة : فطلبه المنصور هو وأخاه إبراهيم من أبيه عبد الله بن الحسن ، فقال لا علم له بها - وكان قد تلبس خوفا - فلما أحال عليه ، قال : كم طول ؟ والله لو كانت تحت ثدي ، لما رفعتهما عنها ، سبحان الله ! أتراك يولدي لتقتلها ! فقبض عليه ، وعلى أمه من بني الحسن وحسبهم في سجن الكوفة حتى ماتوا فيه كما تقدم ، ولم يزل النفس الزكية متفرها منذ أضحت لحدوة إلى بني العباس خوفا من على نفسه ، فلما علم بما جرى لوالده وقومه ظهر بالمدينة وأظهر أمره ، وتبعه أميان المدينة ، ثم طلب عليها ، ومزل عنها أجمعها ، ورتب عليها حملا وقتلوا ، فوجهه المنصور لقتاله جيشا بقيادة ابن أخيه يحيى بن موسى ، فكللت قتلة لسكر المنصور ، وقتل النفس الزكية ، وحل رأسه إلى المنصور سنة ١١٤٥ هـ . (٢) يحيى بن موسى : هارون .

٣٦ - وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي

لابنه محمد (أو إبراهيم)

ووصى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ابنه محمداً النفس الزكية (أو إبراهيم) ، قال :

« أَيْ بُنَيَّ ، إِنِّي مُؤَدِّ حَقِّ اللَّهِ فِي تَأْدِيكَ ، فَأَدِّ إِلَى حَقِّ اللَّهِ فِي الْإِسْتِغَاثَةِ مِنِّي ، أَيْ بُنَيَّ كُفِّ الْأَذَى ، وَارْتَضِ الْبُذْءَ ^(١) ، وَاسْتَعِزْ عَلَى الْكَلَامِ بِطَوْلِ الْفِكْرِ ، فِي الْوِطَانِ الَّتِي تَدْعُوكَ فِيهَا فَضْكَ إِلَى الْكَلَامِ ، فَإِنَّ لِقَوْلِ سَاعَتٍ يَضُرُّ فِيهَا الْخَطَأَ ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا الصَّوَابُ . وَاحْذَرِ مَشُورَةَ الْجَاهِلِ وَإِنْ كَانَ نَاصِحاً ، كَمَا تَحْذَرُ مَشُورَةَ الْعَاقِلِ إِذَا كَانَ غَاشِياً ، لِأَنَّهُ يُرِيدُكَ بِمَشُورَتِهِ . وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ رَأْيَكَ إِذَا احْتَجَّتْ إِلَيْهِ وَجَدْتَهُ نَاصِحاً ، وَوَجَدْتَ هَوَاكَ يَقْطَعُ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِرَأْيِكَ ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ هَوَاكَ ، وَلَا تَقِلْ فِلاَ إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ عَاقِبَتَهُ لَا تُزِيدُكَ ، وَأَنَّ نَتِيجَتَهُ لَا تَجْنِيْ عَيْبَكَ »

(زهر الأدب ١ : ٩٢ ، والريون والهيبي ١ : ١٨٠ ، ٢ : ٨٨)

٣٧ - قول عبد الله بن الحسن وقد قتل ابنه محمد

ولما قتل النصور ابنه محمداً - وكان عبد الله في السجن - بعثَ برأسه إليه مع الربيع حاجبه ، فوضع بين يديه ، قال :

رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا الْقَاسِمِ ، قَدْ كُنْتُ مِنْ « الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ . وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ، ثُمَّ تَمَتَّلُ :

(١) البذاءة : اللهو والإسراف في اللعب .

فَقِي كَانَ يَحْمِيهِ عَنِ الْقَتْلِ سَيْفُهُ وَيَكْفِيهِ سَوَاءَ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
 ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الرَّبِيعِ ، قَالَ لَهُ : « قُلْ لِرَاحِلِكَ قَدْ مَضَى مِنْ بَوْسِنَا مَدَّةٌ ، وَمِنْ
 نَسِيمِكَ مِثْلُهَا ، وَالْوَعْدُ اللَّهُ تَعَالَى » قَالَ الرَّبِيعُ : فَمَا رَأَيْتُ لِلنَّصُورِ قَطُّ أَكْثَرَ
 انْكِسَارًا مِنْهُ حِينَ أَبْلَغْتَهُ الرِّسَالَةَ . (زمر الآداب ١ : ٩٥)

٣٨ - امرأة محمد بن عبد الله والمنصور

وَلَمَّا قَتَلَ النَّصُورُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، اعْتَرَضَتْهُ امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيَّانِ ، قَالَتِ :
 « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا امْرَأَةُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهَذَانِ ابْنَاهُ ، ابْتِمَهَمَا سَيْفُكَ ،
 وَأَضْرَعَهُمَا ^(١) خُونُكَ ، فَتَأْذَنُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ نَصْعَرَ لَهَا خَذَكَ ، فَيَنَالِي
 عَنْهُمَا رِفْدُكَ ، أَوْ لَتَعْمَلَنَّكَ عَلَيْهِمَا شَوَابِكُ النَّسَبِ ، وَأَوَامِيرُ ^(٢) الرَّحِمِ » .
 فَانْتَفَتَ إِلَى الرَّبِيعِ ، قَالَ : أَرَدْتُ عَلَيْهِمَا ضِيَاعَ أَبِيهِمَا ، ثُمَّ قَالَ : كَذَا وَاللَّهِ أَحِبُّ
 أَنْ تَكُونَ نِسَاءً بَنِي هَاشِمٍ . (زمر الآداب ١ : ٩٦)

٣٩ - جعفر الصادق والمنصور

وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِ النَّصُورِ وَنَصَرِ مُحَمَّدٍ ،
 فَلَمَّا ظَهَرَ لِلنَّصُورِ أَحْضَرَ جَعْفَرًا الصَّادِقَ ^(٣) بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ ، قَالَ لَهُ : قَدْ رَأَيْتَ إِطْبَاقَ
 أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى حَرْبِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَبْعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ يَمُونٍ ^(٤) وَيَجْمَعُ ^(٥) نَحْلَهُمْ ،
 فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ سَلِمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَإِنْ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ،

(١) أَذْلَمَا . (٢) أَوَامِيرُ جَمْعُ آصِرَةٍ ، وَالْآصِرَةُ : حَبْلٌ صَغِيرٌ يَتَدَبَّعُ بِهِ أَهْلُ الْغَنَاءِ (وَهِيَ
 أَيْضًا الرِّسْمُ وَالْقِرَابَةُ) . (٣) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ الصَّادِقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ
 ابْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٨ هـ . (٤) قِيَ الْأَسْلُ « يَمُونٌ » وَأَرَاءَ « حَرْبًا » ، وَتَدَ الْأَسْلَحَةُ
 « يَمُونٌ » ، يَقَالُ : حَرَّ الْهَرْدُ لَيْ طَمَحًا وَسَدَّ مَوْبَهُمَا لَقِيَ يَمِينٌ مِنْهَا لَكَ . (٥) جَمْعُ النَّحْلِ ، قَطْعُ جَارِهِ .

وإن يوسف قدّر فقّر ، فاقدر بأيّهم شئت ، وقد جعلك الله من نسل الذين يصفون
ويصفحون » ، فقال أبو جعفر : إنّ أحداً لا يعلمنا الحلم ، ولا يعرفنا العلم ، وإنما قلتُ
كهممتُ ، ولم ترى فعلتُ ، وإنّك لتعلم أن قدرني عليهم تمنعني من الإساءة إليهم » .
(زهر الآداب : ١ : ٩٦)

• • •

وروى صاحب العقد قال :

لما حجج المنصور سرّاً بالمدينة ، قال للربيع الحارثي : علىّ بجعفر بن محمد ، قتلتني الله
إن لم أقتله ، فقتل به ، ثم ألحّ عليه ، فحضر ، فلما كُشِفَ السرّ بينه وبينه ، وتسلّ
بين يديه ، همّس جعفر يشفّتيه ، ثم تقرب وسلّم ، فقال : « لاسلمّ الله عليك يا عدوّ الله ،
نعمل على النوائل في ملكي ؟ قتاني الله إن لم أقتلك » . قال : « يا أمير المؤمنين ،
إن سليمان صلى الله على محمد وعليه أعلى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف
ظلم ففقر ، وأنت على إرثٍ منهم ، وأحقّ من تأمّس بهم » ، فنكس أبو جعفر رأسه مليّاً
وجعفر واقف ، ثم رفع رأسه ، وقال : « إلىّ أبا عبد الله فانت القريب القرابة » ، وذو الرحم
الواشجة^(١) ، السليم الناحية ، القليل النائلة » ، ثم صاحفه يمينه ، وعانقه شماله ، وأجله
معه على فراشه ، وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يحاذيه ويسأله ، ثم قال :
باريع ، مجلّ لأبي عبد الله كسوته وجأزته وإذنه .
(العقد للربيع : ١ : ١٢٥)

٤٠ - صفح المنصور عن صفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب

ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله^(١) ، وصار إلى المنصور ، أمر الريح بخلع سواده ، والوقوف به على رموس اليمانية في المنصورة يوم الجمعة ، ثم قال : قل لهم :

« يقول لكم أمير المؤمنين قد عرفتم ما كان من إحساني إليه ، وحسن بلائي ، وقديم نعمتي عليه ، والذي حاول من الفتنة ، ورأى من التضييق ، وأراد من شق العصا ومعاونة الأعداء ، وإراقة الدماء ، وإنه قد استحق بهذا من فعله ، أليم العقاب ، وعظيم العذاب ، وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجليل لديه ، ورَبَّ^(٢) نعمائه السابقة عنده لما يعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه ، وما يؤمله من الخير العاجل والآجل ، عند الضو عن ظلم ، والصفح عن أساء ، وقد وهب أمير المؤمنين سيدهم لمُحْسِنِهِمْ ، وغادِرم لَوَيْبِهِمْ » .

(البيان والتهيين ٤ : ١٨٥)

٤١ - استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور

ولما انهزم عبد الله بن علي^(٣) من الشام قديم على المنصور وقد منهم ، فقام عِدَّة منهم ، فتسكلموا ، ثم قام الحارث بن عبد الرحمن النفاثي ، فقال : « يا أمير المؤمنين

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أخو الخلفاء الفزيكية ، وقد خرج عن المنصور بالبصرة ، فوجه إليه المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى بهد رجوعه من قتال النفس الفزيكية فقتله وقتل إبراهيم في المركة سنة ١٤٥ هـ .

(٢) رب القوي : وجه وزاده ، ورب القوي : ربك حتى أمرك .

(٣) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور ، وكان قد خرج عليه بالشام ، وقال : إن السفاح قال لي إن ظهرت على مروان المصلي - وكان السفاح أرسله لقتال مروان بالشام - فأنت ولي العهد بعدي ، وحيد له جماعة بذلك . فأرسل المنصور أبا سلم المرادي هزمت هزيمته ، وهرب عبد الله إلى البصرة ، ودل على أخيه سليمان بن علي ، فشفع فيه سليمان إلى المنصور فأنت ، فلما جاء إليه حبه ومات في حبه ، وقيل إنه بن له بيتا ، وجعل في اسمه طحا ، ثم أجبره ، فحفظ البيت عليه فأتى .

إنا لنا وفد مباحة ، وإنما نحن وفد توبة ، وإنا ابتليتنا ففتنة استخفت كرمنا ، واستغرت حليتنا ، ونحن بما قدمنا مُعترفون ، وبما سلف منا مُعتذرون ، فإن مُناقبنا فيها أجرتنا . وإن تفُ عنا فيفضلك علينا . فاصفح عنا إذ ملكت . وأمنن إذ قدّرت . وأحسنن إذ شُفرت ، فطالما أحسنت إلى من أساء مِنّا » ، قال المنصور : قد فعلت . ثم قال للحريص : هذا خطيبهم ، وأمر برد ضياعه عليهم بالقُوطة^(١) .

(القند القرطبي ١ : ١٤٤ : وتاريخ المعري ٩ : ٣٠٧ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٨)

٤٢ - استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور أيضا

وقال عثمان بن خُزَيم المنصور ، حين غنا عن أهل الشام في إجلالهم^(٢) مع عبد الله بن عليّ عمه : « يا أمير المؤمنين ، لقد أعطيت فشكرت وابتليت فصبرت ، وقدّرت فعفوت » .

وقال آخر : « يا أمير المؤمنين ، الانتقام عدلٌ ، والتجاوز فضل ، والمفضل قد جاوز حدَّ النُصف ، فنحن نُفيد أمير المؤمنين بالله أن يَرْضَى لنفسه بأوكس^(٣) النصيبين ، دون أن يبلغ أرفع الدرجتين » .

وقال آخر : « من انتقم قد شقّ غيظَه ، وأخذ أنقى حَقّه ، وإذا انتقم قد انتقم^(٤) » ، وإذا غفوت تطوّلت^(٥) . ومن أخذ حقه ، وشقّ غيظَه ، لم يجب شكره ، ولم يُذكر في السالين فضله . وكظم التيط جِلْمٌ ، والحِلْم صَبْرٌ ، والتشقى طرف من العجز^(٦) ، ومن رضى ألا يكون بين حاله وبين حال الظالم إلا ستر رقيق ،

(١) كورة دمشق .

(٢) في الأصل « إجلالهم » وهو تحريف ، والصواب « إجلالهم » أي في تفضيلهم وديارهم من الجلبة بالهدريك وهي الصحاح . (٣) من الوكس كومة : وهو النقصان .

(٤) أي انتقم حقه فخرجنا طوك ، فمن لك الانتقام منا لأخذ حقلك .

(٥) تطول عليه : استمر وتفضل . (٦) وفي زهر الآداب : « من الجزع » .

وحجابٌ ضئيف ، لم يَجزم في تفضيل الحلم ، وفي الاستيثاق من ترك دواعي الظلم ، ولم تر أهل الثَّغَى . وللنَّسَوِيْنَ إلى الحِجَابِ والثَّقَى ، مَدَحُوا الحُكَّامَ بِشِدَّةِ العِقَابِ . وقد ذَكَرُوا بِحَسَنِ الصَّنْعِ ، وبِكَثْرَةِ الاِغْتَارِ ، وشِدَّةِ التَّنَافُلِ . وبعدُ ، فالعَاقِبُ مُسْتَعِدٌّ ^(١) لِمَدَاوَةِ أَوْلِيَاءِ الذُّنْبِ ، والعَاقِبُ مُسْتَدْعٍ لَشُكْرِهِمْ . آمِنٌ مِنْ مَكَافَاتِهِمْ ^(٢) أَيَّامُ قُدْرَتِهِمْ ، وَلَآنَ يُثْنَى عَلَيْكَ بِاتِّسَاعِ الصَّدْرِ ، خَيْرٌ مِنْ يُثْنَى عَلَيْكَ بِضَيْقِ الصَّدْرِ ^(٣) ، عَلَى أَنْ إِقَالَتْكَ عَثْرَةُ عِبَادِ اللَّهِ ، مُوجِبٌ لِإِقَالَتِكَ عَثْرَتِكَ مِنْ رَبِّ عِبَادِ اللَّهِ . وعَفْوُكَ عَنْهُمْ مَوْصُولٌ بِعَفْوِ اللَّهِ عَنْكَ ، وَعَقَابُكَ لَهُمْ مَوْصُولٌ بِعِقَابِ اللَّهِ لَكَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

(البيان والتبيين ٢ : ١٠٥ ، وزمر الآداب ٢ : ٨٨)

٤٣ - أبو جعفر المنصور والربيع

وقال سعيد بن مُسْلَمٍ بن قُتَيْبَةَ : دعا المنصور بالربيع ^(١) ، فقال : سَلْنِي مَا رِيدُ ، فَقَدْ سَكَتَ حَتَّى نَطَقْتَ ، وَخَفَّتَ حَتَّى ثَقَلْتَ . وَقَلَّتْ حَتَّى أَكْثَرْتَ ، فقال : « وَاقِدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَرْهَبَ بُخْلَكَ وَلَا أَسْتَقْصِرُ حُمْرَكَ . وَلَا أَسْتَصْنِفُ فَضْلَكَ ، وَلَا أَعْتَمُّ مَالَكَ ، وَإِنْ يَوْمَى بِفَضْلِكَ عَلَى أَحْسَنُ مِنْ أَمْسَى ، وَعَدْلِكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمَى . وَلَوْ جَازَ أَنْ يَشْكُرَكَ مِثْلِي بِغَيْرِ الْخِدْمَةِ وَالنَّاسِخَةِ لَمَّا سَبَقَنِي لَتَلَكَّ أَحَدٌ » قال : صَدَقْتَ ، عَلَى بَهَذَا مِنْكَ أَحَلَّكَ هَذَا الْخَلْفَ ، فَسَلْنِي مَا شِئْتَ ، قَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقَرَّبَ عَبْدُكَ « الفضل ^(٢) » وَتَوَثَّرَهُ وَتَحَبَّهَ ، قَالَ : يَا رُبِيعَ ، إِنْ أَلْبَسْتُ لَيْسَ بِمَالٍ يُوهِبُ

(١) وفي زمر الآداب : « مستودع » . (٢) يجزأهم .

(٣) وفي زمر الآداب : « خير من أن توصف بغيره » .

(٤) هو أبو الفضل الربيع بن يونس ، وزير المنصور ، وكان مهيأً لصبهاً كانها حترماً فلما ، ولم يزل وزيراً للمنصور إلى أن مات المنصور . وقام الربيع بأخذ البيعة لنفسه ، ثم سعى به أعدوه إلى الخلع ، فنظف سنة ١٧٠ هـ . (٥) هو أخته الفضل بن الربيع ، وقد وزير الرشيد بعد البرامكة ، وأبته الأيمن كما سبق .

ولا رتبة تُبذل ، وإنما تؤكده الأسباب ، قال : فاجعل لي طريقاً إليه ، بالفضل عليه ، قال : صدقت . وقد وصلته بألف درهم ، ولم أصل بها أحداً غير محموتي ، لتعلم ماله عندي . فيكون منه ما يستدعي به محبتي ، قال : فكيف سألت له الحبة ياربيع ؟ قال : لأنها مفتاح كل خير ، ومغلاق كل شر ، تُشتر بها عنك عيوبه ، وتصيرُ حسنات ذنوبه . قال : صدقت .

(زهر الآداب ٢ : ١٦٣)

٤٤ - مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور

دخل عمرو^(١) بن عبيد على المنصور بعد ما بايع للهدى ، فقال له : يا أبا عثمان ، هذا ابن أمير المؤمنين ، وولي عهد المسلمين ، قال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، أراك قد وطئت له الأمور ، وهي تصير إليه . وأنت عنه مستول ، فاستعبر المنصور ، وقال له : عفاي يا عمرو ، قال : « يا أمير المؤمنين : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك منها ببعضها ، وإن هذا الذي في يديك ، لو نقي في يد غيرك لم يصل إليك . فأحذر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده ، فوجم أبو جعفر من قوله ، فقال له الربيع : يا عمرو غممت أمير المؤمنين ، فقال عمرو : إن هذا صحبك عشرين سنة ، لم ير لك عليه أن ينصحك يوماً واحداً . وما عيل وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه ، قال أبو جعفر : فما أصنع ؟ قد قلت لك ، خاتمي في يدك ، فتعال وأصحابك فاكفني ، قال عمرو : أدعنا بعد ذلك ، نضع أنفسنا بعمونك ، نبأيك ألف مظلة ، أردد منها شيئاً نعلم أنك صادق . »

(مروج الذهب ٢ : ٢٢٤ ، وحيون الأخبار ٢ م ١ ص ٣٣٧ ، ووفيات الأعيان

١ : ٢٨٤ ، والنفق المفردة ١ : ٣٠٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١٢ : ص ١٤٨)

٤ - مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البنى
والفساد في الأرض ، وما يحُول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور ، فجلس
ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوهُ ، فصلّى الرجل ركعتين ، واستلم الركن .
وأقبل مع الرسول ، فلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذي سمعتك تذكر من
ظهور البنى والفساد في الأرض ؟ وما الذي يحُول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله
لقد حشوت مسامى ما أَرْضَيْتُ^(١) ، قال : يا أمير المؤمنين إن أَمْنَتْنِي على قُضَى ،
أُنَبِّئُكَ بالأُمُور من أصولها . وإلَّا احتجرتُ منك . واقتصرت على قُضَى ، فيها لى
شَاغِلٌ ، فقال : أنت آمِنٌ على فُشْك قَل ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الذي دخله
الطمع ، حتى حال بينه وبين ما ظهر من البنى والفساد لَأَنْت ، قال : وعِمك ، وكيف
يدخلنى الطمع ، والصَّغْرَاء والبيضاء^(٢) في قَبْضَتِي ، والحُلُو والحامِض عندى ؟ قال :
وهل دخل أحداً من الطمع ما دَخَلَكَ ؟ إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين وأموالهم ،
فأَغْلَظتْ أُمُورهم ، واهْتَمَمْتَ بجمع أموالهم ، وجعلتَ بينك وبينهم حِجَاباً من الجِصِّ
والآجِر . وأبوأباً من الحديد . وحِجَبَةً منهم السلاحُ ، ثم سَجَّنتْ فُشْكَ فيها عنهم ،
وبسَّنتْ مُعَمَّالَكَ في حِجَابِةِ الأُمُوال وجمعها ، وقَوَّيْتهم بالرجال والسلاح والكُرَاع ،
وأمرتُ بَأَلَا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ، فَرَّزْتُمُوتهم ، ولم تأمر بِيَصَالِ
الظُلُوم ولا اللُهوْف ، ولا الجانح العارى ، ولا الضعيف الفقير ، ولا أحد إلا وله في هذا
السال حق ، فلما رَأَكَ هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثَرْتَهُمْ على رِعيتك ،
وأمرتُ أَلَا يُحْبَبُوا عَنْكَ ، تَجَنَّبَى الأُمُوال وتجمعها ولا قسمها ، قالوا : هذا

(١) لوجنى وآنى . (٢) الصغراء والبيضاء : الفتاتير والخدم .

قد خان الله ، فما بالنا لا نخونه وقد سَجَنَ لنا ضمه ؟ فَاْتَمَرُوا بِالْأَيُّمِ بِإِلَهِكَ مِنْ عِلْمِ
أَخْبَارِ النَّاسِ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَرَادُوا ، وَلَا يُخْرِجُ لَكَ عَامِلٌ ، فَيُخَالِفُ أَمْرَهُ إِلَّا قَصَبُهُ (١)
عَنْكَ وَفَوْهُ ، حَقٌّ تَسْقُطُ مِنْزِلَتُهُ ، وَيَصْفُرُ قَدْرُهُ ، فَلَمَّا انْتَشَرَ ذَلِكَ عَنْكَ وَعَنْهُمْ ،
أَعْظَمَهُمُ النَّاسُ وَهَابَهُمْ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ صَانَهُمْ عَمَّا لَكَ بِالْمُهْدَايَا وَالْأَمْوَالِ ، لِيَقْوُوا بِهَا
عَلَى ظِلْمِ رَعِيَّتِكَ ، ثُمَّ فَلَ ذَلِكَ ذَوُو الْقُدْرَةِ وَالثَّرْوَةِ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، لِيُنَالُوا بِهِ ظِلْمَ مَنْ دُونِهِمْ
فَامْتَلَأَتْ بِلَادُ اللَّهِ بِالطَّامِعِ بَنِيًا وَفَسَادًا ، وَصَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ شُرَكَاءَكَ فِي سُلْطَانِكَ ،
وَأَنْتَ غَافِلٌ ، فَإِنْ جَاءَ مَتَغَالِمٌ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ مَدِينَتِكَ ، فَإِنْ أَرَادَ رَفْعَ قِصَّتِهِ إِلَيْكَ
عِنْدَ ظَهْوِكَ ، وَجَدَكَ قَدْ تَهَيَّأْتَ بِعَيْنِ ذَلِكَ ، وَأَوْقَعْتَ لِلنَّاسِ رِجَالًا يَنْظُرُ فِي مَقَالِمِهِمْ ،
فَإِنْ جَاءَكَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، فَبَايَعَ بِطَانَتَكَ خَبْرَهُ ، سَأَلُوا صَاحِبَ الْمَقَالِمِ أَلَّا يَرْفَعُ مَقَالِمَتَهُ
إِلَيْكَ ، فَإِنَّ لِلتَّغَالِمِ مِنْهُ لَهُ بِهِمْ حُرْمَةٌ ، فَجَابَهُمْ خَوْفًا مِنْهُمْ ، فَلَا يَزَالُ لِلْمَقَالِمِ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ ،
وَيُلَوِّذُ بِهِ ، وَيَشْكُو وَيَسْتَشِيرُ ، وَهُوَ يَدْفَعُهُ وَيَمْتَلِئُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَجْعَدَ وَأُخْرِجَ وَظَهَرَتْ ،
صَرَخَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَضْرِبَ ضَرْبًا مُبَرِّحًا لِيَكُونَ نَكَالًا لِفَرِيضَةٍ ، وَأَنْتَ تَنْظُرُ فَلَا
تُنْكَرُ ، فَمَا بَقِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى هَذَا ؟ وَقَدْ كُنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسَافِرُ إِلَى الصِّينِ
فَقَدِمْتُهَا مَرَّةً ، وَقَدْ أَصِيبَ مَا كَمَا بِسَمْعِهِ ، فَبَكَى يَوْمًا بَكَاءً شَدِيدًا ، فَخَنَّتْ جِلْبَاهُ
عَلَى الصَّبْرِ ، قَالَ : أَمَّا إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي لِلْبَيْتَةِ النَّازِلَةِ بِي ، وَلَكِنِّي أَبْكِي لِلْمَقَالِمِ بِالْبَابِ
يَصْرُخُ ، وَلَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا إِذَا ذَهَبَ سَمْعِي ، فَإِنْ بَصُرِي لَمْ يَذْهَبْ ، نَادُوا
فِي النَّاسِ أَلَّا يَلْبَسَ ثَوْبًا أَحْمَرَ إِلَّا مَتَغَالِمٌ ، ثُمَّ كَانَ يَرْكَبُ الْقَيْلَ طَرَفَى نَهَارِهِ ، وَيَنْظُرُ
هَلْ يَرَى مَظْلُومًا ؟ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُشْرِكُ اللَّهِ ، غَابَتْ رَأْفَتُهُ بِالْمُشْرِكِينَ شُحٌّ نَفْسِهِ ،
وَأَنْتَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ ، ثُمَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ ، لَا تَقْلِبُ رَأْفَتَكَ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى شُحِّ نَفْسِكَ ؟
فَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا تَجْمَعُ الْمَالَ لَوَلَّاهُكَ ، قَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِي الْعَقْلِ ، يَقْطَعُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ،

وما له على الأرض مالٌ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه ، فما يزال الله يَلطُفُ
 بذلك الطفل ، حتى تَظُمَ رغبةُ الناسِ إليه ، ولستَ بالذي نَعِي ، بل الله يعلى من
 يشاء ماشاء ، وإن قلتَ إنما أجمع للمال لتشديد السلطان ، فقد أراك الله عِبراً في بنى أمية ،
 ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة ، وأعدّوا من الرجال والسلاح والكرُاع ،
 حتى أراد الله بهم ما أريد ، وإن قلتَ إنما أجمع لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها
 فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلةٌ ، لا تُدْرِكُ إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين ،
 هل تصاب من عصاك بأشد من القتل ؟ قال للنصور : لا ، قال : فكيف تصنع بالملك
 الذي خوّلكَ مُلكَ الدنيا ، وهو لا يصاب من عصاه بالقتل ؟ ولكن بالخلود في العذاب
 الأليم ، قد رأى ما تد عِدَّةً عليه قلبك ، وعَمَلَتَه جوارحك ، ونظر إليه بصرك ،
 واجترحتَه ^(١) يدك ، ومشتَ إليه رجلاك ، هل يُفنى عنك ما شححت عليه من مُلكِ
 الدنيا إذا انتزعهُ من يدك ، ودعاك إلى الحساب ؟ فبكي للنصور وقال : يا ليتني لم أخلق ،
 ومحك ! فكيف أحتال لنفسي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن للناس أعلاماً يَفْزَعُونَ إليهم
 في دينهم ، ويرضون بهم ، فاجمعهم بطاعتك يرشدوك ، وشاورهم في أمرك يذدوك ،
 قال : قد بعثت إليهم فهر بوا مني ، قال : خافوا أن تحمِلَهم على طريقتك ، ولكن انتفع
 بابك ، وسهّل حِجَابَكَ ، وانصر المظلوم ، واتقِ الظالم ، وخذ القِيَمَ والصدقات مما خل
 وطلب ، واقسهُ بالحق والعدل على أهله ، وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويُعبدوك على
 صلاح الأمة ، وجاء للوُذُنون ، فسلموا عليه ، فصلى وعاد إلى مجلسه ، وطلِبَ
 الرجل فلم يوجد .

(مروج الذهب ج ٢ : ص ٢٢٢ ، واللقمة للقره ١ : ٢٠١)

٤٦ - مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

قال الأوزاعي^(١) : دخلت على المنصور ، فقال لي : ما ألقى بطلاً بك عني ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، وما ألقى تريد مني ؟ قال : الاحتباس منك ، قلت : أنظر ماتقول ، فإن « مكحولاً »^(٢) حدثني عن عطية بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بُلغنه عن الله نصيحة في دينه ، فهي رحمة من الله سيقت إليه ، فإن قيلها من الله بشكر ، وإلا كانت حجة من الله عليه ، ليزداد إيماناً ، وليزداد عليه غضباً ، وإن بُلغنه شيء من الحق فرضى الله الرضا ، وإن سخط الله السخط ، ومن كرهه فقد كرهه الله لأن الله هو الحق المبين » فلا تَجْهَلَنَّ ، قال : وكيف أجهل ؟ قال : تسمع ولا تسمع بما تسمع ، قال الأوزاعي : « فلعل على الربيع السيف » وقال : تقول لأمر المؤمنين هذا ؟ فاتهره المنصور وقال : أمسك ، ثم كلمه الأوزاعي ، وكان في كلامه أن قال :

« إنك قد أصبحت من هذه الخلقة بالذي أصبحت به ، والله سَأَلْتُكَ عن صبرها وكبيرها ، وقتيلها وقبيرها »^(٣) ، ولقد حدثني عروة بن رُوَيْم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من رَاجِعٍ يَبِيتُ غاشاً لرعيته إلا حَرَّمَ الله عليه رائحة الجفنة »^(٤) لحقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظراً ، ولما استطاع من عوراتهم ساتراً ، وما حَسِطَ

(١) هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، إمام أهل الشام ، ولم يكن بها أعلم منه . وله يملوك سنة ٥٨٨ هـ ، وتوفي سنة ١٥٧ هـ بدمشق . والأوزاعي : نسبة إلى أوزاع ، وهي بلد من بلاد الكلاخ من اليمن ، وقيل : بلد من مدائن ، وقيل الأوزاع : قرية بدمشق ، ولم يكن عبد الرحمن منهم ، وإنما زل فهم : فلقب إليهم ، وهو من سبي اليمن .

(٢) هو مكحول بن عبد الله الشامي ، سلم الأوزاعي ، وكان من سبي كابل ، وضع إلى سعيد بن العاص ، فوجه لأمراء من أهل بلخ فأعتقه ، قال القرطبي : الدلاء أربعة : سعيد بن المهدي بالهيرة ، والشمسي بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشام ، ولم يكن في زمته أبصر منه بالفتيا ، وسبع أس بن مالك وغيره ، وكان مقامه بدمشق ، وتوفي سنة ١١٨ هـ .

(٣) الفتيل : السحاة التي في شق الفتوة ، والظفر : الثغرة التي في ظهر الفتوة .

(٤) - جبهة خطب العرب - ثالث

فيا بينهم قائماً ، لا يصفون مُحْسِنُهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً^(١) ، ولا مُسِيئُهُمْ عَذَاباً ، فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جَرِيَّةٌ يَسْتَكْبِهُهَا ، ويردع عنه اللناقين ، فَأَنَّهُ جَبْرِيلُ قَالَ : « يا محمد ، ما هذه الجَرِيَّةُ بِيَدِكَ ! اذْقِهَا لَأَعْلَأَ قُلُوبُهُمْ رُغْبًا » فكيف من سفك دماهم ، وشقّق أبشارهم ، وأنهب^(٢) أموالهم ؟ يا أمير المؤمنين : إن الظفور له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ، دعا إلى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابيا لم يتعمده ، فهبط جبريل ، قال : « يا محمد ، إن الله لم يعثبك جَبَّارًا تَكْسِرُ قُرُونُ أَمْتِكَ » واعلم أن كل ماقى يدك لا يَبْدُلُ شَرِبَةً مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ ، ولا نَحْمَةً مِنْ ثَمَارِهَا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَتَابُ^(٣) قَوْسٍ أَحَدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ، أَوْ قُدَّةٌ^(٤) خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِأَسْرَها » إن الدنيا تنقطع وتزول نيسبها ، ولو بقى للكَ لِيَن قَبْلَكَ لم يصل إليك يا أمير المؤمنين ، ولو أن ثوبا من ثياب أهل النار عُثِقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَذَامَ ، فكيف من يتعمده ؟ ولو أن دَنُوبًا^(٥) مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ صَبَّ عَلَى مَاءِ الْأَرْضِ لَأَجَنَّهُ^(٦) ، فكيف بمن يصبره ؟ ولو أن حَلَقَةً مِنْ سِلَاسِلِ جَهَنَّمَ وُضِعَتْ عَلَى جَبَلٍ لَنَابَ ، فكيف من سُلِكَ^(٧) فيها ، وَرَدُّ فُضَاهِهَا عَلَى عَاتِقِهِ ؟ وقد قال عمر بن الخطاب : « لَا يَقُومُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفٌ^(٨) الْعَقْلَةِ ، بَعِيدُ الْفِرَّةِ^(٩) لَا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا يَبْتَغِيَنَّ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرَّةٍ^(١٠) ، وَلَا تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لِأَثَمٍ » .

واعلم أن السلطان أربعة : أمير يَظْلِفُ^(١١) نفسه وعُمَلَاهُ ، فذلك له أجرُ المجاهد في سبيل الله ، وصلاته سبعون ألف صلاة ، ويدُّ الله بالرحمة على رأسه تُرْقَرَفُ ، وأمير رَجَعَ وَرَتَعَ عُمَلَاهُ ، فذلك يحيل أَمَلَاهُ وَأَهْلَاهُ مع أَمَلَاهُ ، وأمير يَظْلِفُ نفسه ،

(١) ظلم . (٢) جلبها نهبها . (٣) القتاب : ما بين المقبض والسيف (وسمى القوس كعدة : ما صنف من طرفها) . (٤) ريش السهم . (٥) القنوب : الدلو . (٦) جله أجنا أي صغير الطعم والود . (٧) قبة . (٨) حصف الرجل ككرم : استعمل عقله فهو حصيف ، وأحصف الرجل : أسكن قلبه . (٩) القلة . (١٠) أحتق : حشد حشدا لا يحصى ، وأحتق الصلب : نزل بالهين ، والجرة ما يهبط به الهجر فيأكله ثانية ، والمراد أنه لا يفسر الخلف والحق . (١١) يكتف .

ورجع عماله ، فذاك الذي باع آخرته بدنياه غيره ، وأمير يرتع ويظلفُ عماله ، فذاك شر الأكاس .

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد ابتليت بأمر عظيم ، عُرض على السموات والأرض والجبال ، فأبتين أن يَحْمِلَنَّهُ وَأَشْفَقْنَ مِنْهُ ، وقد جاء عن جدك في تفسير قول الله عز وجل : « لَا يُفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » أن الصغيرة التبسم ، والكبيرة الضحك ، وقال : فما ظنكم بالكلام وما حَمَلَتْهُ الأيدي ؟ فأعينك بالله أن يُخَيِّلَ إليك أن قرابتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تنفع مع الخفاقة لأمره ، قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا صَفِيَّةُ عَمَّةَ مُحَمَّدٍ ، يا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، استوهبَا أعسكما من الله ، إني لا أعني عنكما من الله شيئاً ، وكان جدك الأكبر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة ، قال : « أي عم ، نفس تُحْمِلُهَا ، خير لك من إمارة لا تُحْمِلُهَا » ، نَفَرًا لِمَمَّةٍ ، وَشَفَقَةً عَلَيْهِ أَنْ يَبْلَى فَيَجُورَ عَنْ سُنَّتِهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، فلا يستطيع له قفلاً ، ولا عنه دفناً ، هذه نصيحتي إن قيلتها فلنفسك كَمِيتٌ ، وإن رَدَدْتُهَا فففسك تَحَسَّتْ ، والله للوفى للغير والمعين عابيه ، قال : بلى ، قبلها ونشكر عليها ، والله نستعين .

(المنه الفردية ١ : ٢٥٥ . ديون الأشهر م ٢ : ص ٢٢٨)

٤٧ — نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة للنصور

ودخل يزيد بن عمر بن هبيرة^(١) على أمير المؤمنين للنصور ، قال : يا أمير المؤمنين : توسّع توسعاً قُرَشِيّاً ، ولا تضيق ضيقاً حَبَازِيّاً .

ويروى أنه دخل يوماً ، قال له النصور حدثنا ، قال : « يا أمير المؤمنين :

(١) ول قدس سره لفرید بن یزید بن عبد الملك، وجع له مروان بن محمد ولاية البصرة والكوفة ، وكان آخر من جمع له العراقيان من القولا ، ولما استظهرت عليه جيوش غسان ، وهزمت صكره خلق بليغة واسط ، فحصب بها . ولما برح السراح بالامانة وجهه انهأها جعفر المنصور لقتاله ، فحصره بواسط شهرًا ، ثم أله والفتح قلبه صلحا ، ثم قله .

إن سلطانكم حديث ، وإمارتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوة عدلها ، وجنبوهم مرارة جورها ، فوالله يا أمير المؤمنين ، قد تحضت^(١) لك النصيحة « ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس ، فأنأراه^(٢) المنصور بصرة ، ثم قال : لا يعزُّ ثلث يكون فيه مثل هذا ! .

(تهذيب الكامل : ١ : ٢٨)

٤٨ - معن بن زائدة والمنصور

ودخل معن^(٣) بن زائدة الشيباني على أبي جعفر المنصور وقد أسن ، فقارب في خطوه ، فقال له المنصور : لقد كبرت سنك يا معن ، قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنك لجلد ، قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ، قال : وإن فيك كبرية ، قال : هي لك يا أمير المؤمنين ، قال : فأى الدولتين أحب إليك ، هذه أم دولة بني أمية ؟ قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين . إن زاد برك على بوم كانت دولتك أحب إلى .

(البيان والتهذيب : ٣ : ٢٢٩ . ووليات الأمان : ٢ : ١٠٩ ، وزهر الآداب : ٣ : ١٦١)

٤٩ - معن بن زائدة وأحد زواره

ودخل رجل على معن بن زائدة ، فقال : ما هذه القنية ؟ قال : « أيها الأمير ، ما غلبَ عن العين من يذكره القلب وما زال شوق إلى الأمير شديداً ، وهو دون

(١) أغلقت . (٢) أنأراه البصر : أنجيه إياه ، وحده إليه النظر .

(٣) كان جواداً شجاعاً جليل السطة كبير المعروف ، وكان في أيام بني أمية منتقلاً في الولايات ، منتظماً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة القزاري أمير العراقيين ، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس . وحاصر المنصور يزيد عليه واسط كما قلنا ، أبلى يومئذ معن مع يزيد بلاد حسنة ، فلما قتل يزيد خاف من من أبي جعفر المنصور ، فاستقر معه مدة ، ولم يزل مستتراً حتى كان يوم الهاشمية ، وذلك أن جماعة من أهل غرسان ثاروا على المنصور ، وجرت مظلة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية . وهي مدونة بتأحا السفاح بالقرب من الكوفة . وكان من عوارها بالقرب منهم ، فخرج متكرراً متجسراً ، وتقدم إلى القوم ، وقتل قائم المنصور قتلاً أماناً فيه من نجدة وشهامة وقرتهم ، فلما أخرج عن المنصور . قال له : من أنت ويحك ؟ -

ما يَجِبُ لَهُ ، وَذَكَرَى لَهُ كَثِيراً وَهُوَ دُونَ قَدْرِهِ ، وَلَكِنْ بَجْوَءِ الْحُجَّابِ ، وَرَقَّةِ
بِشْرِ النِّلْمَانِ ، مَنَعَانِي مِنَ الْإِكْثَارِ ، فَأَمَرَ بِتَسْهِيلِ حِجَابِهِ ، وَأَجْزَلَ صِلَتِهِ .

(زهر الآداب ١٦١ : ٤)

٥٠ - المنصور وأحد الأعراب

وَدَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى الْمَنْصُورِ فَكَلَّمَ ، فَأَعْجَبَ بِكَلَامِهِ ، قَالَ لَهُ : سَلْ حَاجَتَكَ ،
قَالَ : يُبْقِيكَ اللَّهُ ، وَيَزِيدُ فِي سُلْطَانِكَ ، قَالَ : سَلْ حَاجَتَكَ ، فَلَيْسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ
تَوْمَرٌ بِذَلِكَ ، قَالَ : « وَلَمْ يَأْمُرِ لِلزُّمَيْنِ ، فَوَافَقَهُ مَا اسْتَقْصَرُ عَمْرُكَ ، وَلَا أَخْفَ
بُحْثُكَ ، وَلَا أَغْضَمَ مَالُكَ ، وَإِنْ سَأَلْتُكَ لِشَرَفٍ ، وَإِنْ عَطَاكَ لَزَيْنٌ ، وَمَا بَأْسُ
بَذَلِّ وَجْهِ إِلَيْكَ قَصٍّ وَلَا شَيْءٍ » . فَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ وَأَكْرَمَهُ .

(الصّادقين ص ٤٨١ ، العهد الفريد : ١٣٩)

٥١ - أعرابية تعزى المنصور وتهته

وَرَوَى التَّلَقُّشَنْدِيُّ قَالَ : تَمَرَّضَتْ أَعْرَابِيَّةٌ لِلْمَنْصُورِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ
أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، قَالَتْ :

« يَا أَمِيرَ الزُّمَيْنِ ، أَحْسَبَ الصَّبْرَ ، وَقَدَّمَ الشُّكْرَ ، قَدْ أَجْزَلَ اللَّهُ لَكَ الثَّوَابَ
فِي الْحَالَيْنِ ، وَأَعْظَمَ عَلَيْكَ لِلنِّعَةِ فِي الْمَادَتَيْنِ ، سَبَّكَ خَلِيفَةَ اللَّهِ ، وَأَطَاعَكَ خِلَافَةَ اللَّهِ ،
فَسَلِّمْ فِيمَا سَبَّكَ ، وَاشْكُرْ فِيمَا مَنَحَكَ ، وَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْ أَمِيرِ الزُّمَيْنِ ، وَخَالَكَ
فِيمَا مَنَحَكَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

— قَالَ : أَمَا طَلَبْتُكَ يَا أَمِيرَ الزُّمَيْنِ مِنْ بَيْنِ زَائِلَةٍ ، فَكَلِمَةُ الْمَنْصُورِ وَأَكْرَمَهُ ، وَصَارَ مِنْ عَوَامِهِ ، وَوَلَّى
سُجِسْتَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ، فَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ ١٥١ أَلَسَ قَوْمٌ مِنَ الْخَوَارِجِ بَيْنَ صَنَاعِ كَثَرُوا يَسْلُطُونَ فِي دَارِهِ
بَعْدِيَّةٍ هِيَ ، فَتَقْتُلُوهُ وَهُوَ بِمَعْصَمٍ ، وَيَهْجُمُ ابْنُ أُمِّهِ يَزِيدُ بْنُ زَائِلَةَ ، فَتَقْتُلُهُمْ بِأَسْرَمِهِ .

وروى الجاحظ قال : عَزَّتْ امرأةٌ للنصور عن أبي العباسِ مُقَدِّمَةً من مكة ، قالت : « أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أجلك من مصيبتك ، ولا عَرَضٌ أعظم من خلافتك » .
(صحيح الألباني : ٩ : ٢٧٨ ، والبيهقي : ٢ : ٥٥)

٥٢ — خطبة محمد بن سليمان^(١) يوم الجمعة

(وكان لا يذكرها)

الحمد لله ، أحمدُه وأستعينُه وأستغفرُه ، وأؤمن به ، وأنوكلُ عليه ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى
ودين الحق ، ليُظهرَه على الدين كله ولو كَرِهَ للشركون ، من يعتصم بالله ورسوله ،
قد اعتصم بالعمروة الوثقى ، وسَمِعَ في الأولى والآخرة ، « وَمَنْ يَقْصِرِ اللهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا وَخَسِرَ خَسِرَاتًا مُبِينًا ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَحْمِلَنَا وَإِلَّا كَمْ مِنْ يُعَاقِمُهُ
وَيُطَاعِ رَسُولَهُ ، وَيَقْبَعُ رِضْوَانَهُ ، وَيَجْتَنِبُ سَخَطَهُ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ لَهُ وَبِهِ . أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللهِ
بِقَوْلِ اللهِ ، وَأَحْكِمَكُمْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ ، وَأَرْضَى لَكُمْ مَا عِنْدَ اللهِ ، فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ أَفْضَلُ
مَا تَحْتَ النَّاسِ عَلَيْهِ ، وَتَدَاعَوْا إِلَيْهِ ، وَتَوَاصَوْا بِهِ ، فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » .
(البيهقي : ٢ : ٦٥)

٥٣ — وصية مسلم بن قتيبة

وقال مُسْلِمُ بْنُ قُتَيْبَةَ^(٢) : « لَا تَطْلُبَنَّ حَاجَتَكَ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ : لَا تَطْلُبْنَهَا
إِلَى الْكَذَّابِ ، فَإِنَّهُ يُقَرِّبُهَا وَهِيَ بَعِيدَةٌ ، وَيُبْعِدُهَا وَهِيَ قَرِيبَةٌ ؛ وَلَا تَطْلُبْنَهَا إِلَى الْأَحَقِّ ،

(١) هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان عامل البصرة في خلافة أبي جعفر المنصور
وتوفي سنة ١٧٣ في خلافة الرشيد .

(٢) استنقذه المنصور في قتل أبي سلم ، فقال : ما ترى في أمره ؟ قال : « لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ
إِلَّا اللهُ لَقَسَدْنَا » فقال : حسبك يا بن قتيبة ، لقد أودعنا أدنا وأمة (وفيات الأعيان : ١ : ٢٨٢) .

فإنه يريد أن يفتكك وهو يُفترِك ؛ ولا تطلبها إلى رجل له عند قوم مأْكَلَةٌ ، فإنه يحمل حاجتك وِقَاءً لحاجته .
(الملك ٢ : ١٩٠)

٥٤ - خطبة المهدي (توفي سنة ١٦٩ هـ)

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضى به من خلقه ، أحدهم على الآلة^(١) ، وأمجده لبلائه^(٢) ، وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه توكل راضٍ بقضائه ، وصابر لبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده الصطفى ، ونبيه المجتبي^(٣) ، ورسوله إلى خلقه وأمينه على وحيه ، أرسله بعد انقطاع الرجا ، وطُمُوس^(٤) العلم ، واقتراب من الساعة ، إلى أمة جاهلية ، مختلفة أُمِّيَّة ، أهل عداوة وتضائن ، وفرقة وتباين ، قد استهوتهم شياطينهم ، وغلب عليهم قُرُنازم^(٥) ، فاستشعروا الردى ، وسلكوا القبي ، يبشر من أطاعه بالجنة وكرم ثوابها ، وينذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ، « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَغَيَّبَ مَنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاتصاف عليها سلامة ، والترك لها ندامة ، وأحسبكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والانتباه إلى ما يقرب من رحمته وينجي من سخطه ، ويتكال به مالهديه ، من كرم الثواب ، وجزيل المكاب ، فاجنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ، يوم توثقون بين يدي الجبار ، وتعرضون فيه على النار « يَوْمَ لَا تَسْكُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذَنبِهِ ، فَتُحْشَرُ شَقًى وَسَعِيدٌ ؛ يَوْمَ يُفَرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ

(١) نمية ، والمفرده إلى كحل وشبس ، وإلى كصا وإلى كرفا .

(٢) البلاد : يكون شمة ، ويكون حنة . (٣) المعاد . (٤) القروس والاشداد .

(٥) القرون : المصاحب ، والشيطان : للقرون بالإنسان : لا يفارته .

مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُفْنِيهِ : يَوْمَ لَا يُخْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ
وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ : يَوْمَ لَا يُخْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ
هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا
يُغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ، فإن الدنيا دار غرور ، وبلاء وشور ، واضمحلال وزوال ،
وقلب وانتقال ، قد أفنت من كان قبلكم ، وهي عائدة عليكم وعلى من بعدكم ،
من ركن إليها صرخته ، ومن وثق بها خاتته ، ومن أكلها ^(١) كذبت ، ومن رجاها
خذلت ، عزها ذل ، وغناها فقر ، والسعيد من تركها ، والشقي فيها من آثرها ،
والغنيون فيها من باع حظّه من دار آخرته بها ، فافقه الله عباد الله ، والتوبة مقبولة ،
والرحمة مبسوطة ، وبادرُوا بالأعمال الزكية ^(٢) ، في هذه الأيام الخالية ، قبل أن يؤخذ
بالكفالم ^(٣) ، وتندموا فلا تتألمون الندم ، في يوم حسرة وتأسف ، وكآبة وتلهف ،
يوم ليس كالأيام ، وموقف ضنك المقام . إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله .
يقول الله تبارك وتعالى : « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » .
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم ، أَلَمْ أَكُنْ مِنْ الْكَافِرِينَ
حَقٌّ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ - إلى آخر السورة - أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به ،
وأنها كم عانها كم عنه ، وأرضى لكم طاعة الله ، وأستغفر الله لي ولكم .

(لَقَدْ أَفْرَدَ ٢ : ١٤٦)

(١) أكله أكله وأكله بالتحفيف والتشديد . (٢) زكّا يزكو : فما واصلح .

(٣) الكفالم : الخلل أو القم ، أو خرج النفس ، أي قبل الموت .

مشاورة المهدي لأهل بيته

في حرب خراسان

روى ابن عبدربه قال :

« هذا ما تراجع فيه المهدي ووزراؤه ، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان ، أيام تحاملت عليهم المال وأعنت ، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكافأة ، على أن نكثوا بيمينهم ، وقضوا موثقتهم ، وطردهوا المال ، والتوا بما عليهم من الخراج ، وحمل المهدي ما يجب من مصلحتهم ، وبكره من عنتهم ، على أن أقال عثرتهم ، واغتفر زلتهم ، واحتمل دألتهم ، تطولا بالفضل ، واتساعا بغفو ، وأخذاً بالحجة ، ورقفاً بالسياسة ، ولذلك لم يزل مذحله الله أعباء الخلافة ، وقلة أمور الرعية ، ورفقا بمدار سلطانه ، بصيراً بأهل زمانه ، باسطاً للمدلة في رعيته ، تسكناً إلى كنفه ، وتأنساً بغفوه ، وثقوباً بحله . فإذا وقعت الأقضية اللازمة ، والحقوق الواجبة . فليس عنده هواذة ، ولا إغضاء ، ولا مدهانة ، أثره للحق ، وتيامماً بالعدل ، وأخذاً بالخزم ؛ فدعا أهل خراسان الاعتراض بحله ، والثقة بغفوه . أن كسروا الخراج ، وطرهوا المال وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم خاطبوا احتجاجاً باعتذار ، وخضومة بإقرار ، وتنصلاً باعتلال ؛ فلما انتهى ذلك إلى المهدي . خرج إلى مجلس خلأته . وبث إلى غر من لحقته ^(١) ووزرائه ، فأعلمهم الحال . واستنصهم للرعية ، ثم أمر للوالي ^(٢) بالابتداء ، وقال للمباس ^(٣) بن محمد : أي عم تقب قولنا ، وكن حاكماً بيننا ، وأرسل إلى ولديه

(١) القصة : القرابة . (٢) جمع حوله ، وهو هنا التقرب كإين للمم ونحوه .

(٣) هو المباس بن محمد بن علي بن مه الله بن عباس أخو المنصور .

موسى وهرون ، فأحضرهما الأمر ، وشاركهما فى رأى ، وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم ، وإثبات مقالاتهم فى كتاب .

٥٥ - مقال سلام صاحب المظالم

قال سلام صاحب المظالم :

« أيها المهدي : إن فى كل أمر غاية ، ولكل قوم صناعة ، استفرغت رأيهم ، واستفرقت أشفائهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها ، وذهبت بهم ، وعرفوا بها ، وعرفت بهم ، وهذه الأمور التى جعلتنا فيها غاية ، وطلبت موعنتنا عليها أقوام من أبناء الحرب وساسة الأمور ، وقادة الجنود ، وفُرسان المراكز^(١) ، وإخوان التجارب ، وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سجالها^(٢) ، وقبائهم ضلالها ، وعصمتهم شدائدُها ، وقمرتهم نواجذُها^(٣) ، فلو نجحت ما قبلهم ، وكشفت ما عندهم ، لو جدت نظائر تؤيد أمرك ، وتجارب توافق نظرك ، وأحاديث تقوى قلبك . فأما نحن معاشير عمالك . وأصحاب دواوينك . فحسن بنا ، وكثير منا أن قوم يشغل ما حملتنا من عملك ، واستودعتنا من أمانتك ، وشغلتنا به من إضاء عدلك ، وإغاذ حُكْمك ، وإظهار حقك . »

فأجابه المهدي : « إن فى كل قوم حكمة . ولكل زمان سياسة . وفى كل حال تدبير . يبطل الآخر الأول . ونحن أعلم بزماننا ، وتدبير سلطانتنا . »

قال نعم : أيها المهدي : أنت متبع الرأى ، وثيق العقيدة ، قوى اللثة^(٤) ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، محذور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق الزعامة ، ممان بالظفر ، مهتدي إلى الخير . إن هممت فى عزملك مواقع الفن ، وإن اجتمعت صدع فلُك

(١) المزمزة والمزاند : تحريك الياء والحروف الناس . (٢) جمع سجل كشس : وهو القدر
لظمة علوة . (٣) فرم السلام : أكله ، والنواجذ : أنص الأهرامس . (٤) القوة .

مليس الشك . فاعزم يَهْدِ اللهُ إلى الصواب قلبك . وقل يُنطق اللهُ بالحق لسانك .
فلن جنودك جثة . وخرائبك عسرة . وحسك سخية . وأمرك نافذ .

فأجابه المهدي : « للشاورة وللناظرة بالارحمة ومفتاحا بركة لا يَشْكُ عليها
رأى ، ولا يَتَقِيلُ^(١) معها حَزْمٌ ، فَاشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ ، وَقُولُوا بِمَا يَحْضُرُكُمْ ، فَإِنِ مِنْ
وَرَائِكُمْ ، وَتَوْفِيقُ اللهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ » .

٥٦ - مقال الريح بن يونس^(٢)

وقال الريح :

أيها المهدي : إن تصاريف وجوه الرأى كثيرة . وإن الإشارة ببعض معاريف
القول يسيرة . ولكن خراسان أرض بيضة للسافة . متراخية الشقة^(٣) . متفارقة الشبل
فإذا ارتأت من مُحْكَمِ التدبير . ومُبْزَمِ التقدير . ولُبَابِ الصواب ، رأيا قد أحكمه
نظرك ، وَقَلْبُهُ تَدْيِيرُكَ . فليس وراءه مذهب طاعن . ولا دونه مطلق لخصومة عائب .
ثم خَبَّتِ الْبُرْدُ^(٤) به ، وانظوت الرُّسُلُ عليه ، كان ماخرى أن لا يصل إليهم مُحْكَمُهُ .
إلا وقد حدث منهم ما يَنْقُضُهُ . فما أيسر أن ترجع إليك الرسل . وَتَرِدَ عَلَيْكَ الْكُتُبُ
بِحَقَائِقِ أَخْبَارِهِمْ ، وَشَوْلَرْدِ آثَارِهِمْ ، وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ ، فَتَحْدِثُ رَأْيَا غَيْرَهُ ، وَتَبْتَدِعُ
تَدْيِيرًا سِوَاهُ ، وَقَدْ اخْرَجْتَ الْخَلْقَ ، وَغَلَّقْتَ الْمَقَدَّ ، وَاسْتَرْخَيْتِ الْحَقَابَ^(٥) ، وامتد
الزمان . ثم كَلِمَ موقع الآخرة كمصدر الأولى . ولكن الرأى أيها المهدي وثقك الله .
أن تصرف إجابة النظر ، وتَقْلِبَ الْفِكْرَ فيما جعته له ، واستشَرْنَا فِيهِ مِنَ التَّدْيِيرِ
لِحُرْمِهِمْ ، وَالْحِيلِ فِي أَمْرِهِمْ ، إِلَى الطَّلَبِ لِرَجْلِ ذِي دِينَ فَاضِلٍ ، وَعَقْلِ كَامِلٍ ، وَوَرَعٍ

(١) قال رايه وتقبل : أعطا وصف . (٢) وزر لاي جفر المصور وقطه الهادي سنة ١٧٠ هـ

(٣) البعد والفسر البعيد . (٤) جمع برية : وهو الرسول ، وغيت : أسرعت .

(٥) الحقاب : ما تشده المرأة في وسطها .

واسع . ليس موصوفاً بهوى في سواك ، ولا متبهاً في أثره عليك ، ولا ظنيناً^(١) على دُخْلة^(٢) مكروهة . ولا منسوباً إلى بدعة محذورة . فيتدح في ملكك ، ويرى^(٣) الأمور لنيرك ، ثم تستند إليه أمورهم . وتقوض إليه حريمهم ، وتأمره في عملك ووصيتك إليه . بلزوم أمرك ما لزمه الحزم . وخلاف نهيك إذا خالفه الرأي ، عند استحالة الأمور ، واشتداد الأحوال التي يُنقَضُ أمرُ الغائب عنها ، ويثبت رأيُ الشاهد لها ، فإنه إذا فعل ذلك ، فوائب أمرهم من قريب ، وسقط عنه ما يأتي من بعيد ، تمت الحيلة ، وقويت الكيدة . ونفذ العمل . وأخذ النظر إن شاء الله . .

٥٧ — مقال الفضل بن العباس

قال الفضل بن العباس :

« أيها المهدي : إنَّ وليَّ الأمور ، وسائسَ الحروب ، ربما نحى جنوده ، وفرق أمواله في غير ماضيقِ أمرٍ حزبه^(٤) ، ولا ضنطة حال اضطرته ، فيقدم عند الحاجة إليها ، وبعد الضرورة لها ، عديداً منها . فاقبلاً لها . لا يثق بقوة ، ولا يصول بعدة ، ولا يفرغ إلى ثقة . فالرأى لك أيها المهدي وفقك الله ، أن تُنفق خزانك من الإغراق للأموال ، وجنودك من مكابدة الأسفار ، ومقارعة الأخطار ، وتترر القتال ، ولا تُسرِّعَ للقوم في الإجابة إلى ما يطلبون ، والمطاء لما يألون ، فيفسد عليك أدبهم ، وتجري من رعيك غيرهم ، ولكن اغزهم بالحيلة ، وقاتلهم بالكيدة ، وصارهم باللين ، وخاتلهم^(٥) بالرفق ، وأبرق^(٦) لهم بالقول ، وأرعد غوهم بالقمل ، وابثث البموث ،

(١) تبها . (٢) دخلة الرجل مظنة ، ومنهية : تبه وطلمه .

(٣) في كتب اللغة : رآه وروىه : الله وأراض الأرض جعلها رياناً . (٤) الله عليه .

(٥) غلهم . (٦) رده وبرق : وأرعد وأبرق : تهدد وقومه .

وجند الجنود ، وكثب الكتائب . واعقد الأوثى ، وانصب الرايات . وأظهر أُنك
مُوجّه إليهم الجيوش مع أحنق قُودك عليهم ، وأشوّهم أترأ فيهم ، ثم ادنس الرسل ،
وابثث الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبمضا على خوف من وعيدك ،
وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم ، واغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى نملأ
القلوب من الوحشة ، وتنطوى الصدور على اليقظة ، ويدخل كلا من كل الحفر
والهية ، فإن مرّام الظفر بالفيضة ، والقتال بالحيلة ، والمناسبة^(١) بالكتب ، والمكابدة
بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب ، القوى الموقّع من النفوس ،
المعقود بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبني على اللين الذي يستميل القلوب ، ويسترق
العقول والآراء ، ويستميل الأهواء ، ويستدعي للوآاة^(٢) ، أخذ من القتال بظلمات
السيوف ، وأسنة الرماح ، كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل . ويغرق كلمة عدوه
بالمكابدة ، أحكم عملا . وألف منظرأ ، وأحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك
إلا بالقتال ، والإنلاف للأموال . والتنرير والخطار^(٣) . ولتلم الهدى أنه إن وجّه
لقتالهم رجالا لم يسير لقتالهم إلا بجنود كثيفة ، تخرج عن حال شديدة ، وتقدّم على
أسفار ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقود غشّة ، إن اتّهمهم استنفدوا ماله ، وإن
استنصّهم كانوا عليه لاله .

قال الهدى : « هذا رأى قد أسفر نوره ، وأبرق ضوؤه ، وتمثّل صوابه للعيون ،
ومجند حقه فى القلوب ، ولكن فوق كل ذى علم عليم » ، ثم نظر إلى ابنه على ،
فقال : ما تقول ؟

٥٨ - مقال علي بن المهدي

قال علي بن المهدي :

« أيها المهدي : إن أهل خراسان لم يَخْلَمُوا عن طاعتك ، ولم يَنْصِبُوا من دولك أحداً ، يَقْدَحُ في تغيير ملكك ، وَيُرِيضُ الأمور لِقِصاد دولك ، ولو ضلوا السكبان الخَطْبُ أَيْسَرَ ، والشأن أَصْفَر ، والحال أَذَلْ ، لأن الله مع حقّه الذي لا يَخْذُلُهُ ، وعند مواعده الذي لا يَخْلِفُهُ ، ولكمهم قوم من رعيّتك ، وطائفة من شيعتك ، الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل الدل بينك وبينهم حاكماً ، طَلَبُوا حقّاً ، وسألوا إنصافاً ، فإن أجبتَ إلى دعوتهم ، ونَفَسْتَ عنهم قبل أن يتلاخَمَ منهم حال ، ويحدث من عندهم فتق ، أطلعتَ أمر الرب ، وأطفاقتَ نائرة الحرب ، ووقرتَ خزائن المال ، وطرحتَ نفرة القتال ، وتحلّ الناسُ تحمّل ذلك على طبيعة جُودك ، وسجية حلك ، وإسجاح^(١) خليقتك ، ومعدّلة نظرك ، فأمنتَ أن تُنْسَبَ إلى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقي دُرّة ، وإن منعتهم ما طَلَبُوا ، ولم تُجِيبهم إلى ما سألوا ، اعتدلتَ بك وبهم الحال ، وساويتهم في ميدان الخطّاب ، فإرَبُ المهدي أن يعيدَ إلى طائفة من رعيته ، مقرّين بملكته ، مُدْعِينَ بطاعته ، لا يُخْرِجونَ أنفسهم عن قدرته ، ولا يُرثَوْنَهَا من عبوديته ، فيملّكهم أنفسهم ، ويخلعَ قسَمَ عنهم ، ويقفَ على الحيل معهم ، ثم يجازيهم السوء في حدّ القارعة وميضار الحاضرة . أريد المهدي - وقه الله - الأموال ؟ فلتسرى لابنائها ولا يظفر بها إلا بإِثاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضامف ما يدعى قبلكم ، ولو نالها فَحِيلَتْ إليه ، وَوُضِعَتْ بمزائيلها^(٢) بين يديه

(١) الإسجاح : حسن الطور .

(٢) جمع غريفة ، وهي وهد من آدم وهدمه وصرج طر ماله .

ثم تجافى لهم عنها ، وطال عليهم بها ، لكان إليه مما يُنسب ، وبه يُعرف ، من الجود الذى طبعته الله عليه ، وجعل قُرَّة عينه ، ونَهْمَةً^(١) فيه ، فإن قال الهمدى : هذا رأى مستقيم سديد ، فى أهل الخراج الذين شكَّوا ظلم عاملنا ، وتحامل ولاننا ؛ فأما الجنود الذين قَضَوْا موافق اليهود ، وأنطقوا لسان الإرجاف ، ونصروا باب المصية ، وكسروا قيد الفتنة ، قد ينبغي لهم أن أجعلهم نَكَالاً لغيرهم ، عِظة لسوام ، فيعلم الهمدى أنه لو أتیَ بهم مغلولين فى الحديد ، مُقَرَّنِينَ^(٢) فى الأصناد^(٣) ، ثم اتسع لِحَقْنِ دعاتهم غفوة ، ولإقالة عثرتهم صَنْعُهُ ، واستبقام لئام فيه من حرب ، أو لمن يلازمهم من عدو ، لَمَا كَانَ يَدْعَا من رأيه ، ولا مستفكراً من نظره ، قد علت العرب أنه أعظم الخلفاء والمولوك عفواً ، وأشدّها وُتْمًا ، وأصدقها صولة ، وأنه لا يتماثلهم^(٤) عفواً ، ولا يتشكَّاهُ^(٥) صَفْحٌ ، وإن عَظُمَ الذنبُ ، وجَلَّ الظلمُ ، فالرأى الهمدى وقه الله تعالى أن يحلَّ عُقْدَةُ النِيطِ ، بالرجاء الحسن ثواب الله فى العفو عنهم ، وأن يذكر أولى حالاتهم ، وَضِيْعَةُ عِيَالَتِهِمْ ، رِإً^(٦) بهم ، وتوسُّلاً لهم ، فإنهم إخوان دولته ، وأركان دعوته ، وأساس حقِّه الذين بمرتبتهم يصول ، ويحُجُّجُهُمْ يقول ، وإِنَّا مَثَلُهُمْ فِيمَا دَخَلُوا فِيهِ مِنْ مَخَاطِلِهِ ، وتعرضوا له من معاصيه ، وانظروا فيه عن إجابته ، وَمَثَلُهُ فى قِلَّةِ مَا غَيَّرَ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِهِ فِيهِمْ ، أَوْ قِلِّ مِنْ حَالِهِ لَهُمْ ، أَوْ تَغْيَرٍ مِنْ نَسَمَتِهِ بِهِمْ ، كمثل رجلين أخوين متناصيرين متوازيين ، أصاب أحدهما خَيْلٌ عَارِضٌ ، وَلَمْ تَوْحِدْ حَادِثٌ . فنهض إلى أخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزد أخوه إلا رِقَّةً له ، ولعقاً به ، واحتياجاً للدلالة مرضه ، ومراجعة حاله ، عطفاً عليه ، ورِإً^(٦) به ، ومَرَحَّةً له .

(١) القبة : الحاجة وبلوغ الشهوة فى الفتن .

(٢) مقربين . (٣) الأصناد : القيود ، جمع صند كسب .

(٤) تماثلهم الأمر : عظم عليه . (٥) تشكاهه الأمر : شق عليه .

قال المهدي : أما عليّ قد نوى سَمَتَ الأَيَّان^(١) ، وَفَضَّ القلوبِ في أهل خراسان ،
ولكلُّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ ، قال : ما ترى يا أبا محمد يعني موسى ابنه (المهدي) .

٥٩ - مقال موسى بن المهدي

قال موسى :

« أيها المهدي : لَا تَسْكُنْ إلى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم ، وأنت
ترى السماء تسيل من خَلَلِ فُصلهم ، الحالُ من القوم ينادي بِمُصْطَرَّةٍ شر ، وَخَفِيَّةٍ جَدِّ ،
قد جعلوا المأذِرَ عليها سِتْرًا ، وانحنوا المِلَلِ من دونها حجابًا ، رجاء أن يدافعوا
الأَيَّامَ بالتأخير ، والأُمُورَ بالتطويل ، فيكسِرُوا حِجِلَ المهدي فيهم ، وَيُضْنُوا جنودَهُ
عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم ، وتتلاحق مآذِنُهم ، وتستفعل حربهم ، وتستمر الأمور بهم
والمهدي من قولهم في حالِ غِرَّةٍ ، وَلِبَاسِ أَسَنَةٍ ، قد قَرَّرَ لها ، وَأَنَسَ بها ، وسكن إليها .
ولولا ما اجتمعت به قلوبُهم ، وَبَرَدَتْ عليه جودُهم من المناصِبَةِ باقتال . والإضرار
للقيراع ، عن داعية ضلال ، أو شيطان فساد ، لَهَيُّوا عواقب أخبار الوَلَاةِ ، وَغِبَ
بسكون الأمور ، فَلْيَشْدُدْ المهدي وَقْفَهُ لِقَه أَزْرَهُ^(٢) لهم ، ويكتب كتابه نحوهم ،
وليضع الأمر على أشد ما يَحْضُرُهُ فيهم ، وليوقن أنه لا يبطيهم خُطَّةٌ يريد بها صلاحهم ،
إلا كانت دُرَّةً إلى فسادهم ، وقوة على مصيبتهم ، وداعية إلى عودتهم ، وسبباً لفساد
مَنْ يَحْضُرُهُ من الجنود ، ومن بيابه من الوفود الذين إِنْ أَقْرَمَ وتلك العادة ، وأجرام
على ذلك الأَرَبِ ، لم يبرح في قَتْحِ حادث . وخلافِ حاضر ، لا يصلح عليه دين ،
ولا تستقيم به دنيا ، وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار القُرْبَةِ ، لم يصل

(١) الأَيَّان : اللامعة . صدر لاين . والفت : الطريق .

(٢) القُرْبَةُ وعظير .

إلى ذلك إلا بالعقوبة المُقرَّطة . والثُّبُوتُ الشديدة . والرأى المهدى وقته الله أن لا يُقبل عثرتهم . ولا يقبل مَفْذِرَتهم . حتى تطام الجيوش . وتأخذهم السيوف . ويستَحِرُّ^(١) بهم القتل . ويُحْدِقُ بهم الموت . ويحيط بهم البلاء . وَيُطِيقُ عليهم القتل . فإن فعل المهدى بهم ذلك . كان مَقْطَعَةً لكل عادة سوء فيهم . وهزيمة لكل بادرة شرٍّ منهم . واحتمالُ المهدى في مَثُونة غزواتهم هذه . تضع عنه غزوات كثيرة . ونفقات عظيمة . فقال المهدى : « قد قال القوم . فاحكم يا أبا الفضل » .

٦٠ - مقال العباس بن محمد

فقال العباس بن محمد :

« أيها المهدى : أما الموالى فأخذوا بفروع الرأى ، وسلكوا حَبَابَاتِ الصواب ، وتعدوا أموراً قَصِرَ بنظرهم عنها ، أنه لم تأت تجاريهم عليها . وأما الفضل فأشار بالأموال ألا تُتَفَقَّ ، والجنود ألا تُفَرَّقَ ، وبأن لا يُعْطَى القوم ما طلبوا ، ولا يُبْذَل لهم ما سألوا . وجاء بأمر يَبَيِّنُ ذلك استصفاً لأمرهم ، واستبانة بخبرهم . وإلتام يَجُجُ جَسِيَّاتِ الأمور صفارها .

وأما على فأشار باللين وإفراط الرِّفْق . وإذا جَرَّدَ الوالى لمن غَمِطَ أمره وسَفِهَ حَقَّهُ ، اللين بَحْتًا ، والخير مَحْصًا . لم يخلطهما بشدةٍ تَطِفُ القلوب عن لينة . ولا بشرًا يَحْطِيسُهم إلى خيره . فقد ملكهم الخلع لئلا يذمهم . ووسَّع لهم الفُرْجَةَ لئلا أعناقهم . فإن أجابوا دعوته . وقبِلوا لِينَهُ من غير خوف اضطهرهم ولا شدة . فَزَوَّةُ^(٢) في رموسهم يستدعون بها البلاء إلى أنفسهم . ويستصرخون بها رأى المهدى فيهم . وإن لم يقبلوا دعوته . ويسرعوا لإجابته باللين المحض ، والخير الصراح . فذلك ما عليه الظن بهم ، والرأى فيهم ، وما قد يشبه أن يكون من مثلهم . لأن الله تعالى خلق الجنة . وجعل فيها

(١) يشد .

(٢) وثبة إلى الشر .

من النعيم القديم . والملك الكبير . مالا يخطر على قلب بشر . ولا تُذكره الفكر . ولا تخله نفس ، ثم دعا الناس إليها ، ورغبهم فيها . فلو لا أنه خلق ناراً جعلها لهم رحمةً يسوقهم بها إلى الجنة لما أجابوا ولا قبلوا .

وأما موسى فأشار بأن يُصعبوا بشدة لالين فيها . وأن يُرموا بشر لا خير معه وإذا أضمر الوالى لمن طارقه طاعته . وخالف جماعته . انطوف مقرداً . والشر مجرداً . وليس معها طمع . ولا لين يثنيهم . اشتدت الأمور بهم واقطعت الخال منهم إلى أحد أمرين . إما أن تدخلهم الحمية من الشدة . والأفة من النلة . والامتياز من القهر . فيدعوم ذلك إلى التآدى في الخلاف . والابتسار في القتال . والاستسلام للموت . وإما أن يقاوموا بالكثرة . ويذعنوا بالقهر على بنضة لازمة . وعداوة باقية . ثورث التناق . وتغيب الشقاق . فإذا أكتنهم فرصة أو ثابتة لهم قدرة . أو قوت لهم حال . عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ وأشد مما كان .

وقال في قول أبي الفضل : أيها المهدي أكنى دليل . وأوضح برهان . وأمين خبر بأن قد أجمع رأيه . وحزم نظره على الإرشاد بيضة الجيوش إليهم . وتوجيه البعث نحوهم . مع إعطائهم ما سألوا من الحق . وإجابتهم إلى ما سألوه من العدل . قال المهدي : ذلك رأى .

٦٦ - مقال هرون بن المهدي

قال هرون :

« خلطت الشدة أيها المهدي باللين . فصارت الشدة أمراً ظاهراً لما تذكره . وعاد اللين أهدي قائداً إلى ما تحب . ولكن أرى غير ذلك » .
قال المهدي : « لقد قلت قولاً بديعاً . وخالفت فيه أهل بيتك جميعاً . والمروءة » .

مُؤْتَمَنٌ بِمَا قَالَ . وَظَلَيْنَ بِمَا أَدْعَى . حَتَّى يَأْتِيَ بَيِّنَةٌ عَاطِقَةٌ . وَحُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ . فَخَرَجَ
عَاقِلَتٌ « قَالَ هِرُونَ : « أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ . إِنْ الْحَرْبُ خُدِمَتْ »^(١) . وَالْأَعْلَاجُ قَوْمٌ مَسْكُورَةٌ .
وَرَبَّمَا اعْتَدَلَتْ الْحَالُ بِهِمْ . وَاتَّفَقَتْ الْأَهْوَاءُ مِنْهُمْ . فَكَانَ بَاطِنُ مَا يُسْرُونَ عَلَى ظَاهِرِ
مَا يُعْلِنُونَ . وَرَبَّمَا افْتَرَقَتْ الْحَالَانُ . وَخَالَفَ الْقَلْبُ اللِّسَانَ . فَانْطَوَى الْقَلْبُ عَلَى مَحْجُوبَةٍ
تُبْطِنُ . وَاسْتَسْرَّ بِمَدْخُولَةٍ لَا تَلَانَ . وَالطَّيِّيبُ الرِّفِيقُ بَطْنَةٌ . الْبَصِيرُ بِأَمْرِهِ . الْعَالِمُ بِمُقَدَّمِ
يَدِهِ . وَمَوْضِعُ مَيْسَمِهِ^(٢) لَا يَنْجِلُ بِالْإِدْوَاءِ . حَتَّى يَضَعَ عَلَى مَعْرِفَةِ الدَّاءِ . فَارْأَى لِلْمَهْدِيِّ
- وَهَهُ اللَّهُ - أَنْ يَفِرَّ^(٣) بَاطِنُ أَمْرِهِمْ فَرَّ الْمُسِنَّةُ . وَيَمُخَضُ ظَاهِرُ حَالِهِمْ نَخْضُ السَّمَاءِ .
بِتَابَعَةِ الْكُتُبِ . وَمُظَاهَرَةِ الرُّسُلِ . وَمَوَالِدِ الْعِيُونِ . حَتَّى تَهْتِكَ حُجُبُ عِيُونِهِمْ .
وَتَكْشِفُ أَغْطِيَةَ أُمُورِهِمْ . فَإِنْ اضْجَرَجَتْ الْحَالُ وَأَفْضَتْ الْأُمُورُ بِهِ إِلَى تَضْيِيرِ حَالِ
أَوْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ اشْتَمَلَتْ الْأَهْوَاءُ عَلَيْهِ . وَاتَّحَادَ الرِّجَالُ إِلَيْهِ . وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ نَحْوَهُ
بَدِينٍ يَسْتَقْدُونَهُ . وَإِمْ يَسْتَحْلُونَهُ . عَصَبَهُمْ بِشِدَّةٍ لَا لَيْنَ فِيهَا . وَرِمَاهُمْ بِقُوَّةٍ لَا عَفْوَ مَعَهَا .
وَإِنْ اضْجَرَجَتْ الْعِيُونُ . وَاهْتَصَرَّتِ السُّتُورُ . وَرُفِضَتْ الْحُجُبُ . وَالْحَالُ فِيهِمْ مَرِيضَةٌ^(٤) .
وَالْأُمُورُ بِهِمْ مَعْتَلَةٌ . فِي أَرْزَاقٍ يَطْلُبُونَهَا . وَأَعْمَالٍ يُنْكَرُونَهَا . وَظُلُمَاتٍ يَدْعُونَهَا .
وَحَقُوقٍ يَأْلُونَهَا . بِمَاتَةٍ سَابَقَتْهُمْ . وَدَالَّةٍ مَنَاحَتْهُمْ . فَارْأَى لِلْمَهْدِيِّ - وَهَهُ اللَّهُ -
أَنْ يَتَسَّعَ لَهُمْ بِمَا طَلَبُوا . وَيَتَجَافَى لَهُمْ عَمَّا كَرِهُوا . وَيَتَشَبَّ^(٥) مِنْ أَمْرِهِمْ مَا صَدَّعُوا .
وَيَرْتَقُوا مِنْ قَتَعَتِهِمْ مَا قَطَعُوا . وَيَوَلَّى عَلَيْهِمْ مَنْ أَحْبَبُوا . وَيدَاوِي بِذَلِكَ مَرَضَ قُلُوبِهِمْ
وَفَسَادَ أُمُورِهِمْ . فَإِنَّمَا لِلْمَهْدِيِّ وَامَتُهُ . وَسَوَادُ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ . بِمَنْزِلَةِ الطَّيِّيبِ الرِّفِيقِ .
وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ . وَالرَّائِي الْجَرْبِ الَّذِي يَحْتَالُ لِمَرَامِيضِ غَنَمِهِ . وَضَوَالِ رَعِيَّتِهِ . حَقٌّ
يُبْرِئُ لِلرَّيْضَةِ مِنْ دَاءِ عِلَّتِهَا . وَيُرَدِّدُ الصَّحِيحَةَ إِلَى أَنْسِ جَمَاعَتِهَا . ثُمَّ إِنْ خَرَّاسَانُ بِمَخَاصِةٍ

(١) خُدِمَتْ بِسُكُونِ الْحَالِ وَتَطْلُوتِ الْحُلَّةِ، وَيَضَعُ الْخَلَاءُ وَضْعَ الْفَالِ، أَيْ تَنْقَضِي خُدْمَةُ .

(٢) الْمَيْسَمُ : الْمَسْكُورَةُ . (٣) فَرَّ الْهَابِيَةُ : كَلَفَ مِنْ لِسَانِهَا لِهَرَفِ سِنَا .

(٤) مَرَضٌ لِمَرَادِي كَكَرَمٍ مَرَامَةٍ : انْصَبَ بِكَثْرَةِ الْكَلَامِ هُوَ مَرِيعٌ . (٥) تَشَبَّ : تَصَلَّحَ .

الذين لهم دالة محمولة . ومائة مقبولة . ووسيلة معروفة . وحقوق واجبة . لأنهم أيدي دولته . وسيوف دعوته . وأنصار حقه . وأعوان عدله . فليس من شأن المهدي الاضطغان عليهم . ولا اللواخضة لهم . ولا التوثر^(١) بهم . ولا المكافأة بإساءتهم . لأن مبادرة حسم الأمور ضعيفة قبل أن تقوى ، ومحاولة قطع الأصول ضئيلة قبل أن تنفذ ، أحزم في الرأي وأصح في التدبير من التأخير لها والتهاون بها حتى يلثم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها إلى جمهورها » .

قال المهدي : « ما زال هرون يقع وقع الحيا^(٢) حتى خرج خروج القدر من الماء وانسل انسلال السيف فيما ادعى فدعوا ما سبق موسى فيه أنه هو الرأي ، وثقّى بعه هرون ، ولكن من لأعنة الخليل وسياسة الحرب وقيادة الناس إن أمعن بهم الأججاج وأفرطت بهم الدالة ؟ » .

٦٣ - مقال صالح بن علي^(٣)

قال صالح :

« لسا نبليغ أيها المهدي بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِراسة رأيك وبمضى لحظات نظرك ، وليس ينفذ عنك من بيوتات العرب ورجالات الجعم ، ذو دين فاضل ورأى كامل ، وتدبير قوى ، قلده حربك ، وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ويضطلع بالأعباء الثقيلة وأنت بحمد الله ميمون النقية^(٤) ، مبارك المزعة ، تحبور الصغار ، محمود الموائب معصوم القزم ، فليس يقع اختيارك ولا يقف نظرك على أحد ثوليه أملك ، وتُسند إليه تفرك ، إلا أراك الله ماتحب ، وجمع لك منه ما تريد » .

(١) تورع الرجل : تفقد . (٢) للطر .

(٣) هو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس . (٤) نفس والعظيمة .

قال الهدي : « إني لأرجو ذلك قديماً عادةً الله فيه وحسن معونته عليه ولكن أحب الموافقة على الرأي ، والاعتبار للمشاورة في الأمر المأمور » .

٦٣ - مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أهل خراسان أيها الهدي قوم ذوو عِزَّةٍ وَمَنَّةٍ ، وشياطين خَدَعَةٍ ، زُرُوع الْحَيَّةِ فِيهِمْ نَابِتَةٌ ، وملابس الأَفَقَةِ عَلَيْهِمْ ظَاهِرَةٌ ، ظَرْوِيَّةٌ عَنْهُمْ عَازِيَةٌ ، وَالْمَجَلَّةُ فِيهِمْ حَاضِرَةٌ ، نَسِيقَ سَيُولُفُهُمْ مَطَرُهُمْ ، وسَيُؤْخِذُهُمْ عَذَابُهُمْ ، لأنهم بين سِفْلَةٍ لَا يَبْلُغُوا مَبْلَغَ عَقُولِهِمْ مِنْظَرِ عِيُونِهِمْ ، وبين رُؤْسَاءٍ لَا يُكْبَحُونَ إِلَّا بِشِدَّةٍ وَلَا يُقَطَّعُونَ إِلَّا بِالْمَرْءِ ، وإن وَلَّى الهدي عليهم وضيقاً لم تَنْقُذْهُ الْعِظَاءُ ، وإن وَلَّى أَمْرَهُمْ شَرِيفاً تَحَامَلُ عَلَى الضَّعْفَاءِ ، وإن أَمَرَ الهدي أَمْرَهُمْ ، ودَافِعَ حَرْبَهُمْ ، حتى يُصِيبَ لِنَفْسِهِ مِنْ حَشَمِهِ وَمَوَالِيهِ أَوْ بَنِي عَمِهِ أَوْ بَنِي أَبِيهِ نَاصِحاً ، يَتَّفِقَ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ ، وَثِقَةً تَجْتَمِعُ لَهُ أُمَلَّاؤُهُمْ^(١) . بلا أَفَقَةٍ تَلْزَمُهُمْ . وَلَا حِمِيَّةٍ تَدْخُلُهُمْ ، وَلَا مَصِيبَةٍ تَنْفَرُّهُمْ ، تَنْفَسُ الْأَيَّامُ بِهِمْ ، وَتَرَاحَتِ الْحَالُ بِأَمْرِهِمْ . فَنُدْخِلُ بِذَلِكَ مِنَ الْفَسَادِ الْكَبِيرِ ، وَالضَّيَاعِ الْعَظِيمِ ، مَا لَا يَتَلَفَاهُ صَاحِبُ هَذِهِ الصِّفَةِ وَإِنْ جَدَّ ، وَلَا يَسْتَمْلِكُهُ وَإِنْ جَهَّدَ ، إِلَّا بَعْدَ دَهْرٍ طَوِيلٍ ، وَشَرٍّ كَبِيرٍ ، وَلَيْسَ لَهُ الْهَدْيُ حَوْقُهُ اللَّهُ فَاطِمًا عَادَاتِهِمْ ، وَلَا قَارِعًا صِفَاتِهِمْ^(٢) ، بِمَثَلِ أَحَدِ رَجُلَيْنِ لَا تَالِكَ لهُمَا ، وَلَا عِدْلُ^(٣) فِي ذَلِكَ بَيْنَهُمَا ، أَحَدُهُمَا لَاحِقُ مَوْصُولٍ بِسَمْعِكَ ، وَيَدٌ مُمَثَّلَةٌ لِمِيتِكَ ، وَصَخْرَةٌ لَا تَزْعَزَعُ ، وَبُيْهَةٌ^(٤) لَا تُنْقَى ، وَبَازِلٌ^(٥) لَا يُفْرَعُهُ صَوْتُ الْجُلْبُلِ ، تَقَى الْغَرَضُ ، تَزِيهِ النَّفْسُ ، جَلِيلُ الْخَطَرِ^(٦) انْتَفَضَتِ الدُّنْيَا عَنْ قَدَرِهِ ، وَسَمَا نَحْوِ الْآخِرَةِ

(١) جمع ملاكيب : وهو الجماعة . (٢) الصفة : الحجر الصلد الضخم . (٣) العادل : المتعادل .

(٤) البهية : الصخرة ، والضماع الهدي لا يجرى من أي يجرى . (٥) البازل : الجبل ذو الستة

العمامة ، والرجل الكامل في تحريمه . (٦) الخطر .

يهيئته ، وجعل الفَرَضَ الأقصى ليهنهُ نُصْبًا ، والفَرَضَ الأدنى لِقَدَمِهِ مَوْطِنًا ، فليس
 يقبل حملا ، ولا يتعدى أملا ، وهو رأس مَوَالِيكَ ، وأنصح بنى أهلك ، رجل قد غُدِّي
 بلطف كرامتك ، وَتَبَّتْ في ظل دولتك ، ونشأ على قوائم أدبك ، فإن قلده أمرهم
 وحملته ثقلهم ، وأسندت إليه خزمهم ، كان قفلا قفصه أمرك ، وبابا أغلقه نهيك .
 فجعل العدل عليه وعليهم أميرا ، والإنصاف بينهُ وبينهم حاكما ، وإذا أحكم للنصفة .
 ومكك للعدّة ، فأعطاهم ما لهم ، وأخذ منهم ما عليهم ، غرس لك في النى بين صدورهم
 وأسكن لك في الشؤيداء ، داخل قلوبهم ، طاعة راسخة العروق ، باسقة الفروع ،
 متائلة في حواشي عواصمهم ، متكنة من قلوب خواصهم ، فلا يبقى فيهم ريبٌ إلا نفوه
 ولا يلزمهم حقٌ إلا أدوه ، وهذا أحدهما ، والآخر عودٌ من غِيصَتِكَ ^(١) ، وكَبْتُهُ من
 أرومتك ، فَنَقَى السن ، كَنَهَلَ الحِلْمَ ، راجع القتل ، عمود الصرامة ، مأمون الخلاف .
 يجرّد فيهم سيفه ، ويسطّ عليهم خيره ، بقدر ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون .
 وهو فلان أيها الهدي ، فسقطه ساعرك اقتب عليهم ، ووجهه بالجوش إليهم ، ولا تمنّك
 ضراعة ^(٢) سيته ، وحدائقة مؤلفه ، فإن الحِلْمَ والثقة مع الحدائقة ، خير من الشك والجمل
 مع الكهولة ، وإنما أحداكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه ، واختصكم به من مكارم
 الأخلاق ، ومحامد القصال ، ومحاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصرامة الأخص ، كثير أياخ
 عتاق الطير ، المُحْكِمَةُ لأخذ الصيد بلا تدرّيب ، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب .
 فالحلم والعلم ، والعزم والجزم ، والجلود والثوثة ، والرفق ، ثابت في صدوركم ، مزروع
 في قلوبكم ، مُتَّصِحِكُمْ لَكُمْ ، متكاملٌ عندكم بطلابع لازمة ، وغرائز ثابتة .

٦٤ — مقال معاوية بن عبد الله

قال معاوية بن عبد الله :

« أَفْتَاهُ ^(١) أَهْلَ يَتِّكَ أَيُّهَا الْهَدْيُ فِي الْحِلْمِ عَلَى مَا ذُكِرَ ، وَأَهْلَ خِرَاسَانَ فِي حَالِ عَزٍّ عَلَى مَا وَصِفَ ، وَلَكِنْ إِنْ وَلَّى الْهَدْيُ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ بِقَدِيمٍ أَذْكَرَ فِي الْجُنُودِ . وَلَا بَنِيهِ الصَّوْتِ فِي الْحُرُوبِ ، وَلَا طَوِيلَ التَّجَرُّبَةِ لِلْأُمُورِ ، وَلَا عَمْرُوفَ السِّيَاسَةِ لِلْجُيُوشِ ، وَالْمَيِّبَةَ فِي الْأَعْدَاءِ دَخَلَ ذَلِكَ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ ، وَخَطَرَانِ مَهُولَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأَعْدَاءَ يَنْتَمِزُونَ مِنْهُ ، وَيَحْتَرِقُونَ فِيهِ ، وَيَحْتَرِقُونَ بِهَا عَلَيْهِ ، فِي النَّهْضِ بِهِ . وَالثَّانِي لِقَارَعَةِ لَهُ ، وَالتَّخْلَافِ عَلَيْهِ ، قَبْلَ مَا حِينَ الْإِخْتِبَارِ لِأَمْرِهِ ، وَالتَّكْشِفِ لِحَالِهِ ، وَالْعِلْمِ بِطَبَاعِهِ ؛ وَالْأَمْرُ الْآخِرُ أَنَّ الْجُنُودَ الَّتِي يَقُودُ ، وَالْجُيُوشَ الَّتِي يَسُوسُ ، إِذَا لَمْ يَحْتَبِرُوا مِنْهُ الْبَأْسَ وَالتَّجَلُّدَ ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصَّوْتِ ^(٢) وَالْمَيِّبَةِ ، انْكَسَرَتْ شَجَاعَتُهُمْ ، وَمَاتَتْ تَجَلُّهُتُهُمْ . وَاسْتَأْخَرَتْ طَاعَتُهُمْ ، إِلَى حِينَ اخْتِبَارِهِمْ ، وَوُقُوعِ مَعْرِضَتِهِمْ ، وَبِمَا وَقَعَ الْيَوَارُثُ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ . وَبِبَابِ الْهَدْيِ - وَفَعَّاهُ - رَجُلٌ مَهِيبٌ بَنِيهِ حَتِيكَ ^(٣) صَيْتٌ ، لَهُ نَسَبٌ زَالٍ . وَصَوْتُ عَالٍ ، قَدْ قَادَ الْجُيُوشَ وَسَاسَ الْحُرُوبَ ، وَتَأَلَّفَ أَهْلَ خِرَاسَانَ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ بِالْمَقَّةِ ، وَوَقَفُوا بِهِ كُلُّ الثَّقَّةِ ، فَلَوْ وَلَّاهُ الْهَدْيُ أَمْرَهُمْ ، لَكَفَاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ . »

قال الهدي : « جَانِبْتَ قَصْدَ الرَّمِيَّةِ ، وَأَبَيْتَ إِلَّا عَصَبِيَّةً إِذْ رَأَيْتَ ائْتَلَدَتْ مِنْ أَهْلِ يَتِّتْنَا ، كَرَأَى عَشْرَةَ حُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا . وَلَكِنْ أَيْنَ تَرَكْتُمْ وَلَّى الْهَدْيُ ؟ » .

قالوا : « لَمْ يَمْنَعْنَا مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا كَوْنُهُ شَبِيهَ جَدِّهِ ، وَنَسِيجَ وَحْدِهِ ^(٤) . وَمِنْ الْهَدَيْنِ وَأَهْلِهِ . بِمِثْلِ يَقْصُرُ الْقَوْلُ عَنْ أَدْنَى فَضْلِهِ ، وَلَكِنْ وَجَدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَبَّابَ عَنْ

(١) جمع لله كَيْتَمَ وَأَيَّامَهُ . (٢) الصوت والصلوات والصلوات : القاء الحرس . (٣) محطه .

(٤) هو نسيج وحده : لا نظير له منفرد بفضائل عموده لا يشاركه فيها غيره . كما أن الحرب الخليلي لا ينسج على مثله غيره ، أي لا يشاركه به غيره .

خلقه، وسرّ دون عبادِه، عِلْمٌ مَختلف به الأيَّام، ومعرفةً مايجرى عليه المقاديرُ من حوادث الأمور، ورَبِّ النون^(١) المَغْتَرِمَةَ لِنَحْوِ الأيَّام، ومواضِي الملوك فكَرِهنا شُؤْعَهُ^(٢) عن مَحَلَّةِ الملك، ودارِ السلطان، ومَقَرِّ الإمامةِ وَالوَلَايَةِ، وموضعِ المدائنِ والخِزائنِ، ومَسَقَرِّ الجنودِ، وَمَعْدِنِ الجُودِ، وَجَمْعِ الأموالِ التي جعلها اللهُ قُطْبًا لِدَارِ الملكِ، ومِصْنِدَةِ قُلُوبِ الناسِ، وَمَثَابَةِ لِإِخْوَانِ الطمعِ، وَمُؤَرِّارِ الفتنِ، ودَوَاعِيِ البِدْعِ . وفُرْسَانِ الضلالِ، وأبناءِ الموتِ، وقلنا إِنْ وَجَّهَ المهديُّ وَلِيَّ عَهْدِه، لحدثَ في جِيشِه وَجُنُودِه، ماقد حدثَ بِجُنُودِ الرسلِ من قبلِه، لَمْ يَسْتَطِعِ المهديُّ أَنْ يُعَقِّبَهُمْ بِغِيَرِه، إِلَّا أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِه، وهذا خَطَرٌ عَظِيمٌ، وهولٌ شَدِيدٌ، إِنْ تَنَفَّسَتِ الأيَّامُ بِمَقَامِه . واستدارتِ الحالُ بِإِمَامِيهِ، حتى بَقِيَ عِوَضُ لَايَسْتَفْنِي عَنْهُ، أَوْ يَحْدُثُ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ . صارَ ما بَدِءَ بِهَ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ وَأَجَلُ خَطَرًا، لَه تَبَعًا، وَبِه متصلًا .

٦٥ — مقال المهدي

قال المهدي :

« اَتَلَطَّبُ أَيْسَرُ مَا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ، وَعَلَى غَيْرِ مَا تَنْصِفُونَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ، نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ نَجْرِي مِنْ أَسْبَابِ الْقَضَايَا، وَمَوَاقِعِ الْأُمُورِ، عَلَى سَابِقٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَمَحْتَوِيٍّ مِنْ الْأَمْرِ، قَدْ أَنْبَأَتْ بِهِ الْكُتُبُ، وَتَنْبَأَتْ عَلَيْهِ الرُّسُلُ، وَقَدْ تَنَاهَى ذَلِكَ بِأَجْمَعِهِ إِلَيْنَا . وَتَسْكَمِلُ بِمَحْدَافِيَرِهِ^(٣) عِنْدَنَا، فِيهِ نَذِيرٌ، وَعَلَى اللَّهِ تَتَوَكَّلُ، إِنْ هُوَ لَا بُدَّ لَوَلِيٍّ عَهْدِي . وَوَلِيٌّ عَهْدِي عَقْبِي بِعَدِي أَنْ يَقُودَ إِلَى خِرَاسَانَ الْبِعُوثِ، وَيَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا بِالْجُنُودِ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ رِسْلَهُ، وَيُعْمَلُ فِيهِمْ حَيْلُهُ . ثُمَّ يُخْرِجُ نَشِيطًا إِلَيْهِمْ حَقِيقًا

(١) النون النية (مؤث) والمغترمة : المهلكة ، والنحوال جمع خالصة : وهي المأففة .

(٢) شمع كنس شعاع وشعرا : به نهر شمس وشع .

(٣) جمع خفور كصفور أو حذاف كقرطاس : وهو الجالب .

عليهم . يريد أن لا يدع أحداً من إخوان الفتن ، ودواعي البدع ، وفُرسان الضلال .
إلا توطأه بجرم القتل ، وألبسه قناع القهر . ولقد طوق النذل ، ولا أحداً من الذين
حولوا في قصص جناح الفتنة ، وإخماد نار البدعة ، ونصرة ولاة الحق ، إلا أجرى عليهم
ديم فضله ، وجداول نهله ، فإذا خرج مزمعاً به ، تُجمِعاً عليه ، لم يسر إلا قليلاً حتى
يأتيه أن قد علمت حيله ، وكذّحت كتيبه ، ونفّذت مكائده ، فهدأت نافرة القلوب .
ووقفت طائفة الأهواء ، واجتمع عليه المختلفون بالرضا ، فيميل نظراً لهم ، وبرأهم .
وتسلفاً عليهم ، إلى عدو قد أخاف سبيلهم وقطع طريقهم ، ومنع حجاجهم بيت الله
الحرام ، وسلب تجارهم رزق الله الحلال ؛ وأما الآخر فإنه يوجه إليهم ، ثم تعتدله
الحجة عليهم بإعطاء ما يطلبون ، وبذلل ما يسألون ، فإذا سمحت الفِرَق بقراباتها له .
وجنّح أهل النواحي بأعناقهم نحوه ، فأصفت إليه الأفضلة ، واجتمعت له الكلمة .
وقدّمت عليه الوفود ، قصّد لأول ناحية بحفت^(١) بطاعتها ، وألقت بأزمقتها ، فألبسها
جنّاح نعمته ، وأزملها ظلّ كرامته وخَصّها بعظيم حباه^(٢) ، ثم عمّ الجماعة بالمعذلة .
وتسلف عليهم بالرحمة ، فلا تبقى فيهم ناحية دانية ، ولا فرقة قاصية ، إلا دخلت عليها
بركته ، ووصلت إليها منفته ، فأغنى قهرها ، وجبر كبرها ، ورفع ضيعتها . وزاد
رفيعتها ، ما خلا ناحيتين ، ناحية يئاب عليها الشقاء ، وتستميلهم الأهواء ، فتستخف
بدعوته ، وتبطل عن إجابته ، وتتناقل عن حقه ، فتكون آخر مَنْ يَبْقُ ، وأبطأ مَنْ
يُوجّه ، فيصطلي عليها موجدة ، ويتنى لها علّة ، لا يلبث يحجّد^(٣) بحق يلزمهم ، وأمر
يجب عليهم ، فتستلحمهم الجيوش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحز بهم القتل ، ويخط
بهم الأشر ، ويُفنيهم التتبع ، حتى يُخرب البلاد ويؤتّم الأولاد ، وناحية لا يسط
لهم أمناً ، ولا يقبل لهم عهداً ، ولا يعمل لهم ذمة ، لأنهم أول من فتح باب الفرقة .

(١) جمع بالحق مجزوماً : أثره ونفعه له . (٢) حلاله . (٣) يفتش .

وتدرّع جلباب الفتنة ، وربّضَ في شَوْقِ القمصا ، ولكنه يُقتل أعلامهم ، ويأسر قوادهم
ويطلب هُرَّابهم ، في لُجَجِ البعار ، وَقُلَلِ الجبال ، وَحِمِلِ^(١) الأودية ، ويطؤون الأرض .
تقبّلا وتقبّلا وتسكيلا ، حتى يدع الدنيا خرابا ، والنساء أباي ، وهذا أمر لا نعرف له
في كتبنا وقتا ، ولا نصحح منه غير ما قلنا تفسيرا ؛ وأما موسى ولي عهدي ، فهذا
أَوَّلُ تَوَجُّهه إلى خراسان ، وحلوه بمرّجان ، وما قضى الله من الشخوص إليها .
وَلَقَامَ فيها ، خير للمسلمين مَقَبَّةً ، وله ياذن الله عاقبة من المقام بحيث يُضَمَّرَ في لُجَجِ
بحورنا ، ومدافع سيولنا ، ومجامع أمواجنا ، فيتصاغر عظيم فضله ، ويتذاب^(٢)
مشرق نوره ، ويقتل كثير ما هو كائن منه ، فمن يصعبه من الوزراء ، ويغترّاه
من الناس ؟ » .

٦٦ - مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أيها الهدي : إن وليّ عهدك أصبح لأمتك ، وأهل مملكك ، علما قد نشأت نحوه
أعناقها ، ومَدَّتْ سَمْتَه أَبصارها . وقد كان لقرب داره منك ، ومحلّ جواره لك ،
عُطْل^(٣) الحال ، غُفِلَ الأمر ، واسع المنز . فأما إذا انفرد بنفسه . وخلا بنظره .
وصار إلى تديره . فإن من شأن العامة أن تنفقد غارجه رايه . وتسنّصت لمواقع آثاره
وتسأل عن حوادث أحواله ، في يرّه ومَرَّتْه . وإساقته^(٤) وتمدّنته ، وتديره
وسياسته ، ووزرائه وأصحابه . ثم يكون ماسبق إليهم أغلب الأشياء عليهم ، وأملك
الأمر بهم ، وألزمها قلوبهم ، وأشدّها استماله لرأيهم ، وعظما لأهوائهم . فلا يفتأ
الهدي - وقدّه الله - ناظرا له فيما يقوى حمده مملكته ، ويسدّد أركان ولايته ،

(١) الحِمْل : بطن المسيل . (٢) يضطرب .

(٣) عطل (كخرج) من المال والأدب : خلا فهو عطل كعطل ومنه . (٤) حله .

ويستجمع رضا أمته بأمر هو أزينُ لحاله . وأظهرَ لِحَمَلِهِ ، وأفضلَ مَنَبَةً لأمره ، وأجلَ مَوْقَعًا في قلوب رعيته ، وأحدَ حالاتٍ نفوس أهل مِلَّتِهِ . ولا أدفعُ مع ذلك باستجماع الأهواء له . وأبلغُ في استطفاف القلوب عليه ، من مَرَحَةٍ تظهر من فعله . ومعللة تنفشر عن أثره . وعبة للخير وأمله ، وأن يختار للهدى - وقته الله - من خيار أهل كل بلدة . وقبلاء أهل كل مصر ، أئاماً تسكنُ العامة إليهم إذا ذُكِرُوا ، وتأنس الرعية بهم إذا وُصِفُوا . ثم تسهل لهم عِجَارَةُ سُبُل الإحسان ، وَفَتْحُ باب المروءة . كما قد كان فَتْحُ له ، وسَهْلُ عليه .

قال للهدى : صدقت ونصحت . ثم بحث في ابنه موسى ، فقال :

٦٧ - مقال المهدي

« أَيْ بُنَيَّ . إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لَسْتُ وَجْهَ الْعَامَةِ نَصَبًا ، وَلَتُنْفِ اعْطَافِ الرِّعِيَةِ غَايَةً ، فَحَسَنَتُكَ شَامِلَةٌ . وَإِسَاءَتُكَ نَائِيَةٌ ، وَأَمْرُكَ ظَاهِرٌ ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ . فَاحْتِيلْ سُخْطَ النَّاسِ فِيهِمَا ، وَلَا تَطْلُبْ رِضَاءَ مُخْلَافِهِمَا ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَافِيكَ مَنْ أَسْخَطَهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَاءَ . وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مَنْ يُسْخِطُهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَاءَ مَنْ سِوَاهُ . ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ قَتَرَةٌ مِنْ رُسُلِهِ . وَبَقَايَا مِنْ مَقْوَةِ خَلْقِهِ ، وَخَبَايَا لِنُصْرَةِ حَقِّهِ ، يَمْدُدُ حَبْلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ ، وَيَشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ ، وَيَضُدُّ الْأَوْلِيَاءَ ذِيهِ أَنْصَارًا ، وَعَلَى إِقَامَةِ عُدَّةِ أَعْوَانًا . يَدُّونَ اتِّكَلًا ، وَيُقِيمُونَ لِلَّيْلِ ، وَيَدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ الْقِسَادَ ، وَإِنْ أَهْلُ خِرَاسَانَ أَصْبَحُوا أَيْدَى دَوْلَتِنَا ، وَسِيُوفَ دَعْوَتِنَا ، الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَاوِرَ بِطَاعَتِهِمْ ، وَنَسْتَصْرِفُ تَزُولَ الْعَظَائِمِ بِمُنَاصَحَتِهِمْ . وَتَدَاوِعَ رَيْبِ الزَّمَانِ بِمَزَانِهِمْ ، وَتَرَاحِمِ رُكْنِ الدَّهْرِ بِبَصَائِرِهِمْ ، وَهُمْ عِمَادُ الْأَرْضِ إِذَا أَرْجَفَ كَنْفُهَا ، وَخَوْفُ الْأَعْدَاءِ إِذَا بَرَزَتْ مَصْنَعَتُهَا ، وَخُصُوفُ الرِّعِيَةِ إِذَا تَضَايَعَتِ الْحَالُ بِهَا ، قَدْ مَضَتْ لَهُمْ وَقَائِعُ ضَائِقَاتٍ ، وَمَوَالِينُ صَالِحَاتٍ ، أَخَذَتْ نِيرَانُ

الْفَتَن ، وَقَسَمَتْ دَوَائِيَّ الْيَدِيع . وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ ، وَلَمْ يَنْفَكُوا كَذَلِكَ مَا جَرَوْا
مَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا ، وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ طَاعَتِنَا ، الَّتِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا
ذِلَّتَهُمْ ، وَرَفَعَ بِهَا ضَعْفَهُمْ ، وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ
بِئْسَ لِبَاسِ الذِّلِّ ، وَقِنَاعِ الْخُوفِ ، وَإِطْبَاقِ الْبَلَاءِ ، وَمُحَاقَّةِ الْأَمْسِ ، وَجَهْدِ الْبَاسِ
وَالضَّرِّ . فَظَاهِرٌ عَلَيْهِمْ لِبَاسُ كِرَامَتِكَ ، وَأُتْرَلُهُمْ فِي حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ ، ثُمَّ اعْرِفْ لَهُمْ
حَقَّ طَاعَتِهِمْ ، وَوَسِيلَةَ دَائِلَتِهِمْ ، وَمَانَةَ سَابِقَتِهِمْ ، وَحُرْمَةَ مَنْصَحَتِهِمْ ، بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ،
وَالْتَوْسِيعَةِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِثَابَةِ لِحُسْنِهِمْ ، وَالْإِقَالَةَ لِمُسِيئِهِمْ .

أَيُّ بَنِي ، ثُمَّ عَلَيْكَ الْعَامَّةَ . فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا ، وَاسْتَجْلِبْ مَوَدَّتَهَا
بِالْإِنصَافِ لَهَا ، وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ ، وَتَوَثَّقْ بِهِ فِي عَيْنِ رِعْيَتِكَ ، وَاجْعَلْ عُمَلَاءَ الضَّرِّ
وَوُلاَةَ الْحَجِيجِ مُقَدِّمَةً بَيْنَ يَدَيْ عَمَلِكَ ، وَنَصَفَةً مِنْكَ لِرِعْيَتِكَ ، وَذَلِكَ أَنْ تَأْمُرَ قَاضِيَ
كُلِّ بَلَدٍ ، وَخِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ، أَنْ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ رِجَالًا تَوَلَّيَهُمْ أَهْرَهُمْ ، وَتَجْعَلَ
الْعَدْلَ حَاكِمًا بَيْنَهُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنَ نَحْدَتَهُ ، وَإِنْ أَسَاءَ عُذْرَتَهُ . هَؤُلَاءِ عُمَلَاءُ
النُّشْرِ ، وَوُلاَةُ الْحَجِيجِ ، فَلَا يَسْقُطَنَّ عَلَيْكَ مَا فِي ذَلِكَ إِذَا انْتَشَرَ فِي الْأَقْلَاقِ ، وَسَبَقَ إِلَى
الْأَسْمَاعِ مِنْ انْتِقَادِ أَلْسِنَةِ الرَّجِيفِينَ ، وَكَبَّتْ قُلُوبُ الْحَاسِدِينَ ، وَإِطْفَاءُ نِيرَانِ الْحُرُوبِ ،
وَسَلَامَةُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ ، وَلَا يَنْفَكَنَّ فِي ظِلِّ كِرَامَتِكَ نَازِلًا ، وَبُحْرًا حَبْلُكَ مُتَعَقِّيًا ،
رِجَالُنَا : أَحَدُهُمَا كَرِيمَةٌ مِنْ كَرَامَتِ رِجَالِ الْعَرَبِ ، وَأَعْلَامُ بِيَوَاتَاتِ الشَّرَفِ ، لَهُ أَدَبٌ
فَاضِلٌ ، وَحِلْمٌ رَاجِعٌ ، وَدِينٌ صَحِيحٌ ، وَالْآخِرُ لَهُ دِينٌ غَيْرُ مَفْمُوزٍ ، وَمَوْضِعٌ غَيْرُ مَدْخُولٍ ،
بَصِيرٌ بِتَضَلُّبِ الْكَلَامِ ، وَتَصْرِيفِ الرَّأْيِ ، وَأَنْحَاءِ الْقُرْبِ ، وَوَضْعِ الْكُتُبِ ، عَالِمٌ
بِمَالَاتِ الْحُرُوبِ ، وَتَضَارُفِ الْأَخْطُوبِ ، يَضَعُ آدَابًا نَافِعَةً ، وَأَثَارًا بَاقِيَةً ، مِنْ مَحَاسِنِكَ
وَتَحْسِنُ أَمْرَكَ ، وَتَحْلِيهِ ذِكْرَكَ ، فَتَسْتَشِيرُهُ فِي حَرْبِكَ ، وَتَدْخُلُهُ فِي أَمْرِكَ ، فَرَجُلٌ
أَصْبَحَتْ كَذَلِكَ ، فَهُوَ يَأْوِي إِلَى مَحَلَّتِي ، وَيَرْعَى فِي خُضْرَةِ جَنَانِي ، وَلَا تَدْعُ أَنْ تَخْتَارَ
لَكَ مِنْ قَهْلِهِ الْبُلْدَانُ ، وَخِيَارِ الْأُمُصَارِ ، أَتَوَالِمًا يَكُونُونَ جِيرَانَكَ وَنُصْرَكَ ، وَأَهْلُ

مشاورتك فيما تُورد ، وأصحاب مناظرتك فيما تُصدر ، قَسِرَ على بركة الله ، أمحبك الله من عَوْنِهِ وتوفيقه دليلاً يَهْدِي إلى الصواب قلبك ، وهادياً ينطق بالخير لسانك .
وكتب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد^(١) .
(العقد القرية ١ : ٥٧)

٦٨ - ابن عتبة يعزى المهدي ويهتبه

لما تَوَقَّى المنصور دخل ابن عتبة^(٢) مع الخطباء على المهدي ، فسلمَ فقال :
« أَجَرَ اللَّهُ أميرَ المؤمنين على أمير المؤمنين قَتْلَهُ ، وبارك الله لأمر المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده ، فما مصيبةٌ أعظم من قَدَّ أمير المؤمنين ، ولا عُقْبَى أَفْضَلُ من وِرائته مقام أمير المؤمنين ، فأقبلْ يا أمير المؤمنين من الله أفضل عطية ، واحتسب عند الله أفضل الرِّزْيَةِ » .
(البيان والبيان ٢ : ١٠٣ ، والعقد القرية ٢ : ٢٥)

٦٩ - يعقوب بن داود يستخلف المهدي

لما سَخِطَ المهدي على وزيره يعقوب بن داود^(٣) أحضره ، فقال : يا يعقوب ، قال : كَيْفَ يا أمير المؤمنين ، تَلْبِيَةَ مَكْرُوبٍ لِمَوْجِدَتِكَ ، شَرِقَ بَفْصَتِكَ ، قال :

(١) ملاحظة : أقول : وهذا يناق ما ورد في التاريخ : إذ المعروف أن المهدي توفي في المحرم سنة ١٦٩ وأمهت المهدي ، الذي توفي في ربيع الأول سنة ١٧٠ ، فكيف يكون تاريخ كتابة هذه المشاورة هو ربيع الآخر سنة ١٧٠ أي بعد وفاة المهدي والمهدي ، مع أنه ذكر في سياق خبرها أن المهدي أمر محمد بن الليث بحفظ مراجعهم ، وإثبات مقالاتهم في كتاب ، أي أنها كتبت في المجلس الذي حدثت فيه المشاورة . ولا وادعي التاريخ أيضاً أن المهدي خرج إلى جرجان سنة ١٦٦ و ١٦٧ (راجع تاريخ الطبري ج ١٠ ص ٧ - ٨) اللهم إلا أن يقال إنها كتبت في مجلس المشاورة ، وحققت محفوظة لدى كاتبها ، حتى نشرت الناس في ربيع الآخر سنة ١٧٠ أي أن ذلك التاريخ هو تاريخ كتابتها لإعلانها للجمهور ، على أننا نتشكك فيها من وجهة أخرى ، وذلك لما نراه عليها من دسمة الكتابة الفنية المنسقة .

(٢) وفي العقد القرية « أبو العتاه المحدث » .

(٣) وكان المهدي قد فوض إليه الأمور كلها ، وسلم إليه الدواوين ، وقام على جميع الناس ، ثم سخط عليه . وحسب ذلك أنه دفع إليه رجلاً من العلويين ، وقال له : أحب أن تكفني أمره ، فلما صار العلوي =

« ألم أرفع قدرك وأنت خامل ، وأسير ذكرك وأنت حامل ، وأليسك من نعم الله تعالى ونعمي ما لم أجد عندك طاقةً لِحَمَلِهِ ، ولا قياماً بشكره ؟ فكيف رأيت الله تعالى أظهر^(١) عليك ، وردّ^(٢) كيدك إليك ا » .

قال : « يا أمير المؤمنين ، إن كنت قلت هذا بيقين وعلم فإنني معترف ، وإن كان بسعاية الباغين ، ونعمائم الماندين ، فأنت أعلم بأكثرها ، وأنا عائدٌ بكرمك ، وععم شرفك » .

قال : لولا الحنث^(٣) في دمك لألبستك قميصاً لانشد عليه أزراراً ، ثم أمر به إلى السجن ، فولى وهو يقول : « الوفاء يا أمير المؤمنين كرم ، والوادة رحيم ، وما على النفو ندم ، وأنت بالنفو جدير ، وبالغاسن خَلِيق » ، فأقام في السجن إلى أن أخرجه الرشيد .
(زهر الآداب ٣ : ٢٠٧)

٧٠ - رجل من أهل خراسان يخطب محضرة المهدي

وقَدِّم على المهدي رجل من أهل خراسان ، فقال : « أطل الله بقاء أمير المؤمنين ، إنا قوم تأيننا عن العرب ، وشغلتنا الحروب عن الخطب ، وأمير المؤمنين يعلم طاعتنا ، وما فيه مصلحتنا ، فيكتفي منا باليسير عن الكثير ، ويقتصر على ما في الضمير ، دون التفسير » ، قال المهدي : أنت أخطب من سمعته .
(السنن ص ٥٠)

- فقيه ، قال له : يا محبوب تقي الله بهي ، وأنا ابن مل بن أبي طالب ، وابن فاطمة رضي الله عنها ، وليس لك إليك ذنب ؟ فرق له ، وحمل سيده ، ونمى الحجب إلى المهدي ، فأرسل في طلب العلوي حتى ظفر به ، واستطاع يقبض ، فقال : ما فعلت بالعلوي ؟ قال : قد أراح الله به أمير المؤمنين ، قال : مات ؟ قال : نعم ، فاستطاعه ، فسلمت له ، فأخرج إلى العلوي ، فلم يمر جواباً ، فأمر بجهنم في بئر مظلمة ، ومازاله محبوساً حتى طفا عنه الرشيد وتوفي سنة ١٨٦ هـ . (١) ألم أمان عليك .

(٢) في الأصل « الحبس » وأرى أنها محرفة عن « الحنث » وهو الذنب العظيم والإثم .

٧١ - مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

دخل صالح بن عبد الجليل على المهدي ، فأله أن يأذن له في الكلام ، قال : تكلم
قال :

« إنه لما سهل علينا ما توعد على غيرنا من الوصول إليك ، قُنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإظهار باقى أعناقنا من فريضة الأمر والنهي ، عند انقطاع عُذر الكتمان ، ولا سيما حين اتَّسَتْ بِمِيسَمِ التواضع ، ووعدت الله وَحَلَّةَ كتابه بإثارة الحق على ماسواه ، فَجَمَعْنَا وَإِلَيْكَ مُشْهَدٌ مِنْ مَشَاهِدِ التَّحِيصِ ، لَيْسَ مُؤَدِّينَا عَلَى مَوْعِدِ الْأَدَاءِ ، عَنْهُمْ ، وَقَابِلُنَا عَلَى مَوْعِدِ الْقَبُولِ ، أَوْ يَزِيدُنَا تَمَحِيصُ الله إِيَّانَا فِي اخْتِلَافِ السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَيُحْكِنُنَا حِلْيَةَ الْكَذَّابِينَ ، قَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ : « مَنْ حَجَبَ اللهُ عَنْهُ الْعِلْمَ ، عَذَّبَهُ عَلَى الْجَهْلِ ، وَأَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا مَنْ أَقْبَلَ إِلَى الْعِلْمِ وَأَذْبَرَ عَنْهُ ، وَمَنْ أَهْدَى اللهُ إِلَيْهِ عِلْمًا فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ ، قَدْ رَغِبَ عَنْ هَدْيَةِ اللهِ وَقَصَّرَ بِهَا » ، فَأَقْبَلْ مَا أَهْدَى اللهُ إِلَيْكَ مِنْ أَسْنَتِنَا ، قَبُولَ تَحْقِيقِ وَعَمَلِ لِقَبُولِ مُتَمَعِّقِ وَرِيَاءِ ، فَإِنَّهُ لَا يَتَذَكَّرُكَ مِنْ غَفْلَةٍ ، قَدْ وَطَّنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَا تَعْلَمُ ، أَوْ تَذَكِّرُكَ لَكَ مِنْ غَفْلَةٍ ، وَتَحْصِيئًا مِنَ التَّمَادِي ، وَدَلَالَةً عَلَى الْخُرُوجِ ، قَالَ : « وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » فَأُطْلِعْ اللهُ عَلَى قَلْبِكَ ، بِمَا يَنْوِّرُ اللهُ بِهِ الْقُلُوبَ ، مِنْ إِثَارِ الْحَقِّ ، وَمُنَابَذَةِ الْأَهْوَاءِ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ بَرَأْتُكَ وَأَثَرْتُ اللهُ عَلَيْكَ فِيهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

٧٢ - عظة شبيب بن شيبة للهدى

وقال شبيب بن شيبة^(١) للهدى : « يا أمير المؤمنين ، إن الله إذا قَسَمَ الأقسام في الدنيا ، جل لك أسنانها وأعلاها ، فلا ترض لنفسك من الآخرة ، إلا مثل ما رضى لك به من الدنيا ، فأوصيك بتقوى الله ، فليكن نزلت ، ومنكم أخذت ، وإليكم نزلت » .
(المقدّمات ١ : ٢٠٧)

٧٣ - خطبته في تعزية المهدي بابته

لما ماتت البانورة بنت المهدي ، جَزَع عليها جزعاً لم يسمع بمثله ، فجلس للناس يعزونه ، وأمر ألا يُحَجَّب عنه أحد ، فأكثر الناس في التمازي ، واجتهدوا في البلاغة ، وفي الناس من ينتقد هذا عليهم من أهل العلم والأدب ، فأجمعوا على أنهم لم يسمعوا تعزية أوجز ، ولا أبلغ ، من تعزية شبيب بن شيبة ، فإنه قال :
« أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزقت أجراً ، وأعقبك صبراً ، ولا أجهد الله بلامك ينقمة ، ولا تزع منك نعمة ، ثواب الله خير لك منها ، ورحمة الله خير لها منك وأحق ما صبر عليه مالا سبيل إلى رده^(٢) » .
(تاريخ الطبري ١٠ : ٢١)

٧٤ - خطبة أخرى له في مدح الخليفة

قيل لبعض الخلفاء ، إن شبيب بن شيبة يستعمل الكلام ويستعده ، فلو أمرته أن يصعد المنبر فجأة لرجوت أن يفتضح ، فأمر رسولا فأخذ بيده إلى المسجد فلم يذوقه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم حق الصلاة عليه ، ثم قال :

(١) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الأهمم الملقب بالقيس وهو ابن عمه خالد بن صفوان .
توفي في حدود سنة ١٧٠ هـ .

(٢) روى صاحب المقدم أن شيبيا عزي بهذا المقال المنصور على أمه أبي الهباس (المقدّمات ٢ : ٢٥) .

« ألا إن لأُمير المؤمنين أشباهاً أربعة : الأسد الخالد^(١) ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والريـع الناصر ؛ فأما الأسد الخالد : فأشبه منه صولته وَمَصْأَه ؛ وأما البحر الزاخر : فأشبه منه جوده وعطاءه ؛ وأما القمر الباهر : فأشبه منه نوره وَضِيْاه ؛ وأما الريع الناصر : فأشبه منه حسنه وبهاءه ، ثم نزل وأنشأ يقول :

وموقِفٍ مثل حَدِّ السيف قَتُّ به أَحْيى الأَعمار وترمى به الخلد^(٢)
فما زَلِقْتُ ، وما أَقْبَيْت كاذِبَةً إذا الرجال على أمثاله زَلِقُوا

(لفظه الفريد ٢ : ١٥٨ ، ١ : ١٣٨ ، زهر الآداب ٢ : ٢٠٩)

٧٥ — كلمات لشبيب بن شيبه

وقال شبيب : « اطلب الأدب ، فإنه دليل على الرُومة ، وزيادة في العقل ، وصاحب في القُرْبَة ، وَصِلَة في المجلس » .

وقال للهدى يوماً : « أراك الله في بنيك ، ما أرى أباك فيك ، وأرى الله بنيك فيك ، ما أراك في أبيك » .
(البيان والبيان ١ : ١٩٠)

وخرج من دار الخلافة يوماً ، فقال له قائل : كيف رأيتَ الناس ؟ قال : « رأيت الداخل راجياً ، والخارج راضياً » .

(البيان والبيان ١ : ١٩٠ ، زهر الآداب ٣ : ١٢٩)

٧٦ — خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب

يوم ولي الرشيد الخلافة

روى الطبري قال : لما كانت الليلة التي توفي فيها موسى المادى ، أخرج هَرَمَة ابن أعين هرون الرشيد ليلاً ، فأقامه للخلافة ، فدعا هرون يحيى بن خالد بن برمك

(١) الخلد : أجرة الأسمه ومنه يقال أسد خالد ، وأبعد الأسمه : لزم الأجرة . وأبعد العين الأسمه : ستره فهو غدير بكسر اللال وضحها . (٢) الخلد : ما يجب حياجه .

— وكان محبوباً — وقد كان عزم موسى على قتله ، وقتل هرون الرشيد في تلك الليلة^(١) فحضر يحيى ، وقلّة الوزراء ، ووجه إلى يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب ، فأحضره وأمره بإنشاء الكتب ، فلما كان غداة تلك الليلة وحضر القواد ، قام يوسف ابن القاسم ، حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« إِنْ اللَّهُ بِمَنْتَهُ وَلُفَّتِهِ ، مَنْ عَلَيْكُمْ مَعَاشِرَ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ ، بَيْتِ الْخِلاَفَةِ ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَإِيَّاكُمْ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنْ أَنْصَارِ الدَّوْلَةِ وَأَعْوَانِ الدَّعْوَةِ ، مِنْ نَمِيهِ الَّتِي لَا تَخْصِي بِالْمَدَدِ ، وَلَا تَنْقُضِي مَدَى الْأَبَدِ ، وَأَيَادِيهِ الثَّامَةِ ، أَنْ يَجْمَعَ أَلْفُكُمْ ، وَأَعْلَى أَمْرِكُمْ ، وَشَدَّ عَضْدُكُمْ ، وَأَوْهَنَ عَدُوْكُمْ ، وَأُظْهِرَ كَلِمَةُ الْحَقِّ ، وَكُنْتُمْ أَوَّلَى بِهَا وَأَهْلُهَا ، فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ، فَكُنْتُمْ أَنْصَارَ دِينِ اللَّهِ الْمَرْضَى ، وَالذَّائِبِينَ بَسِيفَةِ الْمُنْتَضَى ، عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِيَّاكُمْ اسْتَنْقَضَهُمْ مِنْ أَيْدِي الظُّلَمَةِ أَعْمَةِ الْجَبُورِ ، وَالنَّاقِضِينَ عَهْدَ اللَّهِ ، وَالسَّافِكِينَ الدِّمَ الْحَرَامَ ، وَالْأَكْلِينَ النَّفْسَ ، وَالْمُسَائِرِينَ بِهِ ، فَاذْكُرُوا مَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ النِّعَةِ ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَغْيُرُوا فَيَغْيُرَ بِكُمْ ، وَإِنْ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ اسْتَأْثَرَ بِخَلِيفَتِهِ مُوسَى الْهَادِي الْإِمَامَ ، صَبَّحَهُ إِلَهِ ، وَوَلَّى بِمَدِهِ رَشِيدًا مَرْضِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكُمْ رَوْفًا رَحِيمًا ، مِنْ مَحْسَنِكُمْ قَبُولًا ، وَعَلَى مَسِيحِكُمْ بِالْفَوْ عَطُوفًا ، وَهُوَ — أُمْتُهُ اللَّهُ بِالنِّعَةِ ، وَحَفِظَ لَهُ مَا اسْتَرْعَاهُ إِلَهِ مِنْ أَسْرِ الْأُمَةِ ، وَتَوَلَّاهُ بِمَا تَوَلَّى بِهِ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ — يَبْعِدُكُمْ مِنْ شَسَةِ الرَّافَةِ بِكُمْ ، وَالرَّحْمَةَ لَكُمْ ، وَقَسَمَ أُعْطِيَاتِكُمْ فَيْكُمْ عِنْدَ اسْتِحْقَاقِكُمْ ، وَيَبْتَذِلُ لَكُمْ مِنَ الْجَازَةِ ، مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْخُلَفَاءِ ، مِمَّا فِي بَيْوتِ الْمَالِ مَا يَنْبَغُ عَنْ رِزْقِ كَذَا وَكَذَا شَهْرًا ، غَيْرَ مُقَاضٍ لَكُمْ بِذَلِكَ فَيَا تَسْتَبِلُونَ مِنْ أُعْطِيَاتِكُمْ وَحَامِلًا بِأَقْوَامٍ ذَلِكَ لِلدَّفْعِ عَنْ حَرَمِكُمْ ، وَمَا لَكُمْ أَنْ يَحْدُثَ فِي النَّوَاحِي وَالْأَقْطَارِ مِنْ

(١) وكان الهادي يريد أن يجعل الخلافة في ابنه جعفر ، ويضلع أحمد هارون . وسمى إلى الهادي يحيى ابن خاله ، وقيل له إنه ليس بملك من هرون خلاف ، وإنما يفسد يحيى بن خالد ، فأغضب ذلك موسى الهادي على يحيى ولحقه يحيى .

الصَّامَةِ الْمَارْقِينَ ، إِلَى بَيْتِ الْأَمْوَالِ ، حَتَّى تَمُودَ الْأَمْوَالُ إِلَى جِجَامِهَا ^(١) وَكَثُرَتْهَا ، وَالْحَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ وَجَدُّوهُ شُكْرًا يُوجِبُ لَكُمْ الزَّيْدَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكُمْ ، بِمَا جَدَّدَ لَكُمْ مِنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْكُمْ ، أَيْدَهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ ، وَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ لَهُ فِي الْبَقَاءِ ، وَلَكُمْ بِهِ فِي إِدَامَةِ النَّفْسِ ، لَطَمَكُمْ تَرْحُمُونَ ، وَأَعْطُوا صَفَقَةَ أَيْمَانِكُمْ ، وَقَوْمُوا إِلَى بَيْعَتِكُمْ ، حَاطَكُمْ اللَّهُ وَحَاطَ عَلَيْكُمْ ، وَأَصْلَحْ بَكُمْ وَعَلَى أَيْدِيكُمْ ، وَتَوَلَّاهُمْ وَلَايَةَ عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ » . (تاريخ الخلفاء ١٠ : ٤٨)

٧٧ — خطبة هرون الرشيد (توفي سنة ١٩٣ هـ)

« الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ ، وَنُسْتَعِينُهُ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَنَسْتَعِصِمُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَنُؤْمِنُ بِهِ خَقًا ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، مَقْضِينَ إِلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، بَشَرُهُ عَلَى فِتْنَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَدُرُوسٍ ^(٢) مِنَ الْعِلْمِ ، وَإِدْبَارٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ ، بَشِيرًا بِالنَّعِيمِ لِلْقِيَمِ ، وَنَذِيرًا بِلَيْدِ عَذَابِ أَلِيمٍ ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ ، فَأَذَى عَنْ اللَّهِ وَعَدَهُ وَوَعِيدَهُ ، حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ ، فَعَلَى النَّبِيِّ مِنَ اللَّهِ صَلَاحٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلَامٌ .

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ فِي التَّقْوَى تَكْفِيرَ الْبِئْسَاتِ ، وَتَضْمِينَ الْحَسَنَاتِ ، وَفَوْزًا بِالْجَنَّةِ ، وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ ، وَأَحْذَرُكُمْ يَوْمًا تَنْخَسُ ^(٣) فِيهِ الْأَبْصَارُ ، وَتَعْلَمَنَّ فِيهِ الْأَسْرَارُ ، يَوْمَ الْبَعْثِ ، وَيَوْمَ التَّنَابُثِ ^(٤) ، وَيَوْمَ التَّلَاقِ ، وَيَوْمَ التَّنَادِ ، يَوْمَ لَا يُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئَةٍ ، وَلَا يُرَدَّدُ مِنْ حَسَنَةٍ ، يَوْمَ الْآرْفَقِ ^(٥) ، إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَالْعُطِيِّينَ ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسَمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ، يَتْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ^(٦)

(١) كثرتها . (٢) دروس : اعزاء . (٣) شخص بصره كنع : فتح عينه ، وجعل لا يظفر .

(٤) يوم القيامة ، وهي بذلك لأن لكل الجنة اثنين فيه لكل النار باعثة منازلكم في الجنة لو آمنوا .

(٥) القلعة ، من أرت كفرج : دنا وقرب . (٦) يسلونها لظفر إلى الحرم .

وَمَا تَخْشَى الصُّدُورُ ، وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .

عباد الله : إنكم لم تُخْلَقُوا عبثاً ، ولن تُتركوا سدى ، حصّنوا إيمانكم بالأمانة ، ودينكم بالورع ، وصلاكم بالزكاة ، فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا زكاة له » . إنكم سَفَرٌ^(١) مجتازون ، وأنتم عن قريب تغفلون من دار فناء إلى دار بقاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالأمانة ، فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للفقير ، ومغفرته للتائب ، وهداه للأمين . قال الله عز وجل وقوله الحق : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَاسْتَغْنِهَا الَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » ، وقال : « وَإِنِّي لَنَفَّارٍ لِّنَّابٍ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى » وإياكم والأمانى ، فقد غرّت وأرذت^(٢) ، وأوبقت كثيراً ، حتى أكذبتم منايهم ، فتناوشوا^(٣) التوبة من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، فأخبركم ربكم عن الثلاث فيهم وصرّف الآيات ، وضرب الأمثال ، فرغّب بالوعد ، وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائهم بالقرون الخوالى جيلاً فجيلاً ، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والمشار ، باختطاف الموت إليهم من بيوتكم ، ومن بين أظهركم ، لاتدفعون عنهم ، ولا تحمّلون حوزهم ، فزالت عنهم الدنيا ، واقطعت بهم الأسباب ، فأسلختهم إلى أعمالهم عند اللواقف والحساب والمقاب ، « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ » . إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ؛ يقول الله عز وجل « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ .

الله الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد . أمركم بما أمركم الله به .
وأنها لكم حمانا كما عنده ، وأستغفر الله لي ولكم . (نهجته الهريد ٢ : ١١٧)

٧٨ — وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين

ووصى الرشيد مؤدب ولده الأمين ، قال :

« يَا مُعَزَّزُ^(١) ، إني أمير المؤمنين قد دفع إليك مُهِجَةً نفسه ، وَتَمَرَّةَ قلبه ، فصير
يلك عليه مبسوطةً ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعت أمير المؤمنين ،
أقرنه القرآن ، وعرفه الأخبار ، ورواه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبهره بمواقع الكلام
وبدئه ، وامنه من الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا
عليه ، ورفق مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مفتن
فائدة تفيده إياها ، من غير أن تُخزّنه ، فتُميت ذهنه ، ولا تُتمنّ في مساعته ، فيستعمل
الفراغ وبألقه ، وقومته ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباحا فليكن بالشدة والنظفة » .

(مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٢)

٧٩ — خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي (قتل سنة ١٨٧ هـ)

وهاجت العصية بالشأم بين أهلها في عهد الرشيد (سنة ١٨٠ هـ) وتقام أمرها ،
فاغتم لذلك الرشيد ، وعقد لجعفر بن يحيى على الشأم ، وقال له : إما أن تخرج أنت
أو أخرج أنا ، فقال له جعفر : بل أتيك بنفسى ، فشخص في جلة القواد والكراع
والسلاح ، فأنام فأصلح بينهم ، وقتل زواجيلهم^(٢) والمتلصصة منهم ، ولم يدع بها رجلاً
ولا فرساً ، فمادوا إلى الأمن والطمانينة ، وألقوا تلك النائرة .

(١) هو علي بن المبارك الأحمر صاحب الكسكس ، وكان يؤدب الأمين ، وكان مشهوراً بالحنو والساح

الحفظ ، ومات سنة ٢٠٦ ، أو سنة ٢٠٧ . انظر ترجمته في « نزهة الألبا في طبقات الأدبا » ص ١٢٥ .

(٢) الزواجيل : الصيصوص .

فلما قَدِمَ على الرشيد دخل عليه ، فَصَلَّ يديه وَرجليه ، ثُمَّ مَثَلَ بين يديه ، قَالَ :
 « الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي آتَسَ وَحَشَى ، وَأَجَابَ دَعْوَتِي ، وَرَحِمَ نَفْسِي ،
 وَأَنَسَ^(١) في أَجْلِ ، حتى أَرَانِي وَجْهَ سَيِّدِي ، وَأَكْرَمَنِي بِقُرْبِهِ ، وَأَمَتَّنِي عَلَى تَقْبِيلِ يَدِهِ ،
 وَرَدَّنِي إِلَى خِدْمَتِهِ ، فَوَاقَهُ إِنْ كُنْتُ لِأَذْكَرَ غَيْبَتِي عَنْهُ ، وَخَرَجَنِي وَالْمَقَادِيرَ الَّتِي
 أَزْجَعَنِي ، فَأَعْلَمْتُ أَنَّهَا كَانَتْ بِعِمَاصِ لِحْفَتِي ، وَخَطَايَا أَحَاطَتْ بِي ، وَلَوْ طَالَ مُقَامِي عَنْكَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - جَلَنِي اللَّهُ فَذَلِكَ - خَلِفْتُ أَنْ يَنْهَبَ عَنِّي ، إِشْفَاقًا عَلَى قُرْبِكَ ،
 وَأَسْفَا عَلَى فِرَاقِكَ ، وَأَنْ يَجْعَلَ بِي عَنْ إِذْنِكَ الْإِشْتِيَاقُ إِلَى رُؤْيَيْكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 عَصَمَنِي فِي حَالِ النَّيْبَةِ ، وَأَمْتَعَنِي بِالْعَافِيَةِ ، وَعَرَفَنِي بِالْإِجَابَةِ ، وَمَسَكَنِي بِالطَّاعَةِ ، وَحَالَ
 بَيْنِي وَبَيْنَ اسْتِعْمَالِ الْمَعْصِيَةِ ، فَلَمْ أَشْخَصْ إِلَّا عَنْ رَأْيِكَ ، وَلَمْ أَقْدَمْ إِلَّا عَنْ إِذْنِكَ وَأَمْرِكَ
 وَلَمْ يَخْتَرِمْنِي أَجَلٌ دُونَكَ ، وَآلَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - فَلَا أَعْظَمُ مِنَ الْيَمِينِ بِاللَّهِ - لَقَدْ عَايَنْتُ
 حَالُو تَعْرِضَ لِي الدُّنْيَا كُلَّهَا ، لَاخْتَرْتُ عَلَيْهَا قُرْبَكَ ، وَلَكِنَّا رَأَيْتُهَا عِوَضًا مِنْ
 الْمَقَامِ مَعَكَ » .

ثُمَّ قَالَ لَهُ بِمَقَبِ هَذَا الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ :

« إِنْ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَزَلْ يُبَيِّلِكَ^(٢) فِي خِلَافَتِكَ ، بِقَدْرِ مَا يَعْلَمُ مِنْ نَبَاتِكَ ،
 وَيُرِيكَ فِي رَعِيَّتِكَ غَايَةَ أَمْنِيَّتِكَ ، فَيُصَلِّحَ لَكَ جَمَاعَتَهُمْ ، وَيَجْمَعَ أَلْفَتَهُمْ ، وَيَلْمُ شَتَمَهُمْ ،
 حِفْظًا لَكَ فِيهِمْ ، وَرَحْمَةً لَهُمْ ، وَإِنَّمَا هَذَا لِنَتْسُكِ بِطَاعَتِكَ ، وَالْإِعْتِمَادِ بِحَبْلِ مَرْضَاتِكَ ،
 وَآلَهُ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ مُسْتَحِقُّهُ . وَفَرَّقْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ كَوْرِ الشَّامِ
 وَهُمْ مُنْقَادُونَ لِأَمْرِكَ ، نَادِمُونَ عَلَى مَا فَرَّقُوا مِنْ مَمَصِيَّتِهِمْ لَكَ ، مُتَسَكِّونَ بِمَجْلِكَ ،
 نَازِلُونَ عَلَى حُكْمِكَ ، طَالِبُونَ لِفُؤَادِكَ ، وَآتَمُونَ بِمَجْلِكَ ، مُؤْمِنُونَ بِفَضْلِكَ ، آمِنُونَ
 بِإِدْرَاكَكَ ، حَالَهُمْ فِي اخْتِلَافِهِمْ كَحَالِهِمْ كَانَتْ فِي اخْتِلَافِهِمْ ، وَحَالَهُمْ فِي أَقْتِهِمْ كَحَالِهِمْ

(١) آخر .

(٢) يضم طليك .

كانت في امتناعهم ، وغرأ أمير المؤمنين عنهم ، وتعمده^(١) لهم ، سابق لمفترتهم ،
وصلة أمير المؤمنين لهم ، وعطفه عليهم ، متقدم عنده لمسألتهم ، وإيم الله يا أمير المؤمنين
لئن كنت قد شغصت عنهم ، وقد أخذ الله شرارهم ، وأطفا نارهم ، ونفى مرقهم^(٢) ،
وأصلح دماءهم^(٣) ، وأولاني الجليل فيهم ، ورزقني الاتصال منهم ، فما ذلك كله :
إلا ببركتك وبمئتك وربحك^(٤) ، ودوام دولتك السعيدة الميمونة الدائمة ، وتخوفهم
منك ، ورجائهم لك . والله يا أمير المؤمنين ما حدثت إليهم إلا بوصيتك ، وما عاملتهم
إلا بأمرك ، ولا سيرت فيهم إلا على حد ما مثلته لي ورسمته ، ووثقتني عليه ، ووالله
ما اتقادوا إلا ليدعونك ، وتوحد^(٥) الله بالصنع لك ، وتخوفهم من سطوتك . وما كان
الذي كان مني ، وإن كنت قد بذلت جهدي ، وبلغت مجهودي ، قاضيا بعض حَقِّكَ
عليّ ، بل ما ازدادت نعمتك عليّ عظما ، إلا ازددت عن شكرك مجزأ وضعا ،
وما خلق الله أحدا من رعيته ، أبعد من أن يطلع نفسه في قضاء حَقِّكَ مني ،
وما ذلك إلا أن أكون باذلا مُتَجَبِّحِي في طاعتك ، وكل ما يغرب إلى موافقتك ،
ولكني أعرف من أباديك عندي ما لا أعرف مثلها عند غيري ، فكيف بشكري !
وقد أصبحت واحد أهل دهرى ، فيما صنفته في؟ وفي؟ أم كيف بشكري ! وإنما
أقوى على شكرك يا كرامك إياي؟ ، وكيف بشكري ! ولو جل الله شكري
في إحصاء ما أوليتني ، لم يأت على ذلك عدى؟ وكيف بشكري ! وأنت كنهى دون
كل كنهى لي؟ وكيف بشكري ! وأنت لا رضى لي ما أَرْضاه لي؟ وكيف بشكري !
وأنت تجدد من نعمتك عندي ما يستغرق كل ما سلف عندك لي؟ أم كيف بشكري !
وأنت تُفَسِّحُني ما تقدم من إحسانك إليّ ، بما تُجَدِّده لي؟ أم كيف بشكري؟ وأنت

(١) تعمد الله برحمته : غمر بها . (٢) جمع مارق : وهو الخارج الملة .

(٣) الدماء : جاعة الناس . (٤) قوتك .

(٥) توحد الله تعالى بمصداق : يصور له بكله إن غيره .

قَدَّمْنِي بِطَوْلِكَ عَلَى جَمِيعِ أَكْفَانِي ؟ أَمْ كَيْفَ بِشُكْرِي ! وَأَنْتَ وَلَّيْتَنِي ؟ أَمْ كَيْفَ بِشُكْرِي ! وَأَنْتَ الْمَكْرَمُ لِي ؟ وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي رَزَقَنِي ذَلِكَ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ لَهُ إِذْ كَانَ الشُّكْرُ مَقْصُوراً عَنْ بُلُوغِ تَأْدِيَةِ بَعْضِهِ ، بَلْ دُونَ شِقَاقِهِ ^(١) مِنْ عَشْرِ عَشِيرِهِ - أَنْ يَتَوَلَّى مَكَافَأَتَكَ عَنِّي ، بِمَا هُوَ أَوْسَعُ لَهُ وَأَقْدَرُ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَقْضِيَ عَنِّي سَعَتَكَ ، وَجَلِيلَ مَنَّتِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ بِيَدِهِ ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَيْهِ » . (تاريخ قطري ١٠ : ٦٦)

٨٠ - استعطاف أم جعفر بن يحيى الرشيد

روى صاحب المقدال :

« كَانَتْ أُمُّ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ^(٢) - وَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ قُصْبَةَ - أَرْضَعَتْ الرَّشِيدَ مَعَ جَعْفَرٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ رُبِّي فِي جِجْرَها ، وَغَدَّي بِرِثْلِهَا ^(٣) ، لِأَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ عَنْ مَهْدِهِ ، فَكَانَ الرَّشِيدُ يَشَاوِرُهَا مُظْهِراً لِإِكْرَامِها ، وَالتَّبَرُّكِ بِرَأْيِها ، وَكَانَ آتَى وَهُوَ فِي كِفَالَتِها أَنْ لَا يَحْجُبْها ، وَلَا اسْتَشْفَعَتْهُ لِأَحَدٍ إِلَّا شَفَعَهَا ، وَآلَتْ عَلَيْهِ أُمُّ جَعْفَرٍ أَنْ لَا دَخَلَ عَلَيْهِ إِلَّا مَاذُونًا لَهَا ، وَلَا شَفَعَتْ لِأَحَدٍ مَقْتَرَفَ ذَنْبًا ، فَكَمَ أُسْرُ فُكَّتْ وَمُجَبَّهٌ عِنْدَهُ فَفُتَتْ ، وَمُسْتَفْلِقٌ مِنْهُ فَرَجَتْ ، وَاحْتَجَبَ الرَّشِيدُ بِعَدْلِهِ ^(٤) ، فَطَلَبَتْ الْإِذْنَ عَلَيْهِ مِنْ دَارِ الْبَاقُونَةِ ، وَمَتَّتْ ^(٥) بَوَائِلُها إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهَا ، وَلَا أَمَرَ بِشَيْءٍ فِيهَا ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ بِهَا خَرَجَتْ كَاشِفَةً وَجْهَها ، وَاضِعَةً لِيَثَامِها ، مُحْتَفِيَةً ^(٦) فِي مَشْيِها - حَتَّى صَارَتْ بِيَابَ قَصْرِ الرَّشِيدِ ، فَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْفَضْلِ الْحَاجِبُ ،

(١) الشَّقْصُ : السِّمْ وَالتَّصَبُّبُ ، وَالمَشِيرُ : جِزءٌ مِنْ مَعْرَةِ كَلِّ الْمَشَارِ وَالمَشَرِ .

(٢) كَالَةُ الْبَرَاكَةِ تَدْعَاؤُهَا بِشَتَّى الدُّوَلَةِ وَأَسْمَاؤها ، وَغَلِبُوا الرَّشِيدَ عَلَى سُلْطَانِها ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي مَلِكِها ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ إِلَّا أَسْمَاها وَصُورُها - وَحَدِيثُهم فِي ذَلِكَ طَوِيلٌ ، لَيْسَ هَاهُنَا مَوْضِعُهُ - فَزُجِمَ عَلَى ذُنُوبِهِمْ ، حَتَّى انْتَهَزَ غُرْمَةُ دَجْوِهِ مَعَهُمْ فِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ١٨٧ : قَتَلَ جَعْفَرًا الْهَلَاقَ طَرِيقَهُ ، وَبَقِيَ عَلَى يَحْيَى وَابْنَةِ الْفَضْلِ وَبَقِيَّةُ الْبَرَاكَةِ ، وَجَسِمُهُ فِي سَبْجِ الزِّنَادَةِ إِلَى أَنْ مَاتُوا فِيهِ ، وَاسْتَصْنَى أَدْوَاهُهم وَشِيَاهُهم . (٣) الرُّسُلُ : الْبَنَ .

(٤) أَيْ مِنَ الْحِجَابِ . (٥) تَوَسَّلَتْ . (٦) احْتَضَتْ : شَفَعَتْ حَافِيًا .

قال : ظنر^(١) أمير المؤمنين بالباب ، في حالة حَلْبِ شَمَانَةِ الحاسد ، إلى شَفَقَةِ أم الواحد ؛
قال الرشيد : وَيَحْك يا عبد الملك ! أو ساعة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين حافية .
قال : أَدْخِلْهَا يا عبد الملك ، فَرَبَّ كَبِدِ غَدَتِهَا ، وَكَرْبَةَ فَرْجِهَا ، وَعَوْرَةَ سَرَتِهَا ،
فدخلت ، فلما نظر الرشيد إليها داخلَةً محضِيَّةً ، قام مخفياً حتى تلقاها بين عمد المجلس
وأَكَبَّ على تقيل رأسها ، ومواضع تَدْيِيبها ، ثم أجلسها معه ، فقالت : يا أمير المؤمنين
أَيْمَدُوا علينا الزمان ، وَيَخْفُوا خَوْفًا لك الأعوان ، وَيُحَرِّدُك^(٢) بنا البُهْتَان ، وقد ربيتك
في جِجْرِي ، وأخذت برضائع الأمان من عدوى ودهرى ؟ فقال لها : وما ذلك
يا أم الرشيد ، قالت : ظنرك يحيى ، وأبوك بمد أبيك ، ولا أسيفه بأكثر مما عرفه به
أمير المؤمنين ، من نصيحتة . وإشفاقه عليه ، وترضنه لِاحْتِفٍ في شأن موسى أخيه^(٣) ،
قال لها : يا أم الرشيد ، أَمْرٌ سَبَقَ ، وقضاء حُم^(٤) ، وغضب من الله نَفَذَ ، قالت :
يا أمير المؤمنين « يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ »^(٥) قال : صدقت
فهذا ما لم يَمْحُ الله ، فقالت : الغيب محجوب عن النبيين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؟
فأطرق الرشيد مَلِيًّا ، ثم قال :

- (١) الظنر : المماثلة على ولد غيرها ، المرصعة له ، في الناس وغيرهم ، للذكر وللأنثى .
(٢) يفضيك . (٣) قلنا أن الهادي كان اعترف خلق أخيه الرشيد من ولاية العهد ،
واستخلف ابنه جعفر ، وقد سعى إلى الهادي يحيى بن خالد ، وأنه يفسد عليه أخاه الرشيد .
وهو يفتله . ويروي أنه قال الهادي في خلق الرشيد لما كلمه فيه : « يا أمير المؤمنين ، إنك إن حملت
الزمن من ذنك الإيمان ، هانت عليهم أيمانهم ، وإن تركهم على بيعة أميك ، ثم بايست لجعفر من بعده كان
ذلك أركه لهم » فقال : صفتك ونصحت ، ولي في هذا تغيير ، ولما أبر مجبه رغب إليه يحيى رقة :
إن صدق نصيحتي ففعل به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أخلى : فأخلاه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أرايت
إن كان الأمر - أسأل الله ألا يفلته ، وأن يقدمني قبله - أنظر أن الناس يسلمون الخلافة لجعفر ، وهو لم
يبلغ الحلم ، ورضون به لصلاتهم وحسبهم وفزوم ؟ قال : والله ما أظن ذلك ، قال : يا أمير المؤمنين ،
أنتامن أن يسمر إليها أمك ، وجلسهم مثل فلان وفلان ، ويطلع فيها غيرهم ، فتخرج من ولد أبيك ؟ فقال
له : لعلني يا يحيى ، وقال له : لو أن هذا الأمر لم يمتد لأخيك ؟ أما كان ينبغي أن تسقده له ؟ فكيف بهان
تعله عنه ، وقد صدقه المهدي ؟ له : ولكن أرى أن تقر هذا الأمر يا أمير المؤمنين على حاله ، فلذا بلغ سطر
وبلغ الله به ، أنته بالرشيد فخلع نفسه ، وكان أول من يباسب وسطه صفقة به ، قيل قبل الهادي قوله
ورأيه وأمر بإطلاقه . (٤) حم : قدر . (٥) أم الكتاب : أصله ، أو الوجه المحفوظ .

وإذا اللبنة أنشئت أنظرواها ألفت كل تميم لا تنفع^(١)
 قالت بغير رواية : ما أنا ليسى بتميمة يا أمير المؤمنين ، وقد قال الأول^(٢) :
 وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال
 هذا بعد قول الله عز وجل « وَالكَافِرِينَ الْفَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْحُسَيْنِينَ » . فاطرق هرون ملياً ، ثم قال : يا أم الرشيد أقول :
 إذا انصرفت فسي عن الشيء لم تكذِّ إليه بوجوه آخر الدهر قبل
 قالت : يا أمير المؤمنين وأقول :

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتي يمينك فانظر أي كف تبدل^(٣)
 قال هرون : رضيت ، قالت : فهبة لي يا أمير المؤمنين ، فقد قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « من ترك شيئاً لله ، لم يُوجد^(٤) الله لِقْدَهُ » فأكب هرون ملياً ،
 ثم رفع رأسه يقول : « فقد الأمر من قبل ومن بعد » قالت : يا أمير المؤمنين
 « وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » .
 واذكر يا أمير المؤمنين أليتك^(٥) ما استشفعت إلا شفعتي . قال : واذكري
 يا أم الرشيد أليتك أن لاشغبت لفترف ذنباً ، فلما رآته صرَّح بمنمها ، ولاذ^(٦) عن
 مطلبها ، أخرجت حقاً من زمرودة^(٧) خضراء ، فوضعت بين يديه ، قال الرشيد : ما هذا ؟
 فتحت عنه قفلاً من ذهب ؛ فأخرجت منه خففتة^(٨) وذوائبه وثناياه ، قد غمت
 جميع ذلك في السلك ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أستشفع إليك ، وأستمين بالله عليك ،

(١) انتم جمع تميمة وهي المودة التي تطلق على الصبي دفعا للعين ، أو المرض والبهت لأي ذئب الملل .

(٢) هو الأخطال . (٣) هذا البيت والذي قبله من تصيفة لمن ين أوس المزق مطلبها :

لمرك ما أدرى ، وإلى لأوجل حل أينما تصدو اللبنة أول ؟

(٤) أي يخرجه . (٥) الآية : القسم . (٦) أي لم يجد . (٧) الزمرود والزمرد بالعدل

واللال . (٨) خفص الجارية كضرب خفصا ، وهو كالختان للفلام ، وقيل : خفص انصبى خسته ،
 فاصصل في الرجل ، والأحرف أن الخفص للمرأة والختان للصبي ، يقال للجارية خففت ، والفلام حن .

وبما صار معي من كرم جسدك، وطيب جوارحك، ليحيي عبدك، فأخذ هرون ذلك فلقه، ثم استبر وبكى بكاء شديداً، وبكى أهل المجلس، وصرَّ البشير إلى يحيى، وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له، ورجوع عنه، فلما أفق رى جميع ذلك في الحق، وقال لما: **لَحَسَنَ مَا حَفِظْتَ الْوَدِيعَةَ**، قالت: وأهلٌ للكفاة أنت يا أمير المؤمنين، فسكت وأقل الحق، ودفعه إليها، وقال: **«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا»** قالت: والله يقول: **«وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ»** ويقول: **«وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ»**، ثم قال: وما ذلك يا أم الرشيد؟ قالت: أو ما أقست لي به ألا تعجبني ولا تمتحنني^(١)؟ قال: أحب يا أم الرشيد أن نشتره بحكمة فيه. قالت: أنصفت يا أمير المؤمنين، وقد ضلَّتُ غيرَ مُسْتَقِيلَةٍ لك، ولا راحة عنك. قال: بكم؟ قالت: برضاك عن لم يُسَخِّطك، قال: يا أم الرشيد أما لي عليك من الحق مثل الذي لم؟ قالت: بلى يا أمير المؤمنين، أنت أعزُّ عليّ، وم أحبُّ إليّ. قال: فصمكتي في تمنية بنعيم، قالت: بلى قد وهبتك، وجعلتك في حلٍّ منه، وقامت عنه، وبقى منهوئاً ما يحير^(٢) لفظه. (لعمركم ٣ : ٢٢)

٨١ — خطبة يزيد بن يزيد الشيباني

لما رضى الرشيد عن يزيد بن يزيد^(٣) أذن له بالدخول عليه، فلما سئل بين يديه قال: **«يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي سهل لي سبيل الكرامة بِلِقَائِكَ، وردَّ عليّ**

(١) انته: أهله.

(٢) يحير: يرد. (٣) وذلك أن الوليد بن طريف الشامي خرج في عهد الرشيد بالجزيرة، واشتد شوكته وكثر تبعه سنة ١٧٩ هـ فوجه إليه الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني، فجعل يحالته وما كره، وكانت لبركة منرفة عن يزيد، فأفروا به الرشيد، وقالوا: إنما يتجافى عنه لرحم (لأنه شيباني مثله) وإلا فشكة الوليد يسيرة وهو يرواه، ويُنْتَظَرُ ما يكون من أمره، فوجه إليه الرشيد كتاب غضب، يقول فيه: لو وجهت بأمره لأقدم لاقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مدائن متعصب. وأمير المؤمنين يقدم بالله فمن أغرت متاجزة

النعمة بوجه الرضا منك ، وكشف عن ضباب الكرب بإفضالك ، وجزاك الله
يا أمير المؤمنين في حال سُخْطِكَ جزاء المحسنين للراقيين ، وفي حال رضاك جزاء المنمنين
المتقين التطولين ، قد جعلك الله - وله الحمد - تَبَتُّ^(١) تخرجاً عند الغضب ، وتمنُّ^(٢)
تطويلاً بالنعم ، وتستقي المروف عند الصنائع^(٣) فضلاً بالغو .

(الحق القريب ١ : ١٤١ ، وتاريخ الطبري ١٠ : ١١٧ وزمر الآداب ٢ : ٢٨٧)

٨٢ - خطبة عبد الملك بن صالح^(١) (توفي سنة ١٩٦ هـ)

أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم : « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى
قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ يَا أَهْلَ الشَّامِ ، إِنْ اللَّهُ وَصَفَ إِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ ، وَأَشْبَاهَكُمْ فِي الْأَجْسَامِ
فَذَرَّمْ نَبِيَّ عَمْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ،
وَأَنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْتَنْدَةٌ ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ ،
هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ، قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنْيُّ يُوْفِكُون » ؟ قَاتِلَكُمْ اللَّهُ أَنْيُّ تُصْرَفُونَ ؟
جُثُّ مَائِلَةٌ ، وَقُلُوبٌ طَائِرَةٌ ، تُشْبِهُونَ^(٢) الفتن ، وتوَلُّونَ الدُّبُرَ ، إِلَّا عَنْ حَرَمِ اللَّهِ
فَإِنَّهُ دَرِيئَتُكُمْ^(٣) ، وَحَرَمَ رَسُولِهِ ، فَإِنَّهُ مَفْزَاكُمْ ، أَمَّا وَحُرْمَةُ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ لِتَنْفِرَنَّ
خِيفًا وَتَقَالًا ، أَوْ لَا وَسِعَ لِرِغَامًا وَنَكَالًا . »

(الحق القريب ٢ : ١٤٦)

الوليد ، ليرجعن إليك من يصل وأسلمك إلى أمير المؤمنين . ثم حل يزيد حل الوليد لقتله وبهت برأيه إلى
الرشيد ، فلما انصرف يزيد بالخفر ، حجب برأى البرامكة ، وأظهر الرشيد السخط عليه . فقال : وحق
لير المؤمنين لأسيغوا راشعون على فرس أو أدغل ، فارتفع الخبر بذلك فأذن له ففعل ، فلما رآه الرشيد
ضحك وسر ، وأقبل يصيح مرحباً بالأموي ، حتى دخل وأجلس وأكرم وعرف بلاؤه وبقاء صدوره
(راجع أخباره في الأذخ ١١ : ٨ ، وابن خلكان ٢ : ٢٨٢ ، والطبري ١٠ : ٦٥) .

(١) وفي رواية الطبري : تنهب . (٢) وفي الطبري : « دغف عن المي . »

(٣) هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن جابر ، ولي الرشيد بلاد الجزيرة والشام وغيرها .

(٤) توقدود . (٥) الدويقة : الخلقة يتلم الخلق والقرى عليها .

٨٣ - عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهينه

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد ، فقال له الحاجب : إن أمير المؤمنين قد أصيب الليلة بآبن له ، ووُلد له آخر ، فلما دخل عليه قال : « سَرَّكَ اللهُ يا أمير المؤمنين فيما ساءَكَ ، ولا ساءَكَ فيما سَرَّكَ ، وجل هذه بهذه ، مكتوبة على الصبر ، وَجَزَاءٌ على الشكر » .
(هفتد قهرید ٢ : ٢٥)

٨٤ - غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح

وَنَصَبَ^(١) له ابْنُهُ «عبدُ الرحمن» وَكَانِيَهُ «قَامَةُ» فَعَمِيَ بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ ، وَيَطْمَعُ فِيهَا ، فَأَخَذَهُ وَجَبَهُ عِنْدَ الْقُضَلِ بْنِ الرَّيْعِ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَدْخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ حِينَ سَخِطَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : أَكُفِّرُكَ بِالنِّعْمَةِ ، وَجُعُودًا لَجَلِيلِ اللَّيْنَةِ وَالتَّكْرِمَةِ ؟ قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَقَدْ بُوِّتُ^(٢) إِذْنًا بِالنَّدَمِ ، وَنَرَضْتُ لَاسْتِحْلَالَ النِّعَمِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَنِي حَاسِدٍ ، نَافَقَتِي فِيكَ مَوَدَّةَ الْقَرَابَةِ ، وَتَقْدِيمَ الْوَلَايَةِ ، إِنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُمَّتِهِ ، وَأَمِينُهُ عَلَى عِثَرَتِهِ ، لَكَ عَلَيْهَا فَرَضُ الطَّاعَةِ وَأَدَاءُ النَّصِيحَةِ ، وَلَهَا عَلَيْكَ الْمُلْكُ فِي حُكْمِهَا ، وَالتَّجَبُّتُ فِي حَادِثِهَا ، وَالتَّقَرُّانُ لِدُنُوبِهَا » ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : « أَنْصَحُ لِي مِنْ لِسَانِكَ ، وَتَرْفَعُ لِي مِنْ جَنَانِكَ ؟ هَذَا كَاثِبُكَ قَامَةُ ، يُخْبِرُ بِغَلْكَ وَفَسَادِ نِيَّتِكَ ، فَانْصَحْ كَلَامَهُ » ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : « أَعْطَاكَ مَا لَيْسَ فِي عَقْدِهِ^(٣) ، وَلَعَلَّهُ لَا يَنْقُذُ أَنْ يَمُضِيَ^(٤) وَلَا يَبْهَتَ بِمَا لَمْ يَمْرِفْهُ مَنِي » ، وَأَحْضِرَ قَامَةً ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : تَكَلِّمْ غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا خَائِفٍ ، قَالَ : « أَقُولُ إِنَّهُ عَازِمٌ عَلَى التَّنَرُّبِ وَالْخِلَافِ عَلَيْكَ » ،

(١) عادله . (٢) رجحت . (٣) أى ما يحق له .

(٤) مضى كنع : كلب وتم ، وعنه فلان : جئت وقاله فيه ما لم يكن .

قال عبد الملك: أهو كذلك يا قامة؟ قال قامة: نعم، لقد أردتَ خُتْلَ^(١) أمير المؤمنين؛ قال عبد الملك: وكيف لا يكذب عليَّ من خلقٍ، وهو يَهْتَقِي في وجهي؟ قال له الرشيد: «وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بِمُتَوَكِّك، وفساد نيتك، ولو أردتَ أن أحتجَّ عليك بِحُجَّةٍ لم أجد أعدلَ من هذين لك، فَيَمَّ تَدْفَعُهُمَا عَنْكَ؟»، قال عبد الملك: «هو مأمور، أو عاقٍ مجبور، فإن كان مأموراً: فَمَعْتُور، وإن كان عاقاً: فهاجر كفور، أخبر الله عزَّ وجلَّ بدأوته، وحذَّر منه بقوله: «إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ»، فهذه الرشيد وهو يقول: «أَمَا أَمَرْتُكَ قَدْ وَضَحَ، ولكني لا أعجلُ حتى أعلمَ الذي يَرْضِي اللهَ فيك، فإنه الحكمُ بيني وبينك»، قال عبد الملك: «رضيت بالله حَكَمًا، وبأمر المؤمنين حاكماً، فإني أعلمُ أنه يُؤْمَرُ كتاب الله على هواه وأمر الله على رضاه».

فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر، فلمَّ لما دخل، فلم يردَّ عليه، فقال عبد الملك: ليس هذا يزماً أحتجُّ فيه، ولا أجادب منازعاً وَخْصَماً. قال: ولم؟ قال: لأنَّ أوَّلَه جَرَى على غير السُّنَّةِ، فأنا أخاف آخره، قال: وما ذلك؟ قال: لم تُردَّ عَلَى السَّلامِ، أنصِفْ نَصْفَ العوالمِ، قال: السلام عليكم اقتداءً بالسنة، وإيثاراً للملء، واستمالةً للتعبة، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر قال: وهو يخاطب بكلامه عبد الملك:

أريد حياته ويريد قتل عذيرك من خَلِيك من مُراد
ثم قال: «أما والله لكانني أنظر إلى شُؤْبِهَا قد مَحَمَّ^(٢)، وعارضها^(٣) قد آتَمَّ،

(١) خطه: غلظه. (٢) التثريب: البضة من المطر. ومع: سال وانصب.

(٣) العارض: السحاب المترضق الأفل، والتفسير الفتحة المفعولة من سياق الحديث.

وكانى بالوعيد قد أوزى نارا تَشْلَعُ ، فأقلع عن بَرَّاجِمٍ^(١) يَلَا مَعَامِمَ ، ورموس
بِلَا غَلَامِمٍ^(٢) قَهْلًا مَهْلًا ، فَبَى وَالله سَهْلٌ لَكُمْ الْوَعْرُ ، وَهَقًّا لَكُمْ الْكُدْرُ ، وَأَقْتِ
بِالسَّكَمِ الْأُمُورُ أَشْنَاءُ^(٣) أَرْشَتْهَا ، فَذَارِ لَكُمْ نَذَارِ قَبْلَ حُلُولِ دَاهِيَةٍ خَبُوطٍ بِالْيَدِ ،
لَبُوطٍ^(٤) بِالرَّجْلِ . قال عبد الملك : « اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولأك ، وفي رعيته
التي استرعاك ، ولا تجمل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع الثواب ، قد
نخلت النصيحة ، وَخَفَضْتُ^(٥) لك الطاعة ، وَشَدَدْتُ أَوَاجِي^(٦) مِلْسَكَ بِأَقْلٍ مِنْ
رُكْنِي يَلْتَمِ^(٧) ، وَتَرَكْتُ عِدْوَكُ مُشْتَفِلًا^(٨) ، فَظَفَّ اللهُ فِي ذِي رَحْمِكَ أَنْ تَقْلَعَهُ
- بعد أن يَلْتَمِ^(٩) - بِظَنْ أَفْصَحَ الْكِتَابُ لِي بِعَقْبِهِ^(١٠) ، أَوْ يَنْفِي بَاحِ يَنْهَسُ^(١١)
البحم ، وَيَالِغُ^(١٢) الدَّمُ ، قد والله سَهَّلْتُ لك الْوَعْرَ ، وَذَلَّتْ لك الْأُمُورُ ، وَجَعَلْتُ
على طاعتك القلوب في الصدور ، فَمِنْكُمْ مِنْ لَيْلٍ رَمَامٍ^(١٣) فَيْكُ كَابِدَتُهُ ، وَمَقَامُ ضَيْقِ
لَكَ قَمْتُهُ ، كُنْتُ فِيهِ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي جَضِرِ بْنِ كَلَابٍ :

ومقام ضَيْقِ فَرَجْتُهُ يَبْنَانِي وَلِسَانِي وَجَدَلُ
لَوْ يَقُومُ الْقَيْلُ أَوْ فَيَالَهُ زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلُ^(١٤)
فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : « أَمَا وَالله لَوَلَا الْإِقْبَاءُ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ » .

-
- (١) جمع بركة كقطفة : وهي مفضل الأسابيع ، أو ظهر القصص من الأسابيع ، والمعاصم جمع مصمم
كبير : وهو موضع السوار أوله . (٢) جمع غلصة بالفتح وهي رأس الخلقوم وهو الموضع الذي
في الخلق . (٣) أشنأه أشنأه ماكانه ، واحدها أشنأه وشنأه بالفتح وهو الموضع الذي
(٤) لبط به الأرض ضرب ، ولبط كبير كضرب : عبط يده وهو يبطو .
(٥) أغلست . (٦) جمع أكمة وتشدد : عروة تربط إلى وقد مغروق وتشده فيها القهابة ، وأصعب
القهابة قهابة : صنعت لها أكمة وربطها بها . (٧) يلم أو ألم أو يرمم : سبقت بين : جبل على
مرحلتين من مكة . (٨) وفي رواية القه : وتركت عذرك سبلا تصفوه الأقدام .
(٩) يلات قلنا : لزمه . (١٠) القه يسكون قلنا وضعا : الكلب والنبهة . (١١) نفس الحم
كنع ومع : أعطه بمقدام أسنانه ورتقه . (١٢) ولغ الكلب في الإله ومع به بلغ كعب ويالغ :
شرب بآفه بأطراف لسانه ، أو أدخل لسانه فيه فحره . (١٣) ليل التمام : أطول ليل الشتاء .
(١٤) زحل من حقله : زالي كزحل .

ولم يزل عبد الملك محبوباً حتى تُوفِّي الرشيد ، فأطلقه محمد الأمين وعقد له على الشام^(١) .

(تاريخ الطبري ١٠ : ٨٩ ، والعقد لقرينه ١ : ١٤٣ ،
والكنز لابن الأثير ٦ : ٧٢ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٨٣)

٨٥ - قوله بعد خروجه من السجن

ولما خرج من السجن وذكر الرشيد فضله به قال :

« والله إن للُك لشيء مانويته ، ولا تمنيتي ، ولا نصبتُ له ولا أردتُه ، ولو أردتُه لكان إلى أسرع من الماء إلى الخلدور^(٢) ، ومن النار إلى ييس القرفج^(٣) ، وإني لأخوذ بما لم أجن ، ومستول عما لا أعرف ، ولكنه حين رآني للُك قيناً^(٤) ، وللخلة خطيراً^(٥) ، ورأى لي يداً تناولها إذا مدت ، وتبعتها إذا بسطت ، وفساً تكمل لخصالها ، وتستحقها بفعالها ، وإن كنتُ لم أختَر تلك الخصال ، ولم أضطنِع تلك الفعل ، ولم أترشع لها في السر ، ولا أشرتُ إليها في الجهر ، ورأها تخينُ إلى حين الوالدة الوالمة ، وتميلُ إلى ميل الملوك^(٦) ، وخاف أن ترغب إلى خير مرغب ، وتنزع إلى أخصب منزع ، عاقبتني عقاب من سهر في طلبها ، وجهد في التماسها ، فإن كان إنما حبسني على أني أصْلَح لها وتصلح لي ، وأُليقُ بها وتليق بي ، فليس ذلك بذنب جنيته فأَتوب منه ، ولا تطلوتُ له فأحطُ نفسي عنه ، وإن زعم أنه لا صرَف لعقابه ، ولا نجاة من عذابه ، إلا بأن أخرج له من جد العلم والحلم والحزم ، فكما لا يستطيع الضياع أن يكون مصلحاً ، كذلك لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلاً ،

(١) وقد جعل للأمين عهد الله وميثاقه : لن تقتل وهو حي لا يهلك المأمون طاعة أبها ، فات قبل قتل الأمين ، فدفن في دار من دور الإمارة ، فلما خرج المأمون إليه الروم أرسل إلى ابن له حول أباه من داري ، فنهضت طائفة وحولت . (٢) المكان المتحدر . (٣) شجر . (٤) جهرا . (٥) عظيم القدر . (٦) التناجزة للتساقطة على الرجال .

وسواء عليه أعاقبني على عظمي، أم عاقبني على نسيي وسفهي، وسواء عليه عاقبني على جالي، أم عاقبني على محبة الناس لي، ولو أردتها لأعجلته عن التفكير، وشغلته عن التدبير، ولما كان فيها من الخطب إلا اليسير». (الفتح لقره ١ : ١١٢)

٨٦ - وصية عبد الملك بن صالح لابنه

أوصى عبد الملك بن صالح ابنه له فقال :

« أَيُّ بَنِي أَهْلِي ، فَإِنْ مِنْ أَهْلِي سَادَ ، وَمِنْ تَهْمٍ أَرَادَ . وَالْقَى أَهْلَ الْخَيْرِ فَإِنْ قَاءَهُمْ عِمَارَةً لِلْقُلُوبِ ، وَلَا تَجْمَعُ بِكَ مَطِيَّةَ اللَّجَاجِ ، وَفِيكَ مَنْ أَعْنَيْكَ ^(١) ، وَالصَّاحِبُ لِلنَّاسِ لَكَ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ بِعِمِّ الْقَلْبِ ، الزَّاحِ يُوْرِثُ الضَّائِرِينَ ، وَحَسَنَ التَّدْبِيرِ مَعَ السَّكْفِافِ خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ الْإِسْرَافِ ، وَالْاِقْتِصَادُ يُشْمَرُ ^(٢) الْقَلِيلُ ، وَالْإِسْرَافُ يُبِيرُ ^(٣) الْكَثِيرَ ، وَنِمْ أَحْظُ الْفَنَاعَةَ ، وَشَرِّ مَا حِيبَ الْمَرْءَ الْحَدُّ ، وَمَا كُلُّ عَوْرَةٍ تُصَافٍ ، وَرَبِّمَا أَبْصَرَ الْعَمِيَّ رُشْدَهُ ، وَأَخْطَأُ الْبَصِيرَ قَصْدَهُ ، وَالْيَاسُ خَيْرٌ مِنَ الطَّالِبِ إِلَى النَّاسِ ، وَالْعَمَقَةُ مَعَ الْحَرْفَةِ ^(٤) خَيْرٌ مِنَ الْغَفَى مَعَ الْفَجْوَرِ ، أَرْفُقْ فِي الطَّلَبِ وَأَجْمِلْ فِي السَّكْتِ ، فَإِنَّ رَبَّ طَلَبٍ ، قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ ^(٥) ، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمُنْجِحٍ ^(٦) ، وَلَا كُلُّ مَلِيحٍ بِمُجْتَاحٍ ، وَالْمَغْبُونُ مِنْ غُيْنٍ نَصِيْبُهُ مِنَ اللَّهِ ، عَاتِبٌ مِنْ رَجَوْتِ عَتْبَاهِ ، وَفَاكِهَةٌ مِنْ أَمْنَتِ بُلُوَاهِ ، لَا تَكُنْ يَضْحَاكًا مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَلَا مَشَاءً إِلَى غَيْرِ أَرْبٍ ، وَمَنْ نَأَى عَنِ الْحَقِّ أَضَاقَ مَذْهَبُهُ ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى حَالِهِ كَانَ أَنْفَمَ لِبَالِهِ ، لَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِنْ ظُلْمِكَ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا سَعَى فِي مَضْرُوْتِهِ وَضَمَكَ ، وَعَوَّدَ نَفْسَكَ السَّمَاحَ ، وَتَحَيَّرَ لَهَا مِنْ كُلِّ خُلُقٍ أَحْسَنَهُ ، فَإِنَّ الْخَيْرَ عَادَةٌ ، وَالشَّرُّ بِلَاحَةٌ ، وَالصَّدُودُ آيَةُ الْمَقْتِ ، وَالتَّمَلُّلُ آيَةُ الْبُخْلِ ، وَمَنْ لَفِقَهُ كِتَابَانِ السَّرُّ ، وَلَقَّاحُ الْمَرْفَةِ

(١) أعني : أساءه الشيء له الرضا . (٢) ينسى ويكثر . (٣) يهلك .

(٤) الحرمان . (٥) حربه حربها كطلي : طلب ماله . (٦) أنجح : سار ذا نجاح .

(٧ - جوهرة خطب العرب - ثالث)

دراسة العلم ، وطولُ التجارب زيادة في العقل ، والقناعة راحة الأبدان ، والشرف التقوى ، والبلاغة معرفة رتق الكلام وفقهه ، بالعقل تُستخرج الحكمة ، وبالحلم يستخرج غور العقل ، ومن شمر في الأمور ، ركب البخور ، شر القول ما نقصَ بضمه بعضا ، ومن سعى بالتمية حذرهِ البميد ، ومقته القريب . من أطلال النظر يلزجة نامرة أدرك الناية ، ومن تواني في نفسه ضاع . من استزف في الأمور انشرت عليه ، ومن اقتصد اجتمعت له ، والهجاجة تورث الضياع للأموال ، غيب الأدب أحمد من ابتدائه ، مبادرة الفهم تورث التسيان ، سوء الاستماع يقببُ العمى ، لا تحدث من لا يقبل بوجهه عليك ، ولا تُنصت لمن لا ينص ^(١) بعديته إليك . البلادة للرجل هجنة ، قل مالك إلا استأثر ، وقل عاجز إلا تأخر ، الإجماع عن الأمور يورث العجز ، والإقدام عليها يورث اجتلاب الخطأ ، سوء الطعمة ^(٢) يفسد العزم ، ويخلق الوجه ، ويمحق الدين ، الهبة قرين الحرمان ، والجسارة قرين الفقر ، وثبك من أنصفك ، وأخوك من عاتبك ، وشريكك من وفك ، وصفيك من آثرك ، أعدى الأعداء العقوق ، اتباع الشهوة يورث الندامة ، وفوت الفرصة يورث الحسرة ، جميع أركان الأدب التاني للرفق ، أكرم نفسك عن كل دنية ، وإن ساقتك إلى الرغائب ، فإنك لا تجد بما تبدل من دينك ونفسك عوضا ، لاتساعد ^(٣) النساء قمتلكنك ، واستبق من نفسك بقية ، فتهن أن يرين أنك ذو اقتدار ، خير من أن يطلعن منك على انكسار ، لاتملك المرأة الشفاعة لغيرها ، فتميل من شفعت لها عليك معها ، أي بني ، إني قد احترت لك الوصية . ومحضتك النصيحة ، وأديت الحق إلى الله في تأديبك ، فلا تظلمن الأخذ بأحسنها ، والعمل بها ، والله موفقك .

(البيان والبيان ٣ : ٢٢٢)

(١) نهي الحديث ونحوه بالمشاهدة ورفع . (٢) الهبة : وجه المكسب . (٣) لها : لا تقاطع .

٨٧- وصية أخرى له

عن يزيد بن عقال قال :

وصى عبد الملك بن صالح ابنه وهو أمير سرية ، ونحن ببلاد الروم قال له :
« أنت تاجرُ الله لمباهه ، فكن كالضارب الكيس ، الذي إن وجد ربحاً تجر ،
وإلا احتفظ برأس المال ، ولا تطلب الفتنمة حتى تحوزَ السلامة ، وكن من احتيالك
على عدوك ، أشدَّ خوفاً من احتيال عدوك عليك ^(١) » . (المياه والطين : ٥٤٢)

٨٨- كلمت حكيمة لابن السماك

وقال محمد بن صبح - المعروف بابن السماك ^(٢) - :

« خيرُ الإخوان أقلُّهم مصانعةً في النصيحة ، وخير الأعمال أحلاها عاقبةً ، وخير
الثناء ما كان على أفواه الأخيار ، وأشرف السلطان ما لم يخالطه البطر ، وأغنى الأغنياء
من لم يكن للحرص أسيراً ، وخير الإخوان من لم يخافهم ، وخير الأخلاق أعونها
على الورع ، وإنما يُحتسبُ ذلَّ الرجال عند الفاقة والحاجة » .
(زهر الآداب : ٢ : ٢٠٥)

٨٩- ابن السماك والرشيد

وذكر محمد بن هرون عن أبيه قال : حضرت الرشيد ، وقال له الفضل بن الربيع :
يا أمير المؤمنين قد أحضرتُ ابنَ السماك كما أمرتني ، قال : أدخِله ، فدخل ، فقال له :

(١) أوردت هذه الوصية في الجزء الثاني من ١٨٥ منزوعة إلى عبد الملك بن مروان كما أوردتها صاحب
المقد ، ويؤيد ذلك ما رواه الطبري - ج ٨ : ٣٧ - إذ يقول : « وفي سنة ٨٤ كانت غزوة عبد الله بن
عبد الملك بن مروان الروم ، ففتح فيها النصيحة - كسيفة - » وهزأها الجاحل إلى عبد الملك بن صالح كما ترى
في هذه الرواية . (٢) كان زاهداً عابداً حسن الكلام صاحب مروءة ، وهو كوفي ، قدم بغداد زمن
الرشيد فسكن بها مدة ، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ هـ .

عِظْنِي ، قال : يا أمير المؤمنين : اتَّقِ اللَّهَ وَخُذْ لَاشْرِيكَ لَهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ وَاقِفٌ غَدًا
بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ رَبِّكَ ، ثُمَّ مَصْرُوفٌ إِلَى إِحْدَى مَنَازِلَتَيْنِ ، لَا ثَالِثَةَ لَهَا : جَنَّةٌ أَوْ نَارٌ ،
فَبَكَى هَارُونَ حَتَّى انْخَضَّتْ ^(١) لَحْيَتُهُ ، فَأَقْبَلَ الْفَضْلُ عَلَى ابْنِ السَّمَاكِ ، فَقَالَ : سَبِّحَانَ اللَّهَ !
وَهَلْ يَصْخُلُ أَحَدًا شَيْءٌ فِي أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَصْرُوفٌ إِلَى الْجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؟ لَقِيلَ لَهُ
بِحَقِّ اللَّهِ ، وَعَدُّهُ فِي عِبَادِهِ ، وَفَضْلُهُ ، فَلَمْ يَحْفَلْ بِذَلِكَ ابْنُ السَّمَاكِ مِنْ قَوْلِهِ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ
وَأَقْبَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ هَذَا - يَعْنِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ -
لَيْسَ وَاللَّهِ مَعَكَ وَلَا عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَانْتَظِرْ لِنَفْسِكَ ، فَبَكَى هَارُونَ
حَتَّى أَشْفَقْنَا عَلَيْهِ ، وَأَنْفَخَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ ، فَلَمْ يَنْطَلِقْ بِحَرْفٍ حَتَّى خَرَجْنَا .

قال : ودخل ابن السماك على الرشيد يوماً ، فبينما هو عنده إذ استسقى ماءً ، فَأَتَتْهُ
يَقْلَقُهُ مِنْ مَاءٍ ، فَلَمَّا أَهْوَى بِهَا إِلَى فِيهِ لِيَشْرِبَهَا ، قَالَ لَهُ ابْنُ السَّمَاكِ : عَلَى رِسْلِكَ ^(٢)
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : بَقْرَاتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَوْ مُنِعَتْ هَذِهِ الشَّرْبَةُ ،
بِكَمْ كُنْتَ تَشْتَرِيهَا ؟ قَالَ : بِنِصْفِ مَلِكِي ، قَالَ : اشْرَبْ هُنَاكَ اللَّهُ ، فَلَمَّا شَرِبَهَا ، قَالَ لَهُ :
أَسَأَلْتُكَ بَقْرَاتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَوْ مُنِعَتْ خُرُوجَهَا مِنْ بَدَنِكَ ،
بِمَاذَا كُنْتَ تَشْتَرِيهَا ، قَالَ : بِكُلِّ مَلِكِي ، قَالَ ابْنُ السَّمَاكِ : إِنْ مُلِكَا قِيمَتُهُ شَرْبَةُ مَاءٍ
بِلَدِيرٍ أَوْ لَا يُنَاقَسُ فِيهِ ، فَبَكَى هَارُونَ ، فَأَشَارَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ إِلَى ابْنِ السَّمَاكِ بِالْأَنْصَرَفِ
فَانْصَرَفَ . (تاريخ الطبري ١٠ : ١١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٤٩)

الفتنة بين الأمين والمأمون

وفد الأمين إلى المأمون

لما عزم محمد الأمين على خلع أخيه عبد الله المأمون من ولاية العهد^(١)، كتب إليه كتاباً يستقدمه، ويحبب أن يكون يقربه. وكان المأمون على خراسان. ودفع الكتاب إلى العباس بن موسى، وإلى عيسى بن جعفر، وإلى محمد بن عيسى بن نهيك، وإلى صالح صاحب الصلّى، وأمرهم أن يتوجهوا به إلى المأمون، وألا يدعوا وجهاً من الذين والرفق إلا بلغوه، وسهّلوا الأمر عليه، (وذلك سنة ١٩٤ هـ) فوجهوا بكتابيه، فلما وصلوا إلى المأمون أذن لهم، فدفعوا إليه الكتاب، ثم تكلم العباس بن موسى:

٩٠ — خطبة العباس بن موسى

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الأمير: إن أخاك قد تحمّل من الخلة ثِقلاً عظيماً، ومن النظر في أمور الناس عِثّاً جليلاً، وقد صدّقت نيته في الخير، فأعوزم الوزراء والأعوان والسكّاة على العدل، وقليل ما يأنس بأهل بيته، وأنت أخوه

(١) ذكروا أن الفضل بن الربيع وزير الأمين، كان قد عاف المأمون، لما فعله منه موت الرشيد بطوس من إحصار جميع ما كان في صكره إلى الأمين، به أن كان الرشيد قد أشبه به المأمون، وطمأن أن الخلة إن أفضت إلى المأمون يوماً وهو حي لم يبق عليه، فحسن للأمين خلع المأمون والبيعة لآبته موسى - ولم يكن ذلك من رأى الأمين ولا عزمه - وافق مع الفضل جماعة على ذلك، قال الأمين إلى أهلهم، ثم إنه استشار هؤلاء أصحابه، فبهرو من ذلك وحذروه عاقبة قبلي ونسكت اليهود، وقالوا له: لا تجرى القواد على الفتك للأيمان وحمل الخلع فيهلكوك، فلم يلتفت إليهم، وقال إنه رأى الفضل بن الربيع، وفرح وخرج المأمون بهداهته إلى بغداد، فلم يتنخدع وكتب بطوس.

وشقيقه^(١) وقد فرغ إليك في أموره ، وأَمَلَكَ لِلوَاظِرَةِ وَالسَّكَافَةِ^(٢) ، وَلَسْنَا نَسْتَبِطُكَ فِي بَرِّهِ ، إِنَّمَا لِنَصْرِكَ لَهُ ، وَلَا نَخْشَى عَلَى طَاعَةِ ، تَخَوُّفًا خِلَافَكَ عَلَيْهِ ، وَفِي قُدُومِكَ عَلَيْهِ أُنْسٌ عَظِيمٌ ، وَصَلَاحٌ لِمَوْلَتِهِ وَسُلْطَانُهُ ، فَأَجِبْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ دَعْوَةَ أَخِيكَ ، وَآثِرِ طَاعَتَهُ ، وَأَعِزَّهُ عَلَى مَا اسْتَمَانَكَ عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ قَضَاءَ الْحَقِّ ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ ، وَصَلَاحَ الْعَمَلَةِ ، وَعِزَّ الْخِلَافَةِ ، عَزَمَ اللَّهُ لِلْأَمِيرِ عَلَى الرُّشْدِ فِي أُمُورِهِ ، وَجَمَلَ لَهُ الْخَيْرَةَ وَالصَّلَاحَ فِي عَوَاقِبِ رَأْيِهِ .

٩١ - خطبة عيسى بن جعفر

وَنُكَلِّمُ عِيسَى بْنَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، قَالَ :
« إِنَّا إِكْثَارٌ عَلَى الْأَمِيرِ - اللَّهُ ، اللَّهُ - فِي الْقَوْلِ خُرُوتٌ ، وَالْاِقْتِصَارُ فِي تَعْرِيفِهِ مَا يَجِبُ مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَصِيرٌ ، وَقَدْ غَابَ الْأَمِيرُ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَمْ يَسْتَفِئْ عَنْ قَرْبِهِ مَنْ شَهِدَ غَيْبَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلَا يَجِدُ عِنْدَهُ غَنًى ، وَلَا يَجِدُ مِنْهُ خَلْقًا ، وَلَا عِوَضًا ، وَالْأَمِيرُ أَوْلَى مَنْ بَرَّ أَخَاهُ ، وَأَطَاعَ إِمَامَهُ ، فَلْيَجْلِسْ الْأَمِيرُ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا هُوَ أَرْضَى وَأَقْرَبُ مِنْ مَوَاقِفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَحَبَّتِهِ ، فَإِنَّ الْقُدُومَ عَلَيْهِ فَضْلٌ وَحِظٌ عَظِيمٌ ، وَالْإِبْطَاءُ عَنْهُ^(١) وَكَفٌّ^(٢) فِي الدِّينِ ، وَضَرَرٌ وَمَكْرُوهٌ عَلَى السَّالِمِينَ » .

٩٢ - خطبة محمد بن عيسى بن نهيك

وَنُكَلِّمُ مُحَمَّدَ بْنَ عِيسَى بْنِ نَهْيَكٍ ، قَالَ :
« أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّا لَا تَزِيْمُكَ إِلَّا كَثَارٌ وَالتَّطَوُّيلُ فِيمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِحَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا نَشْعَدُ نِيَّتَكَ بِالْأَسَاطِيرِ وَأَنْتَلَطِبُ فِيمَا يُلْزِمُكَ مِنَ النِّظَرِ وَالْمَنَاقِبَةِ

(١) أَمَ وَلَهُ يَقَالُ لَمَّا مَرَّ بِهِ .

(٢) الْمَوَاقِفَةُ . (٣) لَمْ يَكُنْ يَلْهَى وَالْمَجُورُ وَالْمَغِيبُ . الْإِثْمُ .

بأمور المسلمين ، وقد أعوز أمير المؤمنين الكفاة والنصحاء بحضرته ، وتناولك فزعاً إليك في المونة والتقوية له على أمره ، فإن نجيب أمير المؤمنين فما دعاك إليه ، فمنة عظيمة يتلاقى بها رعييتك وأهل بيتك ، وإن تشدُّ يمين الله أمير المؤمنين عنك ، ولن يضمه ذلك مما هو عليه من البرِّ بك ، والاعتماد على طاعتك ونصيحتك .

٩٣ — خطبة صالح صاحب المصل

وتكلم صالح صاحب المصل ، قال :

« أيها الأمير : إن الخلافة ثقيلة ، والأعوان قليل ، ومن يَكِيد هذه المولة ، وينطوى على غشها ، والمائدة لأوليائها ، من أهل الخلاف والمصبة كثير ، وأنت أخو أمير المؤمنين وشقيقه ؟ وصالحُ الأمور وفسادها راجعٌ عليك وعليه ، إذ أنت وليُّ عهده ، والمشارك في سلطانه وولاياته ، وقد تناولك أمير المؤمنين بكتابه ، ووثق بمعاونتك على ما استعانك عليه من أموره ، وفي إجابتك إياه إلى القنوم عليه صلاح عظيم في الخلافة ، وأنس وسكون لأهل اللِّح والقمّة ، وفقَّ الله الأمير في أموره ، وقضى له بالذي هو أحب إليه وأضع له » .

٩٤ — خطبة المأمون

حمد الله المأمون ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« قد عرفتموني من حق أمير المؤمنين - أكرمه الله - مالا أنكره ، ودعوتوني من الموازنة والمونة إلى ما أوتره ولا أدفعه ، وأنا لطاعة أمير المؤمنين مقدّم ، والمساغة إلى ماسره ووافقه حريص ، وفي الروية تبيانُ الرأي ، وفي إعمال الرأي نُصحُ الاعتزام والأمر الذي دعاني إليه أمير المؤمنين أمرٌ لا أتأخر عنه تثبطاً ومدافعةً ، ولا أتهدم عليه

اعتسافاً وَعَجَلَةً ، وَأَنَا فِي ثَرٍّ^(١) مِنْ ثَمَرِ السَّالِينِ ، كَلِّبْ عَدُوَّهُ ، شَدِيدَ شَوْكَتِهِ ،
وإِنْ أَهْمَلْتُ أَمْرَهُ لَمْ أَمْنِ دُخُولَ الضَّرَرِ وَالْكَرْهِ عَلَى الْمَجْنُودِ وَالْمَرْعِيَّةِ ، وَإِنْ أَقَتَ عَلَيْهِ
لَمْ أَمْنِ قُوَّةَ مَا أَحَبَّ مِنْ مَعُونَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَازِرَتِهِ وَإِثَارَ طَاعَتِهِ ، فَانصَرِفُوا
حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِي ، وَيَصِحَّ الرَّأْيُ فَيَا أَعَزِّمُ عَلَيْهِ مِنْ مَسِيرِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ثم بعث معهم بكتاب إلى الأمين ، يسأله أَنْ يُفَيِّتَهُ مِنَ الشَّخْصِ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يُقَرِّه
عَلَى عَمَلِهِ ، إِذْ يَرَى أَنَّ ذَلِكَ أَكْثَرُ غَنَاءً عَلَى السَّالِينِ . (تاريخ الطبري ١٠ : ١٤٦)

٩٥ - وصية السيدة زبيدة لعل بن عيسى بن ماهان

وَكَيْتِي الشَّرَّ بَيْنَ الْأَخْوِيْنَ ، وَاسْتَظَارَ شَرَّهُ ، وَبَعَثَ الْأَمِينَ جَيْشًا كَثِيفًا بِقِيَادَةِ
عَلِيِّ بْنِ عِيْسَى بْنِ مَاهَانَ لِحَرْبِ الْمَأْمُونِ ، وَأَعَدَّ الْمَأْمُونُ لِقَائِهِ جَيْشًا بِقِيَادَةِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ
فَلَمَّا أَرَادَ عَلِيٌّ الشَّخْصَ إِلَى خُرَاسَانَ ، رَكِبَ إِلَى بَابِ السَّيِّدَةِ زُبَيْدَةَ^(٢) وَاللَّيْلَةَ الْأَمِينَ
فَوَدَّعَاهَا ، فَقَالَتْ لَهُ :

« يَا عَلِيُّ ، إِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنْ كَانَ وَلَدِي ، إِلَيْهِ تَنَاهَتْ شَفَقَتِي ، وَعَلَيْهِ
تَسَكَّطَلْتُ حِذْرِي ، فَلِئَلَّا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ مِنْ مَنَاطِقَةٍ مُشَفِّقَةٍ لِمَا يَحْدُثُ عَلَيْهِ مِنْ مَكْرُوهٍ وَأَذَى ،
وَإِنَّمَا ابْنِي مَلِكٌ نَافِسٌ أَخَاهُ فِي سُلْطَانِهِ ، وَغَلَّاهُ^(٣) عَلَى مَا فِي يَدِهِ ، وَالْكَرِيمُ يُوْا كُلَّ لَحْمٍ ،
وَيُحْيِيهِ غَيْرُهُ ، فَاعْرِفْ لِعَبْدِ اللَّهِ حَقَّ وَاللَّهِ وَأَخُوتهُ ، وَلَا تَجَنَّبْهُ^(٤) بِالْكَلَامِ ، فَإِنَّكَ
لَسْتَ نَظِيرَهُ ، وَلَا تَقْتَبِرُهُ^(٥) اقْتِسَارَ الْعَبِيدِ ، وَلَا تُرْهِقْهُ بِقَبْدٍ وَلَا غَلٍّ^(٦) ، وَلَا تَنْعَمْ
مِنْهُ جَارِيَةً وَلَا خَادِمًا ، وَلَا تَصْنَفْ عَلَيْهِ فِي السَّيْرِ ، وَلَا تَسَاوِرْهُ فِي الْمَسِيرِ ، وَلَا تَرْكَبْ قَبْلَهُ ،

(١) الثَّر: موضع الخائف من قروح اللفاف. (٢) هي السيدة زبيدة أم جعفر بنت جعفر بن المنصور
وليس في خلفاء بني العباس من أمه وأبوه هاشميان سواه .

(٣) فِي الْأَصْل: « غَلَّاهُ » وَأَرَادَ مَحْرَقًا مِنْ « غَلَّاهُ » ، غَارِبُهُ مَغَارَةٌ وَغَرَاءُ : لَا جَبَّةَ .

(٤) جَبَّهَ كَتَبَهُ : لَقِيَ بِمَا يَكْرَهُ . (٥) تَقَبَّرَ : اقْتَسَرَ . (٦) غَلٍّ : قَهْرٌ .

(٧) أَرَمَتْهُ : أَصْنَفَتْهُ ، وَفِي الْفَتْحِ : « وَلَا تَقْرَبْهُ » وَأَرَمَتْ : أَصْنَفَتْهُ أَيْهَا ، وَقَتْلُ : لَقَتْهُ .

ولا تستقل على دابتك حتى تأخذ بركابه ، وإن شئت فاحتل منه ، وإن سته عليك فلا تراده .

ثم دفعت إليه قيداً من فضة ، وقالت : إن صار في يدك فقئده بهذا القيد ، قال لها : سأقبل أمرك ، وأعمل في ذلك بطاعتك .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٨٩ ، والسنن ١٩٥)

٩٦ - وصية الأمين لابن ماهان

وخرج علي بن عيسى بن ماهان من بغداد (في ٧ من شعبان سنة ١٩٥ هـ) وخرج معه الأمين بشيعة ، وأقبل يوصيه ، قال :

« أمتنع جُنْدَكَ من العبث بالرعية ، والفارة على أهل القرى ، وقطع الشجر ، وابتهاك النساء ، وول الرئى يحيى بن علي^(١) ، واختم إليهم جنداً كثيراً ، وتمره ليدفع إلى جنده أرزاقهم مما يحى . من خراجها ، وول كل كورة رجل عنها رجلا من أصحابك ، ومن خرج إليك من جند أهل خراسان ووجوهها فأنظره إكرامه ، وأحسب جائزته ، ولا تعاقب أخاً بأخيه ، وضع عن أهل خراسان ربع الخراج ، ولا تأمن أحداً رماك بسهم ، أو طعن في أصحابك برمح ، ولا تأذن لعبد الله في اللقأ أكثر من ثلاثة أيام ، من اليوم الذي تظهر فيه عليه ، فإذا أشخصته ، فليكن مع أوثق أصحابك عندك ، فإن غره الشيطان فناصربك ، فاحرص على أن تأميره أمراً ، وإن هرب منك إلى بعض كورة خراسان ، فتول إليه للسير بنفسك ، أفهمت كل ما أوصيك به ؟ » .

قال : نعم ، أصاح الله أمير المؤمنين ، قال : سر على بركة الله وعونه .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٥)

(١) هو يحيى بن علي بن عيسى بن ماهان .

٩٧ - استهانة ابن ماعان بأمر طاهر بن الحسين

وخرج ابن ماعان ، فلما جاز حُلوان ، لَقِيَتْهُ القواقل من خُرَّاسان ، فكان يألما عن الأخبار ، فيقال له : إن طاهراً مقيم بالريّ ، يَعرِضُ أصحابه ، وَيُرمِي^(١) آلِهته ، فيضحك ثم يقول :

« وما طاهر ؟ فوالله ما هو إلا شوكة من أغصاني ، أو شرارة من نارى ، وما مثْلُ طاهر يتولّى على الجيوش ، ويلقى الحروب » ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : « والله ما بينكم وبين أن ينصف انقصاص الشجر من الريح الماصف ، إلا أن يبلغه غُبُورُنا عَقَبَةَ^(٢) هَمدان ، فإن السَّخال^(٣) لا تقوى على نِطاح الكِباش ، والتعالب لا صبر لها على لقاء الأسد ، فإن يُقيم طاهر بموضه يكن أول مَرَضٍ لِغُلَبَاتِ^(٤) السيوف وأسنة الرماح . وسار حتى صار فى أول بلاد الريّ ، وأتاه صاحب مقدّمته وقال : « لو كنت - أبى الله الأمير - أذ كُنتَ السيون ، وبشت الطلائع ، وارتدّت موضعا تُصْكر فيه ، ونخذل خندقاً لأصحابك يأمنون به ، كان ذلك أبلغ فى الرأى ، وآنس للجنّد » .

قال : « لا ، ليس مثْلُ طاهر يَسْتَعِدُّ^(٥) له بالمكايد والتحفّظ ، إن حال طاهر تتولّى إلى أحد أسرين ، إما أن يتحصّن بالريّ ، فَيَبْهَتَهُ^(٦) أهلها ، فيكفونا مَنُونته ، أو يُخْلِيها وَيُذِيرُ راجعاً لقرْبَت خيولنا وعساكرنا منه » .

وأناه يحيى بن على ، فقال : « اجتمع متفرّق السكر ، واحذر على جنّدك البيات ، ولا تسرّع الخليل إلا ومعا كفّ^(٧) من القوم ، فإن الماكر لا تُسأسُ بالتوانى ،

(١) يصلح . (٢) العقبة : مرق صعب من الجبال . (٣) السخال : جمع سخلة بالفتح : وهو ولد للفم ذكر أو أنثى . (٤) الغلابة : جمع غلب : وهو حد السيف . (٥) بهه كنه : أغله بغلة : قال تعالى : « بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ » ، وفى مروج الذهب : « ميب به » . (٦) الكف : الجماعة .

والهروب لا تدبّر بالاغترار ، والثقة أن تحترز ، ولا تقل : الحارب لي طاهر ، فالشرارة الخبيثة ربما صارت خيراً^(١) ، والثقة من السيل ربما اغتربها وتُهَوَّن ، فصارت بحراً عظيماً ، وقد قرئت عساكرنا من طاهر ، فلو كان رأيه الحرب لم يتأخر إلى يومه هذا . قال : اسكت ، فإن طاهراً ليس في هذا الوضع الذي ترى ، وإنما يصفظ الرجال إذا بقيت أقرانها ، وتستمد إذا كان النأوى^(٢) لما أكفأها ونظرأها .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٠ ، وروج للخطب ٢ : ٢٩٩)

٩٨ - حزم طاهر وقوة عزمه

وعسكر طاهر على خمسة فراسخ من الرمي ، وأتاه محمد بن القلاء ، فقال : « أيها الأمير ، إن جنلك قد هابوا هذا الجيش ، وامتلات قلوبهم خوفاً ورعباً منه^(٣) ، فلو آتيت بمكانك ، ودافعت القتال إلى أن يشأمهم^(٤) أصحابك ، ويأتسوا بهم ، ويصرفوا وجه المأخذ في قتالهم » ، قال :

« لا ، إني لأوتى من قلة تجريرة وحزم ، إن أصحابي قليل ، والقوم عظيم سوادهم ، كثير عددهم ، فإن دافعت القتال ، وأخرت الناجزة ، لم آمن أن يطلِّموا على قلتنا وعورتنا ، وأن يستميلوا من معي برغبة أو رهبة ، فينفر عني أكثر أصحابي ، ويخذلني أهل الحفاظ والصبر ، ولكن ألف الرجال بالرجال ، وألهم^(٥) الخليل بالليل ، وأعتمد على الطاعة والوفاء ، وأصير صَبْرَ مُحْتَسِبٍ للخير ، حريص على الفوز بفضل الشهادة ، فإن

(١) الضرام : اتصال النار في الحلفاء وغيرها ، ودقائق الخطب التي يسرع الاتصال لئلا تبه .

(٢) النأوى .

(٣) وكانت عدة عسكر ابن ماهان حينئذ ألفاً ، وذكر بعض أهل بغداد أنهم لم يروا عسكرياً كان أكثر رجلاً وأمره كراماً ، وأظهر سلاخاً ، وأمّ عدة ، وأكل هيئة من عسكرة ، وروى أن طاهراً كان في أقل من أربعة آلاف . (٤) شاماً وتغلباً : ثم أحدهما الآخر ، والآخر اغتربها .

(٥) أي أفرأ الخليل بالليل ، من لولهم وألحت الحرب فالتصمت ، والمسلم يضم اليه ويقع الحاد للمسلم بالقوم ، ولاحم القوم بالتي : ألقته به .

يَرْزُقُ اللَّهُ الْفَقْرَ وَالْفَلَاحَ^(١) ، فَذَلِكَ الَّذِي نَزِدُ وَرَجُو ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى فَلَسْتُ
أَوَّلَ مَنْ قَاتَلَ قَتُلًا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ أَجْزَلُ وَأَفْضَلُ » . (تاريخ الطبري ١٠ : ١٥١)

٩٩ — طاهر يشد عزيمة جده

وَكَتَبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ كِتَابِيَّةً ، وَكَرَّدَسَ كَرَادِيْسَهُ^(٢) ، وَسَوَّى صَفُوْفَهُ ،
وَجَعَلَ يَمْرُ بَقَاؤُ قَاؤُ ، وَجَاعَةً جَاعَةً ، فَيَقُولُ :

« يَا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ، وَأَهْلَ الْوَفَاءِ وَالشُّكْرِ ، إِنْكُمْ لَسْتُمْ كَهَوْلَاءِ الَّذِينَ تَرَوْنَ مِنْ
أَهْلِ النَّسَكِ وَالْفِدْرِ ، إِنْ هَؤُلَاءِ ضَيَّعُوا مَا حَفِظْتُمْ ، وَصَفَّرُوا مَا عَظَّمْتُمْ ، وَنَكَبُوا
الْإِيمَانَ الَّذِي رَعَيْتُمْ ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُونَ الْبَاطِلَ ، وَيَقَاتِلُونَ عَلَى الْفِدْرِ وَالْجَهْلِ ، أَصْحَابُ سَلْبٍ
وَنَهَبٍ ، فَلَوْ قَدْ غَضَضْتُمْ الْأَبْصَارَ ، وَأَثْبَتُّمُ الْأَقْدَامَ ، قَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَفَضَحَ عَلَيْكُمْ أَبْوَابَ
عِزِّهِ وَنَصْرِهِ ، فَجَاهِدُوا طَوَائِغَ الْفِتْنَةِ ، وَيَعَاسِبِ النَّارَ^(٣) عَنْ دِينِكُمْ ، وَدَافِعُوا بِحَقِّكُمْ
بِاطِلَهُمْ ، فَإِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ وَاحِدَةٌ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ » .

وَنَشِبَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَدَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى جَيْشِ ابْنِ مَاهَانَ وَقُتِلَ^(٤) .

وَوَجَّهَ الْأَمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ لِحَرْبِ طَاهِرٍ جَيْشًا بِقِيَادَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبَلَةَ ، فَهَزَمَ
وَقُتِلَ أَيْضًا . (تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٢)

(١) الفوز الفخر .

(٢) الكراديس جمع كراديسه بالضم : وهي القطعة المنقطة من الخيل وكرديس الخيل جعلها كنية كنية .

(٣) الطوائف جمع طائفة : وهو الشيطان وكل رأس نفاق ، واليهاب جمع يسوب : وهو الرهيب

الكبير . (٤) روى أن علي بن جهم ورد إلى الأمين وهو على الشط يصيد السمك ، فقال الله

أخبره : هؤلاء دعي ، فإن كثرنا قد اصطاد سمكتين ، وأنا ما اصطدت شيئاً به — وكان كثر غلما

نسيا له وكان يحبه .

١٠٠ — وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين

وندب أسد بن يزيد بن مزيد لقتال طاهر

وبث الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن بن جبلة إلى أسد بن يزيد بن مزيد ، قال : فأتيته ، فلما دخلت عليه وجدته قاعداً في صحن داره ، وفي يده رُقعة قد قرأها ، واحمرت عيناه ، واشتد غضبه ، وهو يقول :

« ينام نوم الظربان^(١) ، وينتبه انتباه الذئب ، همته بطنه ، ولذته فرجه ، لا يفكر في زوال نعمته ، ولا يروى في إمضاء رأى ولا مسكيدة ، قد ألماه كأسه ، وشغلته قدحه ، فهو يجرى في لهوه ، والآيام تُسرّع^(٢) في هلاكه ، قد شمرَّ عبدُ الله عن سافه ، وفوق له أصيب^(٣) أسهمه ، يرميه على بعد الدار بالحلف النافذ ، والموت القاصد^(٤) ، قد عيى له المنايا على متون الخليل ، وناط^(٥) له البلاء في أسنة الرماح ، وشغار السيوف . ثم استرجع وتمثل بأبيات للبيحيث^(٦) ، ثم التفت إلى فقال :

« يا أبا الحارث ، إنا وإياك لنجرى إلى غاية ، إن قهرنا عنها ذُئبنا ، وإن اجتهدنا في بلوغها انقطعتنا ، وإعما نحن شعب من أصل ، إن قوى قوتنا ، وإن ضُفَّ ضُفُّنا ، إن هذا قد ألقى بيده إلقاء الأمتة الوكفاء^(٧) ، يشاور النساء ، ويعتمد على الرؤيا . وقد أسكن أهل اللهو والخسارة من سمعه ، فهم يعدُّونه النفر ، ويمثونهُ عقب^(٨) الآيام ،

(١) الظربان : دوية فوق جرد الكلب مثقنة للريح كثيرة الفسوخ ، يضرب بها المثل فيقال : « أفسى من ظربان » . (٢) في الأصل « تفرح » وأراه محرفاً . (٣) أصيب : أفضل من صاب لسم يصيب صهياً : أي أصاب ، وسم صيوب كصبور . (٤) القاصد أي المكسر ، من قصد بالفتح : هو المكسر بأي وجه كان ، أو بالقصد : كالقصيد ، يقال قصه الحقة وقصدها : كسرهما وفصلهما فقصصت . (٥) عيى : هو عداش بن بشر الحاشي ، أحد شعراء الدولة الأموية ، وكان يهاجى جريراً . (٦) وصف من ألوكند بالتحريك : وهو الإثم والسيئ والتقصير ، وكنت كنفرك إذا أثم ، وفي رواية الطبري « الركام » بالعين ، وهي الحماة . (٨) العقب كقفل وحقق : العاقبة .

والهالك أسرع إليه من السيل إلى قيمان^(١) الرمل ، وقد خَشِيتُ وأَقْرَبْتُ أَنْ يَهْلِكَ
بِهَلَاكِه ، ونَطَبَ بَطْلَانِهِ .

وَأَتَى غَارِسُ الْعَرَبِ وَابْنَ ظَرْمِهَا ، وَقَدْ قَرَعَ إِلَيْكَ فِي قَاءِ هَذَا الرَّجُلِ (ظَاهِر) ،
وَأَحْمَسُهُ فَيَا قَبْلَكَ أَمْرَانِ ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَعِدَّتُكَ طَاعَتِكَ ، وَفَضْلُ نَصِيحَتِكَ ؛ وَالثَّانِي يُبَيِّنُ
قَبِيلَتَكَ^(٢) ، وَشِدَّةَ بَأْسِكَ ، وَقَدْ أَمَرَنِي بِإِزَاحَةِ عِلَّتِكَ ، وَبِشَطْرِ يَدِكَ فَيَا أَحَبِّيتَ ، غَيْرَ
أَنْ الْاِقْتِصَادَ رَأْسَ النَّصِيحَةِ ، وَمِفْتَاحَ الْيَمِينِ وَالْبَرَكَةِ ، فَأَنْجِزْ حَوَائِجَكَ ، وَجَمِّلِ الْمُبَادَرَةَ
إِلَى عَدُوِّكَ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَلِّكَ اللَّهُ شَرَفَ الْفَتْحِ ، وَيُطْمِئِنِّ بِكَ شَعَثُ هَذِهِ الْخِلَافَةِ وَالْمَوْلَةِ .
فَأُجَابُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ طَلَبُ مُطَالِبٍ لَمْ تَرُقْ فِي عَيْنِ الْأَمِينِ فَغَضِبَ عَلَيْهِ ؛
وَأَمَرَ بِسَجْنِهِ .
(تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٨ و زهر الآداب ٢ : ١٥٨)

١٠١ - وصية الأمين لأحمد بن مزيد

ثم ندب عه أحمد بن مزيد ، فلما أراد الشخص دخول على الأمين ، قال : أوصني
أكرم الله أمير المؤمنين ، قال :

« أوصيك بِخِفَالِ عِدَّةٍ ، إِيَّاكَ وَالْبَنِي فَإِنَّهُ عَقَالٌ^(١) النَصْر ، وَلَا تَقْدُمُ رِجْلًا إِلَّا
بِاسْتِخَارَةٍ ، وَلَا تَشْهَرُ سَيْفًا إِلَّا بَعْدَ إِعْذَارٍ ، وَمِمَّا قَدَّرْتَ عَلَيْهِ بِالْبَنِي ، فَلَا تَعُدَّهُ إِلَى
إِلَى انْتَرَاقِ الشَّرِّهِ ، وَأَحْسِنِ ضَعْفَاءَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْجُنْدِ ، وَطَالِعْنِي بِأَخْبَارِكَ فِي كُلِّ
يَوْمٍ ، وَلَا تَخَاطِرْ بِنَفْسِكَ فِي طَلَبِ الرِّقَّةِ^(٢) عِنْدِي ، وَلَا تَسْتَعْمَلْهَا فَيَا تَخَوُّفَ رَجُوعَةٍ عَلَى ،
وَكُنْ لِمُعِدَّةِ اللَّهِ أَحَقَّ مَصَافِيًا ، وَقَرِينًا بَرًّا ، وَأَحْسِنِ بِمَجَامَعَتِهِ ، وَصَحْبَتِهِ وَمَعَاشَرَتِهِ ، وَلَا تَحْذُلْهُ إِنْ
اسْتَنْصَرَكَ ، وَلَا تَبْطُلْ عَنْهُ إِذَا اسْتَصْرَخَكَ ، وَلَتَكُنْ أَيْدِيكَ^(٣) وَاحِدَةً ، وَكَلِمَتُكَ مُتَّفِقَةً . »

(١) القيمان جمع قاع : وهو أرض مطبنة سهلة قد انفردت عنها الجبال والآكام .

(٢) الرقبة : النسي والحليقة . (٣) العقول الأصل : الجبل الذي تقيد به الدابة .

(٤) الرقعة والرقن : القرية . (٥) أي أنت وعبد الله بن حميد بن قسيلة .

وتوجه أحد بن مزيّد في عشرين ألفاً من الأعراب ، وعبد الله بن حديد بن قحطبة في عشرين ألفاً من الأبناء ، حتى نزلا خاتين - قريباً من حلوان - ولم يزل طاهر يمتثل في وقوع الاختلاف والشك بينهم ، حتى اختلفوا ، وانتفض أمرهم ، وقاتل بعضهم بعضاً ، فأخذوا خاتين ورجموا عنها ، دون أن يَقْرأوا طاهراً .
(تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٩)

١٠٢ - مقال عبد الملك بن صالح للأمين

وكان عبد الملك بن صالح يشكر للأمين غلبة سبيله ، ويوجب بذلك على نفسه طاعته ونصيحته ، فلما قوى طاهر ، واستولى أمره ، وهزم من هزم من قواد الأمين وجبوشه ، دخل عبد الملك على الأمين ، قال :

« يا أمير المؤمنين : إني أرى الناس قد طمئعوا فيك ، وأهل المسكرين قد اعتمدوا ذلك ، وقد بذلت سماحتك ، فإن تمتّ على أمرك أفدّتهم وأبترتهم ، وإن كفتّ أمرك عن المطا ، والبذل أشدّ ظنهم وأغضبّتهم ، وليس تملك الجنود بالإمساك ، ولا يبق ثبوت الأموال على الإنفاق والتّرف ، ومع هذا فإنّ جنك قد رعبّتهم الهزائم ونهكتهم ، وأضعفهم الحرب والوقائع ، وامتلات قلوبهم هبة لدوم ، ونكسوا^(١) عن لقائهم ومناهضتهم ، فإن سيرتهم إلى طاهر ، غلبت بقليل من معه كثيرهم ، وهزم بقوة نيته ضعف نصائحهم ونياتهم ، وأهل الشام قوم قد ضرّستهم^(٢) الحروب ، وأدبّتهم الشدائد ، وجلّهم متقاد إلى ، مسارع إلى طاعتي ، فإن وجهي أمير المؤمنين اتخذت له منهم جنداً يعظم نكابتهم في عدوه ، ويؤيد الله بهم أوليائه وأهل طاعته . »

قال الأمين : « فإنّ موليك أمرهم ، ومقويك بما سألت من مال وعدّة ، فجلّ

(١) جينا وعرفا . (٢) جربتهم واسكتهم .

الشخص إلى ما هنالك ، فاعمل عملا يظهر أثره ، ويُمجّد بركته ، رأيك ونظرك فيه إن شاء الله ، فولاة الشام والجزيرة .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦١ ، والحكايل لابن الأثير ٦ : ١٠٣)

١٠٣ - الشعب في جيش عبد الملك بن صالح

وسار عبد الملك بن صالح ، فلما قدّم الرقّة^(١) ، كتب إلى رؤساء أجناد الشام ووجوه الجزيرة ، فلم يبق أحد من يُرْسِخ ، ويدكر بأسه وغناؤه إلا وعدّه ، وبسط له في أمّله وأمنيته ، قدّموا عليه رئيساً بعد رئيس ، وجماعة بعد جماعة ، فكان لا يدخل عليه أحد إلا أجازّه ، وخلع عليه وحمله ، فأتاه أهل الشام ، الزوّاقيل والأعراب من كل فج ، واجتمعوا عنده حتى كثروا ، بيّد أنه شبت ثار الفتنة بين جند أهل خراسان وبين الزوّاقيل^(٢) ، وأفضى الأمر إلى تلاحمهم والقتالهم ، ثم قام رجل من أهل حصص ، قال : « يا أهل حصص ، المرّب أهون من المطبّ ، واللوت أهون من الذل ، إنكم بعدتم عن بلادكم ، وخرجتم من أقاليمكم ، ترجون الكثرة بعد القلة ، والعزة بعد الذلّة ؛ ألا وفي الشر وقسم ، وإلى حومة اللوت أنختم ، إن لنايا في شوارب المسوودة^(٣) وقلانسهم ، النفير النفير^(٤) قبل أن ينقطع السبيل ، وينزل الأمر الجليل ، وضوت المطبّ ، ويمسّر المذهب ، ويبعد العمل ، ويقترّب الأجل » .

وقام رجل من كلب ، فقال :

« يا معشر كلب ، إني أراية السوداء ، والله ما ولت ولا عدكت ، ولا ذلّ

(١) بلدة على الفرات . (٢) وسببها أن بعض جنده أهل خراسان نظر إلى دابة كانت قد أخذت منه في إحدى القرمات تحت بعض الزوّاقيل ، فخلق بها ، فجرى الأمر بينهما إلى أن اغتلفا ، واجتمعت جماعة من الزوّاقيل والجنّة فقتلوا ، وأمان كل فريق منهم صاحبهم ، ثم اتسع نطاق الفتنة فاشتدت وحدة الجيش . (٣) كانت الجنود الخراسانية التي تقاتل الأعراب في سبيل نشر الدعوة الميمنية يحملون الرايات السود فسموا من أجل ذلك المسوودة . (٤) نشر إلى الأمر كضرب نفيرا : أسرع إليه .

نصرها ، ولا ضُفَ ولتِها ، وإنكم لتعرفون مواقع سيف أهل خراسان في رقابكم ، وآثار أسفنتهم في صدوركم ، اعتزلوا الشرق قبل أن يعظم ، وتخطوه قبل أن يضطرم ، شامكم ، داركم داركم ، الموت الفلستطيف خير من العيش الجزري ، ألا وإني راجح فن أراد الانصراف فلينصرف معي .

ثم سار وسار معه عامة أهل الشام ، وأقبلت الزواجيل حتى أضرموا ما كان يُجمع من الأعلاف بالنار ، (وكان ذلك في سنة ١٩٦ هـ) . (تاريخ الطبري ١٠ : ١٩٣)

١٠٤ — خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان

يدعو إلى خلع الأمين

ومات عبد الملك بن صالح بالرقعة ، وكان معه الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ، فأهمل الجند من الجزيرة إلى بسنداد ، فلقاه أهلها بالكرامة والتعظيم ، وضربوا له القباب ، واستقبله القواد والرؤساء والأشراف ، ثم اجتمع إليه الناس فقام فيهم فقال :

« يا معشر الأبناء ، إن خلافة الله لا تجاوز بالبطر ، ونعمه لا تستصحب بالتعبر والتكبر ، وإن عمداً يريد أن يؤنخ^(١) أدبانكم ، وينكث ببيعكم ، ويفرق جمعكم ، وينقل عزكم إلى غيركم ، وهو صاحب الزواجيل بالأسس ، والله إن طالت به مدة ، وراجحه من أمره قوة ، ليرجعن وبال ذلك عليكم ، وليمزن ضرره ومكروهه في حولكم ودعوتكم ، فاقطعوا أمره قبل أن يقطع آثاركم ، وضعوا عزه قبل أن يضع عزكم ، فوالله لا ينصره منكم ناصر إلا خذل ، ولا يمنعه مانع إلا قتل ، وما عند الله لأحد هودة ، ولا يراقب على الاستخفاف بمهوده ، وألحنت بأيماناه » .

وخلع الحسين بن علي عمداً الأمين وحبه^(٢) ، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٩٣)

(١) أوتق ديه بالإثم : فُتِده ، وأوتقه الله : أطلقه .

(٢) وكان جسر الحسين مع الأمين في قصر أبي جعفر يرمين .

١٠٥ - خطبة محمد بن أبي خالد

في فض الناس عن اتباع الحسين بن علي بن عيسى

فلما أصبح الناس من الند ، طلبوا من الحسين بن علي الأرزاق ، وماج الناس بعضهم في بعض ، وقام محمد بن أبي خالد ، فقال :

« أيها الناس ، والله ما أدرى ، بأي سبب يتأمر الحسين بن علي علينا ، ويتولى هذا الأمر دوننا ؟ ما هو بأكبرنا سبباً ، ولا أكرمنا حسباً ، ولا أعظمتنا منزلةً ، وإن فينا من لا يرضى بالدينية ، ولا يقاد بالخداعة ، وإني أولكم ، تقض عهده ، وأظهر التغيير عليه ، والإنكار لعمله ، فمن كان رأيي رأيي ، فليعتزل معي . »

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٦)

١٠٦ - إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة

وقام أسد الحرابي ، فقال : « يا مشر الحربية ، هذا يوم له ما بعده ، إنكم قد نتمتم وطال نومكم ، وتأنختم قدّم عليكم غيركم ، وقد ذهب أقوامٌ يذكركم خلع محمد وأمره فاذهبوا بذكر فككم وإطلاقه . »

فأقبل شيخ كبير من أبناء الكفاية على فرس ، فصاح بالناس : استكثوا ، فاستكثوا ، فقال :

« أيها الناس ، هل تستوثقون على محمد بقطع منه لأرزاقكم ؟ قالوا : لا ، قال : فهل قصر يأخذ منكم ، أو من رؤسائكم وكبرائكم ؟ قالوا : ما علينا ، قال : فهل عزل أحداً من قوادكم ؟ قالوا : ماذا الله أن يكون فعل ذلك ، قال : فما بالكم خذلتوه ، وأعنتم عدوه على اضطهاده وأسره ؟ أما والله ما قتل قومٌ خليفتهم قط ، إلا سلط الله عليهم السيف القاتل ، وألحف الجوارف ، انهضوا إلى خليفتكم وادفعوا عنه ، وقاتلوه من أراد خلعهم والفتك به . »

قتهضوا معه وقاتلوا الحسين بن علي وأصحابه قتالا شديداً ، وأكثروا في أصحابه الجراح ، وأسروا الحسين ، ودخل أسد الخواري على محمد فكسر قيوده وأقصده في مجلس الخلافة .

وأثنى الأمين بالحسين بن علي ، فلامه على خلافه وقال له : ألم أقدم أباك على الناس ، وأولاه أعنة الخيل ، وأملأ يده من الأموال ، وأشرّف أقدارك في أهل خراسان ، وأرفع منازلكم على غيركم من القواد ؟ قال : بلى ، قال : فما الذي استحققت به منك أن تخلع طاعتي ، وتؤلب الناس علي ، وتندبهم إلى قتالي ؟ قال : الثقة بسفوف أمير المؤمنين وحسن الظن بصفحه وقضيه ، قال : فإن أمير المؤمنين ، قد فعل ذلك بك ، وولاك الطلب بئارك ، ومن قُتل من أهل بيتك ، ثم دعا له بخمسة ، غلما عليها ، وحمله على مراكب ، وأمره بالسير إلى حلوان ، وخرج الحسين ، فهرب في نفر من خدمه ومواليه ، فنادى محمد في الناس ، فركبوا في طلبه فأدركوه وقتلوه . (تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٤)

١٠٧ - خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين

وقام داود بن عيسى^(١) وإلى مكة والمدينة - وكان خطيباً فصيحاً جهوري الصوت - يدعو إلى خلع الأمين ومبايعة المأمون ، فقال :

(١) هو داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان الأمين حين أفضت الخلافة إليه يثب به ولها على مكة والمدينة ، فأقام ولها عليها حتى دخلت سنة ١٩٦ ، فكتب الأمين إلى داود بن عيسى يلزمه بخلع عبد الله المأمون ، والبيعة لابنه موسى ، ويحث إلى الكتائب الذين كان قرشيتهما وملقهما في الكعبة ، فأعلمهما ، فلما فعل ذلك جمع داود حشبة الكعبة والقرشين والفتية ، ومن كان شهد على ماضي الكتائب من القهود - وكان داود أحدهم - فقال داود : قد علمت ما أخذ علينا وعليكم قرشي من العهد والميثاق ، عند بيت الله الحرام ، حين بايعنا لابنك لتكون مع المظلوم منها على الظالم ، ومع المبني عليه على المبني ، ومع المندور به على القادر ، فقد رأينا ورأيتهم أن يحدوا (الأمين) ثم بدأ بالظلم والبيح والقدر على أخويه عبد الله المأمون ، والفتية الموقنين ، وغلماها ، وبايع لابنه القتل وضع صغير لم يظلم ، واستخرج القرشين من الكعبة عاصياً ، فصرتها بالنار ، وقد رأيت غلما ، وأن أبليج فيه الله المأمون بالثلاثة ، إذ كان مظلوماً منها عليه ، فذل له أهل مكة : وأبنا تبع لرايك ، ونحن عاصوه منك ، فجمع الناس ، وخطبهم هذه الخطبة .

« الحمد لله مالك للكل ، يُؤتي للكل من يشاء ، وَيَنْزِعُ للكل من يشاء ، وَيُزِيهِ من يشاء ، وَيُزِيلُ من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالدين ، وختم به النبيين ، وجعله رحمةً للعالمين ، صلى الله عليه في الأولين والآخرين .

أما بعد ، يا أهل مكة ، فأتتم الأصل والفرع ، والشيرة والأُسرة ، والشركاء في النعمة ، إلى بلدكم بَيْدَ وَفَدِ اللَّهِ ^(١) ، وإلى قبلكم يأتهم للسُّلُون ، وقد عَلِمَ ما أخذ عليكم الرشيد هرون ، رحمة الله عليه وصلاته ، حين بايع لابنيه محمد وعبد الله بين أظهركم من العهد والميثاق ، لَتَنْصُرُنَّ المظلوم منها على الظالم ، والبنى عليه على الباغى ، والمفذور به على الفادر ، ألا وقد علمتم وعلمنا أن محمد بن هرون قد بدأ بالظلم والبنى ، والفدر ، وخالف الشروط التي أعطاهما من فسه في بطن البيت الحرام ، وقد حَلَّ لنا ولكم خلفه من الخلافة وتصييرها إلى المظلوم البنى عليه ، المفذور به ، ألا وإنى أشهدكم أنى قد خلعت محمد بن هرون من الخلافة ، كما خلعت قلنسوتي هذه من رأسى وخلعت قلنسوته عن رأسه ، فرمى بها إلى بعض الخدم تحته ، وكانت من بُرُودٍ حَبْرَةٍ ^(٢) مسلسلة حمراء ، وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فلبسها - ثم قال : قد بايعت لعبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافة ، ألا تقوموا إلى البيعة لخليفتكُمْ ، فصعد جماعة من الوجوه إليه إلى المنبر رجل فرجل ، فبايعه لعبد الله المأمون بالخلافة وخلع محمداً .

(تاريخ الطبرى ١٠ : ١٧٠)

(١) أى لتأدية فريضة الحج . (٢) برود حبرة : ضرب من البرود الباهية ، يقال : برد حبرة مثل حبة حل القوص والإضافة ، وبرود حبرة ، وليس حبرة موشماً أو شيئاً معلوماً ، إنما هو رضى كقولك : ثوب قمرى ، والتميز : صبغة .

١٠٨ - خطبة الأمين وقد تولى الأمر عنه

ولما رأى الأمين الأمر قد تولى عنه ، وأنصاره يتسلّون فيخرجون إلى طاهر ، أمر بإحضار كل من كان معه في المدينة من التواد والجند ، فأشرف عليهم وقال :
 « الحمد لله الذي رفع ويضع ، ويُعطي ويمنع ، وَيَقْبِض وَيَسْط ، وإليه المصير ، أحده على نوائب الزمان ، وَخِذْلَانِ الأعوان ، وَتَشَقَّتِ الرجال ، وَذَهَابِ الأموال ، وَحُلُولِ التَّوَانِبِ ، وَتَوَقُّدِ المصائب ، حمداً يَذْخُرُ لِي به أَجْزَلُ الجزاء ، وَبِرَفْدِي ^(١) أَحْسَنُ القزاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كما شهد لنفسه ، وشهدت له ملائكتُه ، وأن محمداً عبده الأمين ، ورسوله إلى المسلمين صلى الله عليه وسلم ، آمين رب العالمين .

أما بعد : يا معشر الأبناء ، وأهل السُّبْقِ إلى الهدى ، قد علِمَ غَفْلَتِي كانت أيام الفضل بن الربيع وزيراً عليّ ومشير ، فادَّت ^(٢) به الأيام بما كُرِمَني به من الندامة في الخاصة والعامة ، إلى أن نَبْهَتُونِي فَأَنْتَبْتُ ، واستمتمتوني في جميع ما كَرِهَتم من غيبي وفيكم ، فبذلتُ لَكُمْ ما حوَاهُ مُلْكِي ، ونالته مقدرتي بما جَمَعْتُ وَوَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي قَوَدْتُ ^(٣) من لم يَمْزُ ، واستكفيتُ من لم يَكْفِ ، واجتهدت - عِلْمُ اللهِ - في طلب رضاكم بكل ما قَدَرْتُ عليه ، واجتهدت - عِلْمُ اللهِ - في مَسَاقِي في كل يوم ما قَدَرْتُمْ عليه ، من ذلك توجيحي إليكم عليّ بن عيسى شيخكم وكبيركم ، وأهل الرأفة بكم ، والتحنُّنِ عليكم ، فكان منكم ما يطول ذِكْرُهُ ، ففرتُ الذَّنْبَ ، وأُحْصِيتِ واحتملت وعزَّيتُ غُيْبِي عند مرفقي بشنوذ النقر ، وحرصت على مُقَامِكُمْ مَسْلُحَةً ^(٤) بِحُلُولِ مع ابن كبير صاحب دعوتكم ، وَمَنْ عَلَى يَدِي أَيْهَ ^(٥) كَانَ نَفْرَكُمْ ، وبه تَمَّتْ طَاعَتُكُمْ

(١) وقد وارتد : أبطأ . (٢) طارعه وأساءه . (٣) أي أَتَلَّاهُ تَلَّأ .

(٤) المسلحة : القوم فخور سلاح .

(٥) ومن جاءه الله بن حبه بن تسليمة ، وهو خطبة بن شبيب اللخمي ، أحد القادة البغية والقواد

لذين قاتلوا المهدي الأُموي - انظر الجزء الثاني ص ١٢٠

عبد الله بن حميد بن قحطبة ، فصرتم من التائب عليه إلى مالا طاقة له به ، ولا صبر عليه ، يقولكم رجل منكم وأنتم عشرون ألفاً إلى عظيم ، وعلى سيدكم متوثبين ، مع سعيد الفرد ، سامعين له معطين ، ثم وثبتم مع الحسين على ، فغلمتموني وشتمتموني ، وأتهبتموني وحسبتموني وقيدتموني ، وأشياء منتموني من ذكرها ، حقد قلوبكم ، وتلكي^(١) طاعتكم أكبر وأكثر ، فالحمد لله حمد من أسلم لأمره ، ورضي بقدره ، والسلام .

وكانت عاقبة أمره أن قتل سنة ١٩٨ هـ وحل رأسه إلى المأمون بخراسان .
(تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٥ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٠٥)

١٠٩ - استعطاف الفضل بن الربيع للمأمون

وقال المأمون للفضل بن الربيع^(٢) لما غفر به : « يا فضل ، أكان من حق عليك وحق آباؤي ونعمهم عند أتيك وعندك أن تثلبني^(٣) وتبني وتعرض على دمي ؟ أحب أن أفعل بك ما فعلته بي ؟ » .

قال : « يا أمير المؤمنين ، إن عذري يُعقدك إذا كان واضحاً جليلاً ، فكيف إذا حفته^(٤) العيوب ، وقبحته الذنوب ، فلا يضيق عني من عفوك ما وسع غيري منك فأنت كما قال الشاعر^(٥) فيك :

صَفُوحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ مِنْ الْعَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ نَجْرًا :
وَلَيْسَ يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى إِذَا مَا الْأَذَى لَمْ يَنْشَأْ بِالْكَرْهِ شُكْرًا .
(زهر الآداب ٢ : ١٦٢)

(١) مبدل عن تلكد . (٢) توفي سنة ٢٠٨ . (٣) ظله كسريه : لانه وعابه .

(٤) مكال في الأصل ، وربما كان « أغضه » لقوله قيل : « إذا كان واضحاً » .

(٥) هو الحسن بن وجد بن أبي القسحك .

١١٠ - خطبة طاهر بن الحسين بغداد بعد مقتل الأمين

ودخل طاهر بن الحسين بغداد يوم الجمعة بعد قتل الأمين ، فعلى بالناس وخطبهم خطبة بليغة ، وقد حضره من بني هاشم والقواد وغيرهم جماعة كثيرة قال :

« الحمد لله مَالِكِ الْمَلِك ، يُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُ لَكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُمِرُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا يَصْلِحُ عَمَلُ الْفَاسِدِينَ ، وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ، إِنْ ظَهَرَ غَلَبَتْنَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْدِينَا وَلَا كَيْدِنَا ، بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ لِلْخَلَاقَةِ ، إِذْ جَعَلَهَا عِمَاداً لِدِينِهِ ، وَقَوَاماً لِعِبَادِهِ ، وَضَبَطَ الْأَطْرَافَ ، وَتَدَكَّرَ الثَّمُورَ ، وَإِعْدَادَ الْمُدَّةِ ، وَجَمَعَ الْقُوَّةَ ، وَأَعَاذَ الْحُكْمَ ، وَنَشَرَ الْقَدْلَ ، وَإِحْيَاءَ السُّنَّةِ بَعْدَ إِذْ بَالَ الْبَطَالَاتُ ، وَالتَّلَذُّ بِمُوقِ الشَّهَوَاتِ ، وَالْخُلُودُ إِلَى الدُّنْيَا مُسْتَحْسِنٌ لِدَاعِي غُرُورِهَا ، مُحْتَلِبٌ دِرَّةً ^(١) نَيْمِهَا ، أَلْفَ زَهْرَةٍ رَوْضَتِهَا ، كَلَفٌ بَرُوقٌ بِهِجَتِهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ وَفَاءِ مَوْعِدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ بَنَى عَلَيْهِ ، وَمَا أَحَلَّ بِهِ مِنْ بَأْسِهِ وَنَقْمَتِهِ . لَمَّا نَكَبَ ^(٢) عَنْ عَهْدِهِ ، وَارْتَكَبَ مَعْصِيَتَهُ ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ ، وَغَيَّرَ نَاهِيَةَ ، وَعَظَّمَتْهُ مُؤَدَّبَةً ، فَمَسَكُوا بِلِقَائِهِ عَصَمٍ ^(٣) الطَّاعَةَ ، وَاسْتَسْكَوْا سَبِيلَ الْجَمَاعَةِ ، وَاحْذَرُوا مَصَارِعَ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ ، الَّذِينَ قَدَحُوا زِنَادَ الْفِتْنَةِ ، وَصَدَعُوا شَعْبَ الْأَلْفَةِ ، فَأَعْقَبَهُمُ اللَّهُ خَسَارَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

(تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٩ ، والمقتدر ٢ : ١٥٥)

(١) الدرة : اللين .

(٢) عدل .

(٣) جمع عصام ككتاب ، وعصام القربة : وإطاعا وسفروا الذي يحمل به .

خطب المأمون . (توفي سنة ٨٢١٨ هـ)

١١١ - خطبته وقد ورد عليه نعي الرشيد

خطب الناس بمرو حين ورد عليه نعي الرشيد ، قال :
« إن ثمرة الصبر الأجر ، وثمره الجزع الوزر ، والتسليم لأمر الله عز وجل ، فائدة جليلة ، ونجاة مريحة ، فالموت حوضٌ مورود ، وكأس مشروب ، وقد أتى على خليفكم ما أتى على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، فما كان إلا عبداً دعي فاجاب ، وأمر فاطاع ، وقد سدد أمير المؤمنين ثلثه ، وقام مقامه ، وفي أعناقكم من العهد ما قد عرفتم ، فأحسنوا القراء على إمامكم الماضي ، واغتنبطوا بالنعماء والوفاء في خليفكم الباقي ، ي أهل الدنيا : الموت نازل ، والأجل طالب ، وأمس واعظ ، واليوم منتقم ، وغد منتظر » .

١١٢ - خطبته وقد سلم الناس عليه بالخلافة

ولما بلغه بخراسان قتل أخيه ، وأقبل الناس للتسليم عليه بالخلافة ، صعد المنبر ، حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال :

« أيها الناس : إني جعلت لله على نفسي ، إن أسترعاني أموركم أن أطيعه فيكم ، ولا أسفك دماً عذراً لا تحله حدوده ، وتنفعك فرائضه ، ولا آخذ لأحد مالا ، ولا أثاثا ، ولا نخلة^(١) تحرم على ، ولا أحكم يهودي ، في غصب ولا رضاي ، إلا ما كان

(١) نخلة : أصله والاسم النخلة .

في الله وله ، جعلت كلُّه لله عهداً مؤكداً ، وميثاقاً مُشدداً ، إلى أنِّي رغبة في زيادته
إيائي في نعمتي ، ورهبة من سألته إيائي عن حقه وخلقه ، فإنَّ غيَّرتُ أو بدلتُ كنتُ
للغيرِ مستأهِلاً ، وللتكامل مُترعاً ، وأعوذ بالله من سخطه ، وأرغب إليه في المَعونة على
طاعته ، وأنَّ يحول بيني وبين معصيته .

١١٣ — خطبته يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجب على خلقه ، أحمد وأستعينه ، وأؤمن
به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولتُكره للشركون ،
أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده ، والعمل لما عنده ، والتجنُّز لوعده ، والخوف
لوعيده ، فإنه لا يَسْلَمُ إلا من اتقاه ورجاه ، وعمل له وأرضاه ، فاتقوا الله
عباد الله ، وبادروا أعمالكم بأعمالكم ، وابتاعوا ما يبقى بما ينزل عنكم ، وترحلوا قد
جدَّ بكم ، واستعدوا للموت فقد أغلَّكم ، وكونوا قوماً صيِّح بهم فانتبهوا ، وعلموا أن
الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا ، فإنَّ الله لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم سُدىً ، وما بين
أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموتُ أن ينزل به ، وإن غايةَ تنقُّصها اللحظة ، وتهدُّمها
الساعة الواحدة ، لجذيرةٍ بقصر المدة ، وإن غائباً يحدُّوه ^(١) الجديدان : الليل والنهار
تُحرى بسرعة الأوبة ، وإن قادمًا يُحُلُّ بالفوز أو بالشقوة مستحقٌّ لأفضل المدة ، فاتق
عبد ربَّه ، ونصح نفسه ، وقَدِّم توبته ، وغلب شهوته ، فإنَّ أجله مستور عنه ، وأمله
خادع له ، والشيطان موكل به ، يزين له المصيبة ليركبها ، ويمنيَّ التوبة ليسوئها ، حتى
تهجم عليه منيته ، أغفل ما يكونُ عنها ، فيالها حسرة على ذى غفلة ، أن يكون عمره
عليه حجةً ، أو تؤدِّيه أيامه إلى شقوة ، نسأل الله أن يحمِلنا وإياكم من لا تُبطِّره نعمة ،

ولا تقمّر به عن طاعته غفلة ، ولا تحلّ به بعد الموت قرعة . إنه سميع الدعاء ، ويسد الخبر ، وإنه قال لما يُريد . (عون الأعمام ٢ : ص ٢٥٢ ، والفتح القريب ٢ : ١٤٨)

١١٤ - خطبه يوم الأضحي

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظم حرّمته ، ووفّق له من خلقه صفوته ، وأبلى فيه خليفه ، وفدى فيه من الذّبح نبيه ، وجعله خاتم الأيام الملوّات من العشر ، ومتقدّم الأيام المعدودات من النّثر^(١) ، يوم حرام ، من أيام عظام ، في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن بتعظيمه ، قال الله جل وعز : « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، فَكَلُوا مِنْهَا ، وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ، ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ، وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ، وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُقْتَلُ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ^(٢) » .

فقرّبوا إلى الله في هذا اليوم بذبائحكم ، وعظّموا شعائر الله ، واجعلوها من طيب أموالكم ، وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : « لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَدِمَاوَاهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ^(٣) » ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي والوصية

(١) يوم النثر : اليوم الذي ينثر فيه الناس من منى ، وهو بعد يوم القر (يوم القتر بالفتح : اليوم الذي بعد يوم النحر ، لأن الناس ينثرون في منازلهم) .

(٢) وجالا : أي مشقة ، جمع واجل كقائم وقيام ، - وحل كل ضامر : أي وركبانا على كل ضامر ، أي بغير مهزول ، يأتين : أي للضواير ، صفة لضامر حلال على المعنى ، من كل فج عميق : أي طريق بعيد ، ليشهدوا منافع لهم : دينية ودنيوية ، في أيام معلومة : أي مشرفة المحبة ، وقيل : أيام النحر : من بهيمة الأنعام : الإبل والبقر والغنم التي تنحر للضحايا ، ثم ليقتضوا تفثهم : أي يزهلوا أوساخهم وشعثهم من نحو نصوص الأظفار ، وخلق العانة ، وغير ذلك . (٣) أي يرض الله بكم العمل الصالح .

بالتقوى ، ثم قال بعد ذكر الجنة والنار ، عَظُمَ قدرُ العارِين ، وارتفع جزاءُ الصَّالِحِينَ^(١) ، وطالت مدةُ الفرَجَيْنِ ، أَلْفُ أَلفَةٍ ، فَوَافَقَهُ إِنَّهُ أَجْلُدُ لَآ أَلْعَبَ ، وإِنَّهُ الْحَقُّ لَا الْكُذْبَ ، وما هو إِلَّا اللُّوتُ والبَئْثُ ، والمِيزَانُ والحِسابُ والقِصَاصُ والصرَاطُ ، ثم العقابُ والثوابُ ، فنَجا يَوْمُئِذٍ قَدْ فَازَ ، ومن هَوَى يَوْمُئِذٍ قَدْ خَابَ ، الخيرُ كُلُّهُ فِي الْجَنَّةِ ، والشرُّ كُلُّهُ فِي النَّارِ .
(ميون الأعيان ٢ : ص ٢٥٤ ، والفتح للقرطبي ٢ : ١٤٨)

١١٥ - خطبته يوم الفطر

قال بعد التكبير والتحميد : إِنْ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمَ عِيدٍ وَسَنَةٍ ، وَابْتِهَالٍ وَرَغْبَةٍ ، يَوْمَ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَافْتَتَحَ بِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، لَجْمَلَةِ خَاتِمَةِ الشُّهُرِ ، وَأَوَّلِ أَيَّامِ شُهُورِ الْحَجِّ ، وَجَعَلَهُ مُعَقِّبًا لِمَفْرُوضِ صَوْمِكُمْ ، وَمُتَتَّفِعًا لِقِيَامِكُمْ ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ ، وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ، فَاطْلُبُوا إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَكُمْ ، وَاسْتَغْفِرُوا لِمَنَافِعِكُمْ ، فَإِنَّهُ يَقَالُ : « لَا كَبِيرَ مَعَ اسْتَغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ » ثُمَّ التَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ ، وَذَكَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى ، ثُمَّ قَالَ : فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَبَادِرُوا الْأَمْرَ الَّذِي أُعْتَدِلَ فِيهِ بَيِّنَتُكُمْ ، وَلَمْ يَحْتَفِرْ^(٢) الشُّكُّ فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ ، وَهُوَ اللُّوتُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا تُسْتَقَالُ بِعَمُو عَتْرَةٍ ، وَلَا تُحْفَرُ قَبْلَهُ تَوْبَةٌ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ إِلَّا دُونُهُ ، وَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ إِلَّا أَوْفَقُهُ ، وَلَا يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ وَعَلَزِهِ^(٣) وَكَرْبِهِ . وَلَا يَبِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَغُلْفَتِهِ ، وَضِيْقِهِ وَوَحْشَتِهِ ، وَهَوْلِ مَطَامِهِ وَمَسْأَلَةِ مَلَائِكَتِهِ ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ اللُّوتِ قَدَمُهُ ، قَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ ، وَفَاتَتْهُ اسْتِقَالَتُهُ ، وَدَعَا بَيْنَ الرَّجْمَةِ إِلَى مَا لَا يُجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَذَلَ مِنَ الْفِيْذِيَةِ مَا لَا يَقْبَلُ مِنْهُ ، فَاللَّهُ أَفْظَرُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَكَوْنُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْمَةَ فَأَعْطَوْهَا ، إِذْ مِنْهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ،

(١) لِي مِنْ الْخَيْرِ وَعَمَلِ الْقُرَى . (٢) يَحْفِرُ .

(٣) الْعَزْزُ : مَا يَصِيبُ الرِّجْسَ مِنْ حَتْفَةِ حَتْفَةِ اللُّوتِ مِنْ رَحْمَةِ وَاسْطِرْطَابِ .

فإنه ليس يتمنى التفتيمون قبلكم إلا هذا للهلال البسوط لكم ، واحذروا ما حذركم الله ،
واقفوا اليوم الذي يجمعكم الله فيه لوضع موازينكم ، ونشر صغفكم المحافظة لأعمالكم ،
فلينظر عبد ما يَصْعُ في ميزانه مما يتقَلُّ به ، وما يُعَلِّ^(١) في صحيفته المحافظة لما عليه وله ،
قد حكي الله لكم ما قال الفرطلون عندها ، إذ طال إعراضهم عنها ، قال : « وَوَضِعَ
الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ، مَا لِهَذَا الْكِتَابِ
لَا يُبَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ
أَحَدًا » ، وقال : « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ^(٢) لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ،
وَأِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ » ، ولست أنها كم عن
الدنيا بأعظم مما نهتكم الدنيا عن نفسها ، فإن كل ما بها ينهى عنها ، وكل ما فيها يدعو
إلى غيرها ، وأعظم مما رآته أعينكم من مجانبها ذم كتاب الله لها ، ونهى الله عنها ،
فإنه يقول : « فَلَا تَهْرُسْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَفْرَسْكُمْ^(٣) بِأَقْدَمِ التَّرْوَرُ » ، وقال :
« إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ . . . الْآيَةُ » ، فاتصفوا بمعرفكم بها ، وإخبار الله عنها ،
واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها ، وجانبوا خدائنها ،
وآثروا طاعة الله فيها ، فأدركوا الجنة بما تركوا منها .

(ميون الأهلوم ٢ : ص ٢٥٥ ؛ ولقد القرية ٢ : ١٤٨)

١١٦ — خطبة ابن طباطبا العلوي

وخطب محمد^(١) بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبائي بن الحسن بن الحسن بن
علي بن أبي طالب ، حين انتهب قائد جيوشه أبو السرايا السريُّ ابن منصور قصر
المبلس بن موسى بن عيسى ، قال :

(١) مل . (٢) القسط : العدل : مصدر وصف به السالفة أو قبلت القسط .

(٢) خرج بالكوفة لشغل عترة من جملة الآخرة سنة ١٩٩ هـ يدعو إلى الفرض من آل محمد ، والصل
والكتاب والسنّة ، وكان القيم يأمره فجهز الحرب ، فطاعة جيوشه أبا السرايا السري بن منصور وكان سببه
خروجه منصرف المأمون طهر بن الحسين مما كان إليه من أعمال البلدان التي انصهرت ، وتوجهه إلى ذلك الحين =

« أما بعدُ : فإنه لا يزال يبتلنى أن القاتل منكم يقول : إن بنى العباس قبة لنا ، ونحوضُ في دماهم ، وتزترع في أموالهم ، ويُقبل قولنا فيهم ، وتصدق دعوانا عليهم ، حكم بلا علم ، وعزَم بلا روية ! عجباً لمن يُطلق بذلك لسانه ، ويحدث به نفسه ! أكتباب الله تعالى حكم ، أم لِسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أتبع ؟ أرى متى (١) معه طيس ، أم بسطَ يدي له بالجوهر أثل ؟ هيهات ! فازدوا الحق بما نوى ، وأخطأ فوالباطل بما تمخى ، حق كل ذى حق في يده ، وكل مُدَّعٍ على حجة ، وقيل لمن اغتصب حقاً ، وادعى باطلاً ، أفلح من رضى بحكم الله ، وخاف من أرغم الحق الله ، العذلُ أولى بالأثرة وإن رَغِمَ الجاهلون ، حق لمن أسر بالمروف أن يحضب المنكر ، ومن سلك سبيل العدل أن يصير على مرارة الحق ، كل نفس تسو إلى همتها ، ونعم صاحبُ القناعة .

أيها الناس ، إن أكرم العبادَةِ الورع ، وأفضل الزادِ التقوى ، واعملوا في دنياكم ، وتزوّدوا الآخِرَتكم ، اتقوا الله حقَّ تَعَاتِيهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وإياكم والصبابة وَحِيَّةُ الجاهلية ، فإنهما يَحْتَقَنُ الدين ، ويورثان النفاق ، ولا تَمَوتُوا عَلَى الْإِيمِ وَالْمُذْوَنِ ، يَصْلُحْ لَكُمْ دينكم ، وتحسنُ القالة فيكم . الحق أبلغ ، والسبيل منهج ، والباطل لَجَلَجٌ (٢) ، والناس مختلفون ، ولكلٌّ في الحق سَمَةً ، من حَارَبَنَا حَارَبَنَا ،

— ابن سهل ، فلما فعل ذلك تحدث الناس بالعراق أن الفضل بن سهل قد غلب على المؤمنين ، وأنه قد أزاله قسراً . سببه فيه من أهل بيته ، ووجوه قواده من الخاصة والعامة ، وأنه يوم الأيووب على هواه ، ويستبد بالملك بعده ، لنفسه ذلك بالعراق من كان بها من بني هاشم ، ووجوه الناس ، وأنفوا من طلبة الفضل على المؤمنين ، وأجبروا على الحسن بن سهل بذلك ، وحاجت القنن في الأمصار ، فكان أول من خرج بالكوفة ابن طياها المذكور ، فوجه إليه الحسن بن سهل زهير بن المصيص في عشرة آلاف فواقهم فهزموه واستباحوا عسكره ، فلما كان من غد اليوم الذي كانت فيه الوقعة (وذلك يوم الخميس ليلة غلت من رجب سنة ١٩٩) مات ابن طياها شهيداً . وذكر أن أبا السرايا سمع ، وذلك أن ابن طياها لما أحرز ما في عسكر زهير منه أبا السرايا ، وحضره عليه ، وكان الناس له مطيعين ، فلم أبو السرايا أنه لا أمر له به نفسه .

(١) في الأصل : « أن مثل » وهو تعريف ، والصواب ما ذكرته .

(٢) أبلغ : أي واضح بين . والمخرج الطريق الواضح ، والباطل الجليح : أي يوقد فيه صاحبه فلا يصيب غيره .

وَمَنْ سَأَلْنَا سَأَلْنَاهُ ، وَالنَّاسُ جَمِيعًا آمِنُونَ إِلَّا رَجُلًا نَصَبَ لَنَا قَضَاهُ ، وَأَعَانَ عَلَيْنَا بِمَالِهِ .
وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ : وَرَجُلٌ قَالَ فِينَا يَقْتَابِلُ مِنْ أَعْرَاضِنَا : قُلْتُ ، وَكُنِيَ ، حَسْبُ كُلِّ
أَمْرٍ مَا يَصْنَعُهُ ، وَسَيُكْفِي الظَّالِمُونَ » . (موسم الأدب ٢ : ١١٢)

١١٧ - استعطاف إبراهيم بن المهدي المأمون

لما ظفر المأمون بجمه إبراهيم بن المهدي^(١) أمر بإدخاله عليه ، فجىء إبراهيم
يَحْجُلُ^(٢) في قيوده ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال له
المأمون : لا سلم الله عليك ، ولا حَفِظَكَ ، ولا رعاك ، ولا كَلَاكَ^(٣) يا إبراهيم ، فقال
له إبراهيم : على رِسْلِكَ^(٤) يا أمير المؤمنين ، ولي^(٥) النارُ مُحْكَمٌ في القصاص ، والمَقْوُ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، ومن مدَّ له الاعتزاز في الأمل ، هَجَمَتْ به الأناة على التَّفَنُّ^(٦) وقد
أصبح ذنبى فوق كل ذنب ، كما أن عفوك فوق كل^(٧) عفو ، فإن تعاقبَ فَبِحَقِّكَ ،
وَإِنْ تَفَّ فَبِفَضْلِكَ » ، ثم قال :

ذَنبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
نَحْذُ بِحَقِّكَ أَوْ لَا فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي ضَالَى مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

فأطرق المأمون ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : إني سأؤتو أبا إسحق^(٨) والعباس

(١) كان المأمون قد عهد بالخلافة لعل قرطاس بن موسى الكاظم ، فلما سمع العباسيون ببشاده (وكان المأمون
موجوداً حاضرة عراسان) ما فعله المأمون من نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي ، أنكروا منه ذلك
وعلموه من الخلافة ، وبأبوا عنه إبراهيم بن المهدي سنة ٢٠١ هـ ، ولما علم المأمون بذلك جد في السير إلى بغداد ،
وحرب عنه إبراهيم وتوابعه .

(٢) حبيل المتعب كعرب ونصر : رفع رجلاً ، وترى في محله حل وجهه .

(٣) كَلَاكَ : حرمه . (٤) المهل والقلعة . (٥) صاحبه .

(٦) وفي رواية : « ومن تناول الاعتزاز بما دله من أسباب الفرار ، أمن ملوكة القهر » .

(٧) وفي رواية : « وقد أصبحت فوق كل ذنب ذنب ، كما أصبح كل ذي عفر دونك » وفي أخرى
موتك جعلك الله فوق كل ذي ذنب ، كما جعل كل خضعت دونك .

(٨) أبو إسحق هو الخصم أخو المأمون ، والعباس هو ابن المأمون .

في تلك فأشارا على به ، قال : فاقلتَ لها يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلتُ لها : بدأنا له بإحسان ، ونحن نستأمره فيه ، فإن غيّر الله بغير ما به ، قال : أما أن يكونا قد نصحاك في عِظَم قدر الملك ، وما جرّت عليه عادةُ السياسة قد فعلا ، ولكن أيت أن تستجلب النصر إلا من حيثُ عَوَدك الله ، ثم استمير بأكيّا ، فقال له المؤمنون : ما يُسْكِك ؟ قال : جَدَلًا ، إذ كان ذنبي إلى من هذه صِفته في الإصنام ، ثم قال : يا أمير المؤمنين إنه وإن كان جُرْمِي يبلغُ شَتك دمي ، فلم أمير المؤمنين وهضبه بيلغانقي عفوه ، ولي بعدها شفاعةُ الإقرار بالذنب ، وَحُرْمَةُ الأبِ بعد الأب ، قال المؤمنون : « اقلدرة تذهب الخليفة »^(١) ، والندم تَوْبَةٌ ، وعفوه الله بينهما ، وهو أكبر ما يتأول ، يا إبراهيم : لقد حَبِيتُ إلى العفو ، حتى خِفْتُ أن لا أُوجَرَ عليه ، أما لو عَلِمَ الناس ما لنا في العفو من اللذة ، لتقربوا إلينا بالجنايات ، لا لتُريب^(٢) عليك ، بغير الله لك ، ولو لم يكن في حق نسبك ما يبلغُ الصفح عن زَلَّتْكَ ، لبلَّغْتُ ما أملتُ حسنَ توصُّفك ، ولطيف تنصُّفك » ، ثم أمر بردَّ ماله وضياعه ، فقال :

رَدَدْتَ مَالِي ، وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبِلَ رَدُّكَ مَالِي قَدْ حَقَّقْتَ دَمِي
فَأَبْتُ مِنْكَ - وَمَا كَفَأْتَنِي - بِيَدِ هَا الْحَيَاتَانِ مِنْ وَفَرَوْ مِنْ عَدَمِ^(٣)
وَقَامَ عَلَيْكَ بِي فَاحْتِجْ عِنْدَكَ لِي مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمِ
فَلَوْ بَدَأْتُ دَمِي أَبْغِي رِضَاكَ بِهِ وَالْمَالُ ، حَتَّى أَسْأَلَ النَّمَلَ مِنْ قَدَمِي
مَا كَانَ ذَاكَ حَيَوَى عَارِيَةٍ رَجَعَتْ إِلَيْكَ ، لَوْ لَمْ تَهَيِّئْهَا كُنْتُ لَمْ تَلَمْ

(الأدب : ٩ : ٥٧ ، والقدح للبريد : ١ : ١٤٢ ، الأمال : ١ : ٢٠٢ ، وزهر الأدب : ٣ : ١٩١)

(١) الخليفة : الغضب ، وفي رواية الأدهم أن هذه الجملة من قول إبراهيم بن الهيثم .

(٢) تريب : كسبة .

(٣) لا نوم .

١١٨ - إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطيب

تنزع إبراهيم بن المهدي هو وبختيشوع الطيب بين يدي أحمد بن دؤاد القاضي ، في مجلس الحكم ، في عقار بناحية السواد^(١) ، فرزى عليه^(٢) ابن المهدي ، وأغلظ له بين يدي أحمد بن دؤاد ، فأحفظه^(٣) ذلك ، قال : يا إبراهيم إذا نازعت أحداً في مجلس الحكم ، فلا أعلن أنك رفضت عليه صوتاً ، ولا أشرت بيد ، وليكن قصدك أتما^(٤) ، وطريقك نهجاً^(٥) ، ويرغك ساكنة ، وكلامك مقتديلاً ، ووف بمجالس الحكومة حقوقها ، من التوقير والتعظيم والاستكانة والتوجه إلى الواجب ، فإن ذلك أشبه بك وأشكلُ لذهبك في تحتدك^(٦) ، وعظيم خطرِكَ^(٧) ؛ ولا تعجل ، قرب مجلّة تهب ريثماً^(٨) ، والله ينعصك من الزلل ، وخطأ القول والعمل ، ويتم نعمته عليك كما أتممّا على أبويك من قبل ، إن ربك حكيم عليم .

قال إبراهيم : « أصلحك الله أمرت بسداد ، وحضضت على رشاد ، ولست بعائذ إلى ما ينل^(٩) مَرُوءتي عندك ، ويُسقطني من عينك ، ويُخرجني من مقدار الواجب إلى الاعتذار ، فهأنأ معتزلاً إليك من هذه البادرة ، اعتذار مُقرّ بذنبي ، باخج بحرمة^(١٠) ، فإن الفضب لا يزال يستغزني بموآده ، فبردتني مثلك بعلمه ، وتلك عادة الله عندنا منك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقد وهبت حق من هذا المقار لبختيشوع ، فليست ذلك اليوم يقول^(١١) بأرش^(١٢) الجناية ، ولم يَلَفْ مالاً أفاد موعظة ، وبالله التوفيق .

(الفتحة لفريد : ٢٧ ، وزهر الآداب : ١ : ٢٢٢)

(١) سواد العراق ، والقار : كل ملك تلج له أصل كالدار والفحل ، والجمع عقارات .
(٢) ما به . (٣) أنضبه . (٤) الأم : انقصة الوسط . (٥) وانسأ .
(٦) أسلك . (٧) قدرك . (٨) إبطاء . (٩) يجب وينقص . (١٠) مقر .
(١١) يذبه ويرج . (١٢) الأرض : القبة .

١١٩ - استعطاف إسحاق بن العباس المأمون

وقال المأمون لإسحاق بن العباس : « لَا تَحْسَبْنِي أَغْلَتْ بِإِجْلَابِكَ مَعَ ابْنِ الْهَدْيِ ، وَتَأْيِيدِكَ لِأَبِيهِ ، وَإِقَادِكَ لِأَنَارِهِ ، قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَرَّحِي أَمْسُ مِنْ أَرْحَامِهِمْ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ كَأَنَّ يَوْسُفَ لِإِخْوَتِهِ : « لَا تَغْرِبْ » ^(١) عَلَيْنَا الْيَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » ، وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ وَارِثٍ لِهَذِهِ اللَّيْنَةِ ، وَتُمَثِّلُ ^(٢) خِلَالَ الْمَعْرِ وَالْقَضَلِ » .

قال : هيئات ! تلك أجرام جاهلية عفا عنها الإسلام ، وجُرْمُكَ جَرْمٌ فِي إِسْلَامِكَ ، وَفِي دَارِ خِلَافَتِكَ . قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ لَقَسْلِمُ أَحَقُّ بِإِقَالَةِ الْقَتْرِ ، وَغُفْرَانِ الرَّزَّةِ مِنَ الْكَافِرِ ، هَذَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْضَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » فَعَى لِلنَّاسِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سُنَّةٌ دَخَلَ فِيهَا الْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ ، وَالشَّرِيفُ وَالْمَشْرُوفُ » قَالَ : صَدَقْتَ ، اجْلِسْ ، وَرَبِّتْ بِكَ زِنَادِي ، وَلَا بَرَحْتُ أَرَى مِنْ أَهْلِكَ أَمْثَالَكَ . (المقتدر ١ : ١٤٢ ، وزمر الآداب ٢ : ١٩٢)

١٢٠ - أحد وجوه بغداد يمدح المأمون حين دخلها

لما دخل المأمون بغداد ، تلقاه وجوه أهلها ، فقال له رجل منهم : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَقْدَمِكَ ، وَزَادَ فِي نِعْمَتِكَ ، وَشَكَرْتُكَ عَنْ رِعِيَّتِكَ ، تَقَلَّعْتُ مِنْ قَبْلِكَ ، وَأَتَعَبْتُ مِنْ بَعْدِكَ » ^(١) ، وَأَيْسَتْ أَنْ يُعَايَنَ مِثْلَكَ ، أَمَا فَيَا مَضَى فَلَا نَفْرَهُ ،

(١) لا نوم - (٢) اضطر طريقه : تبعها فلم يجد ما .

(٣) إذ أنه يجهد أن يلحق بك فلا يستطيع .

وأما فيما بقي فلا ترجوه ، فنحن جميعاً ندعوك ، ونفخ عليك ، خصب لنا جنابك .
وعذب ثوابك ، وحسنت نظرك ، وكرمت مقدرتك ، جبرت الفقير ، وفككت
الأسير ، فإنك يا أمير المؤمنين كما قال الأول :

مازلت في البذل والنوال وإطلاق لسان بجرمه غلق^(١)
حتى تمتى البراء أنهم عندك أسرى في القيد والحلق^(٢)

(القهة لقرنه ١ : ١٢٧)

١٢١ - أحد أهل الكوفة يمدح المأمون

وقدم وفد من الكوفة إلى بغداد ، فوقفوا للمأمون فأعرض عنهم ، فقال شيخ
منهم : « يا أمير المؤمنين : يدك أحق يد بتقيل ، لمؤاها في الكارم ، وبُعدها من
الآثم ، وأنت يوسف الغفر في قلة التريب ، من أراك بسوء جله الله حصيد سيفك ،
وطريد خوفك ، وذليل دولتك » ، قال ياعمرؤ : نعم الخطيب خطيبهم ، أقض حوائجهم .
(مروج الذهب ٢ : ٢١٩)

١٢٢ - محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي المأمون

ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض ضياعهم ، فقال :
« يا أمير المؤمنين ، محمد بن عبد الملك بين يديك ، ربيب دولتك ، وسكيل نعمتك ،
وعُضُن من أخصان دوحك^(١) ، أتأذن في الكلام ؟ قال نعم ، قال : « أَسْتَمِنَحُ اللهَ
حِياطة دينا ودنيانا ، ورعاية أدنانا وأصنانا ببقائك ، ونسأله أن يرید في عرك من
أعمارنا ، وفي أثرك من آثارنا ، وَيَقْبِكَ الأذى بأسماعنا وأبصارنا ، هذا مقام المأذ
بفضلك ، المارب إلى كِنَفِكَ وظللك ، الفقير إلى رحمتك وعدلك » ، ثم تكلم في حاجته ،
فرضاها .
(القهة لقرنه ١ : ١٢٦)

(١) الحاف : الأمير ، والظن : أسله من خلق الرمن إذا استصفه المرتين ، وذلك إذا لم يفتكك في الوقت
المفروض .
(٢) الجراء ككروم جمع برى .
(٣) القدر : الشجرة العظيمة .

١٣٣ — الحسن بن سهل يمدح المأمون

وقال الحسن بن سهل^(١) يوماً للمأمون :

« الحمد لله يا أمير المؤمنين على جزيل ما آتاك ، وسقى ما أعطاك ، إذ قسم لك الخلافة ، ووهب لك معها الحجة ، ومكنك بالسلطان ، وحلّاه لك بالعدل ، وأيدك بالفقر ، وشفّعه لك بالعرف ، وأوجب لك السعادة ، وقرّنها بالسيادة ، فمن فُيِّح^(٢) له في مثل عطية الله لك ؟ أم من ألبسه الله تعالى من زينة اللواهب ما لبسك ؟ أم من ترادفت نعمة الله تعالى عليه ترادفها عليك ؟ أم هل حاولها أحدٌ وارتبطها بمثل محاولتك ؟ أم أي حاجة بقيت رعيّتك لم يجدوها عندك ؟ أم أي قيمٌ للإسلام اتّصت إلى عنايتك ودرّجتك ؟ تعالى الله تعالى ، ما أعظم ما حصّ القرون الذي أنت ناصيرُهُ ، وسبحان الله ! أيُّ نعمة طبّقت^(٣) الأرض بك إن أدّى شكرها إلى بارئها والنعم على العباد بها ؟ إن الله تعالى خلق السماء في فلّسكها ضياءً يستنير بها جميع الخلائق ، فكل جوهر زها حسنهُ ونوره ، فهل ليستَ زينةُته إلا بما اتّصل به من نورك ؟ وكذلك كل وليٍّ من أوليائك ، سيّد بأفضاله في دولتك ، وحسنت صنائعه عند رعيّتك ، فإنما نالها بما أيّدته من رأبك وتديروك ، وأسعدته من حسنك وحقورك . »

(زهر الآداب ٢ : ٢٠٠)

١٣٤ — يحيى بن أكرم يمدح المأمون

وقال المأمون ليحيى بن أكرم^(١) : صف لي حالى عند الناس ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، قد اتّحدت لك الأمور بأزمّتها ، وملّكتك الأمة فضولاً

(١) وُزِر المأمون بعد أخيه الفضل بن سهل ، وتزوج المأمون ابنته يوران ؟ وتوفى سنة ٢٣٦ هـ .

(٢) أي وسع . (٣) ملأت وامت ، والاستعظام العظيم .

(٤) من ولد أكرم بن يحيى الجهمي ، وكان فليها ملكاً بالفتح يسيّر بالأحكام ، وقد غلب على المأمون ؛ حتى لم يطمع أحدٌ منه من الناس شيئاً ؛ وقدّله فضل القضاء ، وتدهير أهل مملكته ؛ فكانت هوزراء لا تتصل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مشاورة يحيى بن أكرم ؛ وتوفى سنة ٢٤٦ هـ ؛ وعمره ٨٣ سنة .

أَعْنَتَهَا ، بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ ، وَالْهَبَةِ لَكَ ، وَالرَّفَقِ مِنْكَ ، وَالْعِيَاذَ بِكَ ، بِمَدْلِكَ فِيهِمْ ، وَمِنْكَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى لَقَدْ أَنْسَيْتَهُمْ سَلَفَكَ ، وَأَيَسْتَهُمْ مِنْ خَلْفِكَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَنَا بِكَ بَسَدِ الْقَطْلِ ، وَوَفَعَنَا فِي حَوْلِكَ بِسَدِ التَّوَاضُعِ .

قال : يا يحيى ، أتحبباً أم لرتجالاً ؟ قال : قلت : وهل يمتنع فيك وصف ، أو يتمر على مادحك قول ، أو يُفحَم فيك شاعر ، أو يتلجلج فيك خطيب ؟
(الصناعتين ص ١٠)

١٣٥ - أحمد بنى هاشم والمأمون

أذنب رجل من بنى هاشم ذنباً ، فَعَنَفَهُ المأمون ، قال :
« يا أمير المؤمنين من كانت له مثلُ دالتي ، وَلَيْسَ شَوْبَ حُرْمَتِي ، وَمَتَّ يَمِثْلُ قِرَابَتِي ، غُفِرَ لَهُ فَوْقَ زَلَّتِي » فَأَعْجَبَ المأمونَ كَلَامُهُ وَصَفَحَ عَنْهُ .
(الأمل ٢ : ١٣٦ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٩)

١٣٦ - رجل يتظلم إلى المأمون

وتظلمَ رجل إلى المأمون من عامل له فقال :
« يا أمير المؤمنين ، ما تَرَكَ لِي فِضَّةً إِلَّا فُضَّهَا ، وَلَا ذَهَباً إِلَّا ذَهَبَ بِهِ ، وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا ^(١) ، وَلَا ضَيْمَةً إِلَّا أَضَاعَهَا ، وَلَا عِلْقاً ^(٢) إِلَّا عَلَقَهُ ، وَلَا عَرَضاً إِلَّا عَرَضَ لَهُ ، وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا أَمْتَشَبَهَا ^(٣) ، وَلَا جَلِيلاً إِلَّا أَجْلَاهُ ، وَلَا دَقِيقاً إِلَّا دَقَّهُ » . فَعَجِبَ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ .
(زهر الآداب ٢ : ١٣٧)

(١) المراد احتيازها ؛ والأصل فيه غله : أي وضع في عنقه أو يده الغل (بالضم) وهو القيد .
(٢) العلق : القفص من كل شيء ؛ وعلق به كمنحرح أحمه أو هو وعلقه ؛ مشدداً ميماً للمجهول ؛ ملق امرأة ؛ أي أحمها .
(٣) امتش ما في القصرح : أخطأ به .

١٢٧ - عمرو بن سعيد والمأمون

وقال عمرو بن سعيد بن سلم : كانت عليّ نوبة أنوبها في حرس المأمون ، فكنت في نوبتي ليلة ، أغرج متقدماً من حضر ، فرفته ولم يعرفني ، قال : من أنت ؟ قلت : عمرو ، عمرك الله ، ابن سعيد ، أسعدك الله ، ابن سلم ، سلمك الله ، قال : أنت تكلّموا منذ الليلة ؟ قلت : الله يكلّوك قبلي ، وهو خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ، قال المأمون :

إِنْ أَخَاكَ الصَّدُوقَ مَنْ يَسِيْ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا صَرَفَ الزَّمَانَ صَدَّكَ بِدَدٍ تَحْمِلُ نَفْسَهُ لِيَجِيْعَكَ
(زهر الآداب : ١٢٧)

١٢٨ - الحسن بن رجاء والمأمون

دخل المأمون بمضى الدوليين ، فرأى غلاماً جليلاً على أذنه قلَمٌ ، قال : من أنت يا غلام ؟ قال :

« أنا يا أمير المؤمنين ، الناشئ في دولتك ، التقلب في نعمتك ، المؤمل لخدمتك ، خادمك وابن خادمك : الحسن بن رجاء » ، قال : أحسنت يا غلام ، وبالإحسان في البديهة قاضيت القول ، وأمر برفع مرتبته .
(زهر الآداب : ١٢٨)

١٢٩ - سعيد بن مسلم والمأمون

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة المأمون :
« لو لم أشكر الله تعالى إلا على حسن ما أبلاني من أمير المؤمنين ، من قصده إلى بحمدته ، وإشارته إلى بطرته ، لقد كان في ذلك أعظم الرفعة ، وأرفع ما تؤجبه الحرمة » .

قال : « فعل أمير المؤمنين ذلك ، لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الإحسان إذا حدثت ، وحسن النعم إذا حدثت ، ما لم يجد عند أحد من مضي ، ولا يظن أنه يجد عند أحد من بقي ، فإنك لتستقصي حديثي ، وتقف عند متاعك كلامي ، وتخير بما كنت أغفلته منه » .
(زهر الآداب : ١٧٢ : ١)

١٣٠ - أبو زهمان يحفظ سعيد بن مسلم

وقال سعيد بن مسلم : كنت والياً بأرمينية ، ففتر^(١) أبو زهمان الثلاث على أبي إمام ، فذا وصل إلى مثل بين يدي فأعما بين الساطعين^(٢) وقال :
« والله إني لأعرف أقواماً لو علموا أن سفّ التراب يُقيم من أود^(٣) أصلابهم ، لجأوه مُشكّة^(٤) لازماً فيهم ، إظهاراً لفتنزه عن عيش رقيق الحواشي ، أما والله إني لبسيد الوتبة ، بلى القطعة ، إنه والله ما يثني عليك إلا مثل ما يصرّفني عنك ولأن أكون مثلاً مقرباً ، أحب إليّ من أن أكون مُكثراً مُبتعداً ، والله ما نال عملاً لا نصيبه ، ولا مالاً إلا نحن أكثر منه ، وهذا الأمر الذي صار إليك في يدك ، كان في يد غيرك ، فأمسوا والله حديثاً ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فتعجب إلى عباد الله بحسن البشر ، ولين الجانب ، فإن حبّ عباد الله موصول بحبّ الله ، وبفضهم موصول بفض الله ، لأنهم شهداء الله على خلقه ، ورؤبؤوه على من أعوج عن سبيله » .
(البيان والهيمن : ١٠٥ : ٢)

١٣١ - وصية طاهر بن الحسين

لابنه عبد الله لما ولّاه للأموال الرقة ومصر وما بينهما^(٥) سنة ٢٠٦ هـ .
« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فليكن بقوى الله وحده لا شريك له ،

(١) مكث . (٢) الساطعان من الناس : الجانبان ، يقال : على بين الساطعين .

(٣) أودع . (٤) المشكة : ما يسلك الأعداء من الماء والخراب أو ما يخلع به نهما .

(٥) أجمعنا هذا الكتاب هنا لأنه في جدار القروايا .

وخشيته ومزاجته ومزاجه سُخْطِهِ وحُظْر رعيته ، والزَّيْم ما ألبسك الله من العافية
بالذكر لَمَادِك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومستول عنه ، والعمل في ذلك
كله بما يصيبك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذابه ، وأليم عقابه ، فإن الله قد أحسن
إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعك أمرهم من عباده ، وألزمك الملل عليهم ،
والقيام بحقه وحلوه فيهم ، والذب^(١) عنهم ، والنجع عن حريمهم وَبَيَّضْتَهُمْ^(٢) ،
والحقن لدمائهم ، والأمن لسيولهم^(٣) ، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومواخلة
بما فرض عليك من ذلك ، وموئلك عليه ، ومسائكك عنه ، ومُتَبِّك عليه بما قلعت
وأخرت ، فَرَّغَ لَكَ فِكْرَكَ وعَقْلَكَ وبَصْرَكَ وروُجَكَ ، ولا يَذْهَبُكَ^(٤) عنه ذاهل ،
ولا يَشْفُكَكَ^(٥) عنه شاغل ، فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوقتك الله به
لرشدك ، وليكن أول ما تلتزم به نفسك ، وتنسب إليه فمالك ، للواظبة على ما افترض
الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس يَبْكُكَ في مواعينها على سُذْنِها ،
في إسباغ^(٦) الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتِّل^(٧) في قراءتك ، وتمسك
في ركوعك وسجودك وتشهيدك ، وتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة
من معك وتمت منك ، وأدأب عليها فإنها كما قال الله : تأمر بالمعروف وتنهى عن
المنكر ، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واللتابة
على خلائقه ، وإتقاء آثار السلف الصالح من بعده ، وإذا ورد عليك أمر فاستمع عليه
باستغارة^(٨) الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله في كتابه من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه
واتبام ما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ،

(١) الدفع . (٢) البيضاء : حوزة كل شيء .

(٣) وفي نسخة ابن علف : لرحمهم والسرير : القس .

(٤) دخلت من القى (كفتح) دخلت وله يصعب بطله . يقال دخلت : والأكثر أن يصعب بالهزة ؛
خيل : أذلني فلان من القى . (٥) دخلت من باب فتح وأشبهت لغة جيدة أرطيلة أو رديئة .

(٦) أسبغ الوضوء : وفي كل وضوء حقه . (٧) تولى ولا تميل .

(٨) استغارة الله : طلب منه التوبة .

ولا تَحِلَّ عن العذل فيما أُحِبَّتْ أو كَرِهَتْ ، لِقَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ أو بَعِيدٍ ، وَآثَرِ الْفَقْهِ وَأَهْلِهِ ، وَالْدِّينِ وَحِكْمَتِهِ ، وَكِتَابِ اللَّهِ وَالْعَامِلِينَ بِهِ ، فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا تَزَيَّنُّ بِهِ الْمُرَّةُ الْفَقْهُ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَالطَّلَبَ لَهُ ، وَالْحَثَّ عَلَيْهِ ، وَالْمَعْرِفَةَ بِمَا يَقْتَرِبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَالْقَائِدَ لَهُ ، وَالْأَمْرَ بِهِ ، وَالنَّاهِيَ عَنِ الْمَعَاصِي وَاللَّوْطِيَّاتِ كُلِّهَا ، وَبِهَا مَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَزْدَادُ الْمَعَادَ مَعْرِفَةً بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَاجْتِلَالاً لَهُ ، وَدَرَجَاتٍ لِلدَّرَجَاتِ الْمَلَا فِي الْمَعَادِ ، مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْقِيرِ لِأَمْرِهِ ، وَالْهَيْبَةِ لِسُلْطَانِكَ ، وَالْأُنْسَةِ بِكَ ، وَالثِّقَةِ بِعَدْلِكَ ، وَعَلَيْكَ بِالْاِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْيَنَ نَفْعًا ، وَلَا أَحْضَرَ أَمْنًا ، وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنَ الْقَصْدِ ، وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرُّشْدِ ، وَالرُّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى التَّوْفِيقِ ، وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ ، وَقِيَامُ الدِّينِ وَالسَّنَنِ الْمَادِيَةِ بِالْاِقْتِصَادِ ، فَأَرَاهُ فِي دُنْيَاكَ كُلِّهَا ، وَلَا تَقْصُرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْأَجْرِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَمَعَالِمِ الرُّشْدِ ، فَلَا غَايَةَ لِلِاسْتِكْثَارِ مِنَ الْبِرِّ وَالسَّيِّئِ لَهُ ، إِذَا كَانَ يُطَلَّبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ وَمَرْضَاتُهُ وَمِرَاقَةُ أَوْلِيَائِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا يُورِثُ الْبِرَّ وَيَخْصُنُ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَإِنَّكَ لِنِ تَحْوِطُ^(١) نَفْسَكَ وَمَنْ يَلِيكَ ، وَلَا تَسْتَصْلِحْ أُمُورَكَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ وَاعْتَدِ بِهِ سَهْمَ أُمُورِكَ ، وَتَزِدْ مَقْدَرَتَكَ ، وَتَصْلِحْ خَاصَّتَكَ وَعَامَّتَكَ ، وَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَسْتَقِمَ لَكَ رِعْيَتُكَ ، وَتَمْسُ الْوَسِيلَةُ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، تَسْتَدِيمُ بِهِ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ ، وَلَا تَهْبِسُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تَوَلَّيَهُ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ ، فَإِنَّ إِيقَاعَ التَّهْمِ بِإِثْرِ آخٍ . وَالظَّنُونُ السَّيِّئَةُ بِهِمْ مَأْتَمٌ ، وَاجْعَلْ مِنْ شَأْنِكَ حَسَنَ الظَّنِّ بِأَنْحَابِكَ ، وَاطْرُدْ عَنْكَ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ ، وَارْفُضْ فِيهِمْ ، يُبَيِّنُكَ ذَلِكَ عَلَى اصْطِنَاعِهِمْ^(٢) وَوَرِيضَتِهِمْ ، وَلَا يَخْدُنْ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانُ فِي أَمْرِكَ مَفْخَرًا ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ وَهْنِكَ^(٣) ، فَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ فِي سُوءِ الظَّنِّ مَا يَنْفَعُكَ لَدَاةَ عَيْشِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ

(١) تَحْوِطُ . (٢) اصْطِنَاعُهُمْ : اِغْتَرَبَتْكَ لِمَا سَأَلَكَ مِنْهُمْ .

(٣) الْوَهْنُ هُوَ الْخَلَلُ فِي الْقُوَّةِ .

تجد غُسنَ الظنِّ قوَّةَ وراحة ، وَتَسْكُنِي به ما أَحْيَيْتَ كَفَايَتَهُ من أموركَ ، وتدعو به
الناس إلى محبتِكَ ، والاستقامة في الأمور كلها لك ، ولا يَنفُكُ حُسنُ الظنِّ بأصحابِكَ
والرَّأفةُ برعيَّتِكَ ، أن تستعملَ للسَّالَةِ والبحثِ عن أمورِكَ ، وللإشارةِ لأُمُورِ الأولياءِ ،
والِحِياطةِ للرعية ، والنظرِ فيما يُقِيمُها وَيُصْلِحُها ، بل لتسكنَ المباشرةَ لأُمُورِ الأولياءِ ،
والِحِياطةَ للرعية ، والنظرِ في حوائجهم وَحُلِّ مَشْوَئِهِمْ ، أَثَرُ عُنَيْكَ مما سوى ذلك ،
فإنه أقومُ للدينِ ، وأجبا للسنة ، وأخلصُ نيتِكَ في جميع هذا ، وتفرَّدَ بتقويمِ نفسك
تَفَرُّدً من يعلم أنه مسئول عما صنع ، وعجزى بما أحسن ، وماخوذ بما أساء ، فإن الله
جعل الدينَ حِرْزاً وعِزاً ، ورضع من اتبعه وعِزَّه ، فاسلكَ بمن تسوسه وترعاه نَهْجَ الدينِ
وطريقة الهدى ، وأقمِ حدودَ الله في أصحابِ الجرائمِ على قدرِ منازلهم وما استحقوه ،
ولا تعطلِ ذلك ولا تَهَاوُنْ به ، ولا تؤخِّرْ عقوبةَ أهلِ العقوبة ، فإن في قريطِكَ في ذلك
لَمَّا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حَسَنَ ظَنِّكَ ، واعِزِّمْ على أمرِكَ في ذلك بالنسبِ المعروفة ، وجانبِ
الشُّبُهَةِ والبِدَعَاتِ ، يَسْتَلِمُ لك دينُكَ ، وتَقِمُ لك مروءتُكَ ، وإذا عاهدتَ عهداً قَبِرَ به ،
وإذا وعدتَ الخيرَ فَأَنْجِزْهُ ، واقبلِ الحسنةَ وادفعِ بها ، وأغضِضْ عن عيبِ كلِّ ذى عيبٍ
من رعيَّتِكَ ، واشددْ لسانَكَ عن قولِ الكذبِ والزور ، وأَبْغِضْ أَهْلَهُ ، وَأَقْصِ أَهْلَ
النِّمَةِ ، فإن أولَ فسادِ أمرِكَ في عاجلِ الأمورِ وأجلِها قُربُ الكُتُوبِ والجِراءِ على
الكذبِ ، لأنَّ الكذبَ رأسُ اللَّائِمِ ، والزورُ والنِّمَةُ خاتمتُها ، لأنَّ النِّمَةَ لا يسلمُ
صاحبُها ، وقَاتِلُها لا يسلمُ له صاحبُها ، ولا يستقيمُ لمطيعُها أمرُ ، وأَحِبِّ أَهْلِ الصَّدَقِ وَالصَّلاحِ
وَأَعِزِّ الْأَشْرَافِ بِالْحَقِّ ، وواصلِ الضُّعَفَاءَ وَصِلِ الرَّحِمَ ، وابْتَغِ بِذلِكَ وَجْهَ اللهِ وَعِزَّةَ
أَمْرِهِ ، واتمسَّكْ بِرُؤُوسِ الدَّارِ الْآخِرَةِ ، واجتنبِ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُلُوزِ ، واصرفِ
عنها رَأْيَكَ ، وأظهرِ براءَتَكَ من ذلك لرعيَّتِكَ ، وأتمِّمْ بِالْعَدْلِ في سياستهم ، وقمِ بِالْحَقِّ
فيهم ، وبالمعرفةِ التي تنتهى بك إلى سبيلِ الهدى ، وانتكِفِ نفسك عندَ الغضبِ ، وآبِرْ

الوقار والحلم ، وإليك والحفّة والطيشَ والنوروزِ فيا أنت بسيله ، وإليك أن قول :
إني مُسَلِّطُ أَضَلِّ مَا أَشَاءُ ، فَإِنْ ذَكَ سَرِيعُ بَكَ إِلَى قَصْرِ الرَّأْيِ ، وَقَدْ الْيَقِينَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَخْلَصَ قَدْ نِيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَلْفَكَ اللَّهُ ، يُعْطِيهِ مِنْ يَشَاءُ ،
وَيَنْزِعُهُ عَنْ يَشَاءُ ، وَلَنْ تَجِدَ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ وَحُلُولَ النِّقْمَةِ إِلَى أَحَدٍ ، أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى حَلَّةِ
النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، وَالْبَسُوطِ لِمَنْ فِي الدُّوَلَةِ ، إِذَا كَفَرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ ،
وَاسْتَطَالُوا بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَدَعَوْا عَنْكَ شَرَّهَ ضَرْكٍ ، وَلِتَسْكُنَ ذَخَائِرُكَ وَكَتُونُكَ
الَّتِي تَدْخُرُ وَتَكْزِي الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَالْمَدِيَّةَ ، وَاسْتِصْلَاحَ الرِّعْيَةِ وَرِعَايَةَ بِلَادِهِمْ ، وَالتَّقْدِيرَ
لِأُمُورِهِمْ وَالْحِفْظَ لِذِمَّتِهِمْ^(١) وَالْإِغَاثَةَ لِلْمَوْضِعِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا كَثُرَتْ وَذُخِرَتْ
فِي الْخِزَانِ لَا تُنْتَبَرُ ، وَإِذَا كَانَتْ فِي إِصْلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حَقُوقِهِمْ ، وَكَفِّ الثُّلُوثِ
عَنْهُمْ ، نَمَتْ وَزَبَتْ وَصَلَحَتْ بِهِ الْعَامَةُ ، وَزَيَّنَتْ بِهِ الْوَلَاةَ ، وَطَابَ بِهِ الزَّمَانُ ، وَاعْتَقَدَ
فِيهِ الْمَرْءُ وَالنِّعْمَةُ ، فَلْيَكُنْ كَنْزُ خَزَائِنِكَ تَهْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَوَقُرَّ
مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قِبْلَكَ حَقُوقَهُمْ ، وَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ ،
وَتَعَمَّدَ مَا يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَايِشَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِذَا فَطَلْتَ ذَلِكَ قَوَّيْتَ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ ،
وَاسْتَوْجِبْتَ الزَّيْدَ مِنَ اللَّهِ ، وَكَتَبْتَ بِذَلِكَ عَلَى جَبَايَةِ خَرَاجِكَ ، وَجَمَعَ أَمْوَالَ رِعْيَتِكَ
وَعَمَلِكَ أَقْدَرَ ، وَكَانَ الْجَمْعُ لِمَا تَحْمِلُهُمْ مِنْ عَمَلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ لِعَالَمِهِمْ ، وَأَطِيبَ
ضَمًّا لِكُلِّ مَا أُرِدْتَ ، فَاجْعِدْ ضَرْكًا فَيَا حَدَثْتَ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَلِتَنْظُمَ حَيْثُكَ فِيهِ
فَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أَهَقَ فِي سَبِيلِ حَقِّهِ ، وَاعْرِفْ لِمَا كَرِنَ شُكْرَهُمْ وَأَتَيْنَهُمْ عَلَيْهِ ،
وإِيَّاكَ أَنْ تُنْسِيَنَّكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا حَوْلَ الْآخِرَةِ ، فَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ التَّهَاوُونَ
يُوجِبُ الضَّرِيطَ ، وَالتَّضَرُّطَ يُوْرِثُ الْبُورَارَ ، وَلِيَكُنْ عَمَلُكَ اللَّهُ فِيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَارْجُ
الثَّوَابَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَأَعْلَمَ لَدَيْكَ فَضْلَهُ ، فَاعْتَصِمْ بِالشُّكْرِ
وَعَلَيْهِ فَاعْتَمِدْ ، يَزِدْكَ اللَّهُ خَيْرًا وَإِحْسَانًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنِيبُ بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ ،

وسيرة المحسنين ، وَفَقَى الْحَقَّ فَمَا حَمَلَ مِنَ النِّعَمِ ، وَأَبْيَسَ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالسَّكْرَةِ ،
 وَلَا تَحْقِرَنَّ ذَنْبًا ، وَلَا تَمْلَأَنَّ حَاسِدًا ، وَلَا تَرْجَحَنَّ فَاجِرًا ، وَلَا تَصِلَنَّ كَفُورًا ، وَلَا
 تَدَاعَيْنِ عُلُوقًا ، وَلَا تَصْدَقَنَّ نَمَامًا ، وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا ، وَلَا تَوَالِيَنَّ طَسَقًا ، وَلَا تَتَّبِعَنَّ
 غُلُوبًا ، وَلَا تَحْمَدَنَّ مُرَاتِيًا ، وَلَا تَحْقِرَنَّ إِنْسَانًا ، وَلَا تَرْدَنَّ سَائِلًا قَتِيرًا ، وَلَا تَجِيبَنَّ^(١)
 بَاطِلًا ، وَلَا تَلَاخِظَنَّ مَضْحَكًا ، وَلَا تَخْلُقَنَّ وَعْدًا ، وَلَا تَرْهَوْنَ نَفَرًا ، وَلَا تُظْهِرَنَّ غَضَبًا ،
 وَلَا تَأْتِيَنَّ بِذَخٍّ^(٢) ، وَلَا تَمْسِجَنَّ مَرَحًا ، وَلَا تَرْكِبَنَّ سَقَمًا^(٣) ، وَلَا تَقْرَظَنَّ فِي طَلَبِ
 الْآخِرَةِ ، وَلَا تَرْفُخَ لِنَافِثِ عَيْنَا ، وَلَا تُنْفِضَنَّ عَنِ الظَّالِمِ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مَخَافَةً ، وَلَا تَطْلُبَنَّ
 ثَوَابَ الْآخِرَةِ بِالْدُّنْيَا ، وَكَثْرَ مَشَاوِرَةِ الْفُقَهَاءِ ، وَاسْتِمْلَ فُسْكَ بِالْحِلْمِ ، وَخُذْ عَنِ
 أَهْلِ التَّجَارِبِ ، وَذَوِي الْعُقُلِ وَالرَّأْيِ وَالْحِكْمَةِ ، وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ أَهْلَ الدِّقَّةِ^(٤) ،
 وَالبُغْلِ ، وَلَا تَسْمَعْ لَهُمْ قَوْلًا ، فَإِنْ ضَرَرَمَ أَكْثَرُ مِنْ مَنَفْعَتِهِمْ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ
 فُسَادًا لِمَا اسْتَقْبَلَتْ فِي أَمْرِ رَعِيَّتِكَ مِنَ الشُّعْ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ حَرِيصًا كُنْتَ
 كَثِيرَ الْأَخْذِ قَلِيلَ الْعُطْيَةِ ، وَإِذَا كُنْتَ كُنُفَكْ لَمْ يَسْتَمْ لَكَ أَمْرُكَ إِلَّا قَلِيلًا ، فَإِنْ
 رَعِيَّتِكَ إِنَّمَا تَعْتَدُ عَلَى مَحَبَّتِكَ ، بِالسَّكْفِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَتَرْكِ الْجُورِ عَنْهُمْ ، وَيَدْوَمُ صَفَاءُ
 أَوْلِيَائِكَ لَكَ ، بِالْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ وَحَسَنِ الْعُطْيَةِ لَهُمْ ، فَاجْتَنِبِ الشُّعْ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ أَوَّلُ
 مَا عَمِيَ بِهِ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ ، وَأَنْ الْعَامِيَ بِمَنْزِلَةِ خَزْيٍ ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :
 « وَمَنْ يُؤْفَ شُعٌ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَٰلِحُونَ » ، فَسَبِّلْ طَرِيقَ الْجُودِ بِالْحَقِّ ، وَاجْعَلْ
 لِلْمَسْكِينِ كُلِّهِمْ مِنْ نَيْتِكَ حِفْظًا وَنَصِيحًا ، وَأَيِّقَنَّ أَنَّ الْجُودَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ ، فَأَعِدِّهِ
 لِنَفْسِكَ خُلُقًا ، وَارْضَ بِهِ عَمَلًا وَمَنْهَجًا ، وَهَقْدَ أُمُورِ الْجَنَّةِ فِي دَوَائِنِهِمْ وَمَكَاتِبِهِمْ ،
 وَأَذْرِ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي مَعَايِشِهِمْ ، لِيَذْهَبَ بِكَ اللَّهُ فَاقَهُمْ ، وَيَقْوَمَ
 لَكَ أَمْرُهُمْ ، وَيَزِيدَ بِهِ قُلُوبُهُمْ فِي طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ خُلُوصًا وَانْشِرَاحًا ، وَحَسْبُ ذِي سُلْطَانٍ

(١) وفي المقدمة : « وَلَا تَحْقِرَنَّ بِالطَّلَا » .

(٢) الخ : السَّكْر . (٣) وفي المقدمة : « وَلَا تَرْكِبَنَّ سَقَمًا » .

(٤) وفي المقدمة : « أَهْلَ الدِّقَّةِ » .

من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله، وحِيطته^(١) وإنصافه، وعنايته وشغفته، وبره وتوسسته، فزایل مكروه أحد البابين باستشعار تكملة الباب الآخر، ولزوم العمل به، تلقى إن شاء الله نجاحاً وصلاًحاً وفلاحاً، واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذى ليس به شئ من الأمور، لأنه ميزان الله الذى يعتدل عليه الأحوال فى الأرض، وإقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح الرعية، وتأمين السبل، وينتصف المظلوم، وبأخذ الناس حقوقهم، وتحسن الميعة، ويؤدى حق الطاعة، ويرزق الله العافية والسلامة، ويقوم الدين، وتجرى السنن والشرائع، وعلى مجاريها يقتجز الحق والعدل فى القضاء، واشتد فى أمر الله، وتورع عن التطف^(٢)، وامض لإقامة الحدود وأقلل المجلة، وابدع من الضجر والقلق، واقنع بالقسم، ولتسكن ربحك، وبقربك واتضع بتجربتك، وانته في صحتك، وإسدد^(٣) فى منطقك، وأصيف الخضم، وقف عند الشبهة، وأبلغ فى الحجة، ولا يأخذك فى أحد من رعيته محاباة ولا محاماة^(٤) ولا لوم لأثم، وثبت وتأن وزأقب، وانظر وتدبر، وتفكر واعتبر، وتواضع لربك وارأف^(٥) بجميع الرعية، وسلط الحق على نفسك، ولا تسرعن إلى سفك دم (فإن النماء من الله بمكان عظيم) انتها كلاً لما بغير حقها، وانظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعية، وجمله الله للإسلام عزاً ورفعة، ولأهله سمة ومَنعة، ولملوه وعدوم كبتاً^(٦) وغیظاً، ولأهل الكفر من معاديبهم ذلاً وصغاراً، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والموم فيه، ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه، ولا عن غني لغناه، ولا عن كاتب لك، ولا أحد من خاصتك، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له، ولا تكلفن أمراً فيه شغل، واحمل الناس كلهم على مر الحق، فإن ذلك أجمع لأتقهم،

(١) فى القسمة : « وطيحه » .

(٢) التطف : التلبس والتمسك . (٣) مد يدك كعرب : صار مديداً .

(٤) فى القسمة : « ولا علة » . (٥) من باب كرم وفتح وطرب .

(٦) كبت : سره وأخزاه ، ورد الله بهبه ولذله .

وَأَلَزَمَ لِرِضَا الْعَامَةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ جُعِلْتَ بُولَاتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رِعِيَّتِكَ ، لِأَنَّكَ رَاعِيهِمْ وَقَيِّمُهُمْ ، تَأْخُذُ مِنْهَا مَا أُعْطَوْكَ مِنْ غَنَمِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ وَتَنْفِقُهُ فِي قِوَامِ أَمْرِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدَعِهِمْ ، فَاسْتَمْلَ عَلَيْهِمْ فِي كَوْنِ عَمَلِكَ ذَوِي الرَأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجَرُّبَةِ وَالخُبْرَةِ بِالْعَمَلِ ، وَالْعِلْمِ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعِفَافِ ، وَوُسْعِ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ الَّتِي لَكَ فِيهَا تَقَلُّتَ وَأَسْنَدَ إِلَيْكَ ، وَلَا يَسْتَفْلِنُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ ، وَلَا يَصْرِفُكَ عَنْهُ صَافٍ ، فَإِنَّكَ مَتَى أَكْرَمْتَهُ وَقَتَّ فِيهِ بِالْوَاجِبِ ، اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحَسَنَ الْأَحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ ، وَاحْتَرَزْتَ النَّصِيحَةَ مِنْ رِعِيَّتِكَ ، وَأَعْنَيْتَ عَلَى الصَّلَاحِ ، فَدَرَّتْ الْخَيْرَاتُ بِبِلَدِكَ ، وَقَشَّتِ الْعَارَةُ بِنَاحِيَّتِكَ ، وَظَهَرَ الْإِنْلِصَبُ فِي كَوْنِكَ ، فَكَثُرَ خَرَاجُكَ ، وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ ، وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جَنْدِكَ ، وَإِرْضَاءِ الْعَامَةِ بِإِفَاضَةِ الْمَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَكَنتَ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ ، مَرْضِيَّ الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ ، وَكَنتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَقُوَّةٍ وَآلَةٍ وَعُدَّةٍ ، فَتَنَافَسَ فِي هَذَا وَلَا تَقْدَمُ عَلَيْهِ شَيْئًا ، تَحْمَدُ مَقْبَلَةَ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَاجْتَلِ فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَلِكَ ، وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ ، مُعَايِنٌ لِأَمْرِهِ كُلِّهِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُ بِأَمْرٍ ، فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ رَأْيَ السَّلَامَةِ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ ، وَرَجَوْتَ فِيهِ حَسَنَ النِّفَاقِ وَالنَّصِيحِ وَالصُّنْعِ فَأَمْسِكْ بِهِ ، وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ ، وَارْجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ ، ثُمَّ خُذْ فِيهِ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِهِ قَدْ وَاثَنَهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَقَوَاهُ^(١) ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ أَهْلَكَهُ وَفَقَضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، فَاسْتَمْلَ الْحَزَمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ ، وَبَاشِرُهُ بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ بِالْقُوَّةِ ، وَأَكْثَرَ اسْتِخَارَةَ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ ، وَافْرُقْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِنَدِّكَ ، وَأَكْثَرَ مَبَاشَرَتِهِ بِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ لَعْدَ أُمُورًا وَحَوَادِثَ تُنْهِيكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّتِي أَخَّرْتَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ ، فَإِذَا أَخَّرْتَ عَمَلَهُ

(١) فِي الْقِسْمَةِ : « وَهَذَا أَتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَتَوَقَّاهُ ذَلِكَ » .

اجمع عليك أمر يومين ، فَشَفَّكَ ذلك حتى تُعرض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عملاً
أرحتَ نفسك وبدنك ، وأحكمتَ أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف
منهم ، ثم استيقن صفاء طَوْبَتِهِمْ ، وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة
على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتماهدْ أهل البيوتات من دخلت عليهم
الحاجة ، فاحتيل مئوتتهم ، وأصلح حالهم ، حتى لا يجحدوا غَلَّتْهُمْ ^(١) مَسَاً ، وأفرد نفسك
بالنظر في أمور الفقراء والساكنين ، ومن لا يقدر على رفع مَظْلَمَتِهِ إليك ، والمحقر الذى
لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أحق مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيته ،
ومُرَّم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم ، وتماهد
ذوى البأساء ويتامام وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال ، اقتداءً بأمر المؤمنين
- أعزه الله - فى العطف عليهم والصلة لهم ، ليُصْلِحَ الله بذلك عيشتهم ، ويرزقك به
بركةً وزيادة ، وأَجْرِ للأخيار من بيت المال ، وَقَدِّمْ حملة القرآن منهم . والحافظين
لأكثره فى الجراية ^(٢) على غيرهم ، وانصِبْ لِمَرْضَى السَّالِينَ دُوراً تُؤْوِيهِمْ ، وَقَوِّمُوا
يرفُقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وَأَسْعِفِهِمْ بشهواتهم ، مالم يؤد ذلك إلى
شرف فى بيت المال ، واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيتهم ، لم يُرضهم
ذلك ، ولم تُطِبْ أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولايتهم ، طمعاً فى نيل الزيادة وفضل
الرفق منهم ، وربما يَرْمِ ^(٣) للتصريح لأمر الناس ، لكثرة ما يَرِدُ عليه ، وَيَشْتَلُ فكره
وذخنه منها ما يباله به مؤنة ومشقة ، وليس من يرغب فى العدل ، وَيَعْرِفُ بحسن أموره
فى العاجل ، وفضل ثواب الآجل ، كالذى يستقبل ما يقربه إلى الله ، ويلتص رحمة به
وأكثر الإذن للناس عليك ، وأبرز لهم وجهك ، وسكن لهم أحراسك ، وانخِضْ لهم
جناحك ، وأظهر لهم بشرتك ، وَلْيَنْ لَمْ فى السَّأَةِ والمتنطق ، واعطِفْ عليهم بجمودك وفضلك ،
وإذا أعطيت فأعط بمساحةٍ وطيب نفس ، والتبس الصنعة والأجر غير مكدر ولا متان

فإن العطية على ذلك تجارة مريضة إن شاء الله ، واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأمم البائدة ، ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته ، وإقامة دينه وكتابه ، واجتنب ما غرق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله ، واعرف ما تجمع عمالك من الأموال ، وما ينفقون منها ، ولا تجمع حراما ، ولا تنفق إسراراً ، وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأمور ومعاليتها ، وليكن أكرم دُخْلانك وخاصتك عليك ، مَنْ إذا رأى عيباً فيك لم يمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سر ، وإعلامك ما فيه من النقص ، فإن أولئك أنصح أوليائك ، ومظاهريك لك ، وانظر عمالك الذين يحضرنك وكتائبك ، فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتاً يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر كورك ورعيك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمكت وبهرتك وفهكت وعقلت ، وكررت النظر إليه والتدبير له ، فما كان موافقاً للعزم والحق فأمنه ، واستخبر الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والسألة عنه ، ولا تمن على رعيك ولا على غيرهم بمعرف تأتيه إليهم ، ولا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء والاستقامة واللون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضمن المروف إلا على ذلك وقهم كتابي إليك ، وأكثر النظار فيه والسل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره فإن الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك وأفضل رعيك ، ما كان لله رضا ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللملة ولله عدلاً وصلاحاً ، وأنا أسأل الله أن يصلح عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بنام فضله عليك وكرامته لك ، حتى يحبك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأسنام ذكراً وأمرأ ، وأن يهلك عدوك ومن ناواك وبقي عليك ، ويرزقك من

وعينك المافية، ويحجزُ الشيطانُ عنك ووساوسه، حتى يستملِ أمرُك بالمرء والقوة والتوفيق، إنه قريب مجيب .

وذكروا أن طاهراً لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد، تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه، وشاع أمره حتى بلغ المؤمن، فدعا به وقرئ عليه، قال : ما بقي أبو الطيب (بمعنى طاهراً) شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة، وإصلاح الملك والرعية، وحفظ التبتية، وطاعة الخلفاء، وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدمه . وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع المال في نواحي الأعدال .
(تاريخ الخبيري ١٠ : ٢٥٨ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٢٢٩)

١٣٢ — خطبة عبد الله بن طاهر

خطب عبد الله بن طاهر الناس، وقد تيسر لقتال الخوارج^(١) قال :

« إنكم فئة الله المجاهدون عن حقه، الذابون عن دينه، الذائدون عن محارمه، الداعون إلى ما أمر به، من الاعتصام بمجمله، والطاعة لولاه أمره، الذين جعلهم رعاة الدين . ونظام^(٢) المسلمين، فاستنجزوا موعود الله ونصره، بتجاهدة عدوه، وأهل معصيته، الذين أشيرو^(٣) وتمردوا . وشقوا العصا : وفارقوا الجماعة، ومزقوا من الدين، وسَمَوْا في الأرض فساداً، فإنه يقول تبارك وتعالى : « إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ

(١) الخوارج في كتبهم « الفرق بين الفرق » أن للمؤمنين طاهر بن الحسين إقطاع حزة بن أكرم — ملكاً فيه، وفي المال والنسل حزة بن أدرك بالمال — وهو زعيم فرقة الخسرية إحدى فرق الخوارج السجارية، وقد عاش في سجدان وخراسان وسكران وقوهستان وكرمان، وحزم الجيوش للكثيرة، وكان ظهوره في أيام مروان الرشيد سنة ١٧٩، وبقى الناس في فتنته إلى أن مضى صدر من أيام خلافة المأمون، فلما تمكن المأمون من الخلافة كتب إليه كتاباً استدعاه فيه إلى طاعته، فما ازداد إلا حسداً، فنهض لقتاله طاهر بن الحسين، فدارت بينه وبين حزة حروب قتل فيها من الفريقين مقدار ثلاثين ألفاً، أكثرهم من أتباع حزة، وانتهز حزة إلى كرمان، ثم استدعى المأمون طاهراً من خراسان، فطبع فيها حزة، وأقبل بجيشه من كرمان، ففرج إليه مه الرحن التيسيري في مشرين ألفاً هزموه، وقتلوا الألف من أصحابه، وانفلت منهم حزة جريحاً، ومات في منزله — انظر ص ٧٩ .

(٢) النظام : ذلك ينظم فيه، وملك الأمر . (٣) بطروا .

وَبَيَّنَتْ أَقْدَامَكُمْ^(١) ، فليكن الصبر مَقْلَكُمُ الَّذِي إِلَيْهِ تَلْجَأُونَ^(٢) ، وَعُدَّتْكُمْ الَّتِي
بِهَا تَسْتَظْهِرُونَ ، فَإِنَّهُ الْوَزْرُ النَّجْعُ ، الَّذِي دَلَّكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالْجَنَّةُ^(٣) الْحَصِينَةُ الَّتِي أَمَرَكُمُ
اللَّهُ بِلِبَاسِهَا . غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ ، وَاخْفَتُوا أَصْوَاتَكُمْ فِي مَصَائِكُمْ ، وَامْضُوا قُدُمًا عَلَى
بَصَائِرِكُمْ ، فَارْغِبُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، وَالِاسْتَعَانَةِ بِهِ كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : « إِذَا لَقِيتُمْ
فِتْنَةً فَاقْبَلُوهَا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » أَيْدِكُمُ اللَّهُ بِعِزِّ الصَّبْرِ ،
وَوَلِيكُمْ بِالْحَيَاةِ وَالنَّصْرِ .

(الخطبة رقم ٢٤ : ١٠٠)

١٣٣ — العباس بن المأمون والمعتمد (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ)

قال العباس بن المأمون : لما أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمُتَعَمِّدِ دَخَلْتُ ، فَقَالَ : هَذَا جُلُوسُ
كَنْتُ أَكْرَهَ النَّاسِ لِلْجُلُوسِ فِيهِ ، قُلْتُ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ تَفْعُو عِمَاتِيقَتَهُ ،
فَكَيْفَ تَمَاقِبُ عَلَى مَا تَوَهَّمَتْ ؟ » ، قَالَ : « لَوْ أَرَدْتُ عِقَابَكَ ، لَتَرَكْتُ عِتَابَكَ » .

(زهر الآداب ٣ : ٩١)

١٣٤ — استعطاف تميم بن جميل للمعتمد

كَانَ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ السَّدُوسِيُّ قَدْ خَرَجَ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ
الْأَعْرَابِ ، فَعَظُمَ أَمْرُهُ ، وَبُعِدَ ذِكْرُهُ ، فَكَتَبَ لِلْمُعْتَمِدِ إِلَى مَالِكِ بْنِ طَلُوقٍ فِي النَّهْوَصِ
إِلَيْهِ ، فَبَدَّدَ جَمْعَهُ ، فَظَفَّرَ بِهِ ، فَجَعَلَهُ مُؤْتَقًا إِلَى الْمُعْتَمِدِ ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ : مَا رَأَيْنَا
رَجُلًا عَيْنَ الْمَوْتِ ، فَمَا هَالَهُ ، وَلَا أَذْهَلَهُ عَمَّا كَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جَمِيلٍ ،
فَإِنَّهُ أَوْفَى بِهِ الرِّسُولُ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَمِدِ ، فِي يَوْمِ الْوُكُوبِ ، حِينَ يَجْلِسُ لِلْعَامَةِ ،
وَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، دَعَا بِالنَّطْعِ^(١) وَالسِّيفِ فَاحْضَرَا ، فَجَلَسَ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ
يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا وَلَا يَقُولُ شَيْئًا . وَجَلَسَ لِلْمُعْتَمِدِ بِصَعْدِ النَّظَرِ فِيهِ وَيَضُوءِهِ ، وَكَانَ جَسَمًا

(١) اللجأ والمعتمد : وكذا الوزر . (٢) كل ما ينجو .

(٣) القلع كقولهم دسب وسبب : بساط من الأديم .

وسياً^(١)، ورأى أن يستنطقه لينظر أين جناؤه ولسانه من منظره، قال: يا تميم إن كان لك عنبرٌ فأنت به، أو حبة فأدُل بها، قال: أما إذ قد أذن لي أمير المؤمنين فإني أقول:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَيِّينٍ» جبر بك صدع الدين، ولم بك شعث المسلمين، وأوضح بك سبل الحق، وأخذ بك شهاب الباطل، يا أمير المؤمنين إن الذنوب تُخْرِسُ الألسنة النصيحة، وتُغَيِّبُ الأَفْئِدَةَ الصحيحة، ولقد عَطَمْتَ الجُرْيرة، واقطعت الحجة، وكَبُرَ الذَّنْبُ، وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربها مني، وأسرعها إليّ، أولاهما بامتنانك، وأشبههما بخلافك، ثم أنشأ يقول:

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَأَمَّا	يلاحظ من حيث أُنْقَلَتْ
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي	وَأَيُّ أَمْرِي مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ؟
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُدْلِي بِعُدْرِ وَحْجَةٍ	وَسِيفُ النَّبَايِينِ عَيْنِيهِ مُضَلَّتْ؟ ^(٢)
يَعِزُّ عَلَى الْأَوْسِ بْنِ تَغْلِبٍ مَوْقِفٌ	يُكَلِّ عَلَى السِّيفِ فِيهِ وَأَسْكُتُ
وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي	لَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مَوْقِفٌ
وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيئَةٌ قَدْ حَرَكْتَهُمْ	وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَنْفَتُّ
كَأَنِّي أَرَاهِمُ حِينَ أُنَمَّى إِلَيْهِمْ	وَقَدْ خَشَّوْا تِلْكَ الْوُجُوهُ وَصَوَّتُوا ^(٣)
فَإِنْ عَشْتُ عَاشُوا خَافِعِينَ بِفَيْطَلَةٍ	أَذُودُ الرِّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوْتُوا ^(٤)
فَكَمْ قَاتِلٍ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ رُوحَهُ	وَأَخَرُ جَذَلَانٍ يُسْرِ وَيَسْتُ

(١) جبلا. (٢) سلوك. (٣) نبش وجهه كمنع وضرب: عشت ولطه وعشوه.

(٤) كثر فيهم الموت.

فجسم المتعم وقال : « كاد والله يا نعم أن يسبق السيف المذل ^(١) ، أذهب قد غرت لك العنوة ^(٢) ، ووهبتك للصنية » ، ثم أمر بك قيوده وخلع عليه ، وعقد له بشاطئ الفرات .
(الحقفة لقرينة ١ : ١٤٥ ، زهر الآداب ٣ : ٨٩)

١٣٥ — بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله

ولما ولى المهدي بالله ^(٣) بن الواثق بن المتعم سليمان بن وهب وزارته ، قام إليه رجل من ذوى حرمة ، قال : « أعز الله الوزير ، أنا خادمك ، التؤمل لفلوك ، السيد بأهلك ، النطوى القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، الرثمين بشكر نعمتك » .
(زهر الآداب ٢ : ١٩٧)

١٣٦ — أحمد بن أبي دواد والواثق (المتوفى سنة ٢٣٣ هـ)

دخل أحمد بن أبي دواد ^(٤) على الواثق قال : ما زال اليوم قومٌ في تَلْكَ وتمصك ، قال : يا أمير المؤمنين ، لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ^(٥) مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، والله وليُّ جزائه ، وعقابُ أمير المؤمنين من ورثته ،

(١) السيف كشمس وسبب : القوم ؛ وهو غل ؛ وأول من قاله ضبة بن أد بن طائفة ؛ وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد ؛ وللآخر سيد ؛ فنفرت إلى ضبة تحت الليل ؛ فوجه ابنه في طلبها لفضراً ؛ فوجدها معه فردها ؛ وهضى سيد في طلبها ؛ فلقبه الحرث بن كعب ؛ وكان حل القلام بردان ؛ فسأله الحرث إياها فأبى عليه فقتله وأخذ برديه ؛ فكان ضبة إذا أسي فرمى تحت الليل سودا . قال : أحمد أم سيد ؟ فكش ضبة بذلك ما شاء الله أن يكشف ؛ ثم إنه سجع فوافق مكاناً ؛ فلقى بها الحرث بن كعب ؛ وولم عليه يردى ابنه سيد فصرخا ؛ فقال له : هل أنت خيرى ما طعان البردان القدان عليك ؟ قال بلى ؛ فلقبت خلافاً ؛ مما عليه فسأله إياها ؛ فلقب حل فقتله ؛ وأخفت برديه طين ؛ فقال ضبة : بسيفك هذا ؟ قال نعم ؛ فقال : فأعطني أنظر إليه فلقبته سارما ؛ فأعطاه الحرث سيفه ؛ فلما أعده من يده هزه وقال : الخبث ذو شجون ؛ ثم ضرب به حتى قتله ؛ فقيل له يا ضبة : أتى لشهر الحرام ؟ فقال : سبق السيف المذل . (٢) جهلة القعدة . (٣) نزل الخلافة سنة ٢٥٥ إلى سنة ٢٥٦ هـ .

(٤) هو القاضي أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد من كبار أئمة المعتزلة ، ونصره الاعتزال ، كان مقرباً من المأمون أميراً عنه ، ولما ول المتعم الخلافة جعله قاضي القضاة ؛ وعزل يحيى بن أكرم ، ونص به أحمد ، حتى كان لا يقبل فضلاً باطلاً ولا ظهراً إلا برأيه ، ولما مات المتعم ، وتولى بعده ابنه الواثق بالله حسنت حال ابن أبي دواد عنه ، ثم قلع في أول خلافة المتوكل ، فقتله ولده عمداً القضاء مكانه ، وتوفي سنة ٢٤٥ هـ . (٥) أى عظمه ، وفي قراءة : كبره ؛ يضم الكاف .

وما ذلَّ يا أمير المؤمنين من أنت ناصره ، وما صق من كنت جارا له ، فإِ قلتَ لهم
يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت يا أبا عبد الله :

وَسَعَى إِلَى يَمِيبِ عَزَّةٍ مَفْشَرٌ جَلَّ إِلَهُهُ حُلُودُهُنِ نِمَامًا

(زهر الآداب ٣ : ٢٠٨ ، واللمعة العريضة ١ : ١٤١)

١٣٧ - ابن أبي دؤاد والواق أيضا

وقال الواق يوما لابن أبي دؤاد تضجراً بكثرة حوائجهم : قد أخليتُ يسوتَ
الأموالِ بِطَلَبَاتِكَ لِلَّذِينَ لَكَ ، والتوسلين إليك ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، نتأججُ شكرها متصلةً بك ، وذخايرها موصولة لك ، ومالِي
من ذلك إلا عِشْقُ اتِّصَالِ الألسنِ بِخُلُودِ الدِّحِ » ، فقال : « والله لا منعناك ما يزيد
في عشقك ، ويقوى في محبتك فينا ولنا » ، وأمر فأخرج له خسةً وثلاثين ألف درهم .

(زهر الآداب ٢ : ٣١٠)

١٣٨ - ابن أبي دؤاد وابن الزيات

وكان بين القاضي أحمد بن أبي دؤاد وبين الوزير محمد بن عبد الملك الزيات^(١) منافسة
وشحناء ، حتى منع الوزير شخصاً كان يصحب القاضي ، ويختص بقضاء حوائجهم ، من
التردد إلى إليه ، فبلغ ذلك القاضي ، فجاء إلى الوزير فقال له :

« والله ما أحييتُ متكثراً بك من قلة ، ولا متمزراً بك من ذلة ، ولكن
أمير المؤمنين رتبك مرتبة أوجبتَ لقاءك ، فإن لقيناك فله ، وإن تأخرنا عنك فلك^(٢) .

(زوفاة الأعيان ١ : ١٢٥)

(١) وزير المصمم ، وهو واق من بعده ، ثم نسبه المتوكل كاسيق

(٢) وكان الواق قد أمر ألا يرى أحد من الناس ابن الزيات ، إلا قام له . فذكر أن ابن أبي دؤاد إذا
راه قام واستقبل القبة يصل .

١٣٩ - الجاحظ وابن أبي دؤاد

وكان الجاحظ مختصاً بمحمد بن عبد الملك الزيات ، منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد ،
 فلما نكسب ابن الزيات ^(١) ، جُعل الجاحظ مقيداً من البصرة ، وفي عنقه سلسلة ، وعليه
 قيض سمل ^(٢) ، فلما دخل على القاضي أحمد قال له : « والله ما أعلك إلا متناسياً للنعمة ،
 كفوراً للنعمة ، ممدناً للساوي ، وما فتنتني باستصلاحك لك ، ولكن الأيام
 لا تصلح منك ، فساد طويبتك ، ورداءة دَخيلتك ، وسوء اختيارك ، وغالب طباعك » .
 فقال الجاحظ : « خَضُّ عليك - أَيْدِكَ الله - فوالله لأن يكون لك الأمر على ،
 خيرٌ من أن يكون لي عليك ، ولأن أسيءَ وتَحَسَّنَ ، أحسنُ في الأخذونة عليك ، من
 أن أحسن وتسيء ، ولأن تَفُوقَ عني في حال قدرتك ، أجل بك من الانتقام مني » .
 فقال أحمد : والله ما علكتُ إلا كثير تزويق الكلام ، فخلَّ عنه النُّلُّ والقيد ،
 وأحسن إليه ، وصَدَّرَه في المجلس . (زهر الآداب ٢ : ١٠٦ ، والمثنية والأمل ص ٢٩)

(١) كان في المنس المتروكل من ابن الزيات شيء كبير ، وذلك لأنه لما مات الزيات (وهو آخر المتروكل) .
 أشار ابن الزيات بعزلة وله الزيات ، وأشار ابن أبي دؤاد بعزلة للمتروكل ، وقام في ذلك وقته حتى صممه
 يده واليس البردة ، وقبله بين عليه . وكان المتروكل في أيام الزيات يدخل حل ابن الزيات فيجهمه ويغلظ
 له في الكلام - يقترب بذلك إلى الزيات - فسقطه المتروكل ذلك عليه ، فلما ولد الثلاثة ، أمهله أربعين يوماً
 حتى يطمئن إليه ، ثم قبض عليه وسجنه ، وأرسلني أبوه ، وكان ابن الزيات إيمان وزادته قد انقضت تنورا
 من حديد ، وأطراف سائيره إلى داخل ، وهي قائمة مثل رموس المسك ، يطلب فيه من يستحقون العقوبة
 وكان إذا قال أحدهم أرحمني أيها الوزير . قال له : فرحة بخور في الطبيعة ، فلما احتضنه المتروكل أمر باندخاله
 في التنور : وقبده بخمسة عشر رطلاً من الحديد ، فقال : يا أمير المؤمنين أرحمني ، فقال له : فرحة بخور
 في الطبيعة ، ويق في الطلب أربعين يوماً حتى مات سنة ٢٢٢ هـ .
 (٢) القسل : الخلق من القلياب .

١٤٠ - أبو العيناء وابن أبي دؤاد

وقال أبو العيناء لابن أبي دؤاد : إن قوماً من أهل البصرة قدّموا إلى « سُرمَنْ رأى » بَدَا عَلَى ، فقال : « يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » ، قلت : إن لهم مكرراً ، فقال : « وَلَا يَنْعِقُ الْبَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ » ، قلت : إنهم كثير ، قال : « كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » .

(زهر الآداب ٢ : ٣١٠ ، والحقه الفريد ١ : ١٥١)

تم الجزء الثالث

وليّه

ذيل الجهرة

فهرس

الجزء الثالث

من حمرة خطب العرب

الباب الرابع

الخطب والوصايا في العصر العباسي الأول

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة أبي العباس السفاح وقد بوع بالخلافة	١	١
داود بن علي	٢	٣
داود بن علي وقد أرتج على السفاح	٣	١١
أخرى له	٤	١١
السفاح بالكوفة	٥	١٢
السفاح بالشام حين قتل مروان	٦	١٢
عيسى بن علي	٧	١٣
داود بن علي بمكة	٨	١٤
خطبة بالمدينة	٩	١٥
خطبة أخرى له	١٠	١٥
خطبة وقد بلغه أن قوما أظهروا إشكاة بني العباس	١١	١٦
وقد أرتج عليه	١٢	١٧
خطبة صالح بن علي	١٣	١٨
سديف بن ميمون	١٤	١٨
وأبي مسلم الخراساني	١٥	٢٠
خالد بن صفوان وأحوال السفاح	١٦	٢٣
ورجل من بني عبد الله	١٧	٢٤

الخطبة لمر الحوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
استطاف أهل الشام المنصور أيضاً	٤٣	٤٢
أبو جعفر المنصور والربيع	٤٤	٤٣
مقام عمرو بن حبيد بين يدي المنصور	٤٥	٤٤
رجل من الزهاد	٤٦	٤٥
الأوزاعي بين يدي المنصور	٤٩	٤٦
نصيحة يزيد بن عمر بن هيرة المنصور	٥١	٤٧
معن بن زائدة والمنصور	٥٢	٤٨
وأحد زواره	٥٢	٤٩
المنصور وأحد الأعراب	٥٣	٥٠
أعرابية تغزي المنصور وتنته	٥٣	٥١
خطبة محمد بن سايمان	٥٤	٥٢
وصية مسلم بن قتيبة	٥٤	٥٣
خطبة المهدي	٥٥	٥٤
مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب حراسان	٥٧	
مقال سلام صاحب المظالم	٥٨	٥٥
الربيع بن يونس	٥٩	٥٦
الفضل بن العباس	٦٠	٥٧
مقال علي بن المهدي	٦٢	٥٨
موسى بن المهدي	٦٤	٥٩
العباس بن محمد	٦٥	٦٠
هرون بن المهدي	٦٦	٦١
صالح بن علي	٦٨	٦٢
محمد بن الليث	٦٩	٦٣
معاوية بن عبد الله	٧٤	٦٤
المهدي	٧٢	٦٥
محمد بن الليث	٧٤	٦٦
المهدي	٧٥	٦٧

الخطبة أو القصة	رقم الخطبة	رقم الصفحة
ابن عجة يعزى المهدي وبهته	٦٨	٧٧
يعقوب بن داود يستعطف المهدي	٦٩	٧٧
رجل من أهل خراسان يخاطب بمحضرة المهدي	٧٠	٧٨
مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي	٧١	٧٩
عقلة شبيب بن شيبه للمهدي	٧٢	٨٠
خطبته في تعزية المهدي بأبيه	٧٣	٨٠
خطبة أخرى له في مدح الخليفة	٧٤	٨٠
كلمات لشبيب بن شيبه	٧٥	٨١
خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب يوم ولي الرشيد بالخلافة	٧٦	٨١
خطبة هرون الرشيد	٧٧	٨٣
وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين	٧٨	٨٥
خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي	٧٩	٨٥
استعطاف أم جعفر بن يحيى للرشيد	٨٠	٨٨
خطبة يزيد بن يزيد الشيباني	٨١	٩١
و عبد الملك بن صالح	٨٢	٩٢
عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد وبهته	٨٣	٩٣
غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح	٨٤	٩٣
قوله بعد خروجه من السجن	٨٥	٩٦
وصية عبد الملك بن صالح لابنه	٨٦	٩٧
و أخرى له	٨٧	٩٩
كلمات حكيمه لابن السماك	٨٨	٩٩
ابن السماك والرشيد	٨٩	٩٩
الفتنة بين الأمين والمأمون		١٠١
وفد الأمين إلى المأمون		
خطبة العباس بن موسى	٩٠	١٠١
و عيسى بن جعفر	٩١	١٠٢
و محمد بن عيسى بن نبيك	٩٢	١٠٢

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو القصة
١٠٣	٩٣	خطبة صالح صاحب المصلى
١٠٣	٩٤	و المأمون
١٠٤	٩٥	وصية السيدة زبيدة لعل بن عيسى بن ماهان
١٠٥	٩٦	و الأمين لابن ماهان
١٠٦	٩٧	استئانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين
١٠٧	٩٨	حزم طاهر وقوة عزمه
١٠٨	٩٩	طاهر يشد عزمة جنده
١٠٩	١٠٠	وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين
١١٠	١٠١	وصية الأمين لأحمد بن مزيد
١١١	١٠٢	مقال عبد الملك بن صالح للأمين
١١٢	١٠٣	الشغب في جيش عبد الملك بن صالح
١١٣	١٠٤	خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان يدعو إلى خلع الأمين
١١٤	١٠٥	و محمد بن أبي خالد
١١٤	١٠٦	إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة
١١٥	١٠٧	خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين
١١٧	١٠٨	و الأمين وقد تولى الأمر عنه
١١٨	١٠٩	استعطاف الفضل بن الربيع للمأمون
١١٩	١١٠	خطبة طاهر بن الحسين ببغداد بعد مقتل الأمين
١٢٠		خطب المأمون
١٢٠	١١١	خطبته وقد ورد عليه نعي الرشيد
١٢٠	١١٢	و قد سلم الناس عليه بالخلافة
١٢١	١١٣	و يوم الجمعة
١٢٢	١١٤	و يوم الأضحى
١٢٣	١١٥	و يوم الفطر
١٢٤	١١٦	خطبة ابن طباطبا النماوى
١٢٦	١١٧	استعطاف إبراهيم بن المهدي للمأمون

خطبة أو القصة	رقم الصفحة	رقم الخطبة
إبراهيم المهدي وعيتشوع الطيب	١٢٨	١١٨
استعطاف إسحاق بن العباس المأمون	١٢٩	١١٩
أحد وجوه بغداد يمدح المأمون حين دخلها	١٢٩	١٢٠
أحد أهل الكوفة يمدح المأمون	١٣٠	١٢١
محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي المأمون	١٣٠	١٢٢
الحسن بن سهل يمدح المأمون	١٣١	١٢٣
يحيى بن أكثم يمدح المأمون	١٣١	١٢٤
أحد بني هاشم والمأمون	١٣٢	١٢٥
رجل يتظلم إلى المأمون	١٣٢	١٢٦
عمرو بن سعيد والمأمون	١٣٣	١٢٧
الحسن بن رجاء والمأمون	١٣٣	١٢٨
سعيد بن مسلم والمأمون	١٣٣	١٢٩
أبو زهرا يعظ سعيد بن مسلم	١٣٤	١٣٠
وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما	١٣٤	١٣١
خطبة عبد الله بن طاهر	١٤٤	١٣٢
العباس بن المأمون والمعتصم	١٤٥	١٣٣
استعطاف تميم بن جميل للمعتصم	١٤٥	١٣٤
بين يدي سايان بن وهب وزير المهدي بأفقه	١٤٧	١٣٥
أحمد بن أبي دواد والرائق	١٤٧	١٣٦
ابن أبي دواد والرائق أيضاً	١٤٨	١٣٧
ابن أبي دواد وابن الزيات	١٤٨	١٣٨
الملاحظ وابن أبي دواد	١٤٩	١٣٩
أبو العيلاء وابن أبي دواد	١٥٠	١٤٠

فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع اتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

(ح)	(ا)
الحارث بن عبد الرحمن : ٤٢	إبراهيم بن المهدي : ١٢٥ - ١١٧
الحسن بن رجاء : ١٢٣	ابن السكك : ٩٩
الحسن بن سهل : ١٣١	ابن طباطبا العلوي : ١٢٤
الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان : ١١٣	ابن عتبة : ٧٧
(خ)	أبو جعفر المنصور : ٢٧ - ٢٧ - ٣٠ -
خلد بن صفوان : ٢٤ - ٢٤ - ٢٥	٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٣ - ٤٢
(د)	أبو زهnan العلاءي : ١٣٤
داود بن علي :	أبو العباس السفاح : ١ - ١٣ - ١٤
٨ - ١١ - ١١ - ١٢ - ١٤ - ١٥ - ١٥	أبو مسلم انطراساني : ٢٠
داود بن عيسى : ١١٥	أحمد بن أبي دواد : ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩
(ر)	إسحاق بن العباس : ١٢٨
الربيع بن يونس : ٤٤ - ٥٩	أم جعفر بن يحيى : ٨٨
(ز)	الأمين : ١١٥ - ١١٥ - ١١٥
السيدة زبيدة : ١٠٤	الأوزاعي : ٤٩
(س)	(ت)
سديف بن ميمون : ٨	نسيم بن جميل : ١٤٥
سعيد بن مسلم : ١٣٣	(ج)
سلام (صاحب المظالم) : ٥٠	الجاحظ : ١٤٩
(ش)	جعفر الصادق : ٤٠
شبيب بن شيعة : ٨٠	جعفر بن يحيى البرمكي : ٨٥

الفضل بن العباس ٦٠

(م)

المأمون : ١٠٣ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣

محمد بن أبي خالد : ١١٤

محمد بن سايان : ٥٤

محمد بن عبد الملك بن صالح : ١٣٠

محمد بن عيسى بن نبيك : ١٠٢

محمد بن الليث : ٦٩ - ٧٤

مسلم بن قتيبة : ٥٤

معاوية بن عبد الله : ٧٤

ممن بن زائدة : ٥٢

المهدي : ٥٥ - ٧٢ - ٧٥

(ن)

النفس الزكية : ٣٨

(هـ)

الحادي : ٦٤

هرون الرشيد : ٦٦ - ٨٣ - ٨٥

(ي)

يحيى بن أكرم : ١٣١

يزيد بن عمر بن هبيرة : ٥١

يزيد بن مزيد الشيباني : ٩١

يعقوب بن داود : ٧٧

يوسف بن القاسم بن صبيح : ٨١

— تم فهرس أعلام خطب العرب —

(ص)

صالح (صاحب المصلى) : ١٠٣

صالح بن عبد الجليل : ٧٩

صالح بن علي : ١٨ - ٦٨

(ط)

طاهر بن الحسين :

١٠٧ - ١٠٨ - ١١٩ - ١٣٤

(ع)

العباس بن المأمون : ١٤٥

العباس بن محمد : ٦٥

العباس بن موسى : ١٠١

عبد الله بن الحسن : ٣٩

عبد الله بن طاهر : ١٤٤

عبد الملك بن صالح :

٩٢ - ٩٣ - ٩٦ - ٩٧ - ١١١

عثمان بن خريم : ٤٣

علي بن عيسى بن ماهان : ١٠٦

علي بن المهدي : ٦٢

عمارة بن حزة : ٢٦

عمرو بن سعيد : ١٣٣

عمرو بن عبيد : ٤٥

عيسى بن جعفر : ١٠٢

عيسى بن علي : ١٣

(ف)

الفضل بن الربيع : ١٠٩ - ١١٨

ذِيكَ

جَهْرُ خُطْبِ الْعَرَبِ

فِي عِصْوَ الْعَرَبِ الزَّاهِرَةِ

وَيَحْوِي خَمْسَةَ أَبْوَابٍ

الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمنارة .

• الثاني : في خطب ووصايا مجهول مصرها أو قائلها .

• الثالث : في ثمر الأعراب .

• الرابع : في خطب النكاح .

• الخامس : في خطب من أرتج عليهم ونوادير طرفة لبعض الخطباء

فهرس المآخذ

- فتح الطيب ، للمقرى : الجزء الأول - الثانى - الرابع
- مطمح الأنس ، للفتح بن خاقان :
- المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب :
- لمهى الدين بن على - الراكتى
- الإحاطة : فى أخبار غرناطة ، :
- لسان الدين بن الخطيب :
- الأمالى : لأبى على - القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
- الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : » الثالث عشر - السابع عشر
- صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : » الأول
- نهاية الأرب : لشهاب الدين النورى : » السابع
- عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
- الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول
- المقد الفريد : لابن عبد ربه : » الأول - الثانى - الثالث
- زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثانى - الثالث
- البيان والتبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث
- أمالى السيد المرتضى : » الرابع
- جمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : » الأول - الثانى
- تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : » السابع - الثامن
- مروج الذهب : للمسودى : الجزء الثانى

- الصناعتين : لأبي هلال العسكري :
- بلاغات النساء : لابن أبي طاهر طيفور :
- مرح الميرون : لابن نباتة المصري :
- سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن الجوزي :
- مواسم الأدب للسيد جعفر اليعقبي المأوي : الجزء الثاني
- بلوغ الأرب : للسيد محمود شكرى الأوسى : ٥ الثالث
- مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح

الباب الأول

في

خطب الأندلسيين والمغاربة

١ - خطبة عبد الرحمن الداخل (المتوفى سنة ١٧١ هـ)

يوم حربه مع يوسف الفهري صاحب الأندلس

لما اشتد الكرب بين يدي عبد الرحمن الداخل ^(١) ، يوم حربه مع يوسف الفهري ^(٢) صاحب الأندلس ، ورأى شدة مقاساة أصحابه قال :
« هذا اليوم هو أس ما يُبقي عليه ، إمّا ذلّ الدهر ، وإمّا عزّ الدهر . فاصبروا ساعة فإنا لا نشهون ، تَرَبَّحُوا بها بقية أعماركم فيها تشهون » .
ولما أُنحى أصحابه على أصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة قال :

(١) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل ، وذلك أنه لما أصاب دولتهم بالشرق ما أصابها ، وتبع الفلاح من بني أمية بالقتل والإهلاك ، فرجع عبد الرحمن إلى الأندلس . واستطاع معه أن يؤسس هناك دولة أورثها عقبه حتى من الدهر ، وهي دولة بني أمية في المغرب من سنة ١٢٨ إلى سنة ٤٢٢ هـ ، وكانت عاصمة ملكها قرطبة ، وهي مدينة على نهر الوادي الكبير .
(٢) يوسف الفهري هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي حبيبة بن حنبل بن زافع بن أبي الفهريون ، وأمير معاوية على إفريقية والمغرب . وكانت ولاية يوسف الفهري الأندلس سنة ١٢٩ فكانت له تسع سنين وقسمه أشهر . وقد انتقل سلطانها إلى بني أمية .

« لا تستأصلوا شاة^(١) أعداء ترجون صداقتهم ، واستبقوهم لأشدّ عدوة منهم » - يشير إلى استبقائهم ، ليُستعان بهم على أعداء الدين - . (نفع القلب ٢ : ٧٠)

٢ - عبد الرحمن الداخل ورجل من جند قنسرين

ولما أذن يوسف صاحب الأندلس لعبد الرحمن ، واستقر ملكه ، استعصر الفوفود إلى قرطبة ، فالتأوا^(٢) عليه ، ووالى القعود لهم في قصره عدة أيام ، في مجالس يكلم فيها رؤسائهم ووجوههم ، بكلام سرّهم ، وطيب قلوبهم . وفي بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين^(٣) يستجديه ، فقال له :

« يا ابن الخلائف الراشدين ، والسادة الأكرمين ، إليك قررت ، وبك عذبت ، من زمن ظلم ، ودمر عشوم ، قتل لئال ، وكثر أليال ، وشمت^(٤) الحلال ، قصير إلى تذاك المال ، وأنت ولي الحد والجدر ، والمرجو الرقة^(٥) » .
فقال له عبد الرحمن مسرعاً :

« قد سمعنا مقاتلك ، وقصينا حاجتك ، وأمرنا بعموك على دهرك ، على صكر هذا لنوء مقامك ، فلا تمودن ولا سيواك لله ، من إراقة ماء وجهك بتصرّج السأة ، والإلحاف في الطلبة^(٦) ، وإذا ألم بك خطب ، أو حرّ بك^(٧) أمر ، فارضه إلينا في رقة لا تمذوك ، كما نستر عليك خلّاتك ، ونكفّ شمات العدو عنك ، بعد رفضك لما إلى ماليك ومالينا - عزّ وجهه - بإخلاص الدعاء ، وصدق النية » .

-
- (١) الشاة : قرعة تخرج في أسفل القدم فتكوى فطعب ، أو إذا قطعت مات صاحبها . والأصل : استأصل الله شاة : أذهب كما تلعب تلك القرعة ، أو مناه أزه من أمه .
(٢) التأوا : انصب ، أي تأنبوا وترافقوا عليه . (٣) بالشام .
(٤) شمت الأمر : نشره وفرفته . (٥) الرقة : قطاء والفضة .
(٦) الطلبة : الطلب . (٧) أي الغد عليك . والحقبة الحاجة .

وأمر له بمنازة حسنة ، وخرج الناس يتعجبون من حسن منطقته ، وبراعة أدبه ، وكفّ فيما بعدُ ذِوَ الحاجات عن مقابلته بها شفاهاً في مجلسه . (نفع الطب ٢ : ٦٨)

٣ — عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده يهتبه بفتح سرقسطة

ولما فتح عبد الرحمن الداخل سَرَقِطَةَ^(١) ، وَحَصَلَ في يده ثأرُها الحسين الأنصاري ، وانتهى نصرُهُ فيها إلى غايةِ أَمَلِهِ ، أَقْبَلَ خواصَّهُ يَهْتَبُونَهُ ، فَجَرى بينهم أحدُ من لا يُؤْبَهُ به من الجنذ ، فَهَتَأَ بصوت عالٍ ، فقال له عبد الرحمن :

« وَأَقْبِرْ لَوْلا أَن هذا اليومَ يَوْمٌ أُسْبِغَ عَلَيَّ فِيهِ النِّمَّةُ مَنْ هُوَ فَوْقَ ، فَأَوْجَبَ عَلَيَّ ذلكَ أَن أُنِمْ فِيهِ عَلَى مَنْ هُوَ دُونِي ، لأَصْلَيْتُكَ ما تَرَعَّتْ لَهُ من سوءِ النِّكَالِ ، مَنْ نَكُونُ ؟ حَتَّى تُقْبِلَ مُهَنِّئاً رافِعاً صوتَكَ . غَيْرَ مُتَلَجِّجٍ ولا مُتَهَيِّبٍ لِمَكَانِ الإِمَارَةِ ، ولا عارفٍ بِقِيَمَتِها ، حَتَّى كَأَنَّكَ تَخاطِبُ أَبَاكَ أو أَخَاكَ ! وَإِنَّ جَهْلَكَ لِيَحِيْطَ عَلَى العَوْدِ لِمِثْلِها ، فلا تَجِدْ مثلَ هذا الشافعِ في مثْلِها من عقوبة . »

فقال : « وَلَمَلِ فتوحاتِ الأميرِ يَقْتَرِنُ اتصالُها باتِّصالِ جَلِي وذُنُوبِي ، فَتَشْفَعُ لِي مَنِي أَنْتِ بِمِثْلِ هذه الزَّلَّةِ ، لا أَعْدِمُنِيهِ اللهُ تعالى . »

فقبل وجهَ الأميرِ ، وقال : ليسَ هذا باعتذارِ جاهلٍ ، ثم قال : نَتُوبُنا عَلَى أَفْئِمْ إِذَا لَمْ تَجِدُوا مِن بَيْنِنا عَلَيْها ، وَرَفَعَ رَمرتَهُ وزادَ في عَطائِهِ . (نفع الطب ٢ : ٧٠)

٤ — تاديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر

كان المنذر ابن الأمير عبد الرحمن الأوسط^(٢) سَيِّئَ الخُلُقِ في أولِ أمرِهِ ، كثيرَ الإِصْماءِ إلى أقوالِ الوُشاةِ ، مُفْرِطَ الخُلُقِ بما يُقالُ في جانبِهِ ، مُعاقِباً عَلَى ذلكَ من يقدِرُ عَلَى مُعاقِبَتِهِ ،

(١) مدينة مل نهر إبرة . (٢) هو عبد الرحمن الأوسط (الشافعي) ابن أخيه من مشاهير عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٢٠٦ إلى سنة ٢٣٨ هـ .

مكثر التشكى ممن لا يقدر عليه لوالده الأمير عبد الرحمن ، فظال ذلك على الأمير ، فأمر ثقة من ثقته أن يبنى بجبل منقطع عن العمران بناءً يُسكن فيه ابنه ، والأيدع أحداً من أصحابه يزوره ، فلما استقر للنذر في ذلك المكان ، وبقي وحده ، ونظر إلى ما سلبه من الملك ، ضجر وقال للثقة : عسى أن يصلني غلمان وأصحابي آنس بهم ! فقال له : إن الأمير أمر ألا يصلك أحد ، وأن تبقى وحيدك ، تستريح مما يرفع لك أصحابك من الرواية ، فلم أن الأمير قصد بذلك محنته وتأديبه ، فسكتب إليه يشكو استيعابه^(١) بمكانه ، فلما وقف الأمير على رفته ، وعلم أن الأدب بلغ به حقه استدعاه ، فقال له :

« وصلت رفعتك ، تشكو ما أصابك من توخش الأفراد ، في ذلك للوضع ، وترغب أن نأسي بحمولك^(٢) وعبيدك وأصحابك ، وإن كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكناك في ذلك المكان ، وما ضلت ذلك عقاباً لك ، وإنما رأيناك تُعسكر الصجر والتشكى من القال والقيل ، فأردنا راحتك بأن تحجب عنك سماع كلام من يرفع لك وينيم ، حتى تستريح منهم » .

فقال له : « سماع ما كنت أضجر منه ، أخف على من التوحد والتوخش ، والضخى مما أنا فيه من الرفاهية والأمر والنهي » .

فقال له : « فلماذا عرفت وتأديبت ، فارجع إلى ما اعتدته ، وعول على أن تسمع كأنك لم تسمع ، وترى كأنك لم تر ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو تكاشفت ما تدافت » ، واعلم أنك أقرب الناس إلي ، وأحبهم في ، وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الأوقات عن إنكار علي ، وسخط لما أضله في جانبك ، أو جانب غيرك ،

(١) ونص الكتاب : « إلى قد توحدت في هذا الموضع توخفاً ما عليه من مزه ، وهدمت فيه من كنت آس إليه . وأصبحت مسلوب الفز ، فقيه الأمر والقيس ، فإن كان ذلك عقاباً لأني كبير ارتكبيته ، وعلمه مولاي ولم أعلم ، فإن صابر على تأديبه . فارجع إلي في جنوه وصفحه .

وإن أسبر المؤمنين وضعه السكاهم : لا طار بما قيل لدهم »

(٢) الخول : مثال الخلم والخم وزنا وضى .

عالمو أطلنى الله تعالى عليه لسانى ، لكن الحمد لله الذى حفظ ما بين القلوب بستر بعضها عن بعض ، فبما يحول فيها ، وإناك قوهمة ومطلع ، ومن يكن هكذا بصير ويُنْصِر وَيَحْمِلُ ، وَيُذِيلُ بالعقاب الثواب ، ويصير الأعداء من قبيل الأحاب ، ويصير من الشخص على ما يسوء ، قد يترى منه بعد ذلك ما يسر ، وقد يحف على اليوم من قاسيت من فعله وقوله ما لو قطعتم عضواً عضواً لما ارتكبه منى ، ما شفت منهم غيظى ، ولكن رأيت الإغضاء والاحتال ، لاسياً عند الاقتدار أولى ، ونظرت إلى جميع من حولي ممن يُحْمِلُ وَيُصِرُ ، فوجدت القلوب مقاربة بعضها من بعض ، ونظرت إلى السوء يعود محسناً ، والحسن يعود سيئاً ، وصرت أُنْذِمُ على من سبق له منى عقاب ، ولا أُنْذِمُ على من سبق له منى ثواب ؛ فالزم يا بنى معالي الأمور ، وإن جاعها فى التناضى ، ومن لا يتناضى لا يسلم له صاحب ، ولا يُجَرَّبُ منه جانب ، ولا ينال ما تترقى إليه همته ، ولا يظفر بأمله ، ولا يجد مُعِيناً حين يحتاج إليه .

فقبل للنذر يده وانصرف ، ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده ، حتى تخلق بالخلق الجليل ، وبلغ ما أوصاه به أبوه ورفق قدره .
(فتح الحبيب ٢ : ٢٢٧)

هـ - عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضاً

وقال له أبوه يوماً : إن فيك كتباً مُفَرِّطاً ، قال له : حق فزع أنت أصله أن يلو ، قال له : يا بنى ، إن العيون تَمُجُّ التَّيَّابَةَ ، والقلوب تَنْفِرُ عنه ، قال : يا أبى ، لى من العز والنسب وعلو المكان والسلطان ما يَحْمِلُ^(١) عن ذلك ، وإلى لم أر العيون إلا مُقْبِلَةً على ، ولا الأسماع إلا مُصْغِيَةً إلى ، وإن لهذا السلطان رَوْحاً يُرِيقُهُ التبدل ، وَعُلُوّاً يُخَفِّضُهُ الانبساط ، ولا يصونه ويشرفه إلا التَّيَّابَةُ والانتفاض^(٢) ، وإن هؤلاء الأندال ،

(١) فى الأصل : « يحمل » ، وأرى صوابه : « يحمل » .

(٢) جرى وذلك على سنن أبي مسلم المراسى ، وكان يقول لقواده إذا أخرجهم : « لا تكلوا

الذئب إلا رمزاً » ، ولا للظلم إلا فزراً ، فقل : صدورهم من حيثكم - انظر الفتحة القرية ٢ : ٢٩٩ -

لحم ميزان يَشْرُونَ^(١) به الرجل منا ، فإن رزقناه رجلاً ، عرّفناه نعمة ، وإن رأوه ناقصاً عاملوه بقصمه ، وصيروا تواضعه صغراً ، وتحمضه خسة » ، قال له أبوه :
 « أنت أفايق وما رأيت » .
 (نسخ الطبع ٢ : ٢٢٩)

٦ - يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأخذ خدامه

ومدح بعض الشرايين يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط ، فأمر له بمال جزيل ، فلما كان مثل ذلك الوقت ، جاءه بمدح آخر ، قال أحد خدام يعقوب : هذا اللئيم له دين عندنا يقتضيه ! فقال الأمير :

« يا هذا ، إن كان الله تعالى خلقك مجبوراً على كرهه ربّ الصنائع ، فأجر على ما جُيِلَتْ عليه في نفسك ، ولا تسكن كالأجرب يُمدى غيره » ، وإن هذا رجل قصّدتنا قبل ، فكان منا ما أثير^(٢) به ، وحله على العودة ، وقد ظن فينا خيراً ، فلا نخيب ظنه ، والحديث أبداً يحفظ القديم ، وقد جاءنا على جهة التهينة بالمر ، ونحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا ، حتى يكثر تردّاده ، ويديم نعمتنا حتى نجد ما ننعم به عليه ، ويحفظ علينا مروءتنا ، حتى يميننا على التجمل معه ، ولا يُبيلنا مجلس مثلك ، يقيض أيديتنا عن إسداء الأيادي » .

وأمر للشاعر بما كان أمره به قبل ، وأوصاه بالعود عند حلول ذلك الأوان
 ما دام العمر .
 (نسخ الطبع ٢ : ٢٢٠)

(١) آخر : مرج .

(٢) السج - استخفاف غرور المرح .

٧ - وفاة الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز

واعذاره عنه لدى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط

كان الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم صديقاً للوزير هاشم بن عبد العزيز ،
تابعاً على مودته ، فلما قضى الله على هاشم بالأسر ، أجرى السلطان محمد بن عبد الرحمن
الأموي^(١) ذكراً في جماعة من خدامه ، والوليد حاضر ، فقبه إلى الطيش والتجلة
والاستبداد برأيه ، فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد ، فقال :

« أصلح الله تعالى الأمير ، إنه لم يكن على هاشم التخير في الأمور ، ولا الخروج
عن المقدور ، بل قد استعمل جهده ، واستفرغ نصحه ، وقضى حق الإقدام ، ولم يكن
ملاك النصر بيده ، فغذله من وثق به ، ونسكل عنه من كان معه ، فلم يرحز قدمه
عن موطن حفاظه ، حتى ملك مقبلاً غير مدبر ، متبلياً غير قشيل ، فبوزي خيراً
عن نفسه وسلطانه ، فإنه لا طريق للام عليه ، وليس عليه ما جتته الحرب الفشوم .
وأيضاً فإنه ما قصد أن يتخود بنفسه إلا رضاء للأمير ، واجتناباً لسخطه ، فإذا كان
ما اعتد في الرضا جالب التصير ، فذلك مملود في سوء الحظ » .

فأعجب الأمير كلامه ، وشكر له وفاءه ، وأقصر عن تنقيده هاشم ، وسمى
في تخلصه .

(فتح العلب ٢ : ٢٢٠)

(١) هو الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط . حكم الأندلس من سنة ٢٢٨ إلى سنة ٢٧٢ هـ .
وكان قزاً ، لأهل الشرك والخلاف ، وربما أوغل في بلاد الهند أشبه أو أكثر يبرق وهنس ،
وله في العدو وقعة وادي سابط ، ومن من أمهات الرقات ، يعرف مظهرها في الأندلس قبلها .

٨ - خطبة منذر بن سعيد البلوطي^(١) المتوفى سنة ٣٥٥ هـ

في الاحتفال بقدم رسل ملك الروم

روى للزوخون أن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله^(٢) ، بلغ من عزّة الملك ، ورضا السلطان بالأندلس ، أن كانت مفوك الروم والإفرنجية تزكّلف إليه ، تطلب مهادنته ، وتهدى إليه أغصن الذخائر ، ومن جلّتهم قسطنطين بن ليون صاحب القسطنطينية ، وقد رغب في مواعته ، وبعث إليه سنة ٣٣٨ هـ وفدًا من قبله بهدية له ، فتأهب الناصر لورودهم ، واحتفل بقدمهم احتفالاً رائعاً ، أحبّ أن يقوم فيه الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكّر جلالة ملكه ، وعظيم سلطانه ، ونصف ما تهبّ من توطيد الخلافة في دولته ، وتقدم إلى الأمير الحكم ابنه ووليّ عهده ، بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، فأمر الحكم صنيعة الفقيه محمد بن عبد البر بالتأهب لذلك ، وكان يدعى من القدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره ، وحضر المجلس السلطاني ، فلما قام يحاول التكلم ، بهزه هولّ اللقّام ، وأثبته الخلافة ، فلم يهتد إلى لقطة ، بل غشى عليه وسقط إلى الأرض ، قيل لأبي عليّ القالي - صاحب الأملاني ، وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق - : قم فارقع هذا الوهمي^(٣) ، فقام فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع به القول ، فوقف ساكناً متفكراً

(١) ولد سنة ٥٢٦ هـ ، وتوفى سنة ٣٥٥ هـ ، وكان خطيباً بليغاً عالماً بالجدل سلفاً فيه ، فبعد المرونة حاصر الجواب مفيدة ، ثابت الحجة ، ولحقه طريقة لغرض المجاهدة - المبررة في المشرق بقضاء القضاء - لعبد الرحمن الناصر ، ثم لاهته الحكم المستنصر ، ستة عشر عاماً من سنة ٢٢٩ إلى سنة ٣٥٥ ، لم يحفظ عليه فيها جود في قضية ، ولا قسم بخير سوية ، ولا ميل لحوى .

(٢) هو عبد الرحمن الثالث ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثالث ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، سمى الأندلس من سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣٥٥ هـ ، وهو أول من تسمي من أمراء بني أمية بالأندلس بأمر المزمّنين معهما ثلاث أمم الخلافة بالشرق ، وطلب موالى الترك على بني العباس . وبلغه أن المستنصر قتله مولاه ، مؤنس الظفر سنة ٣١٧ هـ . (٣) الوهمي : الخلق في القضية .

في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه ، فها رأى ذلك منفردين سعيد البلوطي
- وكان ممن حضر في زُفرة الفقهاء - قام من ذاته بدرجة من مِرقاته ، فوصل اقتطع
أبي علي لأول خطبته بكلام كان يسُعه سَحًا ، كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة :
قال :

« أما بعد حمد الله ، والثناء عليه ، وَالتَّعَدُّدُ لآلَائِهِ ، وَالشُّكْرُ لِنِعْمَائِهِ ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، فَإِنَّ لِكُلِّ جَادَّةٍ مَقَامًا ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَ ،
وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ، وَإِنِّي قَدْ قُتُّ فِي مَقَامِ كَرَمٍ ، بَيْنَ يَدَيْ مَلِكٍ عَظِيمٍ ،
فَأَصْفُوا^(١) إِلَى مَعَشَرِ الْمَلَأَ بِأَسْمَاعِكُمْ ، وَأَتَقِنُوا عَنِّي^(٢) بِأَقْدَانِكُمْ ، إِنْ مِنْ الْحَقِّ أَنْ
يَقَالَ لِلْحَقِّ صَدَقْتُ ، وَلِلْبَاطِلِ كَذَبْتُ ، وَإِنَّ الْجَلِيلَ تَعَالَى فِي سَائِهِ ، وَتَهَيَّئِينَ
فِي صِفَاتِهِ وَأَسَانِيهِ ، أَمْرَ كَلِيمَةِ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ ،
أَنْ يَذْكُرَ قَوْمَهُ بِأَيَّامِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ عِنْدَهُمْ ، وَفِيهِ وَفِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وَإِنِّي أَذْكُرُكُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ ، وَتَلَايَةِ لَكُمْ بِخَلِيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
الَّتِي لَمْ تَشَقَّكُمْ ، وَأَمَنْتَ سِرْبَكُمْ^(٣) ، وَرَفَضْتَ قَوْنَكُمْ ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرْتُمْ
وَمُسْتَضْعَفِينَ قَوَّامًا ، وَمُسْتَذَلِّينَ فَنَعَزْتُمْ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رِعَايَتَكُمْ ، وَأَسَدًا إِلَيْهِ إِمَامَتَكُمْ ،
أَيَّامَ ضَرَبَتْ الْفِتْنَةُ سُورَادِقَهَا عَلَى الْأَفْئِدِ ، وَأَحَاطَتْ بِكُمْ شُعْلُ النِّفَاقِ ، حَتَّى صَرْنَمَ
فِي مِثْلِ حِدْقَةِ الْبَعِيرِ ، مِنْ ضَيْقِ الْحَالِ ، وَتَحَكَّدَ الْعَيْشُ وَالتَّغْيِيرُ ، فَاسْتَبَدَّتْ بِخُلَافَتِهِ مِنْ
ثَالِثَةِ الرَّخَاءِ^(٤) ، وَانْتَقَلَمَ بَيْنَ سِيَاسَتِهِ إِلَى تَحْيِيدِ كَنْفِ الْعَافِيَةِ بَعْدَ اسْتِطْلَاقِ الْبِلَاءِ .

أَنْتَذِرُكُمْ بِاللَّهِ مَعَاشِرَ الْمَلَأَ ، أَلَمْ تَكُنْ الْقَدَمَاءُ مَسْفُوكَةً لِحَقِّهَا ، وَالسُّبُلَ حُفُوقَةً قَائِمَتِهَا

(١) الذي في كتب اللغة : « أسى إلى سمه : أماله ، وأسى إليه : مال به سمه نحوه » ولعل زلولة
الهاء في « بأسماعكم » من التسلخ لامن الخطيب .

(٢) هكذا في نصح الخطيب ، وفي مطبع الأنفس : « وشئوا على بالقدنكم » .

(٣) السرب : القنص .

(٤) في الأصل : فاستبدلت بخلافته من اللغة بالرخاء ، وأصولها ما ذكرته :

والأموال منتهية فأحرزها وحصلها؟ ألم تكن البلاد خراباً فمَرَّها، ونُور السنين مُهْتَضِمةً فجاءها ونصرها؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته، وتلافيه جمع كلتكم بعد افتراقها بإيمانه، حتى أذهب الله عنكم غيظكم، وشق صدوركم، وميزنم يداً على عدوك، بعد أن كان بأسكم بينكم.

فَأَنْشُدْكُمْ الله، ألم تكن خلافته قُلَّ الفتنة بعد اضطلاعها من عقلمها؟ ألم يَتَلَفَ صَلَاحُ الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها؟ ولم يَكِلْ ذَلِكَ إِلَى الْقَوَادِ وَالْأَجْنَادِ، حتى بَاشَرَهُ بِالْقُوَّةِ وَالْمُهْجَةِ وَالْأَوْلَادِ، واعتزل القسوان، وهجر الأوطان، ورفض الدعة، وهي محبوبة، وترك الركون إلى الراحة، وهي مطلوبة بطبيعة صهيحة، وعزيمة صريحة، وبصيرة ثابتة، نافذة ثابتة، وريح هابّة غالية، ونُصرة من الله واقعة واجبة، وسلطان قاهر، وجَدَّ ظَاهر، وسيف منصور، تحت عدل مشهور، متحلاً للتعصب، مستقلاً ناله في جانب الله من التعب، حتى لانت الأحوال بعد شدتها، وانكسرت شوكة الفتنة عند جدتها، ولم يبق لها غاربٌ إِلَّا جَبَهُ^(١)، ولا نَجَمَ^(٢) لأهلها قَرْنٌ إِلَّا جَدَّهُ، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً، وِلَمْ آمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَشَقَّكُمْ عَلَى أَعْدَائِهِ أَعْوَاناً، حتى توارت لديكم الفتوحات، وضح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم، وآمال الأقصيين والأدنيين مستظمة إليه وإليكم، يأتون من كل فجٍ عميق، وبلد سحيق^(٣)، لأخذ حَبْلٍ^(٤) بيته وبينكم بُحْلَةً وتقصيلاً، لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، ولن يُخْلَفَ اللهُ وعده، ولهذا الأمر ما بعده، وتلك أسباب ظاهرة هادية، تدل على أحوال باطنة خافية، دليلها قَائِمٌ، وَجَبُّهَا غَيْرُ نَائِمٍ «وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

(١) للغارب : الكدال ، أو ما بين السنام والعتق ، وجبه : قلعه .

(٢) في الأصل : «نجح» وهو تحريف ، والصواب «نجم» أي ظهر وطلع ، وجبه : قلعه .

(٣) سحيق : بعيد . (٤) أي سلة بين يديهم .

فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَسْكُنَنَّ لَكُمْ دِينُهُمُ الَّذِي أَرْقَضْتُمْ لَهُمْ
وَلَيَبْذِلَنَّهُمْ مِنْ بَدْرٍ خَوْفِهِمْ أَتُنَافُونَ ، وليس في تصديق ما وَعَدَ اللَّهُ أَرْتَابَ ، ولكل
تَبَا مُسْتَقَرًّا ، ولكل أَجَلٍ كِتَابٌ . فَاحْدُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَى آلَانِهِ ، واسألوه
لِلزَّيْدِ مِنْ نِعْمَانِهِ ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ بَيْنَ (١) خِلَافَةِ أَمِيرٍ لِلْمُؤْمِنِينَ - أَيْدِ اللَّهِ بِالْعِصَةِ وَالسِّدَادِ ،
وَالْهَمَةُ خَالِصُ التَّوْفِيقِ إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ - أَحْسَنَ النَّاسِ حَالًا ، وَأَنْعَمَهُمْ بَالًا ، وَأَعَزَّهُمْ
قَرَارًا ، وَأَمْنَهُمْ دَارًا ، وَأَكْثَنَهُمْ جَعًا ، وَأَجْلَهُمْ ضَنْمًا ، لَا تُهَاجِرُونَ وَلَا تُدَاوُونَ ،
وَأَتَمُّ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِكُمْ ظَاهِرُونَ ، فَاسْتَمِينُوا عَلَى صَلَاحِ أَحْوَالِكُمْ بِالنَّاصِحَةِ لِإِمَامِكُمْ
وَالتَّزَامِ الطَّاعَةِ لَخَلِيفَتِكُمْ وَابْنِ عَمِّ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنْ مِنْ نَزَعٍ يَدُهُ مِنْ
الطَّاعَةِ ، وَسَعَى فِي تَفْرِيقِ الْجَمَاعَةِ ، وَمَرَقَ مِنَ الدِّينِ ، فَقَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، ذَلِكَ
هُوَ الْخُسْرَانُ الْكَبِيرُ .

وقد علمتم أن في التعلق بِعِصَّتِهَا ، وَالتَّمَسُّكِ بِمِرْوَتِهَا ، حِفْظَ الْأَمْوَالِ ، وَحَقْنَ
الدِّمَاءِ ، وَصَلَاحَ الْخَلَاصَةِ وَالْإِقْلَامِ (٢) ، وَأَنْ يَدْوَامَ (٣) الطَّاعَةِ تَقَامُ الْحُدُودُ ، وَتَوْفَى
الْهُدُودُ ، وَبِهَا وَصِلَتِ الْأَرْحَامُ ، وَوُضِّعَتِ الْأَحْكَامُ ، وَبِهَا سَدَّ اللَّهُ انْخِلَالَ ، وَأَمِنَ
السَّبِيلُ ، وَوُطِّئَ الْأَكْنَافُ ، وَرُفِعَ الْاِخْتِلَافُ ، وَبِهَا طَابَ لَكُمْ الْقَرَارُ ، وَاطْمَأَنَّ
بِكُمُ الدَّارُ ، فَاعْتَصِمُوا بِمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالْإِعْتِصَامِ بِهِ ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : « وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَحَاطَ بِكُمْ فِي جَزَائِكُمْ
هَذِهِ مِنْ ضُرُوبِ الْمُشْرِكِينَ ، وَصُنُوفِ الْمُجْرِمِينَ السَّاعِينَ فِي شَقٍّ عَصَاكُمْ ، وَتَفْرِيقِ
مَلِكِكُمْ ، الْآخِذِينَ فِي غِلَاظَةِ دِينِكُمْ ، وَهَتِكِ حَرَمِكُمْ ، وَتَوْهِينِ دَعْوَةِ نَبِيِّكُمْ ،
صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ ، وَعَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالرَّسُلِينَ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأُخْتِمُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ، مُسْتَغْفِرًا اللَّهَ الْغَفُورَ الرَّحِيمَ ، فَهُوَ خَيْرُ النَّافِرِينَ » .

(١) حَكَاهُ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ ، وَسَطِحِ الْأَنْفُسِ ، وَلِئَلَّ صَوَابِهِ : « أَصْبَحْتُمْ خِلَافَةَ أَمِيرٍ لِلْمُؤْمِنِينَ » .

(٢) دَعَا : دَعَاةً نَاسًا . (٣) فِي الْأَصْلِ : « يَدْوَامُ » ، وَاطَّه : « يَدْوَامُ » .

وخرج الناس يحدثون عن حسن مقامه ، وثبات جَنَانِه ، وبلاغة لسانه ، وكان
الناصر أشدهم تعجباً منه ، فولّاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء ، ثم توفى
محمد بن عيسى القاضي ، فولّاه قضاء الجماعة بقرطبة ، وأقرّه على الصلاة بالزهراء .
(نفع الطيب ١ : ١٧٢ ، وفتح الأنس ص ٤٢)

٩ - خطبة أخرى له

وخطب منذر بن سعيد يوماً - وأراد التواضع - فكان من فصول خطبته ،
أن قال :

« حقى متى ، وإلى متى ، أعِظ ولا أتمِظ ، وأزجر ولا أترجر ، أدل الطريق
إلى الستلئين ، وأبقي مقياً مع الخائرين ! كلا ، إن هذا هو البلاء المبين ! إنهم
إِلَّا فَتَنُكَ نَصِلُ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ، أَنْتَ وَرِثْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا وَلِرَحْمَنَا ،
وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ . اللهم فرغنى لما خلقتنى له ، ولا تشغلنى بما تكفلت لى به ،
ولا تحزمنى وأنا أسألك ، ولا تهذبى وأنا أستغفرك ، يا أرحم الراحمين » .
(نفع الطيب ١ : ٢٢٢)

١٠ - أحد حساد الرمادى الشاعر والمنصور بن أبى عامر

(المتوفى سنة ٣٩٤ هـ)

وقال المنصور بن أبى عامر المأفرى^(١) يوماً لأبى عمر يوسف الرمادى الشاعر :

(١) هو المنصور أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبى عامر بن الوليد بن زينة بن عبد الملك
المأفرى . دخل جده عبد الملك الأندلس مع طارق ، وكان خطيباً في قومه ، وله في الفتح أثر ، . كان
الحكم بن المنصور قد استوزر ابن أبى عامر ، ونفوس إليه أموره ، وترقت حاله عليه ، ثم توفى الحكم
سنة ٣٩٦ هـ ، وولى بعده ابنه هشام . وكانت سنة تسع سنين ، فحدث ابن أبى عامر نفسه بالخطب عليه
لمصر سنة وتم له ما أبل ، فخطب عليه ، وترجع كل سرير للملك ، وأمر أن يحيا بصحة للملك ، وتسمى

كيف ترى حالك مى ؟ قال : « فوق قدرى ، ودون قدرك » ، فأطرق للنصور كالنضبان ، فأنسل الرماذى وخرج وقد نديم على ما يدر منه ، وجبل يقول : أخطأت ! لا والله ، ما يفلح مع اللوك من ياملهم بالحق ، ما كان ضرتنى لو قلت له : إني بلغت السماء ، وتمنعت بالجوزاء ! وأنشد :

مضى بات هذا الموت لا يُلْفِ حاجة زلتفى إلا قد قصبت قضاءها

وكان في المجلس من يحسد على مكانه من للنصور ، فوجد فرصة فقال :

« وصل الله لولانا الفخر والسعد ، إن هذا الصنف صنف زور . وهذا إن لا يشكرون نعمة ، ولا يرعون إلا ^(١) ولا قيمة ، كلاب من غلبت ، وأصحاب من أخصب ، وأعداء من أجذب ، وحسدك منهم أن الله جل جلاله يقول فيهم : « والشراة يقيمهم القارون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون » ، والابتعاد منهم أولى من الاقتراب ، وقد قيل فيهم : ما ظنك بقوم الصدق يستحسن إلا منهم ؟ »

• • •

فرفع النصور رأسه - وكان يحامي أهل الأدب والشعر - وقد اسود وجهه ، وظهر فيه الغضب القوي ، ثم قال :

« ما بال أنوام يشيرون في شيء لم يُتشاروا فيه ، ويسبون الأدب بالحكم فيما لا يدرّون ، أيرضى أم يُخطئ ؟ وأنت أيها اللبث لشر دون أن يُبث ، قد علنا غرضك ، في أهل الأدب والشعر عامة ، وحسدك لهم ، لأن الناس كما قال القائل :

بالحاجب المنصور ، ونقلت الكتب والمخطوطات والأوامر باسمه ، وأمر بالعداء له على المنابر باسمه ضد أعداء الخليفة ، ولم يبق لحسام من رسوم الخلافة أكثر من العداء له على المنابر ، وكتابة اسمه في الفكة والطرر ، وطه المنصور أعظم ما كان ملكاً سنة ٣٩٤ هـ لسبع وعشرين سنة من ملكه .

(١) يريه « ودون » ما ينبغي أن يطلبه منك مثل .

(٢) الإل : العهد .

من رأى الناس له فضلاً عليهم حسدوه

وَعَرَفْنَا غَرْضَكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ خَاصَّةً ، وَلَسْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَبْلُغُ أَحَدًا غَرْضَهُ فِي أَحَدٍ ،
ولو بَلَّغْنَاكُمْ بَلَّتْنَا فِي جَانِبِكُمْ ، وَإِنَّكَ ضَرَبْتَ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ^(١) ، وَأَخْطَأْتَ وَجْهَ الصَّوَابِ ،
فَوَدَّتْ بِذَلِكَ احْتِقَارًا وَصَفَارًا ، وَإِنِّي مَا أُطْرَقْتُ مِنْ كَلَامِ الرَّمَادِيِّ إِنْكَارًا عَلَيْهِ ، بَلْ
رَأَيْتُ كَلَامًا يَحِيلُ عَنِ الْأَقْدَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَتَمَجَّجَتْ مِنْ تَهْدِيدِهِ لِهَ بَسْرَعَةٍ ، وَاسْتَنْبَاهُ لَهُ عَلَى
قَلَّةٍ مِنَ الْإِحْسَانِ النَّاسِرِ ، مَا لَا يَسْتَنْبِطُهُ غَيْرُهُ بِالْكَثِيرِ ، وَاللَّهُ لَوْ حَكَمْتُهُ فِي بُيُوتِ الْأَمْوَالِ ،
لَرَأَيْتُ أَنَّهَا لَا تَرَجِّحُ مَا نَكَلَّمُ بِهِ قَلْبُهُ ، ذَرْنِي . وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَمُودَ أَحَدُكُمْ مِنْكُمْ إِلَى الْكَلَامِ
فِي شَخْصٍ ، قَبْلَ أَنْ يُوْخِذَ مَعَهُ فِيهِ ، وَلَا تَحْكُمُوا عَلَيْنَا فِي أَوْلِيَانِنَا ، وَلَوْ أَبْصَرْتُمْ مِنَّا
التَّغْيِيرَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّا لَا نَتَغَيَّرُ عَلَيْهِمْ بَقْصًا لَهُمْ ، وَانْخِرَافًا عَنْهُمْ ، بَلْ تَأْذِيًّا وَإِنْكَارًا ، فَإِنَّا
مِنْ تَزِيدٍ بِإِعَادِهِ لَمْ نُظْهِرْ لَهُ التَّغْيِيرَ ، بَلْ نُبْذُهُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَإِنَّ التَّغْيِيرَ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ
يُؤْخَذُ اسْتِغْنَاؤُهُ ، وَلَوْ كُنْتُ مِثْلَ السَّمْعِ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْكُمْ فِي صَاحِبِهِ ، لَتَفَرَّقْتُ فِي أَيْدِي
سَبَا^(٢) ، وَجُوبَيْتُ أَنَا بِجَانِبَةِ الْأَجْرَبِ ، وَإِنِّي قَدْ أَطْلَعْتُكُمْ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِي ، فَلَا تَمْدِلُوا
عَنْ مَرْضَاتِي ، فَجَنَّبُوا سُخْطِي بِمَا جَنَّبْتُمُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ .

ثم أمر أن يرد الرمادي ، وقال له : أعِدْ عَلَى كَلَامِكَ ، فارتاع ، فقال : الأمر
على خلاف ما قدَّرت ، الثَّوَابُ أَوَّلَى بِكَلَامِكَ مِنَ الْعِقَابِ ، فَسَكَرَ لِتَأْنِيهِ ، وَأَعَادَ
مَا نَكَلَّمُ بِهِ .

فقال المنصور : « بَلَّغْنَا أَنَّ النَّمَانَ بْنِ الْمُنْدَرِ حَسَنًا فَمِمَّنْ النَّابِغَةُ بِالذُّرِّ ، لِكَلَامِهِ

(١) مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : « تُضْرَبُ : فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ » وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ مَنْ طَعَنَ فِي غَيْرِ مَطْعَمٍ .
(٢) مِنْ أَمْثَالِهِمْ أَيْضًا : « ذَهَبُوا إِلَى سَبَا » وَتَفَرَّقُوا إِلَى سَبَا ، وَأَيَادِي سَبَا ، وَالْبَدِ : الْفَرِيقُ
لَمْ يَفْرَقْهُمْ طَرَفُهُمْ أَلَمْ يَكُنْ كَمَا تَفَرَّقَ أَوَّلُ سَبَا فِي مَذَاهِبٍ مَحْطَفَةٍ . شَرِبَ الْمَثَلُ بِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَفْرَقْ مَكَانَهُمْ ،
وَلَهَبَتْ جَنَاتُهُمْ ، تَهَدَّوْا فِي الْبَلَاءِ — انْظُرِ الْقِصَّةَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ صَفْحَةُ ١٠٨ — وَهَذَا بَنُو أَيْدِي سَبَا ،
وَأَيَادِي سَبَا عَلَى السَّكُونِ لِكُونِهِ مَرْكَبًا تَرْكِبُ حَسَنَةً طَيْرٍ .

استلمعه منه ، وقد أمرنا لك بما لا يقتصر عن ذلك ، ما هو أنوه وأحسن عائدة ،
وكتب له بمال وتخلع وموضع يعيش منه ، ثم رد رأسه إلى التكلم في شأن الرماحى
- وقد كان ينوص في الأرض لو وجد ، لثلة ماحلة به بما رأى وسمع - وقال :
« وَالْعَجَبُ مِنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ : الْابْتِعَادُ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَوَّلَى مِنَ الْاقْتِرَابِ ، نَعَمْ ، ذَلِكَ لِمَنْ
لَيْسَ لَهُ مَفَاخِرٌ ، يَرِيدُ تَحْلِيلَهَا ، وَلَا أَيَادٍ يَرْغَبُ فِي نَشْرِهَا ، فَأَيْنَ الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ :
عَلَى مُكْثَرِهِمْ رِزْقٌ مَنْ يَتَرَبَّعُهُمْ وَعِنْدَ الْفُقَرَاءِ السَّامِعَةُ وَالْبَذَلُ^(١) .
وَأَيْنَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ بَيْنَ مِدَادٍ وَخُحْضَرَةٍ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ^(٢)

أما كان في الجاهلية والإسلام أكرم من قيل فيه هذا القول ؟ بلى ، ولكن محبة
الشعراء والإحسان إليهم ، أحييت غابر ذكراهم ، وخصَّصهم بمفاخر عصرهم ، وغيرهم
لم تخلد الأمداح^(٣) ما برحهم ، فذثروا ذكركم ، ودرسون نحرهم .
(تلح عليهم ٢ : ٢٢٦)

(١) البيت لزهر بن أبي حنيفة من قصيدة في مدح آل هرم بن سنان .

(٢) البيتان لعل بن جبلة الأنباري الملقب بالكوك من قصيدة قالها في مدح أبي دلف القاسم بن موسى
الجبلي - وكان جواداً عدواً وفيها يقول :

كل من في الأرض من عرب بين يافيه إلى حضرة
مستجير منه مكرسة يكسبها يوم مشغوره

وهذا البيتان الأخيران أخفا عليهما المأمون ، فطلب حتى ظهر به ، فسل لسانه من قده ، ويقال : بل حرب
ولم يزل يتوارها منه حتى مات . قال صاحب الأغاني : « وهذا هو الصحيح من القولين ، والآخر شاذ »

(٣) لم أجد هذا الجمع في كتب اللغة ، وإنما الذي فيها : « الحاجة بالكسر والمفتح والأمدوحة بالضم :
ما يمدح به ، والجمع مدح ككتب ومناقب وأمدوح » .

١١ - ابن اللبانة الشاعر وعز الدولة بن المتعمص بن صمادح

لما مات للمتعمص بن صمادح^(١) ملك الرية ركب البحر ابنه وولى عهده الوائق عز الدولة ، وفارق الملك كما أوصاه والده المتعمص .

قال أبو بكر بن اللبانة الشاعر : ما علمت حقيقة جزر الدهر ، حتى اجتمعت ببجاية^(٢) مع عز الدولة بن المتعمص ، فإني رأيت منه خيراً من يُجمع به ، كأنه لم يخلق الله تعالى إلا الملك والرياسة ، وإحياء الفضائل ، ونظرت إلى همته تيمّ من تحت حُوله ، كما تيمّ فيرند^(٣) السيف وكرّمه من تحت الصدأ ، مع حفظه لفتون الأدب والتواريخ ، وحسن استماعه وإسماعه ورقة طباعه ، ولطافة ذهنه ، ولقد ذكرته لأحد من صحبته من الأدباء في ذلك المكان ، ووصفته بهذه الصفات ، فتشوق إلى الاجتماع به ، ورغب إليّ في أن أستاذنه في ذلك ، فلما أعلمت عز الدولة قال :

« يا أبا بكر ، إنك تعلم أنّ اليوم في حُمول وضيق ، لا يتّسع لنا مهما ، ولا يحل بنا الاجتماع مع أحد ، لا سيّما مع ذى أدب ونباهة ، بلقانا بعين الرحمة ، ونزورنا بمنّة الفضل في زيارتنا ، ونكايد من ألقاظ توجّبه ، وألحاظ تبجّجه ، ما يحدّد لنا همّاً قد ليلى ، ويحسّي كدّاً قد فني ، وما لنا قدرة على أن نجود عليه بما يرضى عن همّنا ، فدعنا كأننا في قبر ، تتدرّع لسهام الدهر ، بدرع الصبر ، وأما أنت فقد اختلّطت بنا اختلاط اللحم بالدم ، وامتزجت امتزاج الماء بالنحر ، فكأنّا لم نكتشف حالنا ليوانا ، ولا أظهرنا ما بنا لغيرنا ، فلا نحمل غيرك بحمك » .

(١) هو أحد ملوك الطوائف بالأندلس ، وكان صاحب الرية « بله بالأندلس على الساحل الجنوبي » ، وكان منافساً للحمّ بن حماد صاحب إشبيلية منوطاً له ، وقد سعى به لدى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين وأقنع ما بينهما ، وكان ابن حماد قد استنصر باين تاشفين لصد غارة الإسبان ، فصر بجيشه من مراكش إلى الأندلس ، وأهل بلاد حسّان في قتالهم حتى دارت عليهم القاترة في وقعة الزلافة ، ثم سأل على ملوك الطوائف ، فأكسح هوهم ، ودانت له الأندلس . (٢) بجاية : بله بالمغرب على ساحل بلاد الجزائر . (٣) جوهرة .

قال ابن الأبيات: فلأ والله سمي بلاعة لا تعدر إلا عن سداد، وغسيرة أية متسكة من أئمة البيان، وانصرفت مثلاً:

لسان الحق نصف، ونصف قواده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وكان ترى من صامت لك منجيب زيادته أو قصصه في التكلم^(١)
(فتح الطب ٢: ٢٢٨)

١٢ - دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدي

بحضرة ابن تاشفين

لما تألب بنو حسون على القاضي أبي محمد عبد الله الوحيدي قاضي مالقة^(٢)، انبرى للدفاع عنه العالم الأصولي أبو عبد الله بن الفخار، قصد إلى حضرة الإمامة «مراً كش»، وقام في مجلس أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين، وقد غص بأربابه، قال:

«إنه لتمام كريم، نبدا فيه بحمد الله على الذنوب منه، ونصلي على خيرة أنبيائه، محمد المهادي إلى الصراط المستقيم، وعلى آله وصحابة نجوم الليل البهيم^(٣)، أما بعد، فلما نحمد الله الذي اصطفاك للمؤمنين أميراً، وجعلك للدين الحنيفي نصيراً وظهرراً، ونفزع إليك مما دهمنا^(٤) في حاك، ونبتئ إليك ما لحقنا من الضيم، ونحن تحت ظل علاك، وبأي الله أن يذم من احتسب أمير المسلمين، ويصاب بضيم من أذرع بحصنه الحصين، شكوى قت بها بين يديك، في حق أسرك الذي عصفه^(٥) مؤيده، لتسمع منها ما تختاره برأيك وتنفذه، وإن قاضيتك ابن الوحيدي الذي قدمته في مالقة للأحكام، ورضيت

(١) القيدان لزجر بن أبي علي من مملته. (٢) ياد بالأندلس على الساحل الجنوبي.

(٣) الأسود. (٤) وجه كسح ومنع: غشي.

(٥) عصفه كعصفه: أسببه عصفه، والمراد بوجهه بنو حسون، والمضى: إن بنو حسون - وكانوا أحق بطاعة أسرك وتوطئه - قد أوتوه وأوجروهم بغيرهم لأحكام القاضي، والظن فيها، أو حتى عصفه: نصره، والمراد بوجهه القاضي الوحيدي، والمضى على ذلك، إن القاضي القائم بأمرك يطلب على نصره، وتكثرت دعامته، باتباعه طريق الحق في حكمه، ولو طلب من جرك ذلك فريق من القرعة.

بذلك فيمن بها من الخائفة والمواف ، لم يزل يَدُلُّ على حسن اختيارك بحسن سيرته ،
وَيَرْضَى الله تعالى وَيَرْضَى الناس بظهوره وسريته ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْكَ مِنْ سُوءٍ ، وَلَا
دَرَيْنَا لَهُ مَوْقِفٌ خَيْرٌ ، ولم يزل جارياً على مَا يَرْضَى الله تعالى ويرضيك ورضينا ، إلى
أن تعرضت بنو حشون لظلمن في أحكامه ، والمُدَّ من أعلامه ، ولم يسلوا أن احتضام
للقدم راجع على اللقدم ، بل جمحوا في لجأهم ، فعموا وصموا ، وفعلوا وأمنوا ما به
كفوا ، وإلى الشُّبِّ يَرْفَعُ الكفَّ من قد جَفَّ عنه مَسِيلُ عينٍ ونهر .

فلا سمحاً بلاغة أعقبت نصرته ونصر صاحبه . (نسخ المخطوط ٢٤٠:٢)

١٣ - موعظة ابن أبي رندة الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ

للأفضل بن أمير الجيوش

دخل ابن أبي رندة الطرطوشي^(١) مرة على الأفضل^(٢) بن أمير الجيوش
فوعظه ، وقال له :

« إن الأمر الذي أصبحت فيه من اللُك ، إنما صار إليك بموت من كان قبلك ،
وهو خارج عن بلدك ، بمثل ما صار إليك ، فائق الله فيما خَوَّك من هذه الأمة ، فإن الله
عزَّ وجلَّ سَأَلَكَ عن التَّغْيِيرِ والتَّطْيِيرِ^(٣) ، وأعلم أن الله عزَّ وجلَّ آتَى سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ

(١) هو الفقيه العالم أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي
(بضم الطينين) ، وقد تفتح العالم الأول ، نسبة إلى طرطوفة من بلاد الأندلس ، ويعرف بابن أبي رندة
وكان زاهداً حليماً عودحاً مطلقاً من الدنيا قولاً لفعل ، رحل إلى المغرب ، ودخل بغداد والقيرونة ،
وسكن الشام مدة ، ودرس بها ، وكان الأفضل بن أمير الجيوش يكرمه ، فلما دُلَّ بهذا للمؤمن بن البطاشي
أكرم الطرطوشي إكراماً كبيراً ، ولألف الشيخ «سراج الملوك» وتوفى بالاسكندرية سنة ٥٢٠ هـ .

(٢) هو الوزير الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش المشهور ، وكان أبوه بدر الجمالي حاكم سكاه فأرسل
إليه الخليفة الفاطمي المستنصر بذلك التقدم إلى مصر لإصلاح أسوأها للفسطاط إذ ذاك ، فقدم إليها ، وتولَّى
شؤونها ، وأقام موعظاً ، وصارت له فيها مكتبة عظيمة ، ثم لايته الأفضل .

(٣) التَّغْيِيرُ : التَّغْيِيرُ الذي في ظهر النواة ، والتَّطْيِيرُ : التَّغْيِيرُ الرقيق الذي بين النواة والناترة ، والتَّغْيِيلُ :
ما يَكُونُ في شق النواة .

ملك الدنيا بمخافتها ، فخر له الإنس والجن والشياطين والطير والوحوش والبهائم ،
وسخر له الريح تجري بأمره رخاء^(١) حيث أصاب ، ورفغ عنه حساب ذلك أجمع ،
قال عز من قائل : « هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ^(٢) أَوْ اكْمِلْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » ، فاعذ ذلك
نعمة كما عذتموها ، ولا حسيها كرامة كما حشيتوها ، بل خاف أن يكون استغراجا
من الله عز وجل قال : « هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّي » ، لِيَبْلُوَنِي^(٣) أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرْ ،
فافتح الباب ، وسهل الجواب ، وانصر للظلم . (فتح العلب ١ : ٢٦٢)

١٤ - خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين

(التوفي سنة ٥٥٤هـ)

استدعى محمد بن عبد الله بن تومرت^(١) مؤسس دولة الموحدين أصحابه . قبل
موته بأيام يسيرة ، وقد أراد أن يستخلف عليهم عبد المؤمن بن علي ، فلما حصروا
بين يديه قام :

(١) الرخاء : الريح العنة . (٢) أم : فأعطته من شئت . (٣) بلاء : اختباره .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن تومرت من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب ، ولد سنة ٤٨٥ هـ ،
ورحل إلى المشرق سنة ٥٠١ هـ في طلب العلم ، وانتهى إلى بغداد ، وقيل إنه أتى أباحاهة الفزاري ، ثم
رجع إلى المغرب ، وقامت دعوته في أول الأمر في صورة آبر بالمعروف ، ناه عن المنكر ، فأتبعه بعض
القوم ، وخرج هو وأصحابه إلى السوس ، وشرع في التدريس والوعاء إلى الخير : وما زال يستقبل
القلوب حتى كثرت شيعته ، ثم جبل يذكر المهدي ويشوق إليه ، وجمع الأحاديث التي جاءت فيه ، فلما قرر
في نفوسهم قضية المهدي : ادعى ذلك لنفسه ، وتسمى بالمهدي ، ورفغ نبيه إلى نبيي صلى الله عليه وسلم
وادعى أنه من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب ، وصرح بدموع العصة لنفسه وأنه المهدي
للصوم ، وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقر عندهم أنه المهدي . فهايموه على ذلك ، ولما كانت
سنة ٥١٧ هـ هجروا جيشا عظيما - وكانت مراکش تحت إمرة المرابطين - فقال : أقصروا هؤلاء المارقين
المبدلين الذين تسوا بالمرابطين ، فادعهم إلى إمارة المنكر ، وإحيد للروف . وإزالة البيع ، والإقرار
بالإمام المهدي المصوم . فإن أبايكم فهم إخوانكم ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم
لقد أباحت لكم السنة قتالهم ، وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي ، فخرجوا إلى مراکش فلقبهم المرابطون
قريبا منها بجيش ضخم أميرهم زعيم بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فدعهم إلى ما أمرهم به ابن تومرت
فردوا عليهم أسوار د ، ثم لقت القشتان ، فانهزم أصحاب ابن تومرت وقتل منهم خلق كثير ، فلما رجع
القوم إلى ابن تومرت جعل يوفد عليهم أمر المزعمة ، ويقرر في نفوسهم أن قتالهم شهاده ، لأنهم ذابون -

غُفِرَ لِقَدْحِهِ وَأَتَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَعْلَى ، وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ
أَنشَأَ يَرْضِي عَنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَيَذْكُرُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ
الْثَّبَاتِ فِي دِينِهِمْ ، وَالزَّمِيمَةِ فِي أَمْرِهِمْ ، وَأَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَنَّهُمْ ،
وَذَكَرَ مِنْ حَدِّ هَرَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابْنَهُ فِي الْحَرِّ ، وَتَصَمَّيْهِ عَلَى الْحَقِّ ، فِي أَشْيَاءٍ لِهَذِهِ
الْقُصُولِ ، ثُمَّ قَالَ :

فَاغْرَضْتُ هَذِهِ الصَّابَةَ ، نَصَرَ اللَّهُ وَجُوهَهَا ، وَشَكَرَ لَهَا سَمِيَّتَهَا ، وَجَزَاها خَيْرًا مِنْ
أُمِّ نَبِيَّهَا ، وَخَبِطَتِ النَّاسَ فَتَةً تَرَكْتَ الْحَلِيمَ حَيْرَانَ ، وَالْعَالِمَ مُتَجَاهِلًا بِدَاهِنًا ، قَلَمٌ
يَنْضَعُ الْمُلُوكَ بِسُلُوبِهِمْ ، يَلْقَى قَصْدُوا بِهِ الْمُلُوكَ ، وَاجْتَبُوا بِهِ الدُّنْيَا ، وَأَعَالُوا وَجُوهَ النَّاسِ
إِلَيْهِمْ ، فِي أَشْيَاءٍ لِهَذَا الْقَوْلِ ، إِلَى عِلْمٍ جَرَأَ .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ - وَهُوَ الْخَدُّ - مَنْ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الطَّائِفَةُ - بِأَيْدِيهِمْ ، وَنَصَحَكُمْ
مِنْ نِينَ أَهْلِ هَذَا الْمَصْرِ بِحَقِيقَةِ تَوْحِيدِهِ ، وَقِيضُ ^(١) لَكُمْ مَنْ ^(٢) أَلْفَاكُمْ ضَلَالًا لَا تَهْتَدُونَ ،
وَحُمَا لَا تَنْصِيرُونَ ، لَا تَمْرُقُونَ مَمْرُوقًا ، وَلَا تُنْصِكِرُونَ مُنْكَرًا ، قَدْ قَسَتْ فَيْكُمُ الْبِدْعُ ،
وَاسْتَهْوَتْكُمْ الْأَبَاطِيلُ ، وَزَيَّنَ لَكُمْ الشَّيْطَانُ أَضَالِيلَ وَتُرْكَاهَاتٍ ^(٣) ، أَتَزَهُ لَسَانِي عَنْ
النُّطْقِ بِهَا ، وَأَرْبَابًا ^(٤) بَلَقْتُ عَنْ ذِكْرِهَا ، هَذَا كَمَا أَنَّ اللَّهَ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ ، وَبَصَرِكُمْ بَعْدَ
الْعَمَى ، وَجَعَلَكُمْ بَعْدَ الْفُرْقَةِ ، وَأَعَزَّكُمْ بَعْدَ الْفَقَةِ ، وَرَفَعَ عَنْكُمْ سُلْطَانَ هَوْلَاءِ لِلْوَاقِينَ ^(٥) ،
وَسَيُورُنْكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ ، فَكَلِّمْ بِنَا كَتَبْتَهُ أَيْدِيهِمْ ، وَأَضْمَرْتَهُ قُلُوبُهُمْ ، وَمَا رَبُّكَ
بِظَلَامٍ الْعَبِيدِ .

— عَنْ وَزْنِ اللَّهِ : فَزَادَهُمْ ذَلِكَ بِصِغَرَةِ قِيَامِهِمْ ، وَسِرَاسًا عَلَى لِقَاءِ حُلُومِهِمْ ، وَجَلُّوا بِشَيْئِهِ لِلْعَارَاتِ عَلَى نَوَاسِي
مِرَاكِبِهِمْ وَيَقْعَلُونَ وَيَسْجُونَ وَلَا يَهْتَدُونَ عَلَى أَسَمِهِمْ كَقَدْرِهِمْ طَائِفِهِمْ ، وَكَثُرَ الْفَاعِلُونَ فِي طَائِفِهِمْ ، وَلَمْ يَزَلْ
أَصْحَابُ ظَاهِرِينَ ، وَأَحْوَالُ الْمَرَابِطِينَ تَحْتَلُّ ، وَانْقِطَاعُ دَوْلَتِهِمْ يَتَزَايِدُ ، إِلَى أَنْ تَوَقَّى لِيْنِ مَوْرَثَ سَنَةِ ٥٢٨ هـ
بَعْدَ أَنْ أَسَى الْأُمُورَ ، وَأَحْكَمَ التَّصْهِيرَ ، وَقَامَ بِأَمْرِ الْمَوْحِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ حَيْثُ الْخُلُوفُ بْنُ عَلِيٍّ . وَهَذَا اسْتَوْثَقَ لَهُ
الْأَمْرَ بِمَوْتِ عَلِيٍّ بْنِ يُونُسَ بْنِ تَائِشَقِينَ سَلَكَ الْمَرَابِطِينَ سَنَةَ ٥٢٧ هـ .

- (١) أَنَاخَ لَكُمْ وَسَبَبَ وَجْهًا . (٢) يَمْنَى نَفْسَهُ . (٣) جَمْعُ تَرْجَمَةٍ : وَهِيَ الْهَابِلُ .
(٤) أَرْقَبُ . (٥) يَرْوِيهِ الْمَرَابِطِينَ .

فقدوا الله سبحانه خالص تباتكم ، وأروه من الشكر قولاً وفلاً ما يزيكي به
سعيكم ، ويقتل أعمالكم ، وينشر أمركم ، واحضروا القرعة واختلاف الكلمة ، وشطنت
الآراء ، وصكونوا بدأ واحدة على عدوك ، فإنكم إن فطم فك ، هابكم الناس ،
وأسرعوا إلى طاعتكم ، وكثر أتباعكم ، وأظهر الله الحق على أيديكم ، وإلا فعلوا
بكم كمال القتل ، وبكم الصغار^(١) واحضركم المائة ، فضطركم الخاصة ، وعليكم
في جميع أموركم بمنزج الرأفة بالنفلة ، واللين بالنف ، واعلموا مع هذا أنه لا يصلح
أمر آخر هذه الأمة ، إلا على الذي صلح عليه أمر أولها .

وقد اخترنا لكم رجلاً منكم ، وجعلناه أميراً عليكم ، هذا بعد أن بلغناه^(٢) في جميع
أحواله ، من ليله ونهاره ، ومدخله ومخرجه ، واختبرنا سر رتبته وعلايته ، فرأيناه في ذلك كله
تبعاً^(٣) في دينه ، متبصراً في أمره ، وإني لأرجو أن لا يخلف الظن فيه ، وهذا الشار
إليه هو : « عبد المؤمن » ، فاسموا له وأطيعوا ما دام سامعاً مطيعاً لربه ، فلف بذلك
أو نكص على عقبيه ، أو ارتاب في أمره ، فني للوحدين - أعزهم الله - بركة وخير
كثير ، والأمر أمر الله بقلبه من شاء من عباده .

فبايع القوم عبد المؤمن ، ودعاهم ابن تومرت .

(المسبب ، في تاريخ أمصار المغرب ص ١٠٨)

١٥ - مقال لسان الدين بن الخطيب (المتوفى سنة ١٤٠٦م)

في الحضر على الجهاد

وقال لسان الدين بن الخطيب^(١) في الحضر على الجهاد^(٢) :

« أيها الناس - رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى - :

إخوانكم للسلون بالأندلس قد دَمَّ الدَمُّ - قَسَّهَ اللَّهُ تَعَالَى - سَاحَتَهُمْ ،
ورام الكفر - خَذَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى - اسْتَبَاحَتَهُمْ ، وَزَحَّتْ أَحْزَابُ الطُّوَائِمِ إِلَيْهِمْ ،
وَمَدَّ الصَّيْبُ ذِرَاعَيْهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَيْدِيكُمْ - بِيْزَةِ اللَّهِ تَعَالَى - أَقْوَى ، وَأَتَمُّ لِلزُّمُنُونَ
أَهْلُ الْبِرِّ وَالْقَوَى ، وَهُوَ دِينُكُمْ فَانصُرُوهُ ، وَجِوَلُوا كُمُ الْقَرِيبِ فَلَا تُخْفَرُوهُ^(٣) ، وَسَبِيلُ
الرَّشْدِ قَدْ وَضَحَ فَتَبَيَّنَ صُورُهُ ، الْجِهَادُ الْجِهَادُ قَدْ تَمَيَّنَ ، الْجَارُ الْجَارُ قَدْ قَرَّرَ الشَّرْعُ
حَقَّهُ وَبَيَّنَ ، اللَّهُ تَعَالَى فِي الْإِسْلَامِ ، اللَّهُ تَعَالَى فِي أُمَّةٍ مَعْدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، اللَّهُ تَعَالَى
فِي السَّاجِدِ الْمَسْمُودِ بِذِكْرِ اللَّهِ ، اللَّهُ تَعَالَى فِي وَطَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَدْ اسْتَبَاحَ بِكُمْ
الدِّينَ فَأَغْيِثُوهُ ، قَدْ تَأَكَّدَ عَهْدُ اللَّهِ وَحَاشَاكُمْ أَنْ تَنْسَكُثُوهُ ، أَعْيِنُوا إِخْوَانَكُمْ بِمَا أَمَكُنْ
مِنَ الْإِعَانَةِ ، أَعَانَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، جَدِّدُوا عَوَائِدَ الْخَيْرِ ، يَصِلِ اللَّهُ تَعَالَى

(١) مؤلف لسان الدين محمد بن عبد الله بن سيد المشهور بابن الخطيب خاتمة أئمة الأندلس ، وله بمرئاة سنة ٧١٣ هـ ، وكان أول أمره في عداد كتّاب السلطان أبي الحجاج يوسف أحد ملوك بني الأحمر ، ثم اصطفاه وجهه وزيره ، وفوض إليه شئون ملكه ، ولما مات أبو الحجاج ، وخلفه ابنه محمد أقره عاد الوزارة ، ثم وثب إسماعيل أخو السلطان على ملكه ، فانطهر أن يظفوه إلى المغرب مع وزيره لسان الدين ، فلما تحسنت الأحوال عاد معه إلى ملكه ، وبقي معه كتب له فيها ابن زمرق أحد تلاميذ لسان الدين ثم عاد لسان الدين إلى غرناطة ، وحل مكانه من سلطانه ، فطلب ذلك نار الحسد في ابن زمرق وأصابه ، فسعوا به إليه حتى أسقطوه عليه ، فغضب إلى المغرب - وكان في حوزة بني مرين ، وهم من هجرير - سكوا المغرب بعد الموحدين من سنة ٦٦٨ إلى سنة ٨٩٠ هـ - فأكرمه سلطان المغرب عبد العزيز ، وخطب ابن الأحمر في أمه وولده ، فغضب إليه أنه مات (عبد العزيز) ، وثار أحد أمراء بني مرين على ابن عبد العزيز ، وساعده ملك بني الأحمر بشرط تسليمه ابن الخطيب ، وتم له أمره ، وتغيب عليه ، وسجن بفاس ، ونظر في كلمات له في كتابه «الحجة» وألقي للفقهاء بقتله ، فغضب عليه من إخفائه في سجنه سنة ٧٧٦ هـ .

(٢) وكان سلطان محمد بن أبي الحجاج أسفده إلى ملوك بني مرين يستبدده على الإسمان .

(٣) أسفده : غدر به وتغيب عنه .

لكم جميل التواضع، صلوا رَحِمَ الْكَفَّةِ^(١) واسُوا بأفئكم وأموالكم تلك الطوائف
للنِّسَةِ، كتابُ الله بين أيديكم، والسنَّةُ الآياتُ تُناديكم، وسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قاطعة فيكم، والله سبحانه يقول فيه: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلَّكُمْ
عَلَى بَيْعَارٍ يُنْجِيكُمْ»، وما صحَّ عنه قوله: «من أغترت قدماه في سبيل الله
حرَّهما الله على النار» لا يجمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم، «من جهَّز غزياً
في سبيل الله قد غزا» أدركوا رَسَمَ الدين قبل أن يموت، بادروا عليل الإسلام قبل
أن يموت، احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عبادته، جاهدوا في الله
بالأسلح والأيوال حقَّ جهاده:

ماذا يكون جوابكم؟ لِنَبِّئِكُمْ وطريق هذا المذير غير مُمهَّد
إن قال: لم فرطتموه في أمي وتركتموه للعدو المتلصق؟
تالله لو أن العقوبة لم تُخَفْ لكفى الحيا من وجه ذلك السيد
اللهم اعطف علينا قلوب المباد، اللهم بث لنا الحمية في البلاد، اللهم دافع عن
الحريم والضعيف والأولاد، اللهم انصرنا على أعدائك، بأحبائك وأوليائك،
ياخير الناصرين، اللهم أفرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
وضل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

(فتح قلب: ٢٠٤)

١٦- ماخطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني

وخطب لسان الدين بن الخطيب تربة السلطان الكبير أبي الحسن الزريني
لما قصد عاقبة ماشرع في جولته، قال:

«السلام عليك نم السلام، أيها اللؤلؤ المأمم، اتقى عرف فضله الإسلام،
وأوجبت حقه الملاء الأعلام، وحققَّت بيمز نصره الأعلام، وتنافست في إفاذه أمره

وسهه السيوف والأقلام، السلام عليك أيها اللّوّلَى الذى قَسَمَ زمانه بين حُكْمٍ فَصَلَ
وإمضاء فَصَلَ، وإحراز خَصَلَ^(١)، وعبادة قامت من اليقين على أصل، السلام عليك
يا مُقرِّرَ الصدقاتِ الجارية، وَمُشَبِّعَ البطونِ الجائنة، وكامِي الظهورِ السارية، وقَادِحَ
زِنَادِ المرائمِ الوارية، ومَكْتَبَ الكتابِ الغازية، فى سبيلِ الله تعالى والسَّرايا^(٢)
السارية، السلام عليك يا حُجَّةَ الصبر والتسليم، ومتلَقَى أمرِ الله تعالى بأنْخُلُقَ الرضى
والقلب السليم، ومفوض الأمر فى الشدائد إلى السمع المليم، وَمُفْعِلَ التَّنَانِ الطاهر
فى اكتساب الذكر الحكيم، كَرَّمَ الله تعالى تَرْبَتَكَ وَقَدَّسَهَا، وطَيَّبَ رُوحَكَ الزَكِيَّةَ
وَأَنَسَهَا، فقد كنت نذهرَ جبالا، وللإسلامَ مَمَالَا^(٣)، وللمستجيرَ مُجِيرَا، وللماظومَ
وَلِيَا ونصيرَا، لقد كنت المعاربَ صَدْرَا، وفى اللواكبَ بَدْرَا، وللخواهبَ بَحْرَا،
وعلى العباد والبلاد ظلًّا غليلا وَسِرًّا، قد قَرَعْتَ^(٤) أعلامَ عِزِّكَ التنايا، وأبْرَزْتَ
هَمَّتَكَ للملكِ الأرضِ الهدايا، كأنك لم تَرْضَ المُنوَدَ، ولم تَنْشُرَ البُنودَ^(٥)، ولم تَبْسُطِ
العدلَ المَحْدودَ، ولم تُوجِدِ المَجدَ، ولم تَزَيِّنِ الرُكْعَ الشُجودَ، فَوَسَّدْتَ الثرى، وأطَلَّتِ
السُّكْرَى، وشربت الكأسَ التى يشربها الوَرَى، وأصبحت ضارِعَ^(٦) الخلدِ،
كليلَ الخلدِ، سالِكَا سَنَنِ الأبِّ والجدِّ، لم تَحِذْ بِدِ انصرامِ أَجَلِكَ، إلا صالحَ عَمَلِكَ،
ولا صَحِيحَ قَبْرِكَ، إلا رابِحَ تَجَرُّكَ^(٧)، وما أَسْفَتْ من رِضاكَ وَصَبْرِكَ، فسألَ الله
تعالى أنْ يُؤَنِّسَ اغترابَكَ، ويَجْعِدَ بِسَحَابِ الرَّحمةِ تَرابَكَ، ويتفككَ بِصدقِ اليقينِ،
ويحطك من الأثمةِ اللَّتَيْنِ، وَيُفْلِي دَرَجَتَكَ فى عِلِّيِّينَ^(٨)، ويحطك مع الذين أنعم الله
عليهم من النبيين والصدِّيقين .

(١) الخصل: اللبلة فى التنازل . (٢) السرايا: جمع سرية وهو من خسة أنضى إلى ثلاثة أربابها .

(٣) الممال: القبيح الذى يقوم بأمر قومه .

(٤) قرعت: طعت، واقتنايا: جمع تينة كهديفة، وهو القبة، أو الجبل، أو الطريقة فيه .

(٥) المنود: جمع بند كشمس، وهو العلم الكبير .

(٦) ضارِع: تهرجراً وتجارة .

(٧) رابِح: اسم لأهل الجنة، أو هو كتاب جامع لأعمال الخير .

وَلِيَتَنَبَّهَ أَنْ صَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مُلْكَكَ مِنْ بَعْدِكَ ، إِلَى نَيْرِ سَعْدِكَ ، وَبَارِقِ رَعْدِكَ ،
وَمُنْجَزِ عَمَلِكَ ، أَرْضَى وَلَدَكَ ، وَرَحْمَتَهُ خَلْقَكَ ^(١) ، وَشَقَّةَ ^(٢) غَمِّكَ ، وَالسَّحَرَةَ لِلْبَارِكَةِ
مِنْ غَمِّكَ ، وَنُورَ شَمْسِكَ ، وَمَوْصَلَ عَمَلِكَ الْبَرِّ إِلَى رَحْمَتِكَ ، قَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ أَوْرَدُ عَوَانِكَ
فِي خَلْقَاتِكَ ، وَأَعْقَابَ صَلَوَاتِكَ ، فَكَلِمَتُكَ - وَلِلَّهِ فَهْ تَعَالَى - بَاقِيَةٌ ، وَحَسَنَتُكَ إِلَى عِلِّ
الْقَبُولِ رَاقِيَةٌ ، يَرْتَعَى بِكَ الْوَسِيلَةَ ، وَيَتَمَّ مَقَاصِدَكَ الْجَلِيلَةَ ، أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِبِرْكَةِ رِضَاكَ
عَلَى مَا قَلْبُهُ ، وَحَمَرَ بِقَوَاهُ يَوْمَهُ وَغَدَهُ ، وَأَبَدَ فِي السَّعْدِ أَمَدَهُ ، وَأَطْلَقَ بِالْخَيْرِ يَدَهُ ،
وَجَلَّ الْمَلَائِكَةُ أَنْصَارَهُ وَالْأَقْدَارُ عُدَدَهُ .

وَإِنِّي أَيُّهَا الْمَوْلَى الْكَرِيمُ ، الْبَرُّ الرَّحِيمُ ، لَمَّا اشْتَرَانِي ، وَرَاشِي ^(٣) وَبَرَانِي ،
وَتَبَدَّنِي بِإِحْسَانِهِ ، وَاسْتَمَلَ فِي اسْتِغْلَامِي خَطَّ بَنَانِهِ ، وَوَصِيَّةَ لِسَانِهِ ، لَمْ أَجِدْ مَكَافَأَةً
إِلَّا التَّوَرُّبَ إِلَيْكَ ، وَإِلَيْهِ بَرِّيائَتُكَ ، وَإِغْرَاءَ لِسَانِي بِتَغْلِيدِ عُلْيَائِكَ ، وَتَغْفِيرِ الْوُجْهَةِ
فِي حَرَمِكَ ، وَالْإِشَادَةَ بِدِ الْبَاتِ بِعَمَلِكَ وَكَرَمِكَ ، فَتَحَتِ الْبَابَ فِي هَذَا الْغُرُضِ ،
إِلَى الْقِيَامِ بِحَقِّكَ الْمُفْتَرَضِ ، الَّذِي لَوْلَاهُ لَانْتَمَلَتِ النِّفْلَةُ عَنْ أَدَائِهِ وَتَعَادَلَتْ ، فَمَا يَبْسُتُ
الْأَلْسُنُ وَلَا كَادَتْ ، مُتَعَيِّرًا بِالسَّبْقِ ، إِلَى أَدَاءِ هَذَا الْحَقِّ ، بَادِنًا بِزِيَارَةِ قَبْرِكَ الَّذِي هُوَ
رَحْلَةُ الْغُرُبِ ، مَا نُوْبَتُهُ مِنْ رَحْلَةِ الشَّرْقِ ، وَمَا أَعْرَضَتْ عَنْهُ فَأَقَطَهُ أَوْرَاقُ الْمَوَاقِعِ الْإِسْتِحْصَانِ
وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الشُّكْرِ وَالتَّوْبَةِ وَالْإِحْسَانِ ، وَاللَّهُ سَبْعَانَهُ يَحْمِلُهُ عَمَلًا مَقْبُولًا ، وَيُبَلِّغُهُ فِيهِ
مِنَ الْقَبُولِ مَأْمُولًا ، وَيَتَغَدَّى مِنْ ضَاجَتِهِ مِنْ سَلَفِكَ الْكَرَامِ بِالْمَغْفِرَةِ الصَّيْبَةِ ، وَالتَّصْلِيحَاتِ
الطَّيْبَةِ ، فَتَعَيَّنَ الْمُلُوكُ الْكِبَارُ ، وَالْخُلَفَاءُ الْأَبْرَارُ ، وَالْأَيُّمَةُ الْأَخْيَارُ ، الَّذِينَ كَرَّمَتْ مِنْهُمْ
السَّيْرَ وَحَسَنَتْ الْأَخْيَارَ ، وَتَعَيَّدَ بِعِزِّمَاتِهِمُ الْجَاهِدِيَّةَ لِلزُّمُنُونَ وَشَقِيَ الْكُفَّارُ ، وَصَلَوَاتُ
اللَّهِ تَعَالَى عَوْدًا وَبَدَأًا عَلَى الرَّسُولِ الَّذِي اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ فَهُوَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ ، وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ السَّادَةُ الْأَبْرَارُ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا .

(نفع الطيب : ١٢٥)

(١) الخلق : النفس والقلب . (٢) الشقة : نصف الشيء إذا شقه ، والسحرة : الشجرة الطيبة .

(٣) راشي السهم : ألزقه عليه الريش ، وراشي الصديق : أطعمه وسقاه وكساه وأصلح حاله .

١٧ - وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده

« الحمد لله الذى لا يَرْوَعُهُ الْحَمَامُ لِلرَّقُوبِ ، إِذَا شِمْ^(١) نَجْمَةُ الْقُتُوبِ ، وَلَا يَبْهَتُهُ
الْأَجَلُ الْمَكْتُوبُ ، وَلَا يَفْجُوهُ الْفِرَاقُ لِلْمُتَوِّبِ ، مُلْهِمُ الْهَدَى الذى تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ ،
وَمَوْضِعُ السَّبِيلِ لِلطَّالِبِ ، وَجَاعِلُ النَّصِيحَةِ الصَّرِيحَةِ مِنْ رِيسِ الْوُجُوبِ ، لَا سِيَّامًا قَوْلُهُ^(٢)
الْمُحِبُّوبِ ، وَالْوَلَدِ لِلنَّسُوبِ ، الْقَائِلُ فِي الْكِتَابِ الْمُفْتَخِرِ الْأَشْتُوبِ : « أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ
إِذْ حَضَرَ يَنْقُوبُ^(٣) » ، « وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ نَبِيَّهُ وَيَنْقُوبُ^(٤) » ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ ، أَكْرَمَ مِنْ زُرَّتْ عَلَى نُورِهِ جُيُوبُ الْقُتُوبِ ،
وَأَشْرَفَ مَنْ خَلِقَتْ عَلَيْهِ حُلُلُ الْعَابَةِ وَالْمِصْنَةِ ، فَلَا تَحْتَصِيهِ الْمِیُونُ ، وَلَا تَصِفُهُ
الْمِیُوبُ^(٥) ، وَالرَّضَاعِنُ آكِهِ وَأَصْحَابُهُ لِلثَّابِرِينَ عَلَى لِسَانِ^(٦) الْإِسْتِقَامَةِ بِالْهَوَى لِلطَّالِبِ ،
وَالْأَمَلِ لِلْمُطْلِبِ ، وَالْإِقْدَادِ لِلْوَصْلِ إِلَى الرِّغْبِ ، وَالْعَزَمَ وَالْأَمْنُ مِنَ الْقُتُوبِ^(٧) ،
وَبَعْدُ : فَإِنِّي لَتَاعْلَانِي الشَّيْبُ بِحِمَّتِهِ^(٨) ، وَقَدْ نَى الْكِبَرُ بِرُمَّتِهِ^(٩) ، وَأَذْكَرْتُ الشَّبَابَ

(١) مِنْ هَامِ الْفِرَاقِ : نَظَرَ إِلَيْهِ أَيْنَ يَقْصِدُ ، وَأَيْنَ يَخْطُرُ .

(٢) وَتَعْلَمُ الْآيَةُ الْكُرْمِيَّةُ :

« إِذْ حَضَرَ يَنْقُوبُ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِنَبِيِّهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَدَلَى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ
آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » .

(٣) وَتَعْلَمُ الْآيَةُ الْكُرْمِيَّةُ : « إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِعْ ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ،
وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ نَبِيَّهُ وَيَنْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ لَكَ أَصْطَقَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » .

(٤) تَزِدُّهُ وَيُخَفِّرُهُ ، وَوَسَّهَ : عَاهَدَ . (٥) الْإِنْسَانُ : الرِّسَالَةُ .

(٦) الْقُتُوبُ : الْقُدَّةُ الْإِمَامِيَّةُ . (٧) قَفْصَةٌ : أَمَلٌ كُلُّ شَيْءٍ .

(٨) الْقُرَّةُ بِالْفَتْحِ دَوَكْسَرٌ : قَلْبَةٌ مِنْ حُلٍّ .

بعد أمته ^(١)، أسِفْتُ لِمَا أَصْنَعْتُ، وَتَدِمْتُ بِعَدِ الْفِطَامِ عَلَى مَا رَضَعْتُ، وَتَاكِدَةٌ وَجُوبُ نَصْحِي لِمَنْ لَزِمَنِي رَغِيهِ، وَتَمَلُّقُ بَيْنِي سَفِيهِ، وَأَمَلْتُ أَنْ تَصْدُقَ إِلَى ثَمَرَةِ اسْتِقَامَتِهِ، وَأَنَا هِيَ قَوَاتُ، وَفِي بَرَزَخِ أَمْوَاتٍ، وَيَأْمَنُ الْعُتُورُ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي اقْتَضَعْتَ عِنَارِي، إِنْ سَلَكَ - وَعَسَى أَلَّا يَكُونَ ذَلِكَ - عَلَى آثَارِي، فَقُلْتُ أَخَاطِبُ الثَّلَاثَةَ الْوَلَدَ، وَثَمَرَاتِ الْخَلْقِ ^(٢) بِعَدِ الضَّرَاعَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَوْفِيقِهِمْ، وَإِبْصَاحِ طَرِيقِهِمْ، وَجَمْعِ تَرْفِيقِهِمْ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَى مَنْهُمْ بِحَسَنِ الْخَلْقِ، وَالتَّلَاقِ مِنْ قَبْلِ التَّلَفِ، وَأَنْ يَرْزُقَ خَلْقَهُمُ التَّسَكُّ بِهَدْيِ التَّلَفِ، فَهُوَ وَلِيُّ ذَلِكَ، وَهَادِي إِلَى خَيْرِ الْمَسَالِكِ: اأَعْلُوا هَذَا كَلِمَ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي بَأَنَوَاهُ تَهْتَدِي الضَّلَالُ، وَيَرْضَاهُ تَرْفَعُ الْأَغْلَالُ، وَبِالْتِمَاسِ قُرْبِهِ يَحْصُلُ الْكَمَالُ، إِذَا ذَهَبَ الدَّلَالُ، وَأَخْلَفَتِ الْأَمَالُ، وَتَبَرَّأَتْ مِنْ بَيْنِهَا الشُّبَالُ، أَمَى مَوْدِعُكُمْ وَإِنْ سَأَلْتُمِي الرَّدَى، وَتَفَارَيْتُمْ وَإِنْ طَالِ الْمَدَى، وَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ، فَكَيْفَ وَأَدَوَاتُ الْفَرَجِ تُجْمَعُ، وَمَنَادِي الرَّحِيلِ يُسْمَعُ، وَلَا أَقْلٌ لِلْحَبِيبِ الْوَدَّعُ، مِنْ وَصِيَّةٍ مُخْتَصِرٍ، وَضَعَالَةٍ مُقْتَصِرٍ، وَرَبِّيَّةٍ ^(٣) تُثَقَّدُ فِي خِصَرٍ، وَنَصِيحَةٍ تَكُونُ نَشِيدَةً وَاجِعٍ مُبْصِرٍ، تَتَكَدَّلُ لَكُمْ بِحَسَنِ الْمَوَاقِبِ مِنْ بَدَلِي، وَتَوْضُحُ لَكُمْ مِنَ الشُّفْقَةِ وَالْحَنُوِّ قَيْدِي، حَسْبَا تَضْمَنُ وَعْدُ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ وَعْدِي، فَعَى أَرْبُكُمْ الَّتِي لَا يَتَغَيَّرُ وَفْقُهُ، وَلَا يَبَالُغُ لَكُمْ الْمَكْرُوهُ مَا رَفَعَ عَلَيْكُمْ سَفْقُهُ، وَكَأَنِّي بِشَبَابِكُمْ قَدْ شَاخَ، وَبِرَّاحِلِكُمْ قَدْ أُنَاجَ، وَبِنَائِطِكُمْ قَدْ كَلِيلَ، وَاسْتَبْدَلَ الْعَابَ ^(٤) مِنَ التَّمَلُّلِ، وَتَصَوَّلَ ^(٥) الشَّيْبَ تَرَوُّعَ بَائِلٍ، لَا بِلَ السَّامِ ^(٦) مِنْ كُلِّ حَدَبٍ قَدْ نَسَلَ، وَالْمَعَادُ

(١) الآية هنا: الحين، العجب من قوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ».

(٢) الخلق: القلب والنفوس.

(٣) الربِّيَّة: غيظ يهتد في الأمس للذكور.

(٤) العاب: حصاره خبير. (٥) التصوَّل: جمع تصل: وهو حيلة الروح واللب.

والأصل: الرماح. (٦) السام: الموت: والحطب: ما ارتفع من الأرض، ونسل كضرب: أسرع واللعاد: المرج.

الْحَذُّ وَلَا تَسْلَ ، فَلَأَمْسَ كَفْتِمْ فِرَاحَ حَبْرٍ ^(١) ، وَالْيَوْمَ أَبْنَاءُ عَسْكَرٍ كَبِيرٍ ، وَعِلْمًا
شَبِيحٌ مَضْبُوكٌ وَهَجْرٌ ، وَالْقُبُورُ فَاقِرَةٌ ^(٢) ، وَالنُّفُوسُ عَنِ الْمَالُوفَاتِ صَافِرَةٌ ، وَالدُّنْيَا
بِأَهْلِهَا سَاخِرَةٌ ، وَالْأَوَّلَى تَتَقَبَّحُ الْآخِرَةَ ، وَالْحَازِمُ مَنْ لَمْ يُتَمَتَّظْ بِهِ فِي أَمْرٍ ، وَقَالَ :
« يَبْدَى لَا يَبْدَى عَمْرُو ^(٣) » ، فَاتَّقْنُوهَا مِنْ وَصِيَّةٍ ، وَمَرَامٍ ^(٤) فِي النَّصِيحِ قَصِيَّةٍ ، خُصُّوا
بِهَا أَوْلَادَكُمْ إِذَا عَقَلُوا ، لِيَجِدُوا زَادَهَا إِذَا اتَّقَلُوا ، وَحَسْبُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَخْلُقِ
الْمَخْلُوقَ عَمَلًا ، وَلَكِنْ لِيَبْلُغُوا أَيْتَمَهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَا رَضَى الدُّنْيَا مِنْزِلًا ، وَلَا لَطْفَ
بَيْنٍ أَصْبَحَ عَنْ فَتَةٍ أَخْبِرَ مُتَعَرِّلًا ، وَلِتُتَقَنَّوْا تَلْقَيْنَا وَتَعْلَمُوا عَلَمًا بَقِيًّا ، أَنْكُمْ لَنْ تَجِدُوا
بَعْدَ أَنْ أَهْرَدَ بَذْنِي ، وَتَفْتَرِشَ التُّرَابَ جَنِي ، وَيَسَّحْ أَنْسَاكُنِي ، وَتَهْوِلَ عَنِ الْمَصْلَى
رُكَايَ ، أُخَرِّصَ مَنْ عَلَى سَعَادَةٍ إِلَيْكُمْ تُجْلَبُ ، أَوْ غَايَةِ كَلَالٍ بِسَبِيحٍ تَرْتَادُ وَتُطَلَّبُ ،
حَتَّى لَا يَكُونَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا أَوْرَفُ ^(٥) مِنْكُمْ خِلَا ، وَلَا أَشْرَفُ تَحَلًا ، وَلَا أَغْنَى
نَهْلًا وَعَلَا ^(٦) ، وَأَقْلَ مَا يُوجِبُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُصَيِّغُوا ^(٧) إِلَى قَوْلِي الْأَذَانَ ، وَتَسْتَلِحُوا

(١) أي كالفرخ في حبر أمها وحسبها ، والمبر : الكثير من كل شيء ، وجيش مجر كثير جدا .

(٢) أي فاقرة أفراغها للموت .

(٣) هو رجل قاله لزيد ملك الجزيرة ، وذلك أنها كانت دعت جذية الأرض ملك ماعل شاملاً ،
الفرات إلى زواجها . فلما استقر صلتها قلته لأولاً بأبيها - وكان جذية له قلته - فاحلح مولاه نصير لثأر
خنها ، فيجحد أنه وأثر آثاراً يظهر ، ثم خرج إلى الزيد ، وأظهر أن عمرو بن عدى - ابن أخت جذية -
فعل ذلك به ، وأنه زعم أنه مكر بحاله جذية وفرد من الزيد ، فلما استقرت إليه ووقفت به ، زين لها
أن تبعه إلى العراق ليحصل إليها من طرائفها وثيابها وطوبى ، وأنها ستصيب في ذلك أرباحاً عظيمة ، فأذنت
له وقدم العراق ، وأتى الحيرة فتمكراً ، وزوده عمرو بصنوف القبر والأحبة ، ورجع إلى الزيد ، فدعجها
ما رأته وسرها ، وازدادت به ثقة ، وجهزت ثمانية ، فصار حتى قدم على عمرو فجهزه وعاد إليها ، ثم عاد
لثأره وجعل ثقات رجال عمرو ، وحلهم في الثرائر على الجمل ، وسار إلى الزيد ، ودخلت الإبل المدينة
وكانت الزيد قد حلوت عمراً ، وانتقلت نفقاً إلى حصن لها في داخل مدينتها ، وقالت : إن فتياناً أمر
دخلت لتلق إلى حصن - ودل قصير حمراً على باب التفق ، فلما خرجت الرجال من الثرائر ساجداً بأهل
المدينة ودعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب التفق ، وأقبلت الزيد تريد التفق ، فأهضرت حمراً فمرته
بأصورة التي صورت لها - فصت عظامها وكان فيه لحم ، وقالت : « يبدى لا يبدى عمرو » فلبثت مثلاً .
وتلقاها عمرو فجلها بالسيف وقتلها ، وأصلب ما أصلب من المدينة وأهلها ، وانكفأ راجعاً إلى العراق .

(٤) حرام جمع مريم ، وقصية بيعة .

(٥) ورف الظل : اتسع وطال واست .

(٦) قبل : القرب الأول ، والقيل والقيل : القرب

(٧) أصاغ له استمع .

القرب أو القرب بعد القرب تماماً .

صَبَّحَ نَضَى قَدْبَان ، وسأعيد عليكم وصية ثمان ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :
 « وَإِذْ قَالَ لِقَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَبْطُلُ : يَا بَنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ تَكْلَمٌ عَظِيمٌ -
 يَا بَنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ
 إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تَصْرَفْ^(١) خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ، وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ
 أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » وأعيد وصية خليل الله وإسرائيليه حُكْم^(٢)
 مَا تَضَمَّنَهُ حُكْمُ نَزِيلِهِ « يَا بَنِي إِنَّ اللَّهَ أَصْطَلَقَ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ » والدين الذي ارتضاه واصطفاه ، وأكمله ووفاه ، وقرَّره مُصْطَفَاهُ ، من قبل
 أن يتوفاه ، إذا أُعِيلَ فيه انتقاد ، فهو عمل واعقاد ، وكلاما مُقَرَّرٌ ، ومستند من
 عقل أو قل محرم ، والعقل متقدم ، وبنائوه مع رَفَضِ أخيه متهدم ، فالله واحد أحد ،
 فرد صدق^(٣) ، ليس له والد ولا ولد ، نَزَّهَ عن الزمان والمكان ، وَسَبَقَ وجوده
 وجود الأكوان ، خالق الخلق وما يعملون ، الذي لا يُثَالُ عن شيء وهم يُثَالُونَ ، الحى
 العليم للذَّيْرِ القدير ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، أرسل الرسل رحمة
 ليدعو الناس إلى النجاة من الشقاء ، وتوجه الحبيبة في مصيرهم إلى دار البقاء ، مؤيدة
 بالمعجزات التي لا تُحْصَى أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء ،
 ثم ختم ديوانهم بنبيِّ مِلَّتِنَا للرعية الممَلِّ ، الشاهدة عَلَى اللَّيْلِ ، فتلخَّصت الطلعة ،
 وَتَمَيَّنَتِ الْإِمْرَةُ لِلطَّلَاعَةِ ، ولم يَبْقَ بعده إلا ارتباب الساعة ، ثم إن الله تعالى قَبَضَهُ
 إِذْ كَانَ بَشَرًا ، وترك دينه يَقُومُ مِنَ الْأُمَّةِ نَشْرًا^(٤) ، فمن تَبِعَهُ لِحَقِّهِ ، ومن تركه
 نُوطًا^(٥) عنه في مَنَسِبِهِ ، وكانت نجاته عَلَى قَدَرِ سَبَبِهِ ، رَوَى عنه عليه الصلاة والسلام

(١) صرعه : أماله كبراً .

(٢) إسرائيليه : يعقوب عليه السلام ، والحكم : الحكمة ، وهو يملك من وصية .

(٣) القصد : السيد ، لأنه يصعد إلى يقصده في قضاء الحاجات . (٤) النثر : المنتثر ، ومنه :

« اللهم المسم تشرى » . (٥) أي أبعدته وطرد ، وقال ناليت النار : أي بعت .

أه قال : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا أبدي ، كتاب الله وسنتي ، فتمسوا عليهما والتواجد^(١) » .

فاحملوا يا بني بوصية من ناصح جاهد ، ومشفق شفقة والد ، واستشعر واحة حب الله التي توافرت دواعيه ، وعوامر أئيد هذبه ، فياقوز وأصيه أوصلوا السبب بسببه ، وآمنوا بكل ما جاء به ، مجتهداً أو مفصلاً على حسب ، وأوجبوا الصحة لصحته ، الذين اختارهم الله تعالى لمحبه ، واجعلوا محبتكم لإمام من تواب محبه ، واشملوا بالتوقير ، وقضوا منهم أولى الفضل الشهير ، ونبروا من المصيبة التي لم يدعكم إليها داع ، ولا تفر التناجر بينهم أذن وأرج ، فهو عنوان السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ، ثم اسحبوا فضل تمظيمهم على قضاة الله ، وأتموا الجلة^(٢) ، فهم صفة نسولهم ، وفروع ناشئة من أصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم ، واعلموا أنني قطعت في البحث زماناً ، وجلت النظر شأن ، منذ براني الله تعالى وأنشأني ، مع ثبل^(٣) يتفرق به الثاني ، وإحدى يسلم العقل الإنساني ، فلم أجد حاجة وزي ، ولا مصيب عرق ، ولا نازع خطام ، ولا متكلف فظام ، ولا متعجم بحر طام ، إلا وافية التي يقصدها قد نصبتها الشريعة وسبقها ، وفترت^(٤) فنيته وأوقعتها ، فليكن بالانزام جادتها^(٥) السابعة ، ومصاحبة رقتها الكاملة ، والاحتذاء بأقلامها غير الآفة ، والله تعالى يقول ، وهو أصدق القائلين : « وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » ، وقد علت شرائيه ، وراغ الشكوك رائيه ، فلا تستزلكم الدنيا عن الدين ، وابدلوا دونه النفوس قتل للهدن ، فلن ينع متاع بعد الخلود في النار أبد الأبدن ، ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ، ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بلغت فأت خير الشاكرين ، فاحذروا اللعاطب التي توجب في الشقاء الخلود ، وتستلعي شوة الوجوه وتضج الجلود ، واستميناوا برضا الله من سخطه ، واربتوا بنفوسكم عن غمظه ، وارضوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع

(١) أقصى الأعراس . (٢) جمع جليل . (٣) قبل : الأكة ، وقنابة ، وقلف ، المهنس .

(٤) فرح : حله ، والحنينة : القبة ، أو الجبل أو الطريقة فيه أو إليه .

(٥) الجدة : الطريق الواضح ، والسابعة من الطرق المسبوكة .

أسلافكم ، ولا تحمدوا على حيلة العَرَضِ الرائلِ اختلافكم ، واقنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسوا^(١) على ما قلّت وتمدّر ، فإنما هي دُجَّةٌ^(٢) ينسخها الصَّبَاحُ ، وَصَفَقَةُ يَتَعَاقِبُهَا الْغَسَارُ أَوِ الرِّيحُ ، ودونكم عقيدة الإيمان فَتَدُّوا بالتواجدِ عليها ، وَكَفِّكُمُوهَا الشُّبُهَانُ تَدْنُو إِلَيْهَا ، واعلموا أن الإخلالَ بشيء من ذلك خَرَقٌ لَا يَرْفُوهُ^(٣) عمل ، وكلُّ ماسوى الرسمى عمل ، وما بعدَ الرأسِ في صلاحِ الجسمِ أَمَلٌ ، وَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى حِفْظًا وَتَفَلَّاهُ ، واجعلوا حِلَّهُ على حُلِّ التَّكْلِيفِ عِلَاوَةً ، وَتَشْكُرُوا فِي آيَاتِهِ وَمَعَانِيهِ ، وَامْتَنِلُوا أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيهِ وَلَا تَتَأَوَّلُوهُ وَلَا تَتَفَلَّاهُ فِيهِ ، وَأَشْرِبُوا قُلُوبَكُمْ حُبًّا مِنْ أَنْزَلِ عَلَى قَلْبِهِ ، وَأَكْثِرُوا مِنْ بَوَاعِثِ حُبِّهِ ، وَصُونُوا شَمَاتِ اللَّهِ صَوْنَ الْحَرَمِ ، وَاحْفَظُوا الْقَوَاعِدَ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ حَتَّى لَا يَنْخَرِمَ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ ذَرِيَةِ التَّحِلَّةِ ، وَخَاصَّةِ اللَّيْلَةِ ، وَحَاقِنَةِ الدَّمِ ، وَغَيْىِ لِلتَّاجِرِ لِلْمُسْتَعْمِدِ ، وَأَمِ الْعِبَادَةِ ، وَحَافِظَةِ اسْمِ الرَّاكِبَةِ لِمَا لِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَالتَّاهِيَةِ عَنِ التَّعْشَاءِ وَاللَّسْكَرِ ، إِنْ عَرَضَ الشَّيْطَانُ عَرَضَهَا ، وَوُطِّئَ لِلنَّفْسِ الْأَثَارَةُ سَمَاءَهَا وَأَرْضَهَا ، وَالْوَسِيلَةُ إِلَى بَيْتِ الْجَوَائِزِ بِرُودِ الذِّكْرِ ، وَإِصَالِ تَحْفَةِ اللَّهِ إِلَى مَرِيضِ الْفَكْرِ ، وَضَامَةِ حَسَنِ الْعَشْرَةِ مِنَ الْجَارِ ، وَدَاعِيَةِ السَّلَالَةِ مِنَ الْفَجَّارِ ، وَالْوَاسِمَةِ بِسِمَةِ السَّلَامَةِ ، وَالشَّاهِدَةِ لِلْعَبْدِ بِرُفْعِ اللَّامَةِ ، وَغَسُولِ^(٤) الطَّبْعِ إِذَا شَانَهُ طَبْعٌ ، وَانْخِرِ النَّفْسَ كُلَّ مَا سَوَاهُ لَهُ تَبَعٌ ، فَاصْبِرُوا النَّفْسَ عَلَى غَلَاظَتِهَا ، بَيْنَ بَدْءِ وَإِعَادَةِ ، فَانْخِرْ عَادَةَ ، وَلَا تَقْضُوا عَلَيْهَا الْأَشْغَالَ الْبَدَنِيَّةَ ، وَتَوَلَّوْا عَلَى الْعِلْيَةِ الدِّنِّيَّةِ ، فَإِنْ أَوْقَظَتْهَا الْمَعِينَةُ بِالْأَهْلَاتِ تَنْبِيْهِ^(٥) ، وَالتَّلَافُ بِهَا مِنْ أَجْلِكُمْ لَا يُحْبَسُ ، وَإِذَا قُوِرَتْ بِالْأَشْغَالِ فَلَهَا الْجَاهُ الْأَصِيلُ ، وَالْحُكْمُ الَّذِي لَا يَنْفِيهِ الْغَدُوُّ وَلَا الْأَصِيلُ ، وَالْوِظَائِفُ بِمَدَائِهَا لَا تَقُوتُ ، وَأَيْنَ حَقٌّ مِنْ يَمُوتُ مِنْ حَقِّ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ؟ وَأَحْكُمُوا أَوْضَاعَهَا إِذَا اقْتَمَعَهَا ، وَأَتَبِعُوا النُّوَاقِلَ مَا أَطَقْتُمُوهَا ، فَبِالْإِهَانِ قَاضَلَتْ الْأَعْمَالُ ، وَبِالْمُرَاعَاةِ

(١) ولا تحزنوا . (٢) الدجّة: الظلمة . (٣) رَفَاً لِحُبِّهِ كَتَبَ : لَمْ يَخْرُفْهُ ، وَهَمَّ بِهِ إِلَى بَعْضِ .

(٤) غَسُولٌ كَسْبُورٍ وَتَوَدُّ : الْمَاءُ يَقْتُلُ بِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ وَفَسْلُولُهُ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالطَّبْعُ الشَّيْءُ وَالْمَدْبُورُ .

(٥) لَمْ يَلْعَبْ وَتَضَمَّنْ ، يُقَالُ : انْهَسَ الرَّجُلُ إِذَا ذَهَبَ ، وَفِي الْأَصْلِ : نَبَسَ . وَرَأَاهُ مَحْرَقًا .

استعفت الكمال ، ولا شكر مع الإهمال ، ولا ربح مع إضاعة رأس المال ، وذلك أخرى بإقامة القرض ، وأدعى إلى مساعدة البعض البعض .

والطهارة التي هي في تحصيلها سبب مؤصل ، وشرط لشرطه محصل ، فاستوفوها ، والأعضاء ، نطقوها ، ومياها بنير أوصافها الحيدة فلا تصفوها ، والمجول والقر (١) فأطيلوها ، والنيات في كل ذلك فلا تهملوها ، فالبناء بأساسه ، والسيف بمراسه ، واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور ، وذكر مجبور وغير مجبور ، تستغرق الأوقات ، وتنازع شتى الخواطر للفترات ، فلا يضيئها إلا من ضبط نفسه يقال ، واستفاض صدأه يقال (٢) ، وإن تراخى قهقر (٣) الباع ، وسرته الطباع ، وكان لما سواها أضيع . فشمل الضياع ، والزكاة أختها الحية . ولذتها القرينة . مفتاح السعادة بالقرض الزائل . وشكران المشول على العبد من درجة السائل . وحق الله تعالى في مال من أغناه .. لين أجده في العاش وعناه (٤) من غير استحقاق ملء يده وإخلاء يد أخيه . ولا علة إلا القدر الذي يُغنيه . وما لم ينله حظ الله فلا خير فيه ، فاسمحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها . في اختيار عرضها ونتاجها . واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بدّل . وخالفوا الشيطان كما عدل . واذكروا خروجكم إلى الوجود لاعمليكون ، ولا تدرؤن أين تسلكون . فوهب وأقبر . وأورد بفضل

(١) المجول : جمع جمل بالكسر والفتح وهو الخلل ، والمراد بها هنا الأطراف ، وإطالتها استهبال ضلها ، والقر جمع غرة بالغيم وهي التوجه ، والمراد بطولها في القوض : غسل مقدم الرأس مع الوجه ، وغسل صفحة الفم : وجلة اللسان : أنه بأسر بإسراع القوض ، وفي الحديث الشريف : « أَتَيْتُ الْقُرَّ الْمُحْصِلُونَ » والمرجع الآخر من القر : وهي يابض في جبهة الفرس فوق القدام ، يقال : فرس أغر وغرا ، والمصيل : الفرس الذي يرتفع لياض في قوائمه في موضع التقيد ، أي يبيض حواض القوض . من الوجه الأبهى والأفهام : استعار أو الوضوء في الوجه واليدين والرجلين من لياض التي يكون في وجه الفرس ويده ورجليه .

(٢) صواب العبارة : واستفاض بضمه صقلا : يقال استفاض الشيء بغيره : إذا أخلاه مكانه (ومنه ترى أن الباء داخلة على المبروك) واستفاضته (والله كن) .

(٣) قهقر وقهقر : وجه القهقر . (٤) أنه .

وأصْدَر . ليرتَّب بكمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل . فاقبِتوا إليه الوسيلة بحاله
وَاعْتَنُوا رضاه بيمض نواله . وصيام رمضان عبادة السرِّ القربى إلى الله زُلْفَى .
المحفوظة^(١) لمن يعلم السرَّ وأخفى . مؤكَّدة بصيام الجوارح عن الآثام . والقيام
ببرِّ القيام ، والاجتهاد ، وإثارة الشهادة على الهداء ، وإن وسَّع الاعتكاف فهو من سنَّه المرعية ،
ولواحقه الشرعية ، فبذلك تحمَّن الوجوه ، وتحصل من الرِّقة على ما ترجوه ، وتذهب
قسوة الطباع ، ويمتد في مَيِّدان الوسائل الباع ، والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ،
والقرض على المين لا يحجبه الحاجب ، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما
فرض عن ربه وسنَّه ، وقال : « ليس له جزاء عند الله إلا الجنة » ويلحق بذلك الجهاد
في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع بغيره
ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه . هذه عُمد الإسلام وفروضة ، وقود مهزه
وعُرُوضه ، لحافظوا عليها تمشوا مبرورين ، وعلى من يُناوبكم ظاهرين^(٢) ، وتلقوا الله
لامبدلين ولا مغيرين ، ولا تضيعوا حقوق الله فهلكوا مع الخاسرين .

واعصوا أن بالم تمستعمل وظائف هذه الأتقاب ، وتجنَّب محاسنها من بعد الانتقاب^(٣)
فعليكم بالم النافع دليلا بين يدي السامع ، فالتم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى الباب ،
والله عز وجل يقول : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ،
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » والم وسيلة النفوس الشريفة إلى الطلاب النيفة ،
وشرطه الخشية لله تعالى والحققة ، وخاصة للآل الأعلى ، وصفة الله في كتبه التي تتلى ،
والسبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى النجاة^(٤) عادة ، والذخر الذي قليله
يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يفلبه الناصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر
إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، من لم يتَّله فهو ذليل ، وإن كثرت آماله ،

(١) انضمام . (٢) مهاديك ، وظاهرين : خالين . (٣) أى بعد الاعتقاد .
من انطقت المرأة : ليست القتل . (٤) غلة : أثمار ، والام النجاة .

وقليل ، وإن جمَّ ماله ، وإن كان وقته قد فلت اكتسابكم ، وتَحْتَلَى حِسَابَكُمْ ،
فَاتَمَسُّوه لِنَيْسِكُمْ ، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم ، وأجلوم على بَغْيِهِ وَدَرْسِهِ ،
واجعلوا طباعهم ثَرَمَى لِقَرْبِهِ ، واستسبلوا ما ينالهم من تَعَسٍّ مِنْ جَرَاهِ^(١) وَسَهَرِ
يَهْجُرُ لَهُ الْجَفْنُ كَرَاهٍ ، تَمَقِّدُوا لَهُمْ وَلَايَةَ عَزٍّ لَا تَمُزَلُ ، وَتَحِلُّوْمُ مَتَابَةَ رِفْعِهِ لَا يَحْطُ
فَارِعُهَا وَلَا يُسْتَنْزَلُ ، واختاروا العلوم التي يَتَمَقَّبُهَا الوقت ، فلا ينالها في غَيْرِهِ^(٢) للقت ،
وخير العلوم علوم الشريعة ، وما تَجَمُّ بِمَنَابِتِهَا الْمَرْيَعَةُ^(٣) ، من علوم لسان لا تستغرق
الأعمارَ فصولها ، ولا يضائق ثمراتِ المَادِّ حصولها ، فإنها هي آلات لِنَيْبٍ ، وأسباب
إلى خير منها وخير ، فمن كان قابلاً للزدياد ، وألْقَى ضَمَّةَ ذَا انقياد ، فليخصَّ تَجْوِيدَ
القرآن بتقديسه ، ثم حِفْظَ الحديث ومعرفة صحيحه من سَقَمِهِ ، ثم الشروع في أصول الفقه
فهو العلم العظيم الْمُنَّةُ ، المَهْدَى كنوز الكتاب والسُّنَّةُ ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء
الِحْلَةُ ، والتدرج في طرق النظر بصحيح الأدلَّةِ ، وهذه هي الغاية القصوى في الْمِلَّةِ ،
ومن قصر إحداكه عن هذا المَرْتَبِ ، وقاعدَ عن التي هي أسمى ، فَلْيَتَوَرَّ الحديثَ
بعد تجويد الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ، وإياكم
والعلوم القديمة ، والفنون المهجورة القديمة ، فأكثرها لا يُفيد إلا تشكيكاً ، ورأياً
ركيساً ، ولا يُشِيرُ في الحاجلة إلا اقتحامَ السبون ، وتطريقَ الظنون ، وتطويقَ الاحتقار
وَمِثَّةَ الصَّغَارِ ، وخول الأقدار ، وانحلف من بعد الإبدار ، وجادَّةُ الشريعة أعرق
في الاعتدال ، وأوفق من قطع العمر في الجِدَالِ ، هذا ابن رشد^(٤) قاضى للمصر ومُفْتِيهِ

(١) يقال : فلت ذلك من جرأه ومن جرأه بالتفديد وبخفان ، ومن جرأه : أي من أجله ،
والكسرى : القديم . (٢) خير الدهر : أحواله المنيعة ، والضمير فيه يعود حل الوقت . (٣) الخصبة .
(٤) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، أعظم فلاسفة الأندلس وألبانيا ، ولد سنة ٥٢٠ هـ
ودرس علوم الدين والفلسفة والطب ، وانصل يوسف بن عبد المؤمن زعيم الوحوشين ، وشرح له فلسفة
أرسطر ، وقد ولاه قضاء إشبيلية ، ثم استدعاه إلى المراكش ، وجعله طبيباً للأمس ، ثم جعله قاضياً لقضاة
بقرطبة ، وكما ولي بعده ابنه المنصور باقة علت مكانة ابن رشد عنده ، فأثار ذلك حسد خصومه ، فشكلوا
له عند السلطان واتهموه أنه يمجس القرآن ، وينشط الفلسفة وعلوم الأوائل بدلا من علوم الدين ، وينصر -

وملتبسُ الرشد ومُؤاليه ، عادت عليه بالسُّخطة الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اعتصامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تَغْلُطُوا جامكم ^(١) بجامها ، إلا ما كان من حساب ومِساحة ، وما يمود بِمُجْدَوَى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فمَجْجور ، وَضَرَمَ ^(٢) مَسْجُور ، وعمقوت مهجور ، وأمرؤا بالمروف أسراً رفيقاً ، وانتهوا عن الفكر نهياً حَرِيّاً بالاعتدال حَقِيقاً ، وَاغْبِطُوا مَنْ كَانَ مِنْ سِنَةِ النَّفْثَةِ مُفِيقاً ، واجنبُوا ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ حَتَّى لَا تُنْكَرُوا مِنْهُ طَرِيقاً ، وأطيعوا أَمْرَ مَنْ وَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أُمُورِكُمْ أَمْرًا ، وَلَا تَقْرَبُوا مِنَ الْفِتْنَةِ بَجْرًا ، وَلَا تُدْخِلُوا فِي الْخِلَافِ زَيْدًا وَلَا عَمْرًا ، وعليكم بالصدق فهو شِطْرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَمْرٌ مَا أُنْزِلَ ^(٣) عَلَيْهِ الْآبَاءُ أَلْسِنَةُ الْبَنِينَ ، وَأَكْرَمُ مَنْسُوبٍ إِلَى مَذْهَبٍ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَهُوَ الثُّورَةُ الَّتِي لَا تُؤَلَّى ، وَالسُّوءَةُ الَّتِي لَا يُرْتَابُ فِي عَارِهَا وَلَا يُتَارَى . وَأَقْلَ عَقُوبَاتِ الْكَذَابِ ، بَيْنَ يَدَيَّ مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ ، أَنْ لَا يَقْبَلَ صِدْقُهُ إِذَا صَدَّقَ ، وَلَا يَمُوتَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ بِالْحَقِّ نَطَقَ ، وعليكم بِالْأَمَانَةِ فَالْخِيَانَةُ لُومٌ ، وَفِي وَجْهِ الدِّيَانَةِ كُلُّومٌ ^(٤) ، وَمَنِ الشَّرِيعَةُ الَّتِي لَا يُنْذَرُ بِجَهْلِهَا ، أَدَاهُ الْأَمَانَاتُ إِلَى أَهْلِهَا ، وَحَافِظُهَا عَلَى الْحِشْمَةِ وَالصِّيَانَةِ ، وَلَا تَجْزُوا مَنْ أَفْرَضَكُمْ دِينَ الْخِيَانَةِ ، وَلَا تَوْجِلُوا لِلنَّذْرِ قَبُولًا وَلَا تَهْرُوا عَلَيْهِ طَبْعًا مَجْبُولًا ، وَأَوْفُوا بِالْهَدْيِ إِنْ التَّهَدَّى كَانَ مَسْنُوعًا ، وَلَا تَسْتَأْتِرُوا بِكَتْزٍ وَلَا خَزْنٍ ، وَلَا تَذْهَبُوا لِغَيْرِ مَنَاحِمَةِ السَّلَامِينَ فِي سَهْلٍ وَلَا حَزْنٍ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ فِي كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ ، وَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تُعْمِنُوا فِي سَفَكِ الدِّمَاءِ وَلَوْ بِالْإِشَارَةِ أَوْ الْكَلَامِ ، أَوْ مَا يَرْجِعُ إِلَى وَظِيفَةِ الْأَقْلَامِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي فُسْحَةٍ مَمْتَدَّةٍ ،

ملعب القمصاء في القول بألوهية بعض الكواكب : فنزله المنصور من قضاء قرطبة ، ثم طاعته ، واستعاه إلى مراكش ، ولم يزل مقامها ، فأت سنة ٥٩٥ هـ ، وقد ترجم أكثر كتبه إلى اللغات الأجنبية ، وعليها حول الأوربيون في نهجهم الحديثة .

(١) الجام : إله من فضة . (٢) جمع ضربة بالتحريك : وهي الجبرة والنار ، وسير المنصور : أحام

(٣) ضربه بالفتح : كسب : اعتاده وأولع به ، ويصعب بالمعز والضعيف ، يقال : أضربه وضريته :

أي أغريته به . (٤) الكلوم جمع كلم بالفتح وهو المرح .

وَسُئِلَ اللَّهُ تَعَالَى غَيْرَ مُنْهَدَّةً ، مَا لَمْ يَنْفِذْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَمَانَةٍ ، وَيَمْسَسَ اللَّهُ الْحَرَامَ يَدِ
أَوْ لِسَانِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : الَّذِي هَدَىٰ بِدِينِنَا قَرِيبًا ، وَجَلَّىٰ مِنَ الْجَلَلِ
وَالضَّلَالِ لَيْلًا سَهِيًا : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا .
وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » . واجتناب الزنا وما تعلق به ،
مِنْ أَخْلَاقٍ مَنْ كَرُمَتْ طِبَاعُهُ ، وامتد في سبيل السعادة بآه ، لو لم تعلق نور الله
الذي لم يهله شعاعه ، فَالْحَلَالُ لَمْ تَصِقْ عَنْ الشَّهَوَاتِ أَنْوَاعِهِ ، وَلَا عَدِمَ إِقْنَاعُهُ ،
وَمَنْ غَلَبَتْ غَرَائِزُ جَهْلِهِ . فَلْيَنْظُرْ : هل يجب أَنْ يُرْتَىٰ بِأَهْلِهِ ؟ والله قد أعدَّ للزاني
عَذَابًا وَبِيلًا . وَقَالَ : « وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » .
والحرَامُ الْكَبِيرُ . وفتح الجرائم والجرائز ^(١) . والله لم يجعله الله في الحياة شرطًا .
والحرْمُ قد أغنى عنه بالحلل الذي سَوَّخَ وَأَعْلَى . وقد بركها في الجاهلية أقوام لم يرضوا
لِعَقُولِهِمْ بِالْفَسَادِ . وَلَا لِنَفْسِهِمْ بِالْمُضَرَّةِ فِي مَرْصَافِ الْأَجْسَادِ . والله تعالى قد جعلها
رِجْسًا مَحْرَمًا عَلَى الْعِبَادِ : وَقَرَّبَهَا بِالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ فِي مَبَايِنَةِ السُّدَادِ ^(٢) . وَلَا تَقْرَبُوا
الزَّانِيَةَ . فَإِنَّهُ مِنْ مَنَاحِي الدِّينِ . والله تعالى يقول : « وَذَرُّوا مَا بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ » . وَقَالَ : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَرْصَبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » فِي الْكِتَابِ
لِلْبَيْنِ . وَلَا تَأْكُلُوا مَالَ أَحَدٍ بِغَيْرِ حَقٍّ يُبَيِّحُهُ . وَانْزِعُوا الطَّعْمَ ^(٣) عَنْ ذَلِكَ حَقِّ
تَنْهَبِ رِيحِهِ . وَاتَّقُوا الْحَلَالَ يَسْتَفِي فِيهِ أَحَدُكُمْ عَلَى قَدَمِهِ . وَلَا يَكِلُ خِيَارَهُ
إِلَّا لِقَعَةٍ مِنْ خِدَمِهِ . وَلَا تَلْجَأُوا إِلَى التَّشَابُهِ إِلَّا عِنْدَ عَدَمِهِ . فهو في الشُّكِّ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى أَصْلُ مَشْرُوطٍ . وَالْحَافِظُ عَلَيْهِ مُتَبَوِّطٌ . وَإِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ . فَالظُّلْمُ عَمَتَتْ بِكُلِّ لِسَانٍ

(١) الجرائز جمع جريرة ، وهي الجريمة .

(٢) يعني الدخول على ، « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَاللَّبِيسُ وَالْأَنْصَابُ
وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِمَّنْ حَمَلَ الشَّيْطَانُ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

(٣) الطعم : القهقهة .

يُجْلِعُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَصْرِجِ الْمَعْنِيَانِ ، « وَالظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » كما ورد في الصَّحَاحِ الْحَسَنِ ، وَالنِّمِيةُ فَلَا وَشَتَاتٌ ، لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مُتَاكَتٌ ^(١) ، وَفِي الْحَدِيثِ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتْلٌ ^(٢) » وَالطَّرْحُ الْحَسَدُ ، فَاسَادَ حَسُودٌ ، وَإِلَاكُمْ وَالنِّبْيَةَ فَبَابُ الْخَيْرِ مَعَهَا مَسْدُودٌ ، وَالْبِخْلُ ، فَارْتُئِيَ الْبِخِيلُ وَهُوَ مَوْدُودٌ ، وَإِلَاكُمْ وَمَا يُتَذَكَّرُ مِنْهُ ، فَوَاقِعُ الْخُرَى لَا تُسْقَالُ عَثَرَاتُهَا ، وَمَطْنِيَّاتُ الْفَضَائِحِ لَا تَوْمَنُ عَثَرَاتُهَا ، وَتَقْضُوا أَهْكُمْ مَعَ السَّاعَاتِ وَأَفْشُوا السَّلَامَ فِي الطَّرَفَاتِ وَالْجَلَعَاتِ ، وَرِثُوا عَلَى ذَوَى الرِّمَانَاتِ ^(٣) وَالْعَاهَاتِ ، وَتَاجِرُوا مَعَ اللَّهِ بِالصَّدَقَةِ بُرٍّ بِحُكْمٍ فِي الْبِضَاعَاتِ ، وَعَوَّزُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ فِي الشَّدَائِدِ ، وَادْكُرُوا السَّاكِنِينَ إِذَا نَصَبْتُمْ لِلْوَاثِدِ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ مَالِهِ . وَاعْلَمُوا أَنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ الْخَطَاةُ لِمِثَالِهِ ، وَارْعَوْا حَقَّ الْجَارِ ، وَادْكُرُوا مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ ، وَتَمَاحَدُوا أُولَى الْأَرْحَامِ ، وَالْوَشَائِحِ ^(٤) الْبَادِيَةِ الْإِتِّصَامِ ، وَاحْذَرُوا شَهَادَةَ الزُّورِ : فَإِنَّهَا تَقْلَعُ الظُّهْرَ ، وَتُقْسِدُ السَّرَّ وَالْجَهْرَ ، وَالرُّشَا ، فَإِنَّهَا تَحْمِلُ الْأَقْدَارَ ، وَتَسْتَدْعِي لِلذَّتِّ وَالصَّنْأَرِ ، وَلَا تَسْأَعُوا فِي لُتْبَةِ قَمَرٍ ^(٥) ، وَلَا تَشَارِكُوا أَهْلَ الْبَطَالَةِ فِي أَمْرِ ، وَصُونُوا الْمَوَاعِيدَ مِنَ الْإِخْلَافِ ، وَالْأَيْمَانَ مِنْ حِنْثِ الْأَوْغَادِ وَالْأَجْلَافِ ، وَحَقَّقُوا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَزْهَادِ وَالْإِعْسَافِ ، وَلَا تَلْهَجُوا بِالْأَمَالِ الْيَعِيفِ ^(٦) وَلَا تَكْلَفُوا بِالْكُهَانَةِ وَالْأَرْجَافِ ، وَاجْلِسُوا الْمَرْبِيعَ بَيْنَ مَمَاشٍ وَمَعَادٍ ، وَخُصُوصِيَّةٍ وَابْتِمَادٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَبْعَانُهُ بِالْمِرْصَادِ ، وَأَنَّ الْخَلْقَ بَيْنَ زَرْعٍ وَحَصَادٍ ، وَأَعْلَمُوا بِتَبِيرِ الْحَالَةِ الْبَاقِيَةِ الْمُسَوِّمِ ، وَاحْذَرُوا الْقَوَاطِعَ عَنِ السَّعَادَةِ كَمَا تُحَذِّرُ السُّوْمَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْخَيْرَ أَوْ الشَّرَّ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ أَنْ يَدُومَ ، وَقَابِلُوا بِالصَّبْرِ أُذْيَةَ الْوُذَيْنِ ، وَلَا تَمَارِضُوا مَقَالَاتِ الظَّالِمِينَ ، فَافْقَهُ لِمَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ، وَلَا تَسْتَعْمِلُوا

(١) اللَّطَفُ : مَا يَمُتُّ بِهِ إِلَى يَحْتَمِلُ .

(٢) الْقَتْلُ : الْقَتْلُ .

(٣) الرِّمَانَةُ : الْقَرَابَةُ .

(٤) الْوَشَائِحُ جَمْعُ وَشِيحَةٍ : وَهِيَ الْإِتِّبَالُ الْقَرَابَةُ .

(٥) قَمَرٌ : غَلَبٌ فِي لَبِّ الْقَدَرِ .

(٦) الْيَعِيفُ جَمْعُ يَعْصَفُ : وَهِيَ الْمَهْزُولَةُ .

حوادث الألام كلها نزلت ، ولا تضيحوا للأمراض إذا أعصت ، فكل منقرض حقير ، وكل منقضي وإن طال قصر ، وانتظروا الفرج ، واشتقوا من جاب الله تعالى الأرج^(١) ، وأوسعوا بالرجاء الجوارح ، واجتنبوا إلى الخوف من الله تعالى فطون لتبدي إليه جانح ، وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء ، والنجوا إليه في البأساء والضراء ، وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذي يقيد به الشارد ، ويفذب الوارد ، وأشبهوا^(٢) منها للساكنين وأفضلوا عليهم ، وعينوا المخطوط منها لديهم ؛ فمن الآثار : « يا عائشة أحسني جوار نعم الله ، فإنها قد أزلت عن قوم ضادت إليهم » ، ولا تطفوا في النعم وتقصروا عن شكرها ، وتغلبكم^(٣) الجاهلة بسكرها ، وتوهوا أن سعيكم جلبها ، وجِدكم حلتها ، فله خير الرازقين ، والعاية للضيق ، ولا فِعل إلا لله إذا نظر بعين اليقين ، والله الله لا تنسوا الفضل بينكم ، ولا تذهبوا بذهابه زينكم ، وليلزم كل منكم لأخيه ، ما يشتد به تواخيه ، بما أمكنه من إخلاص وير ، ومراعاة في علانية وسر ، وللإنسان مزية لا يُجهل ، وحق لا يُهمل ، وأظهروا التعاضد والتناصر ، وصلوا التآهد والتزاور ، ترفعوا بذلك الأعداء ، وتستكثروا الأوداء ، ولا تنافسوا في المخطوط السخيفة ، ولا تهاوشوا تهاوش السباع على الجيفة . واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان ، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان ، فإذا أسديتم معروفا فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ، وإذا أعظم النساء أمراً فاحفروه ، والله الله لا تنسوا مقارضة سحلي^(٤) ، وبرثوا أهل مودتي من أجلي ، ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القليل المهل ، الذي لا يصلح لنير الجهاد ، فلا يستهلكه أجمع في اقتتار ، خيصب عُرصة للنزلة والاحتقار ، وساعياً لنفيه - إن تغلب العدو على بلده -

(١) الأرج : توضع رجع الطيب . (٢) أشبهوا : أعطاهم سبأ .

(٣) تغلبكم : في الأصل : « وتغلبكم » ، وأراد محرفاً عن « وتغلبكم » .

(٤) سحلي : للصعب . والمعنى : إنكم محبون لي بما قدمت لكم من مودتي ، فلا تنسوا أن تردوا

عليكم لأكرام من أودت .

في الاختضاع والافتقار ، ومعوناً عن الانتقال ، أمام النوب الثقّل ، وإذا كان رزق
المبد على اللوى ، فالإجمال في الطلب أولى ، ولزهدوا جهدكم في مصاحبة أهل الدنيا
غيرها لا يقوم بشرها ، وضعا لا يقوم بشرها ، وأعتاب من تقدّم شاهدة ، والتواريخ
لهذه الدعوى عاضدة ، ومن يُلي بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال ، والتقل من
السال ، وليحذر مُعادة الرجال ، ومزلات الأدلال ، وفساد الخيال ، ومداخلة العيال ،
وإفشاء السر ، وسُكر الاقتار ، فإنه دأب الفِر ، وليصن الحياة ، ويؤثر الصمت
ويلازم الأمانة ، ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه
أمران قصد أقربهما إلى الحق ، وليتقف في التمس أسباب الجلال دون السكّال غير
النقصان ، والزعاعُ تالم اللدن^(١) اللطيف من الأغصان ، وإياكم وطلب الولايات
رغبة واستجلاباً ، واستظهاراً على الخطوب وغلاباً ، فذلك ضرر بالرواء والأفدأ ،
دايع إلى الفضيحة والعار ، ومن امتنع بها منكم اختيلاً ، أو جبر عليه إكراهاً
وإشلالاً ، فليقلّ وظاها بسعة صدره ، ويبذل من الخلف فيها ما يشهد أن قدرها دون
قدره ، فالولايات فتنة ومحنة ، وأسر وإحنة ، وهي بين إخطاء سادة . وإخلال
بعبادة وتوقع عزل . وإدالة^(٢) يلزام بيع جدّ جهل ، ومزلة قدم ، واستتباع ندم .
ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقترب من الله وابتمد . جعلكم الله من فقه بالتبصير
والتنبيه ومن لا يتقطع بسببه عمل أبيه . هذه - أسدكم الله - وصيق التي أصدرتها .
وتجاولي التي لربكم أدرتها . فخلقوها بالقبول لنصحها . والاعتناء بضوء نصيحها .
وبقدر ما أمضيت من فروعها . واستنشيت من دروعها . اتخيت من الناقب الفاخرة .
وحصّمت على سعادة الدنيا والآخرة . وبقدر ما أمضيت لآلها الفضة القيم . استكثرتم
من بواث الندم . ومهما شتم إطلاتها . واستفزتم مقالها ، فاعلموا أن توى الله
فذلك^(٣) الحساب ، وضابط هذا الباب . كان الله خليفتي عليكم في كل حال . فالدنيا

(١) اللدن : العين .

(٢) الإدالة : التلبه .

(٣) ذلك سببه كسر : أهد وفرغ منه ، محترمة من قوله إذا أجل سابه : فذلك كذا وكذا .

مُنَاحِ ارْتِمَالٍ ، وَتَأْمِيلِ الْإِقَامَةِ فَرَضُ مُحَالٍ . فَالْوَعْدُ لِلْإِقَامَةِ دَارُ الْبَقَاءِ . جَعَلَ اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ خُطَّتِهِ الْعِجَابَ ، وَفَتَقَ بَصَائِمَهَا لِلرَّجَاءِ ^(١) . بِلَطَائِمِهِ لِلرَّحْمَةِ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ مِنْ حَبِيبِكُمُ الْمَوْدِعِ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُثَلِّثُهُ ^(٢) حَيْثُ شَاءَ مِنْ تَحْتِلٍ مُتَصَدِّعٍ . وَاللَّهُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَلِيلِ وَرَحِمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
(نفع القلب ٤ : ١١٩)

١٨ - خُطْبَةٌ وَعِظَةٌ لَهُ

وَصَدَرَ عَنْهُ عَلَى لِسَانٍ وَاعِظٍ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ . الْمُبْدِئِ الْعَمِيدِ . الْبَعِيدِ فِي قُرْبِهِ مِنَ الْقَبِيدِ . الْقَرِيبِ فِي بَعْدِهِ وَهُوَ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ^(٣) . نُحْمِي رُبُوعَ الْمَارِفِينَ بِتَحِيَّاتِ حَيَاةِ التَّوْحِيدِ . وَنُفْنِي نَفْسَ الزَّالِهِينَ بِكَتُوزِ احْتِقَارِ الْاِفْتِقَارِ إِلَى الْفَرَسِ الزَّهِيدِ . وَنُحْلَسُ خَوَاطِرَ الْمُتَحَقِّقِينَ مِنْ سَجُونِ دُجُونِ ^(٤) الْقَتِيدِ . إِلَى فُسْحِ التَّجَرِيدِ . نَعْمَدُهُ وَهُوَ الْحَمْدُ الْمُنْتَظِمَةُ دُورُهُ فِي سُكُوكِ الدَّوَامِ . وَنُحْمُوطُ ^(٥) التَّائِيدِ . حَمْدٌ مِنْ زَرْهٍ أَحْكَامٍ وَخَدَانِيَّةٍ . وَأَعْلَامُ قُرْدَانِيَّةٍ ، عَنْ مَرَابِطِ الْقَتِيدِ ، وَنَحَابِطِ الطَّنَبِ الْبَلِيدِ ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ افْتَتَحَ بِشُكْرِهِ أَبْوَابَ الزَّيْدِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ شَهَادَةُ تَنْخَطِي بِهَا سَالِمٌ أَنْخَلِقُ ، إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ ، عَلَى كَيْدِ التَّغْرِيدِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قِلَادَةُ الْجَبِيدِ الْمَخِيدِ ، وَهَلَالُ الْعَمِيدِ ، وَفَذَلِكَ الْحَسَابُ وَبَيْتُ الْقَعِيدِ ، الْخُصُوصُ بِمَنْشُورِ الْإِدْوَالِ ^(٦) ، وَاقْطَاعِ السَّكَالِ ، بَيْنَ مَقَامِ الرُّوَادِ وَمَقَامِ الرُّيْدِ ، الَّذِي جَعَلَهُ السَّبَبَ الْأَوْصَلَ فِي نَجَاةِ النَّاجِي وَسَعَادَةِ السَّعِيدِ ، وَخَاطِبِ الْخَلَائِقِ عَلَى لِسَانِهِ الصَّادِقِ بِمُحِبَّتِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، فَكَانَ مِمَّا أَوْحَى بِهِ إِلَهِي ، وَأَنْزَلَ أَلْفَ بِهِ عَلَيْهِ ، مِنَ الذِّكْرِ الْحَمِيدِ ، لِيَأْخُذَ

(١) بَضَاعَةُ مَرْجَاةٍ : دَهْنَةٌ أَوْ قَلِيلَةٌ يَرْمَعُهَا وَيُلْقِيهَا مِنْ رَأْيَا رِضْيَةٍ ضَمًّا ، وَتَقَالُ لِلْمَلَةِ تَقْلِيْقًا : رَوْجَهَا .
(٢) لَامُ الْجَرَحِ وَالْمَصْدَعِ كَقَطْعِ ، وَالْأَلَمِ : سَهْلٌ .

(٣) مَرْقٌ فِي الْمَقِي . (٤) أَيْ غِلَامٌ قَتِيدٌ ، وَهَاجِرٌ جَمْعُ دَجْنٍ بِالْفَتْحِ : وَهُوَ الْبَاسُ الْفَنِيمُ الْأَرْضِ وَالْخَطَرُ الْبَاسُ . (٥) سَمُوطٌ جَمْعُ سَمَطٍ بِالسَّكَرِ : وَهُوَ عِمَاقُ الْقَتَمِ . (٦) أُنْدَلُ عَلَيْهِ : وَثَقَ بِمِجْمَعِهِ .

بالجزر^(١) والأطواق من العذاب الشديد: « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَلَّمْ مَاتَوْسُوْسُ بِهِ فَهٗ . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ . مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ . وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ . وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ . وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَ مَا سَأَتْ وَشَهِيدٌ : لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ » ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة قوم بيمض حقه الأكيد ، وَتَسْرَى إِلَى تَرْبَتِهِ الرُّكْيَةِ مِنْ ظُهُورِ الْمَوَاجِدِ الْجَائِيَةِ عَلَى الْبَرِيدِ :

قصدتُ تذكير ، ولو كنتُ منصفاً لذكرتُ نفسى فعلى أحوجُ للذكرى
إذا لم يكن منى لنفسى واعظُ فياليت شعرى كيف أفضل فى الأخرى؟
أو ، أى وعظ بعد وعظ الله تعالى يا أحبائنا بسمع ، وفى ماذا - وقد تبين الرشدُ
من النفى - يُطَمَعُ؟ يا من يُعْطَى ويمنع ، إذا لم تَقِمِ الصنمية فلماذا نصنع؟ اتَّجَمْنَا بقلوبنا
يا من يُفَرِّقُ ويمجم ، وَكَيْفَ حَدِيدَهَا بِنَارِ خَشْيَتِكَ ، قد استماد نبئك صلى الله عليه وسلم
من قلب لا يَخْشَعُ ، ومن عين لا تَدْمَعُ : اعلوا رحمكم الله أن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها
من الأقوال والأحوال ، ومن الجداد والحيوان ، وما أملاه للولان^(٢) ، فإن الحق نور
لا يضره أن صدر من الخامل ، ولا يقصر بمحموله احتقارُ الحامل ، وأتم تدرون أنكم
فى أطوار سَفَرٍ لاستقر لها دون الناية رحلة ، ولا تتأنى معها إقامة ولا مثله ، من
الأصلاب إلى الأرحام إلى الوجود ، إلى القبور إلى النشور إلى إحدى دارى البقاء ،
أفى الله شك؟ فلو أبصرتم مسافراً فى البرية بينى وبَعرِش ، وبَعرِش ، ألم تكونوا
تضحكون من جهل ، وَتَتَجَبَّوْنَ مِنْ رُكَاكِهِ عَقْلُهُ؟ ووالله ما أموالكم ولا أولادكم ،
وشواغلُكم عن الله ، التى فيها اجتهداكم ، إلا بقاء سَفَرٍ^(٣) فى قَفَرٍ ، أو إعراسٌ

(١) الجزر جمع حبرة كفرصة : وهى مقته الإزار ، ومن السراويل موضع الشكة .

(٢) الملوأ : الليل والنهار .

(٣) السفر : جيلة المسافرين .

في ليلةٍ نَفَر^(١) ، كأنكم بها مُطَرَّحَةٌ تَشِيرُ فيها المِوَالِي ، وتنبؤ الميُونُ عن خبرها للثلاثي « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » ما بعد اللَّيْلِ إِلَّا الرَّحِيلَ ، ولا بعد الرحيل إِلَّا للنزولِ الكريم ، أو للنزلِ الويل ، وإنكم تَسْتَقِيلُونَ أهوالاً ، سَكَرَاتُ اللُّوتِ بَوَاكِرُ حَسْبِهَا ، وَغَتَبُ أَبْوَابِهَا ، فلو كَشَفَ النِّطَاءُ عن ذَرَّةٍ منها لَذَهَبَتِ العقولُ وطاشتِ الألبابُ ، وما كلَّ حَقِيقَةُ بِشْرِهَا السَّكَامُ ، « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِآفَةِ الْفُرُورِ » أفلا أعددتُم لهذه الوَرْطَةِ حِيلَةً ، وأظهرتم للاهْتِمَامَ بها حِيلَةً^(٢) ! أُنْمِوْا على عَفْوِهِ مع المُطَاغَةِ ؟ وهو القاتِلُ في مقام التهديد : « إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » ، أَلَمْنَا من مَكْرِهِ مع النَّابِذَةِ ؟ « وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » أَلَمْنَا بِرَحْمَتِهِ مع الْخَالِفَةِ ؟ وهو يقول : « فَتَأْكُتْهَا لِلَّذِينَ يَبْتِغُونَ » ، أُمُشَاقَّةٌ وَمُعَانِدَةٌ ؟ « وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَبِئْسَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ » ، أَشَكَا فِي اللَّهِ ؟ فَتَعَالَوْا نُمِيدِ الْحَسَابِ ، وَتَقَرَّرِ الْمُتَعَدِّ ، وَتَنْصِفِ بِدَعْوَةِ الْحَقِّ (أَوْ غَيْرِهَا) من اليوم ، يُقَدِّدُ عَقْدُ الْعَاثِدِ عند التَّسَاهُلِ بِالْوَعْدِ^(٣) ، فَالْعَامِيُّ يَذِي الْأَصْبَحِ الْوَجِيعَةَ ، وَالْعَارِفُ بِضِدِّهَا مَبْدَأَ التَّعَصُّبِ :

هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ التَّعَامِي هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ الْفُرُورُ

« يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » وما عدا ما بدا ، ورسولُكم الحَرِيسُ عَلَيْكُمْ الرُّعُوفِ الرَّحِيمِ يقول لَكُمْ : « الْكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ وَجَعَلَ لَهَا بَدْءَ الْوَتِّ ؛ وَالْأَحَقُّ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمْنَى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِ » قَتْلَامٌ بِدْ هَذَا الْمَوَلِّ ، وَمَاذَا يَأْوُلُ ؟ أَهْوَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي فُرُوسِكُمْ وَأَنْصَحُوهَا وَاسْتَغْنَمُوا فُرُوسَ الْحَيَاةِ وَلَوْجُوهَا ، « أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَةً عَلَى مَا فَرَّطْتُ »

(١) أَمْسَ لِقَوْمٍ وَجَسُوا : نَزَلُوا فِي آخِرِ اللَّيْلِ لِلِاسْتِرَاحَةِ ، وَتَقَرَّرَ الْحَاجُّ مِنْ حَيْثُ كَضَبَ نَفَرًا وَفَلُورًا .

(٢) الْحِيلَةُ : الْخَلَلُ . (٣) أَيْ أَنَّ الْفَرْدَ إِذَا لَمْ يَحْسِبْ لَوَعْدَةِ اللَّهِ حَسْبًا ، وَاسْتَقْبَلَ فِي اقْتِرَافِ الْعَامِيِ وَالْمُرِيدَاتِ ، أَنْفُسَهُ بِهَذَا إِلَى زَلْزَلَةِ الْعَقِيدَةِ ، وَلَوْ أَنَّهُ كَانَ خَالِصَ الْإِيمَانِ لَا مَوَدَّةَ حَامِيَةٍ مَعَهُ .

فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّاحِرِينَ » ، وتنادى أخرى : « هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ؟ » ، وتستغيثُ أخرى : « يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » ، وتقولُ أخرى : « رَبِّ ارْجُونِي » ، فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ نَظَرَ لِنَفْسِهِ ، قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِهِ وَقَدَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ أَمْسِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ تَجْرُؤُ إِلَى الْمَوْتِ ، وَالظُّلَّةُ تَقُودُ إِلَى الْقَوْتِ ، وَالصَّعَةِ مَرْكَبُ الْأَلَمِ ، وَالشَّيْبَةِ سَفِينَةُ تَقَطُّعٍ إِلَى سَاحِلِ الْمَرَمِ .

وإن شاء قال بعد الخطبة :

« إخواني ، ما هذا التواني ؟ والكلفُ بالوجود الثاني ، عن الدائم الباقي ، والدمر يقطع الأمان ، وهادمُ الذات قد شرع في نقض المياني ، ألا معتبر في عالم هذه المعاني ، ألا مرتحل عن مقامين هذه المعاني ^(١) ؟

أَلَا أَدُنُّ نَفْسِي إِلَى سَمِيعةٍ أَحَدَتْهَا بِالصَّدْقِ مَا صَنَعَ الْمَوْتُ
مَدَدْتُ لَكُمْ صَوْتِي فَأَوَّلُهُ حِزْرَةٌ عَلَى مَا بَدَأَ مِنْكُمْ فَلَمْ يُنْصَحِ الصَّوْتُ
هُوَ الْقَدَرُ الْآتِي عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ فَتَوَبُوا مِيرَاعًا قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ الْقَوْتُ

يَا كَلِيفًا بَمَا لَا يَدُومُ ، يَا مُفْتُونًا بِغُرُورِ الْوُجُودِ الْمَلُومِ ، يَا صَرِيحَ جِدَارِ الْأَجْلِ لِلْهَدُومِ ، يَا مُشْتَغِلًا بَيْنِيانِ الطَّرِيقِ قَدْ ظَهَرَ الْمُنَاخُ وَقَرَّبَ الْقُدُومِ ، يَا غَرِيبًا فِي بَحَارِ الْأَمَلِ بِأَعْيُنِكَ نَعُومِ ! يَا مُتَمَلِّلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَتَحِ السَّرَّابِ ^(٢) ، لَا بَدَّ أَنْ تَهْجُرَ الشُّرُوبَ وَتَتْرَكَ الطَّعَامَ ، دَخَلَ سَارِقُ الْأَجْلِ بَيْتَ عَمْرٍو فَسَلَبَ النَّشَاطَ وَأَنْتَ تَنْتَظِرُ ، وَطَوَّيَ الْبَسَاطَ وَأَنْتَ تُكْرِبُ ^(٣) ، وَاقْطَعِ جَوَاهِرَ الْجَوَارِحِ ، وَقَدْ وَقَعَ بِكَ التَّهَبُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَحْمِلَ الْوَسَادَةُ عَلَى أُنْثَى وَيَقْعَدُ :

لَوْ خُفِّفَ الْوُجُدُ عَنِ دَعْوَتِ طَالِبِ تَارِي
« كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا » ، كَيْفَ التَّرَانِي وَالْقَوْتُ مَعَ الْأَنْفُسِ يُنْتَظَرُ ،

(١) المعاني : جمع مخو وهو الغزل .

(٢) السراب : ما يرى وسط النهار كأنه ماء . (٣) كرهه فلم يكسر : اشتهه .

كيف الأمان وهاجم اللوت لا يُنَبِّق ولا يَذَر ، كيف الركون إلى الطمع الفاضح وقد صَحَّ الخبر ؟ من فَكَرَ في كَرْبِ انْتِخَار^(١) تَنَفَّصَتْ عنده لِقَةُ النِيْذِ ، من أَحَسَّ يَلْقَظُ^(٢) الحريق فوق جِدَارِهِ ، لم يُصَغِرْ بصوته لِنَفْثَةِ العود ، من تَيَقَّنَ بِذُلِّ الْفُرَّةِ ، هَان عليه ترك الولاية .

ما قامَ خَيْرُكَ بِإِزْمَانُ بشره أُولَى لنا مَقْلٌ مِنْكَ وما كَفَى أوحى الله سبحانه إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه : أَنْ صَغَّ يَدُكَ عَلَى مَنْتَنِ نُورٍ فَيَعِدُّ مَا حَاذَتْهُ مِنْ شَعْرَةٍ تَمِيشُ سَنِينَ ، قَالَ : يَارَبِّ وَبَعْدَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : تَمُوتُ ، قَالَ : يَارَبِّ فَالآن .

رَأَى الْأَمْرَ يُفْضِي إِلَى آخِرٍ فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلًا
إِذَا شَمَرْتَ نَفْسَكَ بِاللَّيْلِ إِلَى شَيْءٍ فَأَعْرِضْ عَلَيْهَا غُصَّةَ فِرَاقِهِ « لِيَتَهَلَّكَ مِنْ هَلَاكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيَحْتَجِيَ مِنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ » فالفروح به هو المحزون عليه ، أَيْنَ الْأَحْبَابُ مَرُّوْا ؟ فَيَالَيْتَ شِعْرَى أَيْنَ اسْتَقَرُّوا ؟ اسْتَكَانُوا وَاللَّهِ وَاضْطَرُّوا ، وَاسْتَفَانُوا مِنْ سَبَقِكَ^(٣) بِأُولِيَائِهِمْ فَهَرُّوا ، وَلَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ يَفْعُوا مَا هَرُّوا ، فَالْنازل من بدم خالية خاوية ، والعروش ذابلة ذاوية ، والمظالم من بعد التفاصيل متشابهة متساوية ، والسالكين تَنَدُّبٌ فِي أَطْلَالِهَا الذَّنَابُ العاوية .

صَحَّتْ بِالرَّبِّعِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَيْتَ شِعْرَى أَيْنَ يَمْضِي الْغَرِيبُ ؟
وَيَحْتَنِبُ الدَّارَ قَبْرٌ جَدِيدٌ مِنْهُ يَسْتَقِي الْمَكَانَ الْجَدِيدُ
غَاضٍ قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ التَّاجِي قُلْتُ : هَذَا الْقَبْرِ فِيهِ الْحَيِّيبُ^(٤)
لَا تَسْلُ عَنْ رَجَعَتْ كَيْفَ كَانَتْ إِنْ يَوْمَ الْيَبِينِ يَوْمَ عَصِيبُ

(١) الانتخار : سماع الخمر وأفهام . (٢) النيب : مكان في الأصل ، وكان يمكن أن يقول : « واستغلت من سبقك بأوليائهم » إلا أن يفرج حل أن « من » مبدأ طوخر كافى قوله تعالى : « نَحْمُ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ » وقوله : « وَأَسْرَوْا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا » أو « من » يملك من والى الجملة . (٣) الله والله والتمتع : إذا أبصره بنظر ضعيف .

باقتراب الموت عُلْتُ نَفْسِي بِمَدِّ إِلَهِي ، كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ
 أَيْنَ الْمَمَرُ الْخَالِدُ ، أَيْنَ الْوَلَدُ أَيْنَ الْوَالِدُ ، أَيْنَ الطَّارِفُ أَيْنَ التَّالِدُ ، أَيْنَ الْجَادِلُ
 أَيْنَ الْمُجَادِلُ ؟ « هَلْ تُحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ؟ » (١) وجوه علاهِنَّ
 اللَّتَّى ، وَصَحَائِفُ تَفْعَزُ ، وَأَعْمَالُ عَلَى اللَّهِ تُفْرَضُ ، بِمَحْتِ الزُّهَادِ وَالْعُبَادِ ، وَالْعَارِفُونَ
 وَالْأَوْتَادُ ، وَالْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يَهْدِي بِهِمُ الْمَيَادِ ، عَنْ سَبَبِ الشَّقَاءِ الَّذِي لَا سَعَادَةَ بِهِ ،
 فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا الْبُئْسَ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَسَبَبِهِ حُبُّ الدُّنْيَا ، « لَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي
 عَلَى ضَلَالَةٍ » .

هَجَرْتُ حَبَائِي مِنْ أَجْلِ لَيْلَى فَأَلَى بِمَدِّ لَيْلَى مِنْ حَبِيبِ
 وَمَاذَا أُرْتَجَى مِنْ وَصْلِ لَيْلَى سَتَجَزِي بِالْقَطِيعَةِ عَنْ قَرِيبِ
 وَقَالُوا : مَا أوردَ النَّفْسَ الْوَارِدَ ، وَفَتَحَ عَلَيْهَا بَابَ الْخُتْفِ إِلَّا الْأَمَلَ ، كَلِمَةً
 قَوْمَتَهَا مَنَاقِبُ الْخُدُودِ ، فَتَحَ لَهَا أَرْكَانَ الرَّخَصِ . كَلِمَةً عَقَدَتْ صَوْمَ الْعَزِيمَةِ ،
 أَهْدَاهَا طَرَفُ الْغُرُورِ فِي أَطْبَاقِ « حَتَّى وَإِذَا وَلَكِنْ وَرُبَّمَا » فَأَفْرَطَ الْقَلْبُ فِي تَقْلِيلِهَا
 حَتَّى أَفْطَرَ :

مَا أَوْبَقَ الْأَنْفَسَ إِلَّا الْأَمَلُ	وَهُوَ غُرُورٌ مَا عَلَيْهِ عَمَلٌ
يَفْرَضُ مِنْهُ الشَّخْصُ وَهَمًّا مَالَهُ	حَالٌ ، وَلَا مَاضٍ ، وَلَا مُسْتَقْبَلٌ
مُافِقٌ وَجْهَ الْأَرْضِ نَفْسُ حَيَّةٍ	إِلَّا قَدْ انْقَضَ عَلَيْهَا الْأَجَلُ
لَوْ أَنَّهُمْ مِنْ غَيْرِهَا قَدْ كَوَّنُوا	لَأَمْتَلَأَ السَّهْلُ بِهِمُ وَالْجَبَلُ
مَا نَمَّ إِلَّا لَقَمٌ قَدْ هُمِيتَ	لِلْمَوْتِ ، وَهُوَ الْأَكِلُ لِلْمَسْجِلِ
وَالْوَعْدُ حَقٌّ ، وَالْوَرَى فِي غَفْلَةٍ	قَدْ خُودِعُوا بِمَاجِلٍ وَضَلُّوا
أَيْنَ الدِّينَ شَيَّدُوا وَاعْتَسَرُوا	وَمَهَّدُوا وَافْتَرَشُوا وَظَلَّلُوا ؟

أين ذنوب الراحات زادت حسرة إذ جُنبوا إلى الثرى وانضوا^(١)
 لم تنفع الأحبابُ عنهم غير أن بَكَوْا على فراقهم وأَعْرَوْا
 الله في ضحك أولي من له ذنوبٌ نُصَحَتْ وَعَتَابًا يُقْبَلُ^(٢)
 لا تَدْرِكُنَّ في عَمَى وَحَيْرَةٍ عن هول ما بين يديها تَفْقُلُ
 حَرَّ لَهَا الْفَاقِ، وحاول زُهْدَهَا وَشَوَّهَا إلى الذي تَسْتَقْبِلُ
 وَفَدَّ إلى الله بها مضطرة حتى ترى السَّيْرَ عليها يَسْهَلُ^(٣)
 هو الفناء ، والبقاء بـسْده والله عن حِكْمَتِهِ لَا يُسْأَلُ
 بِأَقْرَبَ الْعَيْنِ وبِأَحْسَرَتِهَا يَوْمَ يُوقَى النَّاسُ مَا قَدْ عَمِلُوا

باطرُد^(١) المخالفة ، إنكم مَذْرُكُونَ ، فاستيقُوا باب التوبة ، فإن رَبَّ تِلْكَ الدَّارِ
 يُحِبُّ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ « فَلَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا هَذَا كُمْ » . ياطفئيلية المهمة ،
 دُشُوا أَضْمَكُمْ بَزْمَرِ الثَّانِيينَ ، وقد دُعُوا إلى الله دعوة الحبيب ، فإن لم يكن أكلٌ فلا
 أَقْلٌ من طيب الرُّمِيَةِ ، قال بعض المارفين : إِذَا عَقَدَ الثَّانِيُونَ الصَّلَاحَ مع الله تعالى ،
 انتشرت رعايا الطاعة في عَمَالَةِ الْأَعْمَالِ ، « وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا . وَوُضِعَ
 الْكِتَابُ » معاني هذا المجلس والله نَسِيمُ سَحَرٍ ، إِذَا اسْتَشَقَّ غَمُورُ الْفَنَسَلَةِ أَفَاقَ ،
 سَحُوطُ^(٢) هذا الوعظ يَنْقُضُ^(٣) إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَكَاةَ الْبَطَالَةِ ، إِنْ الذِّي أُنْزِلَ الدَّاءُ أُنْزِلَ الدَّوَاءُ ،
 لِإِكْبِيرِ^(٤) هذا الكتاب يَلْقَبُ بِحِكْمَةِ جَابِرِ^(٥) ، القلوب للتكسرة عين من كان له قلب

(١) جنبه : دفعه . (٢) أي اتق الله في نفسك التي هي أول . . . الخ .

(٣) قد : أمر من وقد أي اهتم . (٤) الطريقة : ما طرعت من سيده أو غيره .

(٥) في الأصل : سوط ، وأراء بحرغا من سوط ، كما يدل عليه سياق الكلام ، والسرط : الدواء .
 يجب في الألف . (٦) في الأصل : يفيض ، وأراء : يفيض ، أي يذهب .

(٧) الإكبير : الكبرياء .

(٨) يريد جابر بن حيان . قال ابن القفطي في تاريخ الحكماء في ترجمته : هو جابر بن حيان الصوفي
 الكوفي ، وكان عبقرياً في العلوم الطبيعية ، وفي صناعة الكيمياء . . . الخ ، وذكره ابن زريق في
 رسالته الخزلية ، فقال : « وأظهرت جابر بن حيان كل سر الكيمياء » قال ابن نباتة في شرح القيون :
 « وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يعتمد عليه ، وهذا دليل على قول -

« إِنَّمَا يَسْتَحْيِبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَلَوْلَا تَى يَتَّبِعُهُمُ اللَّهُ » إلى دُلْنَا من حَبْرَةٍ بِغَضْلٍ
فيها - إلا إن هَدَيْتَ - الدليلُ ، وأَجِرْنَا من عَمْرَةٍ ^(١) وكيف - إلا بِإِغْنَاكَ - السيلُ ،
نفوسُ صَدِيٍّ من مَرَّةٍ الْأَرْمان منها الصَّعِيلُ ، وَتَبَا يَحْتَوِبُها عن الحقِّ اللَّقِيلُ - وآذَانُ
أُنْهَضُها القول الثقيل ، وَعَثَرَاتُ لَا يَقبِلُها إِلَّا أَنْتَ يَا مُقِيلَ العثراتِ يَا مُقِيلَ ، أَنْتَ
حَسْبُنَا ونعم ^(٢) الوكيل . (نفع القلب : ٨٥)

١٩ - وصية موسى بن سعيد العنسى لابنه

قال أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى :
لما أُرِدْتُ النهوض من نهر الإسكندرية إلى القاهرة ، أول وصولي إلى الإسكندرية
رأى أبي أن يكتب لي وصية أجعلها إماماً في الغربية ، فبقى فيها أياماً إلى أن كُتبتُها
عنه ، وهي هذه :

أُوَدِّعُكَ الرَّحْنَ فِي غُرْبَتِكَ مُرْتَقِباً رُحْمَاهُ فِي أُوْبَتِكَ

= أكثر الناس إنه اسم موضوع وضعه المصنفون في هذا الفن : وزعموا أنه كان في زمن جعفر الصادق ،
وأنه إذا دل في كتيبه : قال ل سيدي ، وصمت من سيدي ، فإنه يعني به جعفر الصادق ، وقد تقدمت لك
أن جعفر الصادق توفي سنة ١٤٨ هـ .

(١) الثمرة : الشقة . (٢) أورد المصنف في نفع الطيب لسان الدين عتب ذلك كلاماً آخر في الوصية
وهو على نخط ما أوردناه لك فانظره هناك إن كنت .

(٣) هو الكتاب الشهير أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى ، من سلافة
عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه ، وقد توفى به ابن هود ملك الأندلس . وولاه الجزيرة الخضراء ، وجو
من رحل من علماء الأندلس إلى المشرق ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٤٠ هـ عن ٦٧ عاماً . وكان أبوه
محمد وزيراً جليلاً بغيره الصيت ، عالي القدر ، وقبح الهمة ، كثير الأموال ، وكان ذا حظوة لدى الموحدين ،
وول لهم أعمالاً كثيرة بمراكش وإشبيلية وغرناطة ، واتصلت ولايته على أعمال غرناطة ، وكان من
شيوخها وأعيانها .

وكان جده عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بني سعيد تحت طاعة علي بن يوسف بن تاشفين ملك البربر ،
إلى أن استبد بها سنة ٥٣٩ هـ .

وابنه أبو الحسن علي هو مضم كتاب : المغرب في أخبار المغرب ، وكان السبب في تأليفه هو
جده عبد الملك بن سعيد ، ثم تبعه ابنه محمد بن عبد الملك ، ثم جدهما علي بن عبد الله بن موسى بن محمد ،
ثم أربي علي الجميع في إتمامه علي بن موسى ، وقد ذكر في خطبة أنه بلى فيه من سنة ٥٣٠ هـ ،
ومنته إلى سنة ٦٤١ هـ ، وكان مولد أبي الحسن بقرناطة سنة ٦١٠ هـ ، ووفاته بونس سنة ٦٨٥ هـ .

وما اختيرارى كان طَوَّحَ النَّوَى
فَلَا تَطْلُ حَبْلَ النَّوَى ، إِنِّي
مَنْ كَانَ مَفْتُونًا بِأَبْنَائِهِ
فَاخْصِرِ التَّوَدِيعَ أَخَذًا ، فَا
وَاجْعَلْ وَصَايَ نُصَبَ عَيْنٍ ، وَلَا
خُلَاصَةَ الْعَمْرِ الَّتِي حُنُكْتَ
فَلْتَجَارِبِ أُمُورَ إِذَا
فَلَا تَنْمَ عَنْ وَعْيِهَا سَاعَةً
وَكُلَّ مَا كَابَدَتْهُ فِي النَّوَى
فَلَيْسَ يُدْرِي أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ
وَكُلَّ مَا يُفْضِي لِشَذْرِ فَلَا
وَلَا نَجَالِينَ مَنْ قَشًا جَمَلُهُ
وَلَا تَجْلِدُ أَبَدًا حَلِيدًا
وَأَمْسِرِ الْمَوَاسِقَ مُظْهِرًا عِفَّةً
أَفْشِرِ الصَّحَائِدَ إِلَى أَهْلِهَا
وَأَنْطَلِقْ بِحَيْثُ إِلَيْهِ مُسْتَجِيبٌ
وَلَا تَزَلْ مُجْتَمِعًا طَالِبًا
وَكُلَّمَا أَبْصَرْتَهَا أَمْكَنْتَ
وَلَجَّ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ

لَكُنِّي أَجْرِي عَلَى بُعَيْتِكَ (١)
وَاللَّهِ أَشْتَقُّ إِلَى طَلْمَتِكَ
فَإِنِّي أَمْنَعْتُ فِي خَيْرَتِكَ
لِي نَاطِلٌ يَقْوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
تَبْرَحُ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
فِي سَاعَةٍ زُفْتُ إِلَى فِطْنَتِكَ (٢)
طَلَمْتَهَا تَشْعُدُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فَإِنهَا عَوْنٌ إِلَى بَقَايَتِكَ (٣)
إِيَّاكَ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ هِمَّتِكَ
وَأَمَّا تُعْرِفُ مِنْ شَيْئَتِكَ
تَجْمَلُ فِي الْغُرْبَةِ مِنْ إِزْنَتِكَ (٤)
وَأَقْصِدْ لِيَنْ يَرْغَبُ فِي صَنِيتِكَ
فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى هِمَّتِكَ
وَأَبْغِرْ رِضَا الْأَعْيُنِ عَنْ هِمَّتِكَ
وَتَبَعِ السَّلْسَ عَلَى رُبُوبَتِكَ
وَأَصْمُتْ بِحَيْثُ أَنْطَلِقُ فِي سَكْنَتِكَ
مِنْ دَهْرِكَ الْفُرْصَةِ فِي وَثْبَتِكَ
نَيْبٌ وَائِقًا بِاللَّهِ فِي مَكْنَتِكَ (٥)
وَأَقْصِدْ لَهُ مَا عِثْتُ فِي بُكْرَتِكَ

(١) النوى : البعد . (٢) حنك : أحمك . (٣) القنطة بالعربك وسكنه الشعر .
(٤) الإربة : الحاجة .
(٥) المكنة بفتح فكسر : التمكن والقدرة ، وسكنه الشعر .

وَأَيُّسَ مِنَ الْوَدِّ لَدَى حَاسِدٍ . وَوَفَّرَ الْمُهْدَ ، قَمْنٌ قَصْدُهُ
وَوَفَّ كَلًّا حَقُّهُ ، وَلَسَكَنَ
وَلَا تَكُنْ تَغْفِرُ ذَا رُبْنَةٍ
وَجِينَا حَيْثَ نَأْمِدُ إِلَى
وَلِلرَّزَايَا وَثْبَةٌ ، مَا لَهَا
وَلَا تَقُلْ : (أَسْلَمَ لِي وَخَدَتِي)
وَالْتَزِمِ الْأَحْوَالَ وَزَنَا وَلَا
وَلِتَجْعَلِ الْعَقْلَ حَكْمًا ، وَخَذْ
وَاغْتَبِرِ النَّاسَ بِالْعَاطِلِمْ
بَعْدَ اخْتِبَارِ مَنْكَ يَقْفِي بِمَا
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مَظْهَرٍ نَصَحَهُ
إِيَّاكَ أَنْ تَغْرَبَهُ ، إِنْهُ
وَأَقْنَعْ إِذَا مَا لَمْ تَجِدْ مَعْلَمًا
وَأَنْتُمْ نَمُوْ الثَّبِتِ قَدْ زَاوَرَهُ
وَأَنْ تَبَا دَهْرٌ قَوَّطُنْ لَهُ
فَكُلْ ذِي أَمْرِ لَهُ دَوْلَةٌ
وَلَا تَنْصَبْ زَمَنًا نَمُكِّنَا
وَالشَّرَّ مِمَّا اسْتَغْلَمْتَ لَا تَأْنِيهِ

صِدٌّ ، وَنَافِيهِ عَلَى خَطِّكَ (١)
قَصْدُكَ لَا تَغْتَبِي فِي يَغْفِيكَ
تَكْثِيرُ عِنْدَ الْغَمْرِ مِنْ حِدَتِكَ
فَإِنَّهُ أَنْفَعُ فِي غُرْبَتِكَ
صَحْبَةٍ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ
إِلَّا الَّذِي تَذْخَرُ مِنْ عِدَتِكَ
قَدْ تَقَارَسَ النَّفْلُ فِي وَحْدَتِكَ
تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
كَلًّا بِمَا يَظْهَرُ فِي تَقْدَرِكَ
وَأَصْحَبْ أَخِيرَ غَيْبٍ فِي صَحْبَتِكَ
يَحْسُنُ فِي الْآخِذِ مِنْ خِلَاطِكَ (٢)
وَفِكْرُهُ وَقَفَّ عَلَى عُنْتِكَ
عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كَرْبَتِكَ
وَأَطْلَعْ إِذَا أَنْشَيْتَ مِنْ عُنْتِكَ
غَيْبُ النَّدَى ، وَأَسْمُ إِلَى قَدَرَتِكَ
جَانَّتِكَ ، وَانْظُرْ إِلَى مَدْنَتِكَ
قَوِّفْ مَا وَافَاكَ فِي دَوْلَتِكَ
تَذْكَارُهُ يَذْكَرُ لَقَى حَسْرَتِكَ
فَإِنَّهُ حَوَزَ عَلَى مَهْجَتِكَ (٣)

* * *

- (١) فِي الْأَصْلِ « وَأَيُّسَ مِنَ الْوَدِّ » . وَهِيَ أَسْلَمَتْهُ وَأَيُّسَ « وَبِهِ يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى .
(٢) الْخِلَاطُ هُوَ الْعِشْرَةُ وَزَنَا وَمَعْنَى : وَالتَّخْلُطُ بِالْغَمِّ : اسْمٌ مِنَ الْإِخْلَاطِ ، هُوَ مِثْلُ الْفَرَقَةِ مِنَ الْإِفْرَاقِ .
(٣) حَازَرُ حَوَزَا : جَمْعُهُ وَاسْتَلْكَ كَالْحَازِرِ احْتِيَازًا ، وَالْمَعْنَى : أَنْكَ إِنْ أَتَيْتَ الْفَرَسَ اسْتَمْرَدَ عَلَى نَفْسِكَ وَتَمَلَّكَهُ .

يَا بَنِيَّ الَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي ، وَلَا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ ، قَدْ قَدَّمْتُ لَكَ فِي هَذَا النِّظْمِ مَا لَمْ أَنْظُرْ بِهِ بِخَاطِرِكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ ، وَجِئْتُ لَكَ حَسَنَ الْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ لِحَفْظِ ، وَأَعْلَقَ بِالْفَكْرِ ، وَأَحَقَّ بِالْقَدَمِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

يَرَيْنُ الْغَرِيبَ إِذَا مَا اغْتَرَبَ ثَلَاثُ فَنِينِ : حُسْنُ الْأَدَبِ
وَتَانِيَةُ : حُسْنُ أَخْلَاقِهِ وَثَالِثَةُ : اجْتِنَابُ الرِّيبِ

وَإِذَا اعْتَبَرْتَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ ، وَلَزِمْتَهَا فِي الْغُرَى ، وَابْتَهَا جَامِعَةً نَافِعَةً ، لَا يَلْتَحِقُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَعَ اسْتِمْلَالِهَا نَدَمٌ ، وَلَا يَفَارِقُكَ بِرَّ وَلَا كَرَمٌ ، وَفِيهِ دَرُ الْقَاتِلِ :
يُسَدُّ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِجَسِيبٍ
إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِمَقْلُوبِهِ وَمَا عَاقِلٌ فِي بِلَادَةِ غَرِيبٍ
وَمَا قَصَّرَ الْقَاتِلُ حَيْثُ قَالَ :

وَأَصْبَحَ عَلَى خَلْقِي مِنْ تَعَاقُيِهِ وَدَارِهِ ، فَالْيَبِيبُ مَنْ دَارَى
وَأَخَذَ النَّاسَ كُلَّهُمْ مَسْكَنًا وَمَثَلُ الْأَرْضِ كُلَّهَا دَارًا
وَأَصْبَحَ يَا بَنِيَّ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ يَتِيمَةُ الدَّهْرِ (١) ، وَسَلَّمَ الْكِرَامَ وَالصِّبْرَ :

وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانِ الدِّيَارِ بَنَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَ (٢)

إِذْ حُسْنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ نَزِيلٍ ، وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنَازِلٍ ، وَلِتَسْكُنْ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي أَدِيبٍ مَتَغَرَّبٍ : « وَكَانَ كَمَا طَرَأَ (٣) عَلَى مَلِكٍ ، فَكَانَتْهُ مَعَهُ وَلَدٌ ، وَإِلَيْهِ قَصَدَ ، غَيْرَ مُسْتَتَبِعٍ بِدَهْرِهِ ، وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ » ، وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى حَبِيبَةٍ مِنْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ هَوَاهُ (٤) ، فَاجْعَلِ التَّكَلُّفَ لَهُ سُلْمًا ، وَهُبَّ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هَيُوبَ النِّسَمِ ، وَحُلَّ بِطَرَفِهِ حُلُولَ الْوَسَنِ (٥) وَأَنْزِلْ بَقْلَهُ نَزُولَ الْمُرَّةِ ، حَتَّى يَتَسَكَّنَ لَكَ وَدَادُهُ ، وَيَحْلَسَ فِيكَ اعْتِقَادُهُ ، وَطَهَّرْ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانَكَ ، وَأَغْلِقْ سَمْعَكَ ، وَلَا تُرَخِّصْ

(١) يُقَالُ : دُورَةُ يَتِيمَةٍ : لَمْ لَا نَظِيرَ لَهَا ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُفْرَدٍ يَمُزُ نَظِيرَهُ فَهُوَ يَتِيمٌ .

(٢) نَبَاهُ مَنَزَلُهُ : إِذَا لَمْ يَرِاقَهُ . (٣) طَرَأَ عَلَيْهِمْ كَعَجْ : أَتَاهُمْ مِنْ مَسْكَنٍ ، أَوْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مَعْقِلَةٌ .

(٤) الْغَضَبُ فِيهِ يَمُودُ عَلَى : قَالِبُهُ . (٥) الْوَسَنُ : الْخَمْسُ .

في جانبه لحود لك منه ، يريد إبطالك عنه لمنفته ، أو حوده بغير أن تجعله بصحبتك
ومع هذا فلا تنفك بطول صحبته ، ولا تنمذ بدوام رفدته ، قد ينه الزمان ، ويُغير
منه القلب واللسان ، ولذا قيل : « إذا أحييت فأحيب هوناً ما ، ففي الممكن أن يتقلب
الصديق عدواً ، والممدو صديقاً » وإنما الماقل من جل عقله مغيّاراً ، وكان كالمرآة
يلقى كل وجه بمثاله ، وجمل نصب ناظره قول أبي الطيّب :

ولما صار ودّ الناس خيئاً جزيتُ على ابتسام بابتسام^(١)

وفي أمثال العامة : « من سبقك يوم قد سبقك بقل » ، فأخذتُ بأمثله من جرب ،
واستمع إلى ما خلد للماضون بعد جهدهم وتعبهم من الأحوال ، فإنها خلاصة عرم ،
وربذة تجاربهم ، ولا تسكل على عقلك ، فإن النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم ،
وابتاعوه غالباً بتجاربهم ، يزجحك ويقع عليك رخيصة ، وإن رأيت من له مروءة
وعقل وتجربة ، فاستغد منه ، ولا تضع قول ولا فعله ، فإن فيما تلقاه تلقياً لعقلك ،
وحثاً لك واهتداء .

وليك أن تعمل بهذا البيت في كل موضع : وَالْحُرُّ يُخَدِّعُ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ :
قد قال أحدهم : ما قيل أضر من هذا البيت على أهل التجمل ، وليس كل ما تسمع من
أقوال الشراء يحسن بك أن تتبعه حتى تتدبره ، فإن كان موافقاً لعقلك ، مُصلحاً
لخالك ، فراع ذلك عندك : وإلا فأنذره ببذ النواة ، فليس لكل أحد يُتَّبَعُ ، ولا كل
شخص يُكَلِّم ، ولا الجود بما يعم به ، ولا حسن الظن وطيب النفس مما يعامل به كل
أحد ، والله ذو القائل :

وما لي لا أوفى البرية قسطها على قدر ما يُعطى وَعَقْلِي مِيزَانُ

وليك أن تعطى من نفسك إلا بقدر ، فلا تعامل الثون بمعاملة الكفاء ، ولا

السكف، بمعاملة الأهل ، ولا تضع عرك فيمن يملك بالعالم ، ويُنيك على مصلحة
حاضرة عاجلة ، بغائبة آجلة ، واسمع قول الأول :

وَبِيعْ أَجَلًا مِنْكَ بِالْمَاجِلِ : وَأَقِلَّ مِنْ زِيَارَةِ النَّاسِ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَلَا تَجْفُمْ
بِالْجَلَةِ ، وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يَلْحَقُ مِنْهُ مَلَلٌ وَلَا ضَجَرٌ وَلَا جَنَاءٌ ، وَلَا تَقُلْ
أَيْضًا : أَقْعُدْ فِي كَثْرَةِ بَيْتِي ، وَلَا أَرَى أَحَدًا ، وَأَسْتَرِجِ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَسَلٌ دَائِعٌ
إِلَى الذِّلِّ وَاللَّهَانَةِ ، وَإِذَا عَلِمَ عَدُوُّكَ أَوْ صَدِيقُكَ ذَلِكَ ، عَامَلَاكَ بِحَسَبِهِ ، فَازْدِرَاكَ
الصَّدِيقُ ، وَجَسَرَ عَلَيْكَ الْعَدُوُّ ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَفْرُكَكَ صَاحِبُكَ عَنْ أَنْ تَذْخِرَ غَيْرَهُ لِلزَّمَانِ ،
وَتُطْلِمَهُ فِي عِدَاوَةٍ سِوَاهُ ، فَنُفَى لِلْمُسْكَنِ أَنْ يَتَضَيَّرَ عَلَيْكَ ، فَتُطْلَبُ إِعَانَةُ غَيْرِهِ ، أَوْ اسْتِفْهَاءُ
عَنْهُ ، فَلَا تَجِدْ ذَخِيرَةً قَدَّمَهَا ، وَكَانَ هُوَ فِي أَوْسَعِ حَالٍ ، وَأَعْلَى رَأْيٍ ، بِمَا دَبَّرَهُ بِحِيلِهِ
فِي اقْطَاعِكَ عَنْ غَيْرِهِ ، فَلَوْ اتَّفَقَ لَكَ أَنْ تَصْحَبَ مِنْ كُلِّ صِنَاعَةٍ وَرِيَاةٍ ، مَنْ يَكُونُ
لَكَ عِدَّةٌ ، لَكَانَ ذَلِكَ أَوْلَى وَأَصْوَبَ ، وَسَلِّني فَإِنِّي خَيْرٌ ، طَالَمَا - وَلِلَّهِ - مَا صَحِبْتُ
الشَّخْصَ أَكْثَرَ عَمْرًى ، لَا أَعْتَمِدُ عَلَى سِوَاهُ ، وَلَا أَعْتَدُ إِلَّا لِإِيَّاهُ ، مُنْضَعًا بِسَرَّابِهِ ،
مُتَوَقِّفًا فِي حَبَائِلِ خَطَابِهِ ، إِلَى أَنْ لَا يَحْصُلَ لِي مِنْهُ غَيْرُ الْقَضَى عَلَى الْبَيِّنَاتِ ، وَقَوْلُ : لَوْ كَانَ
وَلَوْ كَانَ ! وَلَا يَحْمِلُنَا أَيْضًا هَذَا الْقَوْلُ أَنْ تَقْلَنَ فِي كُلِّ أَحَدٍ ، وَتَسْجُلَ لِلْكَفَاةِ ،
وَلَكِنْ حَسَنَ الظَّنِّ بِمُقْدَارِنَا ، وَالْفِطْنِ لَا تَحْقُقْ عَلَيْهِ تَحَايِلُ الْأَحْوَالِ ، وَفِي الْوُجُوهِ
دَلَالَاتٌ وَعَلَامَاتٌ ، وَأَصْنَعْ إِلَى الْقَاتِلِ :

لَيْسَ ذَا وَجْهِ مَنْ يَضِيفُ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى وَلَا يَدْفَعُ الْأَذَى عَنْ حَرَمٍ ^(١)
فَمَنْ يَكُنْ لَهُ وَجْهُ مِثْلُ هَذَا الْوَجْهِ قَوْلٌ وَجْهَكَ عَنْهُ قَبْلَةً تَرْضَاهَا ، وَلَتَصْرُفْ مِنْ جِهَتِكَ
عَنْ أَنْ لَا تَصْحَبَ أَوْ تَحْدِمَ إِلَّا رَبَّ حَشَمَةٍ وَنَعْمَةٍ ، وَمَنْ نَشَأَ فِي رَهَابِيَةٍ وَمُرُوءَةٍ ،
فَلْيَكُ تَنَامُ مَعَهُ فِي مِهَادِ الْمَافِيَةِ ، وَإِنْ الْجِيَادُ عَلَى أَعْرَاقِهَا ^(٢) تَجْرَى ، وَأَهْلُ الْأَحْصَابِ

(١) ضاهه يضيفه : ذل به ضيفاً ، وقرى لضيف كرمي : أسن إليه .

(٢) الأعراف : جمع عرق بالكسر وهو الأصل .

والمرءات يتركون منافهم متى كانت عليهم فيها وصبة ، وقد قيل في مجلس عبد الملك ابن مروان: أشرب مصعب الحمر؟ فقال عبد الملك - وهو عدو له محارب له على الملك - : لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته ما شربه ؛ والفصل ما شهدت به الأعداء .

يابنى ، وقد علمت أن الدنيا دار مفارقة وتغير ، وقد قيل : « أصحَب من شئت فإنك مفارقة » فتى فارقت أحداً فعلي حسني في القول والفعل ، فإنك لا تدري : هل أنستراجع إليه ؟ فلنك قال الأول :

« ولما مضى سلم بكيت على سلم ، وإياك والبيت السائر :

وكننت إذا حلت بدار قوم رحلت بخزيق وتوكت عارا

وأحرص على ما جمع قول القائل : « ثلاثة تبتقى لك الود في صدر أخيك : أن تبدأ بالسلام ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه » ، وأحذر كل ما بينه لك القائل : « كل ما تغرسه تجنيه إلا ابن آدم ، فإنك إذا غرسته يقلعك » وقول الآخر : « ابن آدم يتمسكن حتى يتمكن » وقول الآخر : « ابن آدم ذنب مع الضعف ، أسد مع القوة » .

وإياك أن تثبت على صُحبة أحد قبل أن تطيل اختياره ، فيحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل صُحبته ، فجاوبه : « إن الصُحبة رِق ، ولا أضع رِقِي في يدك حتى أعرف كيف ملككتك^(١) » ، وأستل^(٢) من عين من تشاره ، وتفتد في فلتات الأسن وصنحات الأوجه ، ولا تحملك الحياة على السكوت عما يضرك أن لا تبينه ، فإن الكلام سلاح السُّلَم ، وبالأذين يُعرف ألم الجروح ، واجمل الكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك .

(١) ملكة ملكة بالتحريك ، وملكاً ملك الميم ، وملكة ملك اللام . أحواء قلاداً على الاستعداد به .

(٢) من استلبت الكتاب : سأله أن يعلمه على ، والمضى : استرشد وتبين من نظرات منه أحبيب

لك هو أم ضو .

وأكد ما أوصيك به أن تطرح الأفكار ، وتسلم للأقدار .

واقبل من الدهر ما أتاك به من قر عيناً بعينه نعمة

إذ الأفكار تجلب المصوم ، وتضاعف الصوم ، وملازمة القلوب ، عنوان للمصاب والمخطوب ، يسترب به صاحب ، ويشمت العدو للجانب ، ولا تضر بالوساوس إلا نفسك ، لأنك تنصر بها الدهر عليك ، وقه در القائل :

إذا ما كنت للأحزان عوناً عليك مع الزمان فن تلوم

مع أنه لا يرد عليك القاتل الحزن ، ولا يعوى بطول عتبك الزمن ، وقد شاهدت بمنزلة شخصاً قد ألفت المصوم ، وعشيقته الصوم ، من صفره إلى كبره ، لآراه أبداً خلياً من فكره ، حتى لقب بصدر المم ، ومن أعجب ما رأيته منه أنه ينتكد في الشدة ، ولا يتحمل بأن يكون بعدها فرج ، وينتكد في الرخاء خوفاً من أن لا يدوم .
ويُنشد : توقع زوالاً إذا قيل تم ، وينشد : وعند التناهي يقصر للتطاول .
وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ، ومثل هذا عمره مخشور يمر ضياعا .

ومنى رفك الزمان إلى قوم يذمون من العلم ما يُحسِنه حسداً لك ، وقصداً لتصغير قلدك عندك ، وتزهداً لك فيه ، فلا يحملك ذلك على أن تزهد في علمك ، وتر كن إلى العلم الذي مدحوه ، فتكون مثل الغراب الذي أعجبه مثنى الحجلة^(١) فرام أن يتلمه فصمب عليه ، ثم أراد أن يرجع إلى مثنى فنسيه ، فبقى محبب المثنى ، كما قيل :

إن الغراب (وكان يمثنى مثنى) فيما مضى من سالف الأجيال^(٢)

حسد القطا ، وأراد يمثنى مثنى فأصابه ضرب من القتل^(٣)

(١) الحجل بالصريك : طائر على قدر الحمام كالقط ، أحمر المنقار والرجلين ، والواحدة حجلة واسم جمعه حجل بكرر فككون ففتح ولا تغير له سوى طريق (ومقره ظريان بفتح فسكر وهو دويبة منتنة الريح)
(٢) هذا البيت ليس مثنياً في الأصل ، وقد أورده النجدي مع البيتين بعده في حياة الميسران
(٣) القتال : داء في رجل لداية إذا مثنى ظلع ساعة ثم انبط .

فَاضِلٌ بِشَيْئِهِ ، وَأَخْطَأَ مِثْلَهَا فَذَلِكَ سَمُّهُ . أَمَا مِنْ قَالٍ^(١)
وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرُكَ مَنْ جَلَّ يَدُومُ الزَّمَانُ وَأَهْلَهُ ، وَيَقُولُ : « مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا
كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ ، وَلَا مَكَانٌ يُرْتَاحُ فِيهِ » ، فَإِنَّ الدِّينَ تَرَامُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ ، أَكْثَرُ
مَا يَكُونُونَ مِنْ صَحْبِهِ الْحَرَمَانِ ، وَاسْتَحَقَّتْ طَلَمَتُهُ لِلْهَوَانِ ، وَأَبْرَمُوا^(٢) عَلَى النَّاسِ
بِالسُّؤَالِ فَتَقْتُومُ ، وَعَجَزُوا عَنْ طَلَبِ الْأُمُورِ مِنْ وَجْهِهَا ، فَاسْتَرَحُوا إِلَى الْوُقُوعِ
فِي النَّاسِ ، وَإِقَامَةِ الْأَعْذَارِ لَأَنْفُسِهِمْ يَقْطَعُ أَسْبَابَهُمْ ، وَتَمْذِيرُ أُمُورِهِمْ ، وَلَا تُزَلُّ هَذِينَ
الْبَيْتَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَأَخُو الْعِزِّ يَلِينُ
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

وَقَوْلِ الْآخَرِ :

نَبْ وَلَوْ تَنَحَّجَّ إِنْ قِيلَ أَقْتَرُ ، وَانْخَفَضَ إِنْ قِيلَ أَثَرَى^(٣)
كَالْمَنْصَنِ يَفْلُ مَا أَكْتَسَى ثَمَرًا ، وَيَسْلُو مَا تَعَرَّى

وَلَا قَوْلِ الْآخَرِ :

الْغَيْرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادٍ
وَلِإِشْقِ النَّاسِ مَا قَالَهُ الْقَاتِلُ :

وَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَلْقَ شَرًّا لَا يَمْدُمُ عَلَى النَّفْسِ لِأَتَمِّهَا
وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ الْقَاتِلِ :

بِقَدْرِ الصُّعُودِ يَكُونُ الْمَبْوَطُ فَلَإِيكَ وَالرَّغَبَ الْعَالِيَةَ
وَكُنْ فِي مَكَانٍ إِذَا مَا سَطَعَتْ قَوْمٌ وَرَجَلَكَ فِي عَافِيَةٍ
وَحَفِظَ بِمَا تَعَنَّاهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

(١) مِنْ لَرَقَتِ الْعَالِيَةِ : إِذَا اسْرَمَتْ . (٢) لَوْرَدُ الْعَمَلِ لِأَتَمِّهِ وَهُوَ مَعْدُ ، جَاءَ فِي كِتَابِ الْكَلْبَةِ :
« أَبْرَمَ يَبْرِمُ كَتَرَحَ وَهَرِمَ : لَمْ يَلْ » . (٣) أَثَرٌ : الْغَضَبُ .

ومن دعا الناس إلى ذمِّه ذمُّوه بالحق وبالباطل
وفه در القائل :

ما كلُّ ما فوق البسيطة كافياً فإذا قنيت فكلَّ شيء كافٍ
والأمثال يضربها لدى اللبِّ الحكيم ، وذو البصيرة يمشي على الصراط المستقيم ،
والقطن يفتح بالقليل ، ويستدلّ باليسر ، والله سبحانه خليفك عليك ، لآرب سواه .
(نفع الطيب ١ : ١٩٢)

٢٠ - خطبة ابن الزيات المنزوعة الألف (توفى سنة ٧٢٨ هـ)

وخطب أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات^(١) خطبة أنيت الألف من حرونها على
كثرة ترددها في الكلام ، وهي :

« حَيْدَتْ رَبِّي جَلٍّ مِنْ كَرِيمٍ محمود ، وشكركه عزٍّ مِنْ عَظِيمٍ معبود ، وَرَزَّهَتْهُ
عَنْ جَلِّ كُلِّ مُلْجِدٍ كفور ، وَقَدَّسَتْهُ عَنْ قَوْلِ كُلِّ مُفْسِدٍ غرور . كَيْدٌ لَوْ تَقَوَّمَ
فِي فَهْمٍ مُلْجِدٍ^(٢) ، قَدِيرٌ لَوْ تَصَوَّرَ فِي رَمَمٍ مُلْجِدٍ^(٣) ، لَوْ عَرَفَتْ^(٤) فِكْرَهُ تَصَوَّرَ لَتَصَوَّرَ
وَلَوْ حَدَّثَتْهُ فِكْرَهُ لَتَقَدَّرَ^(٥) ، وَلَوْ فَهِمَتْ لَهُ كَيْفِيَّةَ لِبَطْلٍ قَدَّمَهُ ، وَلَوْ عَلِمَتْ لَهُ كَيْفِيَّةَ
لَحْصَلِ عَدَمِهِ ، وَلَوْ حُمِرَ فِي ظَرْفٍ قُطِّعَ بِنَجْشِهِ ، وَلَوْ قَهَرَ وَصَفَ لَصُدِّعَ^(٦)
بِنَقْشِهِ ، وَلَوْ فُرِضَ لَهُ شَيْخٌ لَرَهَقَهُ^(٧) كَيْفٌ . عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْكِيبٍ قَطَرٌ ، عَلِيمٌ مِنْ

(١) هو أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الخطيب المصوف ، من أهل بلخ ما لفة وله سنة ٦٤٩ هـ ،
وتوفى سنة ٧٢٨ هـ . قال فيه لسان الدين بن الخطيب : « كان يفتح مجاله أكثر الأحيان بطلب خيرية ،
يطلق بها مفاسل الأعراس التي يشرح فيها ، ويهضم الشعر دائماً في مراجعته وعنايته وإجازته من غير
كأن ولا روية ، حتى اعتاده ملكة ، وتصل في النقائض بين الملوك لنفسه السخام ، وإصلاح الأمور ،
فكانوا يهرجون حقه ، ويلقبون بركه ودعاه » وله تصانيف كثيرة ذكرها ابن الخطيب .

(٢) أي لعرف ، من الجِد : وهو الصريف . (٣) من المصنوع ، أي لصارت له ذات معلومة ،
ولو أنه قال : « قدِم » بدل « قدِر » لناسب أن يقول بعده : « لِم » بالجمع المفتوحة أي لصار
جديداً حليفاً . (٤) حرته : أي اختاره وتناولته ، وفي الأصل « حقه » بالفتح وأراد عرقها ،
وتصور أي تفل في صورة ، يقال : صورته تصور . (٥) لتقدّر : أي صار له قدر جسم ، وفي
الأصل « لتقدّر » وأراد عرقها . (٦) صدع : به جهر . (٧) رهقه : خفيه ولحقه .

غير ترتيب فكر، موجود من غير شيء، يُمكنه، معبود من غير وهم يذكره، كريم من غير عوض يُلحقه، حكيم من غير عرض يُلحقه^(١)، قوي من غير سبب يجمعه، على من غير سبب يرفه، لو وجد له جنس لمورض في قِيُومِيته^(٢)، ولو ثبت له حس لنوزع في دِيُومِيته^(٣).

ومنها: قدس وعزّ فعله، ونزّه عزّ اسمه وفضله، جلّ قاهر قُدْرته، وعزّ باهر عزّته، وعظمت صفته، وكثرت منته، فتقّ ورتق، وصور وخلق، وقطع ووصل ونصر وحذل، حِدْثُهُ حَمْدٌ من عرف ربه، ورهب ذنبه، وصفت حقيقة يقينه قلبه، وزكّت^(٤) بصيرة دينه لبّه، ربط سلك سلوكه وشدّ^(٥)، وهدم صرح عتوه وهذّ، وحرّس مقيل عقله وحدّ، وطرد غرور غرته^(٦) ورذله^(٧)، علّم علّم تحقيق فنحاحوه، فخر له عزّ وجلّ بثبوت ربوبيته وقُدْمه، ونعتقد صلور كلّ جوهر وعرض عن جوده وكرمه، ونشهد بقبليغ محمد صلى ربّه وسلّم عليه، رسوله وخير خلقه، ونُشْرين بنهوضه في تبين فرضه، وتبليغ شرّعه، ضرب قبة شرعه فنبخت كلّ شرع، وجدّد عزيمته فقمع عدوه خير قمع، قوم كل مقوم بقويم سنته، وكرم هديّه، وبين لقومه كيف يرّكنون^(٨)، فجازوا بقصدّه وسديد سعيه، بشر منطيمه فظفّر برحمته، وحذّر عاصيه فشقّ بينقته.

وبعد: فقد نصحتكم لو كنتم تعقلون، وهديتكم لو كنتم تعلمون، نصرتكم لو كنتم تبصرون، وذُكرتم لو كنتم تذكرون، ظهرت لكم حقيقة نشركم،

(١) ياحيه الأول: أي يتاله ويأخذه، ويلحقه الثاني بمعنى يتصف به.

(٢) القِيُوم: من أسمائه تعالى، أي الذي لا ناله له. (٣) الدِيُومَة: الدوام.

(٤) زكّت: طهرت.

(٥) في الأصل: وشيد. وأراه محرفاً عن: شد. إذ هي التي تلازم قوله قبلها «وربط».

(٦) القرة: القنلة. (٧) وذله وأرذله: حده وذلا.

(٨) ركن إلى الشيء: ركوناً: مال إليه والطمأن. أي بين لهم كيف يركنون إلى الحق والصواب،

وقد كانوا من قبله يسهون في ضلالتهم ويخطئون.

وَبَرَزَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ حَشْرِكُمْ ، فَمَنْ تَرَكَضُونَ فِي طَلْقٍ ^(١) غَلَسَكُمْ ، وَتَتَفَلَّوْنَ عَنْ يَوْمٍ بِمَنْكُمْ ، وَالْوُتُ عَلَيْكُمْ سَيْفٌ مَسْلُوقٌ ، وَحُكْمٌ عَزِيزٌ غَيْرٌ مَسْلُوقٌ ، فَكَيْفَ بِكُمْ يَوْمَ يُؤْخَذُ كُلُّ بَذْنَةٍ ، وَيُخْتَبَرُ بِجَمِيعِ كُنْهٍ ، وَفِرَاقٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَبِيبِهِ ، وَيَقْدَمُ نُصْرَةُ حِزْبِهِ ، وَيَسْتَعْلُ بِهَيْمَةٍ وَكَرْبَةٍ ، عَنْ صَدِيقِهِ وَتَرْبَةٍ ، وَتُفْشَرُ لَهُ رُقُصَةٌ ، وَتُعِينُ لَهُ بُقْعَةٌ ؟ فَرَجَّعَ عَبْدٌ نَظْرَهُ وَهُوَ فِي مَهَلٍ لِنَفْسِهِ ، وَتَرَسَّلَ فِي رَضِيٍّ عَمَلٍ جَنَّةٍ لِحُلُولِ رُؤْسِهِ ^(٢) وَكَتَرَ صَمَمَ شَهْوَنِهِ ، لِيَقْرَأَ فِي بُحْبُوحَةٍ ^(٣) قُدُّوسَةٍ .

وَمِنْهَا : قَتْنَبَةٌ - وَنَعْلٌ - مِنْ سِفْتِكَ وَنَوْمُكَ ، وَتَضَكَّرُ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ نُصْحَتِكَ وَقَوْمِكَ ، هَتَفَ بِهِمْ مَنْ تَعْلَمُ ، وَشَبَّ عَلَيْهِمْ مَنْ هَرَقَ ^(٤) مُظْلِمٌ ، فَضَرَبَتْ بِصَيْحَتِهِ رُيُوعُهُمْ ، وَتَفَرَّقَتْ لِمَوْلِهِ جُجُوعُهُمْ ، وَذَلَّ عَزِيزُهُمْ ، وَخَسِيَ رَفِيعُهُمْ ، وَصَمَّ سَمِيعُهُمْ ، فَخَرَجَ كُلُّ مَنْهُمْ عَنْ قَصْرِهِ ، وَرَزَى غَيْرَ مُؤَسَّدٍ فِي قَبْرِهِ ، فَهَمَّ بَيْنَ سَعِيدٍ فِي رَوْضَةٍ مُقَرَّبٍ ، وَبَيْنَ شَقِيٍّ فِي خُرْقَةٍ مُعَذَّبٍ ، فَتَسْتَوْهَبُ مِنْهُ عَزٌّ وَجَلٌّ عِصْمَةٌ مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَخُصُوصِيَّةٌ تَقِي مِنْ كُلِّ نَفْسٍ جَرِيئَةً ^(٥) .

(الإمامة ، في أخبار غرناطة ١ : ١٥٤)

٢١ - خطبة القاضي عياض التي ضمنها سور القرآن

وخطب القاضي أبو الفضل عياض ^(١) خطبة ضمنها سور القرآن ، قال :

« الحمد لله الذي افتتح بالحمد كلامه ، وَبَيَّنَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَحْكَامَهُ ، وَمَدَّ

(١) يقال : جرى القوس طلقاً أو طلقين : أي شوطاً أو شوطين . (٢) الرمس : القبر .

(٣) بحبوحة المكان : وسطه . (٤) المرقق : القارولها .

(٥) يلاحظ أن في الخطبة خمس كلمات فيها ألف وهي : قاهر - باهر - عاميه - فغازوا - ففتحوا

(٦) هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض وله سنة ٥٧٦ هـ ، بسطة - بلد براكش جل الساحل الشبلي ودخل الأندلس طالباً للعلم ، فأخذ بقرطبة عن جماعة ، وجمع من الحديث كثيراً ، وكان له به كبير حناية ، وكان إمام وقته فيه ، وفي النحو واللغة ، واستقضى ببلده سنة : ثم نقل منها إلى قضاة غرناطة ، وتوفي براكش سنة ٥٤٤ هـ ، قال المقرئ بعد أن أورد هذه الخطبة : « وفي نفس من نسبها له شيء ، لأن نفس القاضي في البلدة أمل من هذه الخطبة ، والله تعالى أعلم » .

فِي آلِ عِمْرَانَ وَالنَّسَاءِ مَائِدَةَ الْأَنْعَامِ لِيُتِمَّ بِإِذْنِهِ ، وَجَمِلَ فِي الْأَعْرَافِ أَفْهَالَ تَوْبَةٍ
يُونُسَ وَالرَّ كِتَابُ أَحْكَمَتِ آيَاتُهُ ، بِمَجَاوِرَةِ يُوسُفَ الصَّدِّيقِ فِي دَارِ الْكَرَامَةِ ،
وَسُبْحَ الرَّعْدِ بِمَحْمَدٍ ، وَجَمِلَ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، يُؤْمِنُ أَهْلُ الْحَبَرِ ^(١)
أَنَّهُ إِذَا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَلَا كَهْفَ وَلَا مَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُظْلَمُونَ قَلَامَةً ، وَجَمِلَ
فِي حُرُوفِ كَهَيْمَصَ سِرًّا مَكْنُونًا ، قَدَّمَ بِسَبِيهِ طَهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ
لِيُظْهِرَ إِجْلَالَهُ وَإِعْظَامَهُ ، وَأَوْضَحَ الْأَمْرَ حَقَّ حَقِّ اللُّؤْمُونَ بِثَوْرِ الْقُرْآنِ ، وَالشَّعْرَاءِ
صَارُوا كَالنَّخْلِ ذُلًّا وَصَنَارًا لِعَظَمَتِهِ ، وَظَهَرَتْ قَصَصَ الْعَنَكَبُوتِ فَأَمَّنَ بِهِ الرُّومُ ،
وَأَيُّقُنُوا أَنَّهُ كَلَامُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى ذِيْنٍ مِنْ وَاقَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
وَأَوْضَحَ قِتَابَ الْحِكْمَةِ بِالْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لِرَبِّ الْأَحْزَابِ ، فَتَبَا فَطَرُ السَّمَوَاتِ أَهْلَ
الطَّاغُوتِ ، وَأَكْتَبَهُمْ ذُلًّا وَخِزْيًا وَحَسْرَةً وَنَدَامَةً ، وَأَمَدَّ بِسَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِتَأْيِيدِ الصَّافَّاتِ ^(٢) ، فَصَادَ الرُّمُّ يَوْمَ بَذَرِهِ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ مَا أَوْقَعَ صَنَادِيدُهُمْ فِي الْقَلْبِ ^(٣)
مَكْدُوسٍ وَمَكْبُوبٍ ، حِينَ شَأَلَتْ بِهِمُ النَّعَامَةُ ^(٤) ، وَغَفَرَ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ
لِلْبَدْرَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا قَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ حِينَ فَصَلَّتْ كَلَامُ اللَّهِ ، فَذَلَّ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
كَلِمَةُ الْعَذَابِ وَأَيِسَ مِنَ السَّلَامَةِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَوْرَى بَيْنَهُمْ ، وَشَفَلَهُمْ زُخْرُفُ
الْآخِرَةِ عَنْ دُخَانِ الدُّنْيَا ، فَجَثُوا أَمَامَ الْأَخْفَافِ ^(٥) قِتَالَ أَعْدَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِمِيزَانِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، فَأَعْطُوا الْفَتْحَ وَبَوَّؤُوا جُبُرَاتِ الْجَنَانِ ، وَحِينَ تَلَّوْا :
قَ وَالْقُرْآنَ لِلْحَيِّدِ ، وَتَدَبَّرُوا أَجْوَابَ قَسَمِ الْقَارِيَاتِ ^(٦) وَالطُّورِ ، لَاحَ لَهُمْ تَجَمُّعُ الْحَقِيقَةِ
وَانْتَقَى لَهُمْ قَرِيبَيْنِ ، فَانْفَرُوا السَّامَةَ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَمَّنْهُمْ الرَّحْمَنُ إِذَا وَقَّتِ الْوَاقِعَةُ ،

(١) وَادِ بَيْنَ الْمَكَّةِ وَالْعِلَاقِ ، وَهُوَ مَنَازِلُ نُحُودِ .

(٢) الْمَلَائِكَةُ تَصِفُ نَفْسَهَا لِعِبَادَةِ . (٣) الْقَلْبُ : الْقِيَمَةُ .

(٤) شَأَلَتْ لِعَمَلِهِمْ : خَفَّتْ مَنَازِلَهُمْ مِنْهُمْ ، أَوْ تَلَقَّضَتْ كَلِمَتَهُمْ ، أَوْ ذَهَبَ حُزْمُهُمْ .

(٥) وَادِ بِالْمِيزَانِ فِي مَنَازِلِ عِلَاقِ . (٦) الْقَارِيَاتُ : الرِّيَاحُ تَطُورُ الْقُرَابِ وَغَيْرِهِ .

واعترف بالضعف لهم الحديد ، وغرم المجدلون ، وأخر جوامين ديارهم لِأَوَّلِ الحشر ،
يُخْرِجُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، حين نافروا السلامة .

أحده حمد من امتنحته صفوفُ الجوع في نَقِّ الثَّغَابِ ، فطلق الحُرُمات حين
اعتبر الملك وعامته ، وقد سمع صريف القلم وكأنه بالحقاق^(١) وللعارج يمينه وشماله وخلفه
وأمامه ، وقد ناح نوح الجن قزمل^(٢) وتدنَّرَ قَرَقًا من يوم القيامة ، وأنيس بمرستلات
النبا ، فزع الميوس من تحت كور العامة ، وظهر له بالاضطار التعطيف ، فانشقت
بُروجُ الطارق بتسييح الملك الأعلى وعشيتة الشهامة ، فوربَّ النجر والبلد والشمس
والليل والضحى ، لقد انشرفت صدور التقيين ، حين تَلَّوا سورة التين ، وعلّق الإمامان
بقلوبهم ، فكلَّ على قدر مقامه يبين ، ولم يكونوا بمفكرين دهرهم ، ليله ونهاره
وصيامه وقيامه ، إذا ذكروا الزلزلة ركبوا الماديات^(٣) ليطفئوا نور القارعة ، ولم
يلهمهم التكائر حين تلا سورة العصر والمهزة ، وتمثلوا بأحباب القيل فليعبدوا ربَّ
هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآسهم من خوف . أرايتهم كيف جعلوا على
ردوسهم من الكور حامة ؟ فالكور^(٤) مكتوب لهم ، والكافرون خذلوا ، وهم
نصيروا ، وعُدِلَ بهم عن لُحَبِ الطَّامَّةِ ، وبسورة الإخلاص قرؤوا وسعدوا ، ورب
الفلق^(٥) والناس ، استعانوا فأعينوا من كل حزن وهم وغم وندامة ، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، شهادة نال بها
منازلُ الكرامة صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ما غرّدت في الأيك حامة .

(نقل الحلب : ٤ : ٢٩١)

(١) الحققة : القيامة التي فيها يحق ما أنكرتم البيت والجزاء .

(٢) قزمل بفتح القاف : تلفظ بها ، وكذا تدنَّر .

(٣) الماديات بمعنى في القدر ، والقدرة التي تفرق قلوب بأهلها .

(٤) الكور : نهر في الجنة . (٥) الفلق : الصبح .

٢٢ - خطبة سعيد بن أحمد المقرئ التي ضمنها سور القرآن

وخطب سعيد بن أحمد المقرئ^(١) خطبة على هذا النمط نصها :

« الحمد لله الذي افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة، ليصطفى من آل عمران رجالا ونساء، وفضلهم تفضيلا، ومدة مائدة إنسلمه ورزقه، ليعرف أعراف أفعال كرمه حقّه على أهل التوبة، وجعل ليونس في بطن الحوت سبيلا، ونجى هودا من كربه وحزنه، كما خلّص يوسف من جبه وسجنه، وسبح الرعد بحمده ويمنه، واتخذ الله إبراهيم خيلا، الذي جعل في حجر الحجر من النحل شرابا نوع باختلاف ألوانه، وأوحى إليه بحقي لطفه سبحانه، واتخذ منه كهفا قد شيد بنيانه، وأرسل روحه إلى مريم فتمثل لها تنيلا، وفضل طه على جميع الأنبياء، فأتى بالحج والكتاب للكنون، حيث دعا إلى الإسلام قد أفلح المؤمنون، إذ جعل نور الفرقان دليلا، وصدق محمدا صلى الله عليه وسلم الذي تجزّت الشعراء في صدق نعمته، وشهدت النمل بصدق نعمته، وبين قصص الأنبياء في مدة مكثته، ونسج العنكبوت عليه في النار سيرا مسدولا، ومثلت قلوب الروم رعبا من هيئته، وتعلم لقمان الحكمة من حكته، وهدى أهل السجدة للإيمان بدعوته، وهزم الأحزاب وسبأهم وأخذوا أخذا وببلا، فألقه طائر السموات والأرض يس، كما قدّح حكه في الصافات وبين ص صدقه بإظهار المعجزات، وفرّق زمر المشركين، وصبر على أقوالهم وهجرهم بجزا جبيلا، ففقر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وفصلت رقاب المشركين إذ لم يكن أمرهم شورى بينهم، وزخرف منار الإسلام، وخفي دخان الشرك، وخرت المشركون جانية، كما أنذر أهل الأحقاف فلا يهتلون سبيلا، وأذلّ الذين كفروا شدة القتال،

(١) هو سعيد بن أحمد المقرئ عم أحمد المقرئ صاحب فتح القليب .

وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز، وجِزَّ الحِجْرَاتُ الحَرِيزَ، وَبَقَّ القُدْرَةُ قُتِلَ
 الخُرَّاصُونَ^(١) قَتِيلًا، كَلَّمَ موسى على جبل الطُّورِ، فارتقى نَجْمٌ مَحْدَى صُلِيَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 فَاقْتَرَبَتْ بِطَاعَتِهِ مَبَادِي السُّرُورِ، وَأَوْقَعَ الرَّحْمَنُ وَاقِعَةَ الصَّبِيحِ عَلَى بَسَاطِ النُّورِ،
 فَتَجَسَّبَ الْحَدِيدُ مِنْ قُوَّتِهِ، وَكَثُرَتْ الْجَاهِدَةُ فِي أَمَتِهِ، إِلَى أَنْ أُعِيدَ فِي الْحَشْرِ بِأَحْسَنِ مَقِيلًا
 أَمْتَحَنَهُ فِي صَفِّ الْأَنْبِيَاءِ وَصَلَّى بِهِمْ إِمَامًا، وَفِي تِلْكَ الْجُمُعَةِ نِيلَتْ قُلُوبُ النَّاهِقِينَ مِنْ
 التَّضَائِنِ خُسْرًا وَإِرْغَامًا، فَطُلِقَ وَحَرَّمَ، تَبَارَكَ الَّذِي أَعْطَاهُ تِلْكَ، وَعَلَّمَ بِالْقَلَمِ، وَرَتَّلَ
 الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا، وَعَنْ عِلْمِ الْحَاقَّةِ كَمْ سَأَلَ سَائِلٌ فَسَأَلَ الْإِيمَانَ، وَدَعَا بِهِ نُوْحٌ فَجَاءَهُ اللهُ تَعَالَى
 مِنَ الْعُلُوفَانِ، وَأَنْتَ إِلَيْهِ طَائِفَةُ الْجَنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: «يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ
 فَمُرِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا»، فَكَمْ مِنْ مَدَثَّرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيقٌ عَلَى الْإِنْسَانِ إِذَا أُرْسِلَ
 مُرْسَلَاتِ الدَّمْعِ، فَمَتَّ يَسَاءِلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَمَا قَبِلَ مِنْ نَازِعَاتِ الْمُشْرِكِينَ
 إِذَا عَبَسَ عَلَيْهِمْ مَالِكٌ وَتَوَلَّاهُمْ بِالْعَذَابِ، وَكَوْثُرَتْ الشَّمْسُ وَانْفَطَرَتْ السَّمَاءُ،
 وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا، قَوْلِي لِلْمُطَفِّقِينَ إِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ بِالنِّهَامِ، وَطُوِيَتْ
 ذَاتُ الْبُرُوجِ، وَطَرَقَ طَارِقُ الصُّورِ بِالنَّفْخِ لِلْقِيَامِ، وَعَزَّ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى لِنَافِثَةِ الْفَجْرِ،
 فَيَوْمَئِذٍ لَا بَلَدَ وَلَا شَمْسَ وَلَا أَيْلَ طَوِيلًا، فَطُوبَى لِلْعَصَايِنِ الضَّحَى عِنْدَ انْشِرَاحِ
 ضُجُورِهِمْ، إِذَا عَايَنُوا التِّينَ وَالزَّيْتُونَ وَأَشْجَارَ الْجَنَّةِ، فَجَدَلُوا بِأَفْرَاسِهِمْ رَبَّكَ الَّذِي
 خَلَقَ هَذَا النَّمِيمَ الْأَكْبَرَ لِأَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ مَا أَحْيَوْا إِلَهَ الْقَدَرِ، وَتَبَتَّلُوا تَبْتِيلًا، وَلَمْ يَكُنْ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ الزَّلْزَلَةِ مِنْ صَدِيقٍ وَلَا حَمِيمٍ، وَتَسَوَّهَهُمْ
 كَالْمَادَائِتِ إِلَى سِوَا^(٢) الْجَحِيمِ، وَزَلْزَلَتْ بِهِمْ قَارِعَةُ الْعَقَابِ، وَقِيلَ لَهُمْ: أَلْهَاكُمْ
 التَّكَاثُرُ، هَذَا عَصَرُ الْعَقَابِ الْأَلِيمِ، وَحَشِيرُ الْمُعَزَّةِ وَأَسْحَابُ الْبَلِيلِ إِلَى النَّارِ فَلَا يَنْظُرُونَ
 قَبِيلًا، وَقَالَتْ قَرِيشٌ مَا أَمْنْتُمْ مِنْ هَوْلِ الْحَشْرِ، أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالَّذِينَ كَيْفَ

مقام ، وفي الحاقة ، أَعْلَى اللَّهِ المارج نوح الطير ، وخمه من بين الإنس والجن
بَيَّأَتْهُمُ لِلزَّيْلُ ، وَيَأْتِيهَا الْمُدَّثَّرُ ، وَشَفَعَهُ فِي الْقِيَامَةِ إِذَا دُمِعَ الْإِنْسَانُ مِرْسَلَاتٍ كَاللَّاءِ
المتضجر ، ووجهه عند نيا النزعات وقد عبس الوجه كالحلال للتنور ، ويوم التكرير
والانقطاع وهلاك الطغفان وانشقاق ذات البروج بشفاعته غير متضجر ، وقد حرست
لحرفه السماء بالطارق الأعلى ، وتمت غاشية المذاب إلى العجر على المردة اللثام ، فهو البلد
الأمين ، وشمس الليل والضحي المحصوص بانسراح الصدر ، والفضل بالتين والزيتون ،
المتخرج من أمشاج^(١) التلق ، الطاهر الملق القدر ، شجاع البرية يوم الزوال ،
إذ عادت القارة تدوس أهل التكاثر ومشركي النصر ، أهلك الله به الهمة وأصحاب
النيل إذ مكروا بقرش ولم يتواصوا بالحق ولم يتواصوا بالصبر ، المحصوص بالدين
الحقيق والكوتر السلال ، واللؤيد على أهل الجحد بالنصر ، صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه ما ثبت يدا معاديه ، ونعم بالتوحيد مؤاليه ، وما أفصح فلق الصبح بين الناس
وامتد الظلام .

(فتح الطيب : ٤ : ٢٩٥)

(١) مشج يجمعها ككفر ب : خط ، والقي مشجج ، والمجمع أمشاج كتيمة وأبشام .

الباب الثاني

في

خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها

١ - خطبة أبي بكر بن عبد الله بالمدينة

لما وَلِيَ أبو بكر بن عبد الله المدينة ^(١) وطال مكثه عليها ، كان يبلغه عن قوم من أهلها أنهم ينالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسفاف من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوت أن يوجهوا الناس في يوم الجمعة أن يقرئوا من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجمعة قال :

« أيها الناس : إني قائلٌ قولاً ، فمن وعاه وأدّاه فعلى الله جزاؤه ، ومن لم يعه فلا

(١) لا يعرف صاحب هذا الاسم والياً على المدينة ، وإنما قلنا قرأته في تاريخ الطبري أن أبا بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم الأنصاري ولي المدينة من سنة ٩٦ إلى سنة ١٠٠ في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، انظر تاريخ الطبري ، الجزء الثامن ، حوادث السنين من ٩٦ إلى ١٠٠ ، وذكر أيضاً القلقشندي في صحيح الأعيان ج ٤ : ص ٢٩٦ « أن أبا بكر بن محمد هذا ولي للمدينة أيام سليمان بن عبد الملك ، والظاهر أنه صاحب هذه الخطبة ، وإن لا تتأسس في ذلك بقوله : « وطال مكثه عليها » فقد تولاهما خمس سنين ، وبالعرض قلنا قبلت فيه الخطبة ، وأنت تذكر ما كان فيه العهد الأموي من اتساع دائرة الاختلاف الحزبي ، والفضال السياسي البعيد المدى ، وربما كان « عبد الله » اسماً آخر لأبيه محمد ، تسمي به تواضعاً ، وكان ذلك من عادة السلف الصالحين رضوان الله عليهم كثيراً ، انظر مثلاً كتاب عمر في صلح أهل إيليا « هذا ما أصلى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان » ، (الطبري ٤ : ١٥٩) .

يَعُدُّ مِنْ ذِمَّاهُ^(١) إِنْ قَصَرْتُمْ عَنْ قَصِيصِهِ ، فَلَنْ تَمَحُزُوا عَنْ تَحْصِيلِهِ ، فَأَرْغُوهُ أَبْصَارَكُمْ ، وَأَوْعُوهُ أَسْمَاعَكُمْ ، وَأَشْعِرُوهُ^(٢) قُلُوبَكُمْ ، فَالْوَعِظَةُ حَيَاةٌ ، وَاللُّؤْمُونُ إِخْوَةٌ « وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ^(٣) السَّبِيلِ » ، « وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ » فَأَتُوا الْهَدَى تَهْتَدُوا ، وَاجْتَنِبُوا النَّفَى تَرْتَشِدُوا ، « وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَمَلَكْتُمْ تَفْلِحُونَ » ، وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، أَمْرُكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ، وَرَضِيَا لَكُمْ ، وَنَهَاكُمْ عَنِ الْفِرْقَةِ ، وَسَخَطَهَا مِنْكُمْ ، ذِ « أَدْعُوا اللَّهَ حَقَّ دَعْوَاهِ^(٤) » وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا^(٥) حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا » ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ تَبِيعِ رِضْوَانِهِ ، وَتَجَنَّبَ سَخَطَهُ ، فَلَمَّا نَحْنُ بِهِ وَهَلْ .

وَإِنْ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِينَ اخْتَارَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا عَلَى الْحَقِّ ، وَوَزَّرَ أَعْيُنَ الْخَلْقِ اخْتِصِمَ بِهِ ، وَانْتَخِبَ لَهُ ، فَصَدَّقُوهُ وَنَصَرُوهُ ، وَعَزَّرُوهُ^(٦) وَوَقَرُوهُ ، فَلَمْ يَقْدُمُوا إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَمْ يُخَيَّمُوا إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ ، وَكَانُوا أَعْوَانَهُ بَعْدَهُ ، وَخُلَفَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوْصَلَهُمْ فَاحْسَنَ صِلَتِهِمْ ، وَذَكَرَهُمْ فَأَتَتْهُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَرَاءِ رِجَالًا بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ، يَتَتَفَعَّلُونَ قَضَاءً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيَّائُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ . ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ^(٧) » ، كَزَرْعٍ أُخْرِجَ سَطْلُهُ

(١) أى فلا يخرج من حرمتها ، وتأنيث القصير في « ذمها » باعتبار الموصلة أو المذلة .
(٢) أى الزفوه به . (٣) المقصد : استقامة الطريق ، أى بين الطريق المستقيم الموصلى إلى الحق .
(٤) التفتة : التقوى ، وجهها فى كبرية ورتب ، وأصلها رقية قلبت وأوها المضمومة تاء كما وتؤددة وثنية ، والياء ألفاً . (٥) الشفا : شرف كل شئ .
(٦) التقزير : التضميم والتضمين ، وهو أيضاً لكه التقرب . ضد .
(٧) أى ذلك مثلهم فى الكتاب ، والسط : فراخ الزرع ، فأزده أى ففواه ، فاستوى على سوطه : أى فاستقام على أسواء وسيفاته .

فَازَرَهُ ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ، لِيَجِيزَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ،
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ، فَمِنْ غَاظِهِ كَفَرَ
وَحَابَ ، وَفَجَرَ وَخَسِرَ ، وَقَالَ أَهْمَزَّ وَجَلَّ : «لِلْفَقَرِ أَلْمُاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّقُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا
يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ ^(١) ، وَمَنْ يُوَقِّعْ فِي شَعْرِ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِحُونَ . وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا
لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » فَمِنْ خَالَفَ شَرِيعَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمْ يَمُرْهُ إِيَّاهُ
فِيهِمْ ، فَلَا حَقَّ لَهُ فِي الْقِيَامَةِ وَلَا سَهْمَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، فِي آيٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ .

فَرَقَتْ مَارِقَةٌ مِنَ الَّذِينَ ، وَفَارَقُوا السَّابِقِينَ ، وَجَلُومٌ عَصِيْبٌ ^(٢) ، وَتَشَبَّهُوا أَحْزَابًا ،
أَشَابَاتٍ وَأَوْشَابًا ^(٣) ، تَخَالَفُوا كِتَابَ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَتَنَاءَهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَذَوْا رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ ، تَغَابَوْا وَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ « ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ اللَّيِّنُ » .
« أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ كَذِبٌ لَيْسَ لَهُ سُوءٌ عَمَلٍ وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ؟ » عَلَى
أَرَى عِيُونًا خُزْرًا ^(٤) ، وَرِقَابًا صُغْرًا ^(٥) وَطُغْرًا بِحُجْرًا ^(٦) شَجَا لَا يَسِينُهُ لِلْمَاءِ ^(٧) ، وَدَاءُ
لَا يَشْرَبُ فِيهِ الدَّوَاءُ . أَفَنْصَرَبُ عَنْكُمْ اللَّهُ كَرَّ صَقْعًا أَنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ مُسْرِفِينَ ؟
كَلَّا وَاللَّهِ ، بَلْ هُوَ الْغَنَاءُ ^(٨) وَالطَّلَاءُ ، حَقٌّ يَظْهَرُ الْمُنَرُّ ، وَيَبُوحُ السَّرُّ ، وَيَضَعُ الْقَيْبُ ،

(١) يُوَثِّرُونَ : يَفْضَلُونَ وَيَقْتَضُونَ وَالْخَصَاصَةُ : الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ .

(٢) جَمْعُ ضَمٍّ كَقَوْلِهِ : وَفِي الْقُرْآنِ وَالْفُرْقَةِ وَالْفُتُوحَةِ . (٣) أَشَابَاتُ جَمْعُ أَشَابَةٍ : وَهِيَ الْإِعْلَاطُ ، وَأَتَّبَعَهُ
كَفَرْتُهُ ، غِلَطُهُ ، وَالْأَوْشَابُ جَمْعُ وَشَبٍ كَقَوْلِهِ : وَالْأَوْشَابُ جَمْعُ وَشَبٍ كَقَوْلِهِ : وَالْإِعْلَاطُ وَالْفُتُوحَةُ .

(٤) جَمْعُ خُزْرَاءٍ طَوْنٌ أَخْضَرُ وَصِفٌ مِنَ الْخُزْرِ بِالتَّصْرِيفِ ، وَهُوَ الْقَطَرُ فِي أَحَدِ الْقَشْقَيْنِ .

(٥) الصُّغْرُ وَالصُّغْرُوكُ : سَيْلٌ فِي الْوَجْهِ ، أَوْ فِي أَحَدِ الْقَشْقَيْنِ ، أَوْ دَاءٌ فِي الْفَرْجِ يَدْوِي مَقْعَةً ، صُغْرٌ

كَفَرَجٍ هُوَ أَصْعَرُ . (٦) جَمْعُ طُغْرٍ كَقَوْلِهِ أَيْضًا نَهْرٌ أَيْمَرُ : طَمٌّ ، وَالْجَمْعُ يَمْرُ كَقَوْلِهِ .

(٧) الشَّجَا : مَا أَصْحَرَهُ فِي الْخَلْقِ مِنْ طَمٍّ وَغَيْرِهِ ، لَا يَسِينُهُ : أَيْ لَا يَجْعَلُهُ سَائِلًا حَيْثُ الْمَدْعَلُ فِي الْخَلْقِ .

(٨) الْغَنَاءُ : الْفُتْرَانُ ، يَرَى أَنَّهُ يَمْلَأُهُمْ كَمَا تَمْلَأُ الْإِبِلُ الْجَرِيَّ بِالْقَطَرِ كَمَا تَوَاتَا .

الذي هو أدنى ^(١) بالذي هو خير « يَنْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا » .

إياكم وَبُيِّنَاتٍ ^(٢) الطريق ، فسندها التَّزْنِيقُ وَالرَّهَقُ ^(٣) ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَادَّةِ ، فهي أسد ^(٤) وَأَوْزَدُ ، وَدَعَا الْأُمَايَةَ قَدْ أَرَدَتْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ، وَفِيهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ، وَ « لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ » ^(٥) بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى . « رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » .

(نهاية الأرب : ٧ : ٢٥٦ ، وصبح الأعشى : ١ : ٢٢٠)

٢ - وصية أعمى من الأزدي لشاب يقوده

عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه قال : رأيت بَيْبِثَةَ ^(١) رجلاً من أزد السراة أعمى ، يقوده شاب جميل ، وهو يقول له : « يَا سَمْعَى ، لَا يَفْرُتُكَ أَنْ فَسَّحَ الشَّبَابُ خَطُوكَ ، وَخَلَّى سَرَبَكَ ، وَأَزَقَهُ وَزَدَكَ » ^(٢) ، فَكَأَنَّكَ بِالْكَبِيرِ قَدْ أَرَبَ ظُفُوكَ ، وَأَثَلْ أَوْفَكَ ، وَأَوْهَنْ طَوْفَكَ » ^(٣) ، وَأَتَسَّبَ سَوْتَكَ ، فَهَدَجَتْ بَعْدَ الْمُهْلَجَةِ ، وَدَجَجَتْ بَعْدَ الدَّعْلَجَةِ ^(٤) ، نَحْذُ مِنْ أَيَّامِ التَّزْفِيرِ لِأَيَّامِ الْإِزْعَاجِ ، وَمِنْ سَاعَاتِ الْمُهْمَلَةِ لِسَاعَةِ

(١) أم الحسن وأحدون قنبرا ، وأصل القنبر : القرب في المكاة اصغير لكمة كما اصغير ليد القنبر والفرقة ، أو هو سهل من ألتنا من القدانة ، وقد قرئ في الآية للكرامة : « أَسْتَفِيدُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » . (٢) بنيات الطريق : الترحات (جمع ترحة كقبرة وهي الطريق الصغيرة المشقة من الجادة ، أم اسلكوا الطريق العام طريق الحياة ، ولا ترجوا في سواه . (٣) التزنيق : النصف في الأمر وروى البصر واليد أيضاً ، والرَّهَق : الحلق والمحق والخلفة ، وركوب السر والظلم ، وغشيان المحارم . (٤) أهل ، من السداد . (٥) أسح : استأسله . (٦) يهقه : واد بطريق الجملة . (٧) السرب : الطريق والوجه ، ورفعت الإبل كنع : وردت اللاد من شامت ، وقد أرفهتها ورفهتها بالتشبيه . (٨) أرب بالعقد : شدة ، والأربة بالضم : العقدة ، وظاف الجهر بطرفه : إذا دلف بين قفيه ، ولقيتان يفتح القاف موضعاً لقيه من التوظيف ، والأوق : القتل ، والظلوق : الفرس والقطعة . (٩) المهجان كخفقان وغراب : مشية الشيخ ، هجج كضرب ، والمهلبة : سرعة في المشي ، وهج كضرب دجيجاً ، مرمر ضعيفاً ، والدعلبة : ضرب من المشي ، والتردد في الغلاب والمجيء ، والدرجرة .

الإعجال^(١) ، يابن أخى : إن اغترارك بالشباب ، كالتناذك بـتادير^(٢) الأحلام ، ثم تنقشع فلا تملك منها إلا بالحسرة عليها ، ثم تُعزى راحلة الصبا ، وتشرّب سكرة^(٣) عن الهوى . واعلم أن أغنى الناس يوم الفقر من قَدَم ذخيرة ، وأشدّهم اغتباطاً يوم الحسرة من أحسن سريرة^(٤) .
(الأمل : ٢١٦)

٣ - وصية رجل لآخر وقد أراد سفراً

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يوصى آخر وأراد سفراً ، قال :
« آبر بملك معادك ، ولا تدع لشهوتك رشادك ، وليكن عقلك وزرك الذى يدعوك إلى الهدى ، ويصميك من الردى ، أَلِجْ هواك عن الفواش ، وأطلقه فى السكارم ، فإنك تبرّ بذلك سلفك ، وتثيد شرفك » .
(الأمل : ٢٠٠)

٤ - وصية رجل لابنه وقد أراد الزواج

وقال بعضهم لولده وقد أراد الزواج :
« يابنى : لا تتخذها حنّانة ، ولا أناة ، ولا متانة^(١) ، ولا عشبة الدار^(٢) ،

(١) وثه عيشه كسكرم فهو رقيقه ورائه : مستريح متمم ، وأرقه الله ورقيقه ترفها ، ومن ساعات الملهة أى الدنيا الملهة : أى التى ستملها وتغلدها ، وربما كانت « الملهة »

(٢) البادير : ما يترامى للإنسان فى نومه من الأباطيل ، وما يترامى السكران فى سكره .

(٣) السكرة : اسم السلوان . قال الأسي : يقول الرجل لمصاحبه : « سقنى سكرة » (بالفتح) وسلواناً (بالضم) أى طيب نفس منك ، وذكروا أيضاً أن السكرة والسلوانة : خرزة شفافة تخبى فى الرمل فتسود فيبث عنها ، ويستلها الإنسان فتسليه .

(٤) الحنّانة : التى لها ولد من سواه فهو يحسن طبعه . والأناة : التى مات منها زوجها ، فهي إذا رأته تزوج لثانى أنت ، وقالت : رحم الله فلاناً ، لزوجها الأول . والمتانة : التى لها مال ، فهي تحسن طبع زوجها ، كلما أهوى إلى شيء من دلتها . (٥) عشبة الدار : يرود الحبيبة ، وعشبة الدار : التى تبث فى دنة الدار ، وحولها عشق فى رياض الأرض ، فهي ألحمن منه وألحمن ، لأنها فلانها الدنة ، وذلك (أى العشبة) أطيب للأكل ولها وديس ، لأنه تبث فى أرض طيبة ، وعقله تبث فى دنة ، فهي مبتنة وطية ، وإذا ليست صارت حنّانة (بالضم) وذهب قلها فى الدنة فلم يكن جمع ، وذلك يجمع قلها لأنه فى أرض طيبة (ولتلف بالضم : ما ليس من القبل ، وسقط على الأرض فى موضع نياته) .

ولا كِبَةَ الْقَنَاءِ^(١) . (الأمال : ٢ : ٢٩)

٥ - وصية بعض العلماء لابنه

وأوصى بعض العلماء ابنه قال :
« أوصيك بتقوى الله ، ولِيسْمَعِكَ يَنْتُكَ ، وإمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَأَبْكْ
عَلَى خَلْقِيَّتِكَ » . (البيان والبيان : ١٦١ : ٢)

٦ - وصية لبعض الحكماء

وقال بعض الحكماء :
« لا يَكُونَنَّ مِنْكُمْ الْخَدِّثُ وَلَا يُنْصَتْ لَهُ ، وَالِدَاخِلُ فِي سِرِّ اثْنَيْنِ لَمْ يَدْخُلَاهُ ،
وَلَا آتَى الدَّعْوَةَ لَمْ يَدْخُغْ إِلَيْهَا ، وَلَا الْجَالِسُ الْمَجْلِسَ لَا يَسْتَحِقُّهُ ، وَلَا الطَّالِبُ الْفَضْلَ
مَنْ أَبْدَى الثَّامَ ، وَلَا التَّمَرُّضُ لِلْخَيْرِ مِنْ عِنْدِ عُلُوِّهِ ، وَلَا الْمُتَحَقِّقُ فِي الدَّالَّةِ^(٢) » .
(البيان والبيان : ٥٨ : ٢)

٧ - وصية أخرى

وقال بعض الحكماء :
« إِيَّاكَ وَالْحِجْلَةَ ، فَإِنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْكِينُهَا : أَمَّ النَّدَامَةَ » لأن صاحبها يقول
قَبْلَ أَنْ يَنْفَعُ ، وَيُنَجِّبُ قَبْلَ أَنْ يَنْفَعَهُ ، وَيَنْزِمُ قَبْلَ أَنْ يَفْكَرَ ، وَيَقْطَعُ قَبْلَ أَنْ يُقَدَّرَ ،
وَيَتَحَمَدُ قَبْلَ أَنْ يُجَزَّبَ ، وَيَذْمُ قَبْلَ أَنْ يَخْبُرَ ، وَلَنْ يَصْحَبَ هَذِهِ الصِّفَةَ أَحَدٌ إِلَّا حَسِبَ
النَّدَامَةَ ، وَاعْتَزَلَ السَّلَامَةَ » . (زهر الآداب : ٣ : ١٩٧)

(١) كِبَةُ الْقَنَاءِ : هي التي يأتي زوجها أو أيها القوم ، فلذا انصرف من صدم ، قال وجل من جبنه
القوم : فلو كان بين وبين امرأة هذا المول أو أمه أمر .
(٢) الدَّالَّةُ : ما تدل به على حيلك .

٨ — وصية أخرى

وقال ابن دُرَيْد : أوصى بعض الحكماء رجلاً ، فقال :

« أَمُرُّكَ بِمُجَاهَدَةِ هَوَاكَ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : إِنَّ الْمَرْءَ مِفْتَاحُ السِّنَاتِ ، وَخَصِيمُ الْحَسَنَاتِ وَكُلُّ أَهْوَاكَ لَكَ عَدُوٌّ ، وَأَهْوَاؤُهَا ^(١) هَوَى يَكْتُمُكَ فِي نَفْسِهِ ، وَأَعْدَاؤُهَا هَوَى يَمَثُلُ لَكَ الْإِيمَانُ فِي صُورَةِ التَّقْوَى ، وَلَنْ تَقْصَلَ بَيْنَ هَذِهِ الْخَصُومِ إِذَا تَنَاضَرْتَ لَدَيْكَ إِلَّا بِحُزْمٍ لَا يَشُوبُهُ وَهْنٌ ، وَصِدْقٍ لَا يَطْمَعُ فِيهِ تَكْذِيبٌ ، وَمَضَاءٍ لَا يَجَارِبُهُ التَّثَبُّطُ ^(٢) ، وَصَبْرٍ لَا يَفْتَالُهُ جَزَعٌ ، وَرَبِيَّةٍ لَا يَتَقَسَّمُهَا التَّضْيِيعُ » .

(زهر الآداب ٢ : ١٢٩)

٩ — عظة لبعض الحكماء

عن الأعمشى قال : بلغني أن بعض الحكماء كان يقول :

« إِنِّي لَأَعْظِمُكُمْ ، وَإِنِّي لَكَثِيرُ الذُّنُوبِ مُشْرِفٌ عَلَى نَفْسِي ، غَيْرُ حَامِدٍ لَهَا ، وَلَا حَامِلٍهَا عَلَى الْمَكْرُوهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَدْ بَلَوْتُهَا فَلَمْ أَجِدْ لَهَا شُكْرًا فِي الرَّخَاءِ وَلَا صَبْرًا عَلَى الْبَلَاءِ ، وَلَوْ أَنَّ الرَّءْءَ لَا يَعْظُ أَخَاهُ حَتَّى يُحْكِمَ أَمْرَ نَفْسِهِ ، لَتُرِكَ الْأَمْرُ بِالْخَيْرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الشَّرِّ ، وَلَكِنْ مَعَادِنَةُ الْإِخْوَانِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ ، وَجِلَاءٌ لِلنَّفُوسِ ، وَتَذَكِيرٌ مِنَ النَّسِيَانِ . وَاعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا سُرُورُهَا أَحْزَانٌ ، وَإِقْبَالُهَا إِدْبَارٌ ، وَآخِرُ حَيَاتِهَا لَوْتُ ، فَكُم مِّنْ مُّسْتَقْبَلِ يَوْمَا لَا يَسْتَكْمِلُهُ ، وَمُنْتَقِظِ غَدَا لَا يَبْتَلُغُهُ ، وَلَوْ تَنْظُرُونَ إِلَى الْأَجَلِ وَمَسِيرِهِ ، لَا يَنْفَضَمِ الْأَمَلُ وَغُرُورُهُ » .

(الإمام ٢ : ٥٧)

١٠ - نصيحة لبعض الحكماء

وحذر بعض الحكماء صديقاً له بحجة رجل قال :

« اخذر فلاناً ، فإنه كثير السألة ، حسن البحث ، لطيف الاستدراج ، يحفظ أول كلامك على آخره ، ويعتبر ما أخرت بما قدمت ، فلا تُظهرنَّ له المخافة ، فيرى أنك قد حَزِنْتَ . واعلم أن من يَهْطِلُ القِطْعَةَ إظهارَ الغفلة مع شدة الخذر ، فبأنه مبالغة الأمن ، وتحفظ منه تحفظ الخائف ، فإن البحث يُظهر الخفي الباطن ، وَيُبْدِي المستكن الكامن . »

(زهر الآداب ٣ : ١٦٤)

١١ - كلمات شتى لبعض الحكماء

عن الأحمى قال : قال بعض الحكماء :

« من كانت فيه سَبْعُ خِصَالٍ لم يَعدِم سَبْعاً : من كان جَوَاداً لم يَعدِم الشرف ، ومن كان ذا وِفاء لم يَعدِم المِقة ، ومن كان صدوقاً لم يَعدِم القبول ، ومن كان شَكُوراً لم يَعدِم الزيادة ، ومن كان ذا رِعاية للحقوق لم يَعدِم السؤدد ، ومن كان منصفاً لم يَعدِم العافية ، ومن كان متواضعاً لم يَعدِم الكرامة . »

(الآمال ٢ : ٢٩)

وقيل لبعض الحكماء : كيف تَرَى الدهر ؟ قال : يُخْلِق الأبدان ، وَيُجَدِّد الآمال ، وَيَقْرُب الآجال ، قيل له : فما حال أهلِه ؟ قال : من ظَفِرَ به نَصِب ، ومن فاته حَزَن ، قيل : فأى الأصعب أبرُّ ؟ قال : العمل الصالح ، قيل : فأيهم أضرُّ ؟ قال : النفس والهوى ، قيل : فقيم الخُرج ، قال : في قطع الراحة وبذل المجهود .

(الآمال ٢ : ٥٩)

وأخبر عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يقول :

« الحمد ماحقُ الحسنات ، والزُّهْر جالبُ لِقَتِ اللَّهِ ومقت الصالحين ، والمُعْجَبُ صَارِفٌ عن الازدياد من العلم ، داعٍ إلى التَّخَطُّ^(١) والجلل ، والبخلُ أذمُّ الأخلاق ، وأجلُّها لسوء الأخذُوة » .
(الأمال ١ : ٢٠٠)

وقال : قال بعض العرب :

« أوَّلَى الناس بالفضل أعزُّدُم بفضله ، وأعونُ الأشياء على تَذَكِّيَةِ العقل التعلُّم ، وأدلُّ الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير » .
(الأمال ١ : ٢١٧)

وقال الأعمى : العرب قول :

« لا ثناء مع الكبير ، ولا صديق لدى الحسد ، ولا شرف لِسِيِّ الأَدب » .
قال : وكان يقال : « شرُّ خِصال اللئيم الخُبْن عن الأعداء ، والقِسْوَة على الضعفاء ، والبخلُ عند الإِعطاء » .
(الأمال ١ : ٢٠١)

وقال أبو علي القتالي ، وأمل علينا أبو عبد الله قال : من كلام العرب ووصاياها :
« جالِس أهل العلم ، فَإِنْ جِهَلْتَ عَمَلُوك ، وَإِنْ زَلَلْتَ قَوْمُوك ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ لَمْ يُفْنِدُوك^(٢) ، وَإِنْ صَحَّحْتَ زَانُوك ، وَإِنْ غَبَّتَ تَقَدُّوك . ولا تبالس أهل الجبل ، فَإِنَّكَ إِنْ جِهَلْتَ عَنَّفُوك ، وَإِنْ زَلَلْتَ لَمْ يَقَوْمُوك ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ لَمْ يُبْتَشِرُوك » .
(الأمال ٢ : ٧٢)

١٢ — رجل من العرب والحجاج

سأل الحجاج رجلاً من العرب عن عشيرته قال : أيُّ عشيرتك أفضل ؟ قال :
أَتَحَامُ اللَّهِ ، بالرَّغْبَةِ في الآخرة ، والزَّهْدِ في الدنيا ، قال : فأيهم أسود ؟ قال : أرزَنُهُم
جِلًا حين يُسْتَجَبَل ، وأسفاهم حين يُسأل ، قال : فأيهم أدهى ؟ قال : من كتم سِرَّهُ

(١) تَخَطُّ : تَكْبُرُ ونَفْس . (٢) تَفْنِدُ : يَفْنِدُ رَأْيَهُ وعَمَلَهُ .

من أحبّ ، مخافة أن يُشارَه يوماً ، قال : فأيهم أكيس ؟ قال : من يُصلح ماله
ويُتصد في معيشته ، قال : فأيهم أرفق ؟ قال : من يعطي بشر وجه أصدقه ،
ويتلطّف في مسأله ، ويتعاهد حقوق إخوانه ، في إجابة دَعَوَاتهم ، وعيادة مَرَضاهم ،
والتسليم عليهم ، وللشي مع جنازتهم ، والنصح لهم بالغيّب ، قال : فأيهم أظن ؟ قال :
من عَرَف ما يوافق الرجال من الحديث حين يحالهم ، قال : فأيهم أصلب ؟ قال : من اشتدت
عارضته ^(١) في اليقين ، وحَزَم في التوكل ، ومنع جاره من الظلم . (مجمع الأمال ٢ : ١٧٨)

١٣ — أحد الواقدين على عمر بن عبد العزيز

ووفد وفد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقال له : كيف تركت الناس ؟
قال :

« تركت غنيهم موفوراً ، وفقيرهم مخجوراً ، وظالمهم مقهوراً ، ومظلومهم منصوراً »
قال : « الحمد لله ، لو لم تَم واحدة من هذه الخصال إلا بُضو من أعضائي ،
لكان يسيراً » . (الأمال ٢ : ٢٩)

١٤ — كاتب وأمير

ودخل بعض الكتاب على أمير بعد نكبة نابتة ، فرأى من الأمير بعض الازدراء
فقال له :

« لا يَصْنَعُ عندك حُجُولُ النَّبْوَ ، وزوالُ الثَّرْوَة ، فإن السيف العتيق إذا مَسَّ
كثيرُ الصَّدَم استغنى بقليل الجلاء ، حتى يمود حذّه ، ويظهر فريندّه ، ولم أصف نفسي
عُجْباً ، لكن شكراً ، قال صلى الله عليه وسلم : أنا أشرف ولد آدم ولا فخر » .
فجهر بالشكر ، وترك الاستطالة بالكبر » . (زهر الآداب ٣ : ٩١)

١٥- وصف الملباجة

من أمثال العرب : « أعجز من ملباجة » وهو البثوم الكسلان المثل^(١) الجاني ، وقد سار في وصف الملباجة فصل لبعض الأعراب للتفصحين ، وفصل آخر لبعض الحضريين ، فأما وصف الأعرابي ، فقد سئل ابن أبي كَبْشَةَ بن الصَّبْرَمَرِيُّ عنه فقال : « الملباجة : الضيف الماجز ، الأخرق الأحق ، الجلف^(٢) الكسلان ، الساطع لامع فيهِ ، ولا غناء^(٣) عنده ، ولا كفاية^(٤) معه ، ولا عمل لديه . »

وأما وصف الحضري فإن بعض بُلَنَاءِ الأمصار سئل عن الملباجة فقال :

« هو الذي لا يترعى لعدل العادل ، ولا يصني إلى وعظ الواعظ ، ينظر بعين حسود ، ويبرئ إعراض حقود ، إن سأل ألخف^(٥) ، وإن سئل سوف ، وإن حدث خلف ، وإن وعد أخلف ، وإن زجر عفف ، وإن قدير عفف^(٦) ، وإن احتل أسف^(٧) ، وإن استغنى بطر ، وإن انصرف قبط ، وإن فرح أشير^(٨) ، وإن حزن ينس ، وإن ضحك زار ، وإن بكى تجار^(٩) ، وإن حكم جار ، وإن قدمت تأخر ، وإن أخرته تقدم ، وإن أعطاك من عليك ، وإن أعطيت لم يشكرك ، وإن أسررت إليه خاتك ، وإن أسر إليك اتهمك ، وإن صار فوقك قهرك ، وإن صار دُونك حسدك ، وإن وثقت به خاتك ، وإن انبسط إليه شاتك ، وإن أكرمت أهانك ، وإن غاب عنه الصديق سلاه ، وإن حضره قلاه^(١٠) ، وإن فاتحه لم يجبه ، وإن أمسك عنه لم يبدأه ، وإن بدأ بالود هجر ، وإن بدأ بالبر جنا ، وإن تكلم فصحه اليم^(١١) ، وإن عمل قصر به

(١) مثل كفرج : عظم بدنه ، ومن اللال والأدب : خلا فهو مثل كليل وحق .

(٢) الجاني . (٣) لا غناء : لا كفاية .

(٤) الج . (٥) عظم . (٦) من أسف الطائر : حنا من الأرض في طيرانه ، أي لم يستطع

قهقهه بما حل . (٧) أشير : مرج . (٨) صبح واستطاع .

(٩) أبغضه وكرهه غاية لكرهه .

الجل ، وإن أوْثَمِنَ عَدْر ، وإن أجار أخفر^(١) ، وإن عاهد نكث ، وإن حلف حنث لا يصدر عنه الأمل إلا بخيبة ، ولا يضطر إليه حرٌّ إلا بيجنة .

قال خلف الأحمر : سألت أعرابياً عن الملباجة ، فقال : « هو الأحق الضخم القدم^(٢) » الأكل الذي والذي . . . ثم جعل يلتأني بعد ذلك ، وزيد في التفسير كل مرة شيئاً ، ثم قال لي بعد حين - وأراد الخروج - هو الذي جمع كل شر .
(مجمع الأمثال ١ : ٢٣٦)

١٦ - بعض البلغاء يصف رجلاً

ووصف بعض البلغاء رجلاً فقال :

« إنه بسيط^(٣) الكف ، رَحْب الصدر ، مُوَسَّماً الأكناف ، سهل الخلق ، كريم الطباع ، غيْثُ مَنَوُث^(٤) ، ويحمر زُخُور ، ضَحُوك السن ، بشر الوجه ، بادی القبول^(٥) غير عبوس ، يستقبلك بِطَلَّاقَةٍ ، ويحييتك بِبِشْرٍ ، ويستدبرك بكرم غيث ، وجليل بشر ، تُبهِجُكَ طلاقته ، ويرضيك بشره ، ضحَّاكٌ على مائدته ، غيْثٌ لضيافته ، غير ملاحظ لأُكَيْلِهِ ، بَطِينٌ^(٦) من العقل ، خَمِيسٌ^(٧) من الجمل ، راجع الحلم ، ثاقب الرأي ، طَلِيبُ الخلق ، مُحَصِّنُ الضَّرِيَّةِ^(٨) مِعْطَاهُ غير مآل ، كاسٍ^(٩) من كل مَكْرُومَةٍ ، عار من كل مَلَأْمَةٍ ، إن سئل بذل ، وإن قال فذل .
(زهر الآداب ٢ : ٢٠٠)

-
- (١) أخفره وغفر به : نقض همه ونفده . (٢) القدم : العيسى عن الحكيم في نقل ورعاوة ، وقلة فهم ، والعليط : الأحق الجاني .
(٣) أي بسيط الكف سخي . (٤) غوث تقويذ : قال واغوثاه .
(٥) القبول بالفتح وقه يشم : الحسن . (٦) أي يمتلئ وأصله : حطم البطن .
(٧) خميس : خال ، وأصله : الجائع . (٨) الضريبة : الضريبة ، ومحصن : صف .
(٩) أي مكسور .

١٧ - خمس جوار من العرب يصفن خيل آبائنا

عن ابن الكلبي عن أبيه قال :

اجتمع خمسُ جَوَارٍ مِنْ العرب ، قتلن : هَلُمُنَّ نَهْفَ خَيْلِ آبَائِنَا .
قالت الأولى :

« فرسُ أبي وَرْدَةَ ، وما وردة ؟ ذات كَفَلٍ مَوْحَلَقٍ ، وَمَتْنٍ أَخْلَقٍ ، وَجَوْفٍ
أَخْوَقٍ ^(١) ، وَنَفْسٍ مَرْوَحٍ ، وَعَيْنٍ طَرْوَحٍ ، وَرِجْلٍ ضَرْوَحٍ ، وَبَدٍ سَبْوَحٍ ^(٢) ،
بُدَاهِنَهَا إِهْذَابٌ ، وَعَقَبُهَا غِلَابٌ ^(٣) . »

وقالت الثانية :

« فرسُ أبي اللَّعَابِ ، وما اللَّعَابُ ؟ غَبِيَّةٌ سَحَابٌ ، واضطرامُّ غَابٌ ، مُتْرَسُ
الأَوْصَالِ ، أَشْمُ الْقَذَالِ ، مَلَا حَكَّ الْمَحَالِ ^(٤) ، فَارَسُهُ نَجِيدٌ ، وَصَيْدُهُ عَتِيدٌ ، إِنْ أَقْبَلَ
فَقَطَّى مَتَاجٍ . وَإِنْ أَدْبَرَ فَظَلَمَ هَذَاجٍ ، وَإِنْ أَخْضَرَ فَمَلَجَجَ هَرَّاجٍ ^(٥) . »

وقالت الثالثة :

« فرسُ أُمِّ حُدَمةٍ ، وما حُدَمةٌ ؟ إِنْ أَقْبَلَتْ فَقَنَاءٌ مُقَوِّمةٌ ، وَإِنْ أَدْبَرَتْ فَاقْنَبيةٌ

(١) . المزحلقة : الملبس الذي كانه : حلوقه (بالضم) وهي آثار تزوج الصيادين من فوق إلى أسفل .
والأخلاق : الأملس ، وأخوق : واسع . (٢) مروح : كثيرة للريح ، مروح - بعيدة موقع النظر ،
ضروح : دفوع ، يريد أنها تفرح المجاورة برجلها إذا عدت ، سروح : كأنها تسرح و ، عدوها
من سرعتها . (٣) بداهتها : فجاجتها ، والبداهة والبصية واحد ، والإهذاب : البرية ، والعقب :
جوى به جرى ، وغلاب مصدر ، غاليته مغالبة وغلابا ، كأنها تقالب أخرى .

(٤) الغيبة : الدفعة من المطر . والغلاب جمع غابة : وهي الأجمة ، متروس : محكي ، أترست الشيء : أحكته
أشم : مرتفع ، القذال : معقد البذار (والبذار من الكلام ككسكيب : ما سأل على خط الغنوس) . ملاحك
مدخل (يفتح اللام) كأنه دخل يشبه في بعض ، وأحال جمع محالة : وهي فذار الظهر (كسحاب) جمع
قنطرة وذكر الأصمى أنه رأى فذار فرس ميت . فإذا ثلاث فقر من عظم واحد : وكذا تكون العرب
فيها ذكروا . (٥) مجيد : صاحب جواد . عتيد : حاضر ، متج في سيره . ورجح : إذا أسرع ،
والملجج ككسب : الذي ترويه ويكون السريع . والمليج : حار الوحش تسعين تقوى . وهرج هجرس
: كفسرب إذا كان كبير الجري .

مُثَلِّمَةً ، وَإِنْ أَعْرَضَتْ فَذَنْبُهُ مُعْجَرَمَةٌ ^(١) ، أَرَاغَهَا مُتَرَصَّةٌ ، وَفُضِصَهَا مُحْصَةً ، جَزِيئًا أَنْتَرَا ، وَتَقَرَّيْهَا أَنْكِدَارٌ ^(٢) .

وقالت الرابعة :

« فَرَسُ أَبِي خَيْثَقٍ ، وَمَا خَيْثَقٌ ؟ ذَلْتُ نَاهِقٌ مُتَرَقٍ ، وَشَدَقُ أَشَدَقٍ ، وَأَدِيمُ كُمَلَقٍ ^(٣) ، لَهَا خَلْقٌ أَشَدَفٌ ، وَدَسِيمٌ مُتَنَفِّفٌ ، وَتَلِيلٌ مُسَيِّفٌ ^(٤) وَثَابَةٌ زَلُوجٌ ، خَيْفَانَةٌ رَهُوجٌ ، تَهْرِيئُهَا إِمْحَاجٌ ، وَحَضْرُهَا ارْتِجَاجٌ ^(٥) . »

وقالت الخامسة :

« فَرَسُ أَبِي هَذُلُولٍ ، وَمَا هَذُلُولٌ ؟ طَرِيذُهُ مَحْبُولٌ ، وَطَالِيَهُ مُشْكُولٌ ، وَتَقِيٌّ لِلَّاعِغِمْ ، أَمِينُ الْمَاعِقِمْ ^(٦) ، عَيْلُ اللَّعْزِمِ ، مِخْدٌ مِرْجَمٌ ^(٧) ، مُنِفُ الْمَارِكِ ، أَشْمُ

(١) حكمة : فلة من الخدم وهو السرعة لمر القنط ، ففتلة مقومة تريد أنها دقيقة للقيام ، وهو ملح في الإتيان ، والآنفة : الحبر توضع عليه القنط ، ملطبة : مججمة ، تريد أنها مدورة للوعاء ، لأن الألف تختار مدورة ، معجزة بكسر القاء اسم فاعل من المعجزة ، وهي إسرار في مقاربة العدو . قال الفارس :

أَمَّا إِذَا يَلْعُو فَتَلْعَبُ جَزِيَّةٌ أَوْ ذَنْبٌ عَادِيَةٌ يَعْجِرُ عَجْرَمَهُ

ويقال ناقة مسجومة يدفع فراد : أي شديدة . (٢) محصة : قليلة اللحم قليلة الشعر ! محس الجمل كالحرج ، إذا سقط شعره والاس . أنترار : انصباب ، كأنه ينثر ثرا ، والتهريب : ضرب من القنط أو أن يرفع يديه ساء ويضجها ساء . وانكدو : أسرع والقنط : وانكدو عليه القنط : انصبوا .

(٣) كملق : فيل من الخلق كشمس : وهو السرعة . القنطان : القنطان القنطان في غنى القنطان مرق : قليل اللحم . أشدق : واسع القنط . علق : على . (٤) الأشدق : القنط القنط . والقنط حركة : القنط . القنط : القنط : مرقز القنط في الكمل . متنف : واسع من القنط كجسر : وهو المواد بين الساء والأرض . التليل : التليل : سيف . كأنه سيف .

(٥) زلوج : سرعة . الزلوج والزلجان بالسرعة : السرعة . الجردة : الجردة التي لها نطق سود تختلف سائر لونها . ولما قيل القنط : عيفانة لمرتها لأن الجردة إذا ظهر فيها تلك القنط كان أسرع للغيرتها . وهج : كثيرة الرج . (المرج بالسرعة : القنط) أسرع القنط إمحاج : إذا انتهت في عدو . القنط : ارتفاع القنط في عدو . الارتجاج : كثرة القنط وتناهب .

(٦) مبرول : في سبابة . مبرول : مبرول في شكل (الشكل ككعب : الجمل تعد به توأم القنط) للام من الإنسان : مبرول القنط . أرادت حالتها الجسائل (والجسائل جمع جيفة والقنط بوزن الشفة القنط القنط والجحيم) والمقام : المناصل . (٧) ميلو : ميلو . والمزج موشع الخزام : غن : يده الأرض أي يميل لها أعليه (والأعليه : القنط جمع أعود) . مزجم : يزجم المزجم بالخمر . أو يزجم الأرض بمزجم .

السَّكَبُكُ ، مَجْدُولُ الْقَصَائِلِ ، سَبَطُ الْفَلَائِلِ ^(١) ، غَوْجُ التَّلِيلِ ، صَلَاسُ الصَّيْلِ ،
أَدِيمَةُ صَافٍ ، وَسَيِّبَةُ خَافٍ ^(٢) ، وَعَفْوُهُ كَافٍ . (الأدب : ١٩٠)

١٨ - رجل من العرب يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

سئل رجل من العرب عن مطر كان جدد جَدْبَ قال :

« نَشَأَ حَمَلًا ^(٣) سُدًّا مَضَافٍ الْأَحْضَانِ ، نَحْوِي الْأَرْكَانِ ، لَمَّاعِ الْأَقْرَابِ ،
مُكْشَفَرِ الرِّبَابِ ، نَحْنُ رُعودُهُ حَيْنَ اضْطِرَابِ ، وَتَزْجِرُ زَجْرَةَ الْبُيُوتِ الْفِضَابِ ،
لِبُولِقِهِ التَّهَابِ ، وَرَزَّوَعْدِهِ اضْطِرَابِ ، يَفَاحَتُ ^(٤) صُدُورُهُ الشَّعَافِ ، وَرَكِبَتْ
أَعْيَازُهُ الْفِثَافَ ، ثُمَّ اتَى أَغْيَازَهُ ، وَحَطَّ أَثْقَالَهُ ، فَتَلَقَّى وَأَصْقَ ^(٥) ، وَابْجَسَ وَابْتَقَى ،
ثُمَّ انْجَمَ فَاطْلُقَ ، فَضَلَّحَ التَّهَّاءَ ^(٦) مَرَعَةً ، وَالنَّيْطَانَ مُمْرَعَةً ، حَيَاءَ لِلْبِلَادِ ، وَرَزَقًا لِلْعِبَادِ .
(بلوغ الأوب : ٢ : ٢٥٠)

(١) منيف : مرتفع ، والحارث : منبت أدنى العرف إلى الظاهر الذي يلمح به من يركبه ، والسندك :
أطراف الحوافر جمع سبك كقنفة : مجدول : مجدول ، المتصلل : جمع حصيلة وهي كل قطعة من اللحم
مستطيلة أو مجعدة ، التليل : الشمر المجمع ، ويقال للقطعة من الشمر : القليلة ، سبط : مستوئل .
(٢) الفرج : العين المصطف ، والمتصلة صوت الخنجر ، وكل صوت حاد ، والسيب : شعر
الناسية : ضاف : سابع .

(٣) الحمل : السحاب الكبير الماء ، وتلد : الذي له سد الأفق ، احوس : اسود ، والأقرباب جمع
قرب كقنق وعنت وهو الخاصرة ، والرهاب : السحاب الأبيض . (٤) جاحفه : زاحه ودافئه ،
والشعاف جمع شفة كركبة : وهي رأس الجبل ، والفتفاف جمع قف والقسم وهو ما غلظ من الأرض وارفع
لم يبلغ أن يكون جبلا . (٥) صحتهم السبا وأصمتهم : ألقت عليهم ساعة ، وابجس : انفجر باله
وانبثق السحاب : انهج بالمطر واندهض ، والانحاق : أن يطلع طوك لشيء فجأة وأنت لا تشر ، وأقيمت
السبا : أسرع مطرها . (٦) التهه : الذي يجمع شئ بالكسر والمضغ : القدير ، ومرة : غلوة ، والنيضان
جمع غائض : وهو النطش الواسع من الأرض ، مرة : خصبة ، حياء : مطر .

الباب الثالث

في

ثر الأعراب

قولهم في الوعظ والتوصية

١ - مقام أعرابي بين يدى سليمان بن عبد الملك

قام أعرابي بين يدى سليمان بن عبد الملك ، قال :

« إني مُكَلِّمُكَ يا أمير المؤمنين بكلامٍ فيه بعض الفِلْفَلَةِ ، فاحْتِطِ إِنْ كَرِهْتَهُ ، فَإِنَّ وَرَاءَهُ مَا تُحِبُّهُ إِنْ قَبِلْتَهُ » ، قال : هاتِ يا أعرابي : إنا نجود بِسَعَةِ الاحْتِمَالِ عَلَى مَنْ لَا نَرْجُو نَفْسَهُ ، وَلَا نَأْمَنُ غَيْبَهُ ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ النَّاصِحَ جَيِّبًا ، الْأَمُونَ غَيِّبًا . قال : « يا أمير المؤمنين أما إِذْ أَمَنْتَ بِإِدْرَةِ غَضَبِكَ ، فَإِنِّي سَأُطْلِقُ لِسَانِي بِمَا خَرَسَتْ عَنْهُ الْأَلْسُنُ مِنْ عَفَلَتِكَ ، نَادِيَةً لِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ إِمَامَتِكَ . إِنْهُ قَدْ اكْتَفَنَكَ رِجَالُ أَسَاءُوا الْاِخْتِيَارَ لِأَنفُسِهِمْ ، فَاتَّبَعُوا دِينَكَ بِدِينِهِمْ ، وَرَضُوا بِسُخْطِ رَبِّهِمْ ، خَافُوكَ فِي اللَّهِ ، وَلَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فِيكَ ، فَهُمْ حَرْبٌ لِلْآخِرَةِ ، سَلَمٌ لِلدُّنْيَا ، فَلَا تَأْمَنُهُمْ عَلَى مَا ائْتَمَنَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَأْلُونَكَ ^(١) جَبَالًا ، وَالْأَمَانَةَ تَضْيِيقًا ، وَالْأَمَةَ عَسْفًا وَخَسْفًا ^(٢) ، وَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَمَّا اجْتَرَحُوا ^(٣) ، وَلَيْسُوا مَسْئُولِينَ عَمَّا اجْتَرَحْتَ ، فَلَا تَصْلُحْ دُنْيَاهُمْ بِفَسَادِ آخِرَتِكَ . فَإِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفَقَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَعْظَمَهُمْ غَيْبًا مِنْ بَاعِ آخِرَتِهِ بِدُنْيَا غَيْرِهِ »

(١) أَلَا يَأْلُو : قَسَرَ وَأَبْطَأَ ، وَاتَّخَذَ : الْقَسَادَ . (٢) الْكَسْفُ : الْقَطْمُ . وَالْخَسْفُ : الْقَنْدَلُ .

(٣) اكْتَرَحُوا ، وَفِي رَوَايَةٍ : اجْتَرَحُوا .

قال سليمان : « أَمَا أَنْتَ يَا أَعْرَابِي ، قَدْ سَلَّتَ لِسَانَكَ ، وَهُوَ أَقْطَعُ سَيْفِيكَ » ، قَالَ :
« أَجَلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ لَا عَلَيْكَ » .

(مبرور الأخبار ٢ : ص ٢٢٧ ، والقد القرية ١ : ٢٠٧ ، ومروج الذهب ٢ : ١٦١ .
وزهر الآداب ١ : ٢٧٧)

٢ - أعرابي يعظ هشام بن عبد الملك

ودخل أعرابي على هشام بن عبد الملك ، قَالَ لَهُ : عِظْنِي يَا أَعْرَابِي ، قَالَ :
« كُنْ بِاتِّقَانٍ وَاعِظًا ، أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ،
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : » « وَبِإِلَهِ الْخَلَفَيْنِ ^(١) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ
وَإِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ بَلَدٍ أَوْ زُرْتُمُومٌ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَبْظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ،
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » ، ثُمَّ قَالَ « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُطْفَفُ
فِي السَّكِلِ وَاللِّزَانِ ، فَاتُّنَّكَ بِمَنْ أَخَذَهُ كَلَهٌ ^(٢) ؟ » . (القد القرية ٢ : ٨٤)

٣ - خطبة أعرابي ^(٣)

وَوَلَّى جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ^(٤) أَعْرَابِيًّا بَعْضَ مِيَاهِمُ ^(٥) فخطبهم يوم الجمعة فقال :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ،
أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاغٍ ^(٦) ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ ، نَحْنُوا لِلْمَقَرِّكُمْ مِنْ تَمَرِّكُمْ ،
وَلَا تَهْتَكُوا أَسْطَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَحْتَقِي عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ ،

(١) طلف : نقص المكالم . (٢) وروي صاحب السند أيضاً طه البطة (ج ١ ص ٣٠٦)
وذكر أنها لابن الهك وعظ بها الرشيد .

(٣) قد مرنا في الجزء الثاني ص ٨٢ أن هذه الخطبة متنازع فيها ، فهي تنسب تاريخاً إلى الإمام علي
كرم الله وجهه ، وأخرى إلى سليمان وأهل ، وثالثة إلى أعرابي . (٤) هو ابن عم أبي جعفر
المصور ، وكان ولياً على المدينة سنة ١٤٦ - ١٥٠ هـ . (٥) في جميع الأشكال : « من الأصمى »
قال : حدثني شيخ من أهل العلم قال : شهدت الجمعة بالفرجة « فرجة كفتية : قرية بين البصرة ومكة »
وأمرها رجل من الأعراب ، فخرج وعطب ، ولف ثيابه على رأسه ، وبه قوس فقال . . . وأورد
هذه الخطبة ، وفي الشكل المبرد : « قال الأصمى فيما بلغني خطبتنا أعرابي بالبادية لعبد الله . . . »
(٦) وفي رواية الميداني ، ومبرور الأخبار « بلا » وفي رواية البطة « دار من والآخرة دار مقر »

قبل أن تخرج منها أبنائكم، فيها حَيَاتُكُمْ، ولنغيرها خُيُوتُكُمْ، اليوم عملٌ بلا حساب،
وغداً حسابٌ بلا عمل، إن الرجل إذا هلك، قال الناس ما ترك؟ وقالت اللائكة:
ما قدّم؟ فله آياؤكم ا قدّموا بعضاً، يكون لكم قرصاً، ولا تخلقوا كلاً، يكون
عليكم كلاً^(١)، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، والحمد لله، والصلى
عليه محمد، والدعوه الخليفة، ثم إمامكم جعفر بن سليمان، قوموا إلى صلاتكم.

(الأمال: ١ : ٧٤٨، والعهدة الفريدة: ٢ : ١٦٤، وتعليق الكلل: ١ : ٢٨ وجمع الأشكال
٢ : ٣١٨، وجموع الأعيان: ٢ : ص ٢٥٢، وشرح الآداب: ٢ : ٤).

٤ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي فقال:

« الحمد لله الحميد المستعبد، وصلى الله على النبي محمد.

أما بعد: فإن التمسق في أرحام الخلق لمسكين، والكلام لا يفتني حتى يُنقش عنه،
والله تبارك وتعالى لا يُذكر وأصف كُنه صفته، ولا يبلغ خُطب مُنتهى مِذته، له
الحدُّ كما مدح نفسه، فانتهوا إلى صلاتكم، ثم نزل فصل: (العهدة الفريدة: ٢ : ١٦٤)

٥ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي قومه فقال:

« الحمد لله، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى جميع الأنبياء، ما أقبح بمنى أن ينعمي

عن أمرٍ ويرتكبه، ويأمر بشئٍ ويحْتَنِبُهُ، وقد قال الأول:

وَدَعَّ مَا لَمَتْ صَاحِبَتُهُ عَلَيْهِ فَذَمَّ أَنْ يَلُومَكَ مَنْ تَلُومُ

ألمنا الله وإياكم تقواه، والعمل برضاه. (العهدة الفريدة: ٢ : ١٦٤)

٦ - أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر

قال أبان بن تغلب - وكان عابداً من عبّاد أهل البصرة توفي سنة ٨٤١هـ -

شهدت أعرابية وهي توصي ولداً لها يريد سفرأ وهي تقول له:

« أَيْ بَقِيَ اجْلِسْ أَمْتَحَنَكَ وَصِيَّتِي ، وَبِإِثْقَانِكَ ، فَإِنَّ الْوَصِيَّةَ أَجْدَى ^(١) عَلَيْكَ مِنْ كَثِيرِ عَقْلِكَ ، أَيْ بَقِيَ . إِيَّاكَ وَالنَّسِيمَةَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الضَّعِيفَةَ ، وَتَفْرُقُ بَيْنَ الْمُعْصِيَيْنِ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِلْعُيُوبِ فَتَتَخَذَ غَرَضًا ^(٢) ، وَخَلِيقٌ أَنْ لَا يَجْبُتَ النُّزْهُ عَلَى كَثَرَةِ النِّسَامِ ، وَقَدْ اعْتَوَرَتِ ^(٣) النِّسَامُ غَرَضًا إِلَّا كَلِمَتُهُ ^(٤) حَقٌّ يَمُوتُ مَا اشْتَدَّ مِنْ قُوَّتِهِ ، وَإِيَّاكَ وَالْجُلُودَ بِدِينِكَ ، وَالْبَخْلَ بِمَالِكَ ، وَإِذَا هَرَزْتَ فَأَهْرُزْ كَرِيمًا بَلِينًا لِمَزْنَتِكَ ، وَلَا تَهْرُزْ النِّعَمَ فَإِنَّ صَخْرَةَ لَا يَتَغَيَّرُ مَاؤُهَا ، وَمَثَلُ لِنَفْسِكَ مِثَالٌ مَا اسْتَحْصَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَأَعْمَلَ بِهِ ، وَمَا اسْتَبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاجْتَنِبْهُ ، فَإِنَّ الرُّدَّ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بِشَرِّهِ ، وَخَالَفَ ذَلِكَ مِنْهُ فَضْلُهُ ، كَانَ صَدِيقُهُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ الرَّيْحِ فِي تَصَرُّفِهَا » نِمَ أَسْكَنْتَ ، فَدَنُوتُ مِنْهَا ، قُلْتُ : يَا أَعْرَابِيَّةُ إِلَّا زِدْنِي فِي الْوَصِيَّةِ ، فَقَالَتْ : أَوَلَمْ أَذْكُرْ أَعْجَبَكَ كَلَامُ الْعَرَبِ يَا عِرَاقِي ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَتْ : وَالْفَنَاءُ أَقْبَحُ مَا تَمَاطِلُ بِهِ النَّاسُ بَيْنَهُمْ ، وَمَنْ جَمَعَ الْحِلْمَ وَالسَّخَاءَ قَدْ أَجَادَ الْحِلَّةَ ^(٥) : رَیَّتُهَا وَسِیرَ بِالْمَلَأِ .

(الأمال ٢ : ٨١ ، والسفة القریه ٨٥١٢ ، وبلغات النساء من ٥٧ ، والبیاد والتهیون ٢ : ٢٢١) .

٧ — أَعْرَابِيَّةُ تَوْصِيْ اِبْنِهَا

وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةُ لِابْنِهَا :

« يَا بَنِيَّ ، إِنْ سَأَلَكَ النَّاسُ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَشَدِّ الْاِضْطِرَّالِ إِلَيْهِمْ ، وَمَنْ انْقَرَضَتْ إِلَيْهِ هُنَّتَ عَلَيْهِ ، وَلَا تَزَالْ تُحْفَظُ وَتُكْرَمُ ، حَتَّى تَسْأَلَ وَتَرْغَبَ ، فَإِذَا أَلَحَّتْ عَلَيْكَ الْحَاجَةُ ، وَلَزِمَكَ سَوْءُ الْحَالِ ، فَاجْعَلْ سَأَلَكَ إِلَى مَنْ إِلَيْهِ حَاجَةُ السَّائِلِ وَالْمُسْتَوَلِ ، فَإِنَّهُ يُعْطِي السَّائِلَ » ..

(القطعة القریه ٢ : ٨٥)

(١) انفع (٢) عفا (٣) عطلت (٤) جرحه وحطبه .

(٥) وهي هي : غنم .

(٦) الحلة لا تكون إلا من ثوبين لإزار ورداء ، والربطة : الملاحة كلها نسيج واحد وقطعة واحدة ، والسرہال : القميص .

٨ - أعرابي يوصي ابنه

ووصى أعرابي ابنه قال :

« ابذل للودَّة الصادقة تسعاً إخواناً ، وتتخذ أعواناً ، فإن العداوة موجودة عتيقة ، والصدقة مستغرزة ^(١) بعيدة ، جنب كرامتك اللثام ، فإنهم لمن أحسن إليهم لم يشكروا ، وإن نزلت شديدة لم يصيروا » . (الامال ١ : ٢٠١)

٩ - أعرابي ينصح لابنه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« لَا تَسِرْ نَكَ مَا تَرَى مِنْ خَفَضِ الْعِشِّ ، وَلِئِنْ الرِّيشَ ^(٢) ، وَلَكِنْ فَانْظُرْ إِلَى سُوءِ الْفَلَحِ ، وَسُوءِ النُّقْلَبِ » . (الامال ٢ : ٥٩)

١٠ - أعرابي ينصح لابنه

وفال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« كُنْ لِلْعَاقِلِ الْمَذِيرِ أَرْجَى مِنْكَ لِلْأَحْقِ لِلْقَبِيلِ » ، ثُمَّ أُنْشِدَ :
عَدُوُّكَ ذُو الْحِلْمِ أَتَقَى عَلَيْكَ وَأَرْعَى مِنَ الْوَامِقِ الْأَحْقِ ^(٣)
(ذيل الامال ص ٢٤)

١١ - أعرابي ينصح لأخيه

ونصح أعرابي لأخيه ، قال :

« اعلم أن الناصح لك ، المشفق عليك ، مَنْ طالع لك ما وراء العواقب بروية ونظرة ، ومثل لك الأحوال المخوفة عليك ، وخلط الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفاً ^(٤) رجائك ، وشكرك إزاء النعمة عليك ، وأن الفاشر لك ،

(١) مستغرزة : متقبضة شديدة . (٢) الريش : الحصب والعش .

(٣) وامي : مكنتاً .

(٤) وامي : الحب .

والحاطب^(١) عليك، مَنْ مَدَّ لَكَ فِي الْاِغْتِرَارِ ، وَوَعَلَّكَ مِهَادًا^(٢) الظُّلْمَ، تَابِعًا لِمَرْضَانِكَ
مَنْقُذًا لِهَوَاكَ .
(الامال ١ : ١٩٨)

١٢ — أعرابي يعظ أخاه

ووعظ أعرابي أخاه أفسد ماله في الشُّرَابِ، قَالَ :
« لَا اَلْهَرُ يُعْظُكَ، وَلَا الْأَيْلَمُ تُنْذِرُكَ، وَلَا الشَّيْبُ يَزْجُرُكَ، وَالسَّاعَاتُ تُغْصَى
عَلَيْكَ، وَالْأَفْئُسُ تُعْذُّ مِنْكَ، وَلِلنَّايَا تُقَالُ إِلَيْكَ ، أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ ، أَعُوذُهَا
بِالْمُضَرَّةِ عَلَيْكَ » .

(المقدّمات ٢ : ٨٥ ، الامال ١ : ١٩٨ ، وزهر الآداب ٢ : ١١٥)

١٣ — أعرابي يعظ صاحبه

وَقَالَ أَعْرَابِي لِصَاحِبِهِ :
« وَاللَّهِ لَنْ يَهْلِكَ^(٣) إِلَى الْبَاطِلِ ، إِنَّكَ تَقْطُوفُ^(٤) عَنِ الْحَقِّ . وَلَنْ أَبْطَأَ
لَيْسُرَ عَنَّا بِكَ ، وَقَدْ خَسِرَ أَقْوَامٌ وَمُيَظَنُّونَ أَنَّهُمْ رَاجِعُونَ ، فَلَا تَفْرُتْكَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ
الْآخِرَةَ مِنْ وَرَائِكَ » .
(البيان والتمهين ٢ : ١٥٨ ، والمقدّمات ٢ : ٨٦)

١٤ — أعرابي يعظ أخاه

وَقَالَ أَعْرَابِي لِأَخِيهِ :
« يَا أَخِي : أَنْتَ طَالِبٌ وَمَطْلُوبٌ ، يَطْلُبُكَ مَا لَا تَقْوُهُ ، وَتَطْلُبُ مَا قَدْ كَفَيْتَهُ ،
فَكَيْفَ تَمَاقِبُ عَنْكَ ، قَدْ كَشِفَ لَكَ ، وَمَا أَنْتَ فِيهِ قَدْ تَقَلَّتْ عَنْهُ ، فَامْهَدْ^(٥) لِنَفْسِكَ ،
وَأَعِذْ ذَلِكَ ، وَخُذْ فِي جِهَانِكَ » .
(المقدّمات ٢ : ٨٥)

(١) هو حاطب ليل : أي غلط في كلامه . (٢) المهاد : القرائن .

(٣) من هاج الجودون : متى مشية سهلة في سرعة .

(٤) من قطفت العذبة كسرت وغرب : ضاقت مشية . فهي قطوف .

(٥) أي مهد وأبعد .

١٥ - أعرابي يعظ رجلا

وقال أعرابي لرجل :

« أَيْ أَخِي : إِنْ يَسَارَ النَّفْسِ أَفْضَلُ مِنْ يَسَارِ الْمَالِ ، فَإِنْ لَمْ تُوزَقْ غِيًى فَلَا تُحَرِّمْ
هَوًى ، قُرْبُ شَبَّانٍ مِنَ النَّعَمِ ، عُرْيَانٌ مِنَ الْكُرَمِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِلزُّمَنِ عَلَى خَيْرٍ : تَرْحُّبٌ
بِهِ الْأَرْضَ ، وَتَسْتَبْشِيرٌ بِهِ السَّمَاءَ ، وَلَنْ يُسَاءَ إِلَيْهِ فِي بَطْنِهَا ، وَقَدْ أَحْسَنَ عَلَى ظَهْرِهَا » .
(اللسان للبريد : ٢ : ٨٥)

١٦ - أعرابي يعظ رجلا

وقال الأعمى : سمعت أعرابياً يعظ رجلا وهو يقول :

« وَتَيْمُكَ ! إِنْ فَلَانًا وَإِنْ ضَحِكَ إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ يَضْحَكُ مِنْكَ ، وَلَئِنْ أَظْهَرَ الشَّفَقَةَ عَلَيْكَ ،
إِنْ عَاقَرَهُ لَتَسْتَرِي إِلَيْكَ ، فَإِنْ لَمْ تَتَّخِذْهُ عَدُوًّا فِي عِلَانِيَتِكَ ، فَلَا تَجْعَلْهُ صَدِيقًا فِي سِرِّيَّتِكَ » .
(زهر الآداب : ٣ : ١٦٤)

١٧ - أعرابي يعظ رجلا

وسمع أعرابي رجلا يقع في السلطان ، فقال :

« إِنَّكَ غَفْلٌ لَمْ تَسَيِّكِ التَّجَارِبُ ، وَفِي النَّصْحِ لَنَحْهُ الْقَارِبُ ، كَأَنِّي بِالضَّاحِكِ
إِلَيْكَ ، وَهُوَ بِالْكَائِمْ عَلَيْكَ » .
(زهر الآداب : ٣ : ١٦٤)

١٨ - كلام أعرابي لابن عمه

وشاور أعرابي ابن عمه له ، فأشار عليه برأى ، فقال :

« قَدْ قُلْتُ بِمَا يَقُولُ بِهِ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ الَّذِي يَخْلُطُ حُلُوْ كَلَامِهِ بِعُمُرِهِ ، وَحَزَنَتُهُ بِسَهْنِهِ
وَيَحْرُكُ الْإِسْفَاقُ مِنْهُ مَا هُوَ سَاكِئٌ مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ وَعَيْتُ النَّصْحَ مِنْهُ وَقَبِلْتَهُ ، إِذْ كَانَ
مَصْدَرُهُ مِنْ عِنْدِ مَنْ لَا شَكَّ فِي مَوَدَّتِهِ ، وَصَافِي غَيْبِهِ ، وَمَا زِلْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَى الْخَيْرِ
مُسْتَهْجَاً وَاضْغَاً ، وَطَرِيقاً مَهْيَاً ^(١) » .
(الآمال : ٢ : ٨٢)

١٩ - كلمات حكيمة للأعرابي

قيل لأعرابي : مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : « ثلاث خِلالٍ فيه : لأنه مُتَلَفٌ للمال ، مُذْهَبٌ للحل ، مُسْتَقِطٌ للرؤوسه » .

وقال أعرابي : « الهرام مَيَّاسِمٌ ^(١) ، تَسِيمٌ حَمْدًا وَذَمًّا ، فمن حَبَسَهَا كان لها ، ومن أَمْتَقَهَا كانت له ، وما كُلٌّ بِنِ أَطْعَمَ مَالًا أَطْعَمَ حَمْدًا ، ولا كُلٌّ عَلِيمٌ ذَمِيمٌ » .

وقال أعرابي لأخ له : « يا أخى إنَّ مالك إن لم يكن لك كنت له ، وإن لم تُنْفِهْ أُنْفَاكَ ، فكُلْهُ قبل أن يَأْكُلَكَ » .

وقال أعرابي : « إنَّ اللوقَّ من تَرَكَ أَرْفَقَ الحالات به ، لِأَصْلَاحِهَا لَدَيْهِ ، فَظَرَأَ لِنَفْسِهِ ، إِذَا لم تَنْظُرْ نَفْسُهُ لَهَا » .

وقال أعرابي : « إنَّ الله يُخْلِفُ مَا أَتَفَتَ النَّاسُ ، والدَّعْرُ مُتَلَفٌ مَا أَخْلَقُوا ، وكم من مَيِّتَةٍ عَلَيْهَا طَلَبُ الْحَيَاةِ ، وكم من حَيَاةٍ سَبَّيْهَا التَّرَضُّ لِلْمَوْتِ » .

وقال أعرابي : « إنَّ الْأَمَالَ قَطَعْتَ أَغْتَالَكَ الرُّجَالُ ، كَالسَّرَابِ غَرَّ مَنْ رَأَاهُ ، وَأَخْلَفَ مَنْ رَجَاهُ » .

وقال أعرابي لصاحب له : « أَصْحَبْ مَنْ يَتَنَاسَى مَرْوُوقَةً عَلَيْكَ ، وَيَتَذَكَّرُ خُرُوقَكَ عَلَيْهِ » .

وقال أعرابي : « لَا تَسْأَلْ مَنْ يَتَبَرَّأُ مِنْ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَلَيْسَ كُنْ سَلٌ مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَهُوَ اللهُ تَعَالَى » .

وقال أعرابي : « مَا بَقَاهُ عَمْرٌ قَطْعُهُ السَّاعَاتُ ، وَسَلَامَةُ بَدَنِ مَعْرَضٍ لِلْآفَاتِ ؟ وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ اللُّؤْمَنِ ! كَيْفَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ؟ وَهُوَ يَنْقُلُهُ إِلَى التَّوَابِ الَّذِي أَحْيَاهُ لِيَهْ وَأَعْطَاهُ نَهَارَهُ » .

(١) مهمل جمع بهم بالكسر : وهو الكثرة .

وَذُكِرَ أَهْلُ السُّلْطَانِ عِنْدَ أَعْرَابِيٍّ قَالَهُ : « أَتَى اللَّهُ لَنَا عَزَّوَجَلَّ فِي الدُّنْيَا بِالْجَوْرِ ، لَمَّا تَدَّ ذُلُّوهُ فِي الْآخِرَةِ بِالْعَدْلِ ، وَقَدْ رَضُوا بِقَلِيلٍ ظَنِّ ، عِيْضًا عَنْ كَثِيرٍ بَاقٍ ، وَإِنَّمَا تَزِلُّ الْقَدَمُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ » .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : « مَنْ كَانَتْ مَطْلَبُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، سَارَا بِهِ وَإِنْ لَمْ يَسِرْ ، وَبَلَّغَا بِهِ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ » .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : « الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا مِفْتَاحُ الرِّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَالزَّهَادَةُ فِي الْآخِرَةِ حِفْظُ الرِّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا » .

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ وَقَدْ مَرَضَ : إِنَّكَ تَمُوتُ ! قَالَ : « وَإِذَا مِتُّ قَالِي أَيْنَ يُذْهَبُ بِي ؟ » قَالُوا : « إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » ، قَالَ : « فَمَا كَرَاهَتِي أَنْ يُذْهَبَ بِي إِلَى مَنْ لَمْ أَوْ خَيْرٍ إِلَّا مِنْهُ ؟ » .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : « مَنْ خَافَ الْمَوْتَ بَلَدَ الْمَوْتِ ، وَمَنْ لَمْ يُنَجِّ النَّفْسَ عَنْ الشَّهَوَاتِ ، أَسْرَعَتْ بِهِ إِلَى الْمَلَكَاتِ ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَكَ » .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : « خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْحَيَاةِ مَا إِذَا قَدَّرَتْهُ أَنْفَضَتْ لَهُ الْحَيَاةَ ، وَشَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ مَا إِذَا نَزَلَ بِكَ أَحْيَيْتَ لَهُ الْمَوْتَ » .

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ ؟ قَالَ : « الْكَرِيمُ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ الْأَثِيمَ ، وَالْعَاقِلُ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ الْجَاهِلَ » .

وَقِيلَ لَهُ : أَيُّ الدَّاعِينَ أَحَقُّ بِالْإِجَابَةِ ؟ قَالَ : لِلظَّالِمِ ، وَقِيلَ لَهُ : فَأَيُّ النَّاسِ أَغْنَى عَنِ النَّاسِ ؟ قَالَ : « مَنْ أَفْرَدَ اللَّهُ بِمُحَاجَّتِهِ » .

وَقَالَ الْأَعْمَى : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : « إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ أَمْرَانِ ، فَانْظُرْ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ مِنْ هَوَاكَ نَفَاقَةٍ ، فَإِنْ أَكْثَرَ مَا يَكُونُ الْخَطَأُ مَعَ مُتَابَعَةِ الْمَوَى » .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : « الشَّرُّ عَاجِلٌ قَتِيلٌ ، وَآلِهٌ وَخِيمٌ » .

وقال أعرابي : « من ولد الخيل أُنْتَج له فِرَاحًا تطير بأجنحة السرور ، ومن غرس الشَّرْ أُنْبِت له نباتًا مرًا مَذَاقُه ، وَقَضْبَانُه الغَيْظُ ، وَغَرْتُه الندم » .

وقال أعرابي : « من كساه الحلياء ثوبه ، حَقَّى على الناس عيبه » وقال : « بش الزاد ، التَّمَدَّى على العباد » ، وقال : « التَّلَطَّف بالحيلة ، أُنْفَع من الوسيلة » ، وقال : « من نَقَلَ على صديقه ، خَفَّ على عدوه » ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيسه مالا يعلمون » .

وقال أعرابي : « أَعْجَزُ الناس مَنْ قَصَّرَ في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضَيَّع من ظَفِير به منهم » .

وقال أعرابي لابنه : « لا يسرك أن تطلب بالشرِّ ، فإنَّ الغالب بالشرِّ هو المفلوب » .
وقال أعرابي لأخ له : « قد نهيتك أن تُرَبِّق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه ، فإنَّ حَفْظَكَ مِنْ عَطِيَّتِهِ السَّوَالُ » .

وقال أعرابي : « إن حبَّ الخير خير وإن عجزتْ عنه القُدرة ، وبنفس الشرِّ خير وإن فعلتْ أكثره » .

وقال أعرابي : « والله لولا أن الرواة يَحْمِلُ حَمْلُهَا^(١) ، شديدة مؤنتها ، ما ترك الثَّام للسكرام شيئًا » .

واحتَضِر أعرابي ، فقال له بنوه : عِظْنَا يَا أَبَتِ ، فقال : « عاشروا الناس معاشرة ، إن غيبتهم حنوا إليكم ، وإن تمَّ بَكْرًا عليكم » .

ودخل أعرابي على بعض الملوك في شَمْلَةٍ^(٢) شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : « إن الشَّمْلَةَ لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ هو فيها » .

وقال أعرابي : « رَبَّ رجل سيره منشور على لسانه . وآخر قد التحفَّ عليه قلبه التحفَّ الجَنَاح على الخِرَافِ » .

(١) الأصل في الأصل : شقان على الجبر يحمل فيهما المديون . (٢) كساه دون القطيفة والمصليه .

وقيل لأعرابي : كيف كتمانك لفسر ؟ قال : « ما جوفى له إلا قَبْرٌ » .
ومرّ أعرابيان برجل صلبه بمض الخلفاء ، فقال أحدهما : أُنَبِّئْتَهُ الطاعة ، وَحَصَدَتِهِ
الصصية ، وقال الآخر : « من طَلَّقَ الدنيا فالآخرة صاحِبته ، ومن طَارَقَ الحقَّ
فاجْلَذَعُ راحلته » .

وقال أعرابي : « إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ، ودوام عهده ، فانظر إلى حينته
إلى أوطانه ، وشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ماضى من زمانه » .
وقال أعرابي : « إذا كان الرأى عند من لا يُقْبَلُ منه ، والبلاخ عند من لا يستعمله ،
والمال عند من لا يفقهه ، ضاعت الأمور » . (القصة القريه ٢ : ٨٥ - ٨٧)

وقال أعرابي : « إن الدنيا تنطق بغير لسان ، فتضجر عما يكون بما قد كان » .
(القصة القريه ٢ : ٨٥)
وقال الأعمى : سمعت أعرابياً يقول : « غفلنا ولم نقتل الدهر عنا ، فلم نعتظ
بغيرنا ، حتى وعظ غيرنا بنا ، قد أدركت السعادة من نُبْيَةٍ ، وأدركت الشقاوة من
غفل ، وكفى بالتجربة واعظاً » . (زمر الآداب ٢ : ٥٠)

وقال أعرابي لرجل : « اشكر للنعم عليك ، وأنعم على الشاكر لك ، تستوجب
من ربك زيادته ، ومن أخيك مناصحته » . (زمر الآداب ٢ : ٦٠)
وتذاكر قوم صِلَةَ الرَّحِمِ ، وأعرابي جالس ، قال : « مَنْسَأَه^(١) في العمر ، مَرْضَأَه^(٢)
للرب ، حَبَّة في الأهل » . (الامال ١ : ٢١٧)

وقال أعرابي : « لا أعرف ضُرّاً أوْصَلَ إلى رِيَاظ القلب ، من الحاجة إلى من لم
يَنفِقْ بإسرافه ، ولا تَأْمَنَ رَدَّه ، وأَكْلَمُ للصائب قَدْ خَلِيلٌ لا عِوَضَ منه » .
وقيل لأعرابي : أى شيء أمتع ؟ قال : « مُمَازَحَةُ الْحَبِّ ، ومُحَادَثَةُ الصديق ،
وأمانى تقطع بها أياتك » .

وقال أعرابي : « من لم يرضَ عن صديقه إلا يكثره على نفسه ، دام سخطه ،
ومن عاتب على كل ذنب كثر عدوه ، ومن لم يؤاخ من الإخوان إلا آمن لا عيب
فيه قلَّ صديقه » . (الأمال : ١ : ٢١٨)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي ما تقول في الزنا ؟ قال : « ما عسى
أن أقول في شيء يُفسد الصداقة القديمة ، ويحلُّ العقدة الوثيقة ، أقلُّ ما فيه أن يسكون
دُرَّةً للمغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة » . (الأمال : ١ : ٢٥٨)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « لا يوجد المَجُولُ محموداً ،
ولا التَصَوُّبُ مسروراً ، ولا اللُّكُولُ ذا إخوان ، ولا الحرُّ حريصاً ، ولا الشرُّ غنياً » .
وقال : سمعت أعرابياً يقول : « صنَّ عقلك بالحلم ، ومروءتك بالتحفاف ، ونجدتك
بتجانبة الخليلاء ، وخلتكَ^(١) بالإجمال في الطلب » . (الأمال : ٢ : ٢٢)

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « أقيح أعمال اللقندين الانتقام ، وما استنيط
الصواب بمنال المشاورة ، ولا حُصِّلَت النعم بمنال الوسادة ، ولا اكتسبت البنفساء
بمنال الكبر » . (الأمال : ٢ : ٢٢ ، وذر الأدب : ٢ : ٢)

وقال أعرابي : « خير الإخوان من يُذيلُ عرفاً ، أو يدفع ضراً » .
(الأمال : ٢ : ٤١)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « العاقل حقيق أن يُسَخِّ
بنفسه عن الدنيا ، لعله أن لا ينال أحد فيها شيئاً إلا قلَّ إمتاعه به ، أو كثر عناؤه
فيه ، واشتدت مرزئته^(٢) عليه عند فراقه ، وعظمت التَّجَبُّة فيه بعده » .
(الأمال : ٢ : ٤١)

وقال أعرابي : « خصلتان من الكرم : إنصاف الناس من نفسك ، ومواساة
الإخوان » . (الأمال : ٢ : ٧٣)

(١) أخلة : انقتر . (٢) المروءة والمروءة : المروءة : المروءة .

وقال أعرابي : « مَا عُنَيْتُ قَطُّ حَتَّى يُفَيِّنَ قَوْمِي » ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال :
(البيان والتهيين ٢ : ١٦١) . « لَا أَفْعَلُ شَيْئًا حَتَّى أَشَاوِرَهُم » .

وقال أعرابي لرجل مَطْلَه في حاجة : « إِنْ مِثْلَ الظُّفْرِ بِالْحَاجَةِ تَجْعِيلُ الْيَأْسِ مِنْهَا -
إِذَا عُسِّرَ قَضَاؤُهَا ، وَإِنْ الطَّلَبُ وَإِنْ قَلَّ ، أَعْظَمُ قُدْرًا مِنَ الْحَاجَةِ وَإِنْ عَظُمَتْ ، وَالْمَطْلُ
مِنْ غَيْرِ عُسْرِ آفَةُ الْجُودِ » . (البيان والتهيين ٣ : ٢٢١)

وقال أعرابي : « وَعَدَ الْكَرِيمُ تَعْدًا وَتَجْعِيلًا ، وَوَعَدَ الْاِثْمُ مَطْلًا وَتَعْلِيلًا » ..
(البيان والتهيين ٣ : ٢٢١)

وقال أعرابي : « اعْتَذَارٌ مِنْ مَنَعٍ ، أَتَجَلُّ مِنْ وَعْدٍ مَمْطُولٍ » .
(الأمل ٢ : ١٩٨)

وقال أعرابي : « عَوْدُ لِسَانِكَ الْخَيْرَ ، تَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ » .
(ذيل الأمل ص ٢٩)

وقال أعرابي : « خَرَجْتُ لَيْلَةً حِينَ انْعَدَرَتْ أَيْدَى النُّجُومِ ، وَشَالَتُ^(١) أَرْجُلَهَا ،
فَمَا زِلْتُ أَصْدَعُ اللَّيْلَ حَتَّى انْصَدَعَ النَّجْمُ ، فَإِذَا بِجَارِيَةٍ كَانَتْهَا عِلْمٌ ، فَعَلَتْ أَغَاظَهَا ، فَقَالَتْ :
يَا هَذَا : أَمَّا لَكَ نَاهٍ مِنْ كَرَمٍ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ زَاجِرٌ مِنْ عَقْلِ ؟ قَالَ : وَاللهِ مَا يَرَانِي إِلَّا
الْكُورَاكِبُ ! قَالَتْ : فَأَيْنَ مَكُونُكِهَا ؟ » .

(المقدم للبريد ٢ : ٩٤ ، والبيان والتهيين ٢ : ٥١ ، وزهر الآداب ٢ : ٦)

أجوبة الأعراب

٢٠ - مجاوبة أعرابي للحجاج

خرج الحجاج ذات يوم فَأَصْحَرَ^(٢) . وحضر غداؤه ، فقال : اطلبوا من يَتَنَدَّى
مَعِي ، فَطَلَبُوا ، فَإِذَا أَعْرَابِي فِي تَحْمِيلَةٍ : فَأَتَى بِهِ ، فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، قَالَ : هَلُمَّ أَهْيَا
الْأَعْرَابِي ، قَالَ : قَدْ دَعَانِي مَنْ هُوَ أَكْرَمُ مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ ، قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : دَعَانِي

(١) ارتفعت : من شالت لسانها بذهابها وأشالته : رفعت : فقال هو .

(٢) أصعر : برز في الصحراء .

لله ربي إلى الصوم ، فإنا صائم ، قال : وصوم في مثل هذا اليوم الحار ؟ قال : صمت ليوم هو آخر منه ، قال : فأفطر اليوم وضمت غدا ، قال : ويضمن لي الأمير أني أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذاك إلي ، قال : فكيف تسألني عاجلا بآجل ، ليس إليه سبيل ؟ قال : إنه طعام طيب ، قال : والله ما طيبه خبزك ولا طبأحك ، قال : قرن طيبه ؟ قال : العافية ، قال الحجاج : تالله إن رأيت كالقوم ! أخرجوه عنى .

(البيان والقبول ٣ : ٢٣٤ ، والقصد الخريد ٢ : ٨٧)

٢١ — مساطلة الحجاج أعرابيا فصيحاً

وقال الحجاج لأعرابي كلمه فوجده فصيحاً : كيف تركت الناس وراءك ؟ فقال : « تركتهم — أصلح الله الأمير — حين تفرقوا في النيطان ، وأخذوا النيران ، وتشكت النساء ، وعرض الشاة ، ومات الكلب » ، فقال الحجاج لجلسائه : « أخصبا نمت أم جذبا ؟ قالوا : بل جذبا ، قال : بل خصبا ، قوله : تفرقوا في النيطان ^(١) ، معناه : أنها أعشبت ، فأبيلهم وغنهم ترعى ، وأخذوا النيران ، معناه : استغنوا بالنار عن أن يشتروا اللحم بإباهم وغنهم وبأكلوها ، وتشكت النساء أعضاءهن ، من كثرة ما يمتصن ^(٢) الألبان ، وعرض الشاة : استن ^(٣) من كثرة المشب والمرعى ، ومات الكلب : لم تمت أغنامهم وإباهم فبأكل جيفها » . (ذيل الأملال ص ٨٧)

٢٢ — مجاوبة أعرابي لعبد الملك بن مروان

ودخل أعرابي على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابي صف الحمر ، فقال : تمول إذا شجت ، وفي الكأس مزة لها في عظام الشارين ديب ^(١)

(١) جمع غائط : وهو الملقن الواقع من الأرض . (٢) يحض اللبن من باب قطع وتصير وضرب أحله زيله . (٣) استن : حين ، من الإبل كنصر : إذا وطأها فأصبتها .
(٤) التمول : الحمر أو الباردة منها ، لأنها تشمل برحبها اللبن ، أو لأن لها صفة كصفة الشاة ، وضح الغراب : مزجه .

تُرِيكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ لَوْجِبَ أَخِيهَا فِي الْإِنَاءِ قُطُوبٌ^(١)
 قَالَ : وَمَعَكَ يَا أَعْرَابِي ! لَقَدْ أَتَيْتُكَ عِنْدِي حَسَنُ صَفَتِكَ لَهَا ، قَالَ : « يَا أَمِيرَ
 الزُّمَيْنِ ، وَأَتَيْتُكَ عِنْدِي بِمِرْفَقِكَ بِحَسَنِ صَفَتِكَ لَهَا » .
 (مَعُونُ الْأَعْيَادِ ٢ : ص ٢١٥)

٢٣ - مَجَاوِبُهُ أَعْرَابِي لِحَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ

وَخَطَبَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ قَالَ :
 « يَا أَهْلَ الْبَادِيَةِ : مَا أَخْشَى بِلَدَكُمْ ، وَأَغْلَظَ بِمَلَسِكُمْ ، وَأَخْفَى أَخْلَاقَكُمْ ،
 لَا تَشْهَدُونَ جُمُعَةً ، وَلَا تَجَالِسُونَ عَالِمًا ، قَامَ إِلَيْهِ وَجِلٌ مِنْهُمْ دَمِيمٌ ، قَالَ :
 « أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ خَشْيَةِ بِلَدِنَا ، وَغِلَظِ مَلَسِنَا ، فَهُوَ كَذَلِكَ ، وَلَكِنَّكُمْ مَشَرَّ
 أَهْلِ الْخَصْرِ : فِيكُمْ ثَلَاثُ خِصَالٍ ، هِيَ شَيْءٌ مِنْ كُلِّ مَا ذَكَرْتَ » ، قَالَ لَهُ خَالِدُ :
 « وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : « تَنْقُبُونَ الْبُحُورَ ، وَتَنْبُشُونَ الْقُبُورَ ، وَتَكْشَعُونَ الْذُكُورَ » ، قَالَ :
 « قَبَحَكَ اللَّهُ ، وَقَبِيحٌ مَا جِئْتَ بِهِ » .
 (الْمَعْنَى ٢ : ص ١٢٧)

٢٤ - أَجْوِبَةُ شَيْ

وَقَدَّمَ أَعْرَابِي إِلَى السُّلْطَانِ ، قَالَ لَهُ : قُلِ الْحَقَّ ، وَإِلَّا أَوْجَعْتُكَ ضَرْبًا ،
 قَالَ لَهُ : « وَأَنْتَ فَاْعَمَلْ بِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَوْعَدَكَ اللَّهُ عَلَى تَرْكِهِ ، أَعْظَمُ مِمَّا تُوْعِدُنِي بِهِ » .
 وَنَظَرَ عُمَانُ إِلَى أَعْرَابِي فِي كَهْمَلَةٍ ، غَاثِرِ السَّيْتِيقِ ، مُشْرِفِ الْحَاجِبِينَ ، نَاقِيِ الْجَبِينَةِ ،
 فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ رَيْكَ ؟ قَالَ : يَا مُرْصَادُ !
 وَقِيلَ لِأَعْرَابِي : إِنَّكَ تُحْسِنُ الشَّارَةَ^(٢) ، قَالَ : « ذَلِكَ عُنُوفٌ نِعْمَةُ اللَّهِ عِنْدِي » .

(١) الْقَتَاي : مَا يُلْقَى فِي الشَّرَابِ ، يَطْلُبُ بِكَضْرِبِ قَلْبًا وَقَلْبُوبًا : قَرَى مَا بَيْنَ هُنَيْهٍ وَكَلَجٍ ، وَأَعْوَاهَا :
 حُرُوبُ الْزَيْبِ ، وَاللَّحَى : أَدَّ الْقَارِيْنَ يَفْضَلُونَهَا عَلَيْهِ فَخَرِبُوا بِهَا دَوْلَهُ ، فَهُوَ يَقْلُبُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ، وَفِي
 أَحْيَا يَقُولُ الْقَامَرُ :

دَحِ الْمَدْرَ بِفَرْجِهَا الْفَرَّةَ فَتَنْفِي رَأَيْتُ أَعْمَالًا مَدْفِيًا بِكَتَاتِهَا
 فَلَا يَكُنْهَا لَوْ تَكُنْ تَكُنْ تَكُنْ أَعْوَاهَا غَدَهْ أَمَّ بِلَانِهَا

(٢) الشَّارَةُ : الْبَلَسُ وَالْمَلِيَّةُ وَالزَّيْنَةُ .

وقيل لأعرابي : « كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرجه بالسامي ، وأرقمه بالاستخار » .

وسئل أعرابي عن القدر فقال : « الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس ، يصرف ضوءها ، ولا يقف على حدودها » .

وسئل آخر عن القدر ، فقال : « علم اختصمت فيه العقول ، وتناول فيه المختلفون ، وحق علينا أن يرد إلينا ما التبس علينا من حكمه ، إلى ما سبق علينا من علمه » .
(السنن للبيهقي ٢ : ٨٦ - ٨٧)

وقيل لأعرابي : من أبلغ الناس ؟ قال : « أحسنهم لفظاً وأسرعهم بديهة » .
وقيل لأعرابي : مالك لا تطيل المجيء ؟ قال : « يكفيك من القلادة ما أحاط بالعتق » .

وقال معاوية لأعرابية : هل من قري ؟ قالت : نعم ، قال : وما هو ؟ قالت : « خبز خير ، ولبن قطير ، وماء تمير ^(١) » .

وقيل لأعرابي : فيم كنتم ؟ قال : « كنا بين قدر قور ، وكأس تدور ، وحديث لا يحور ^(٢) » .

وقيل لأعرابي : ما أعددت للبرد ؟ قال : « شدة الرعدة ، وقرفصاء القعدة ، وذرب المدة ^(٣) » .

وقيل لأعرابي : « مالك من الولد ؟ قال : قليل خيث ؟ قيل له : ما معناه ؟ قال : « إنه لا أقل من واحد ، ولا أخبث من أثنى » .

وقيل لأعرابي - وقد أدخل ناقته في السوق ليبيها - صف لنا ناقك ، قال :

(١) التمير : الذي احضر ، وماء تمير : لبنج ، طبيا كان أو غير طب .
(٢) أن لا ينقص ، وربما كان لا يجرى بالجم . (٣) القرفصاء : أن يجلس عن أنيقه ، وينقص فضة بيته ، ويحبس يديه ويضمهما على ساقه ، أو يجلس على ركبتيه متكيا ، ويعلق يده بالخطبة ، ويعلق كتفه ، والقراب : الحدة ، والمدة كلمة وكسرة .

ما طَلَبْتُ عليها قَطُّ إِلَّا أَدْرَكْتُ، وَلَا طَلَبْتُ إِلَّا قُتُّ، وقيل له : فلم نبيهما ؟
قال : لقول الشاعر :

وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ يَا أُمَّ عَامِرٍ كَرَاهٍمَ مِنْ رَبِّهِنَّ ضَيْنِ
وقيل لأعرابي : ما عندكم في البادية طيب ؟ قال : « حُرُّ الوحش لا يحتاج
إلى بَيْعَانٍ » .

وقيل لِشَرِيحِ القاضى : هل كلك أحد قَطُّ فلم تُطِقْ له جواباً ؟ قال : ما أَعْلَهُ
إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَعْرَابِيًّا، خاسم عندى وهو يشير بيديه ، قلت له : أَمْسِكْ ، فإنَّ
لسانك أطولُ من يدك ، قال : « أَسَامِرِي أَنْتَ لَا تَمْسُ ؟ » (١) .

(الفتح المريد ٢ : ١٧)

وقيل لأعرابي : أَيُّ الألوانِ أَحْسَنُ ؟ قال : « قَصُورٌ بَيْضٌ » ، فى حدائقِ
خُضْرٍ » .

وقيل لآخر : أَيُّ الألوانِ أَحْسَنُ ؟ قال : « بَيْضَةٌ » ، فى رَوْضَةٍ ، عن غِبِّ
سَارِيَةٍ ، والشمسُ مُكَبَّدَةٌ » .

(١) يشير إلى قوله تعالى : « قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ » ، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ
يَبْصُرُوا بِهِ ، فَتَبَيَّنْتُ قُبَّةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ، وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ،
قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ » .

والسامري : هو موسى بن ظفر السامري نعمة إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها : السامرة ، وكان
من قوم يسمون البقر ، وقع فى مصر ، فدخل فى بني إسرائيل ، وآمن بموسى ، وكان منافقاً لا يزال فى قلبه
عبادة البقر ، فلما ذهب موسى لمناجاة ربه قنَّ بني إسرائيل ، وكانوا حين خرجوا من مصر حلوا معهم من
حل أَلْبَسَ اللهُ أَعْلُوها منهم وحائن حل ما يقرضونهم من المال - فالتفت لهم منها جبلاً جديداً له غوار . . .
إلى آخر ما هو معروف فى القصة ، من أثر الرسول : أى من أثر حاتم الرسول وهو جبريل ، والأثر :
البراب الذى تحت حافره ، والماس مصلو ماس ، وهو نى أريه به التمسى ، أى لا تمس ولا أمسك .

(٢) البيضة : ساحة القوم وبجهم ، والسارة : السهلة تسمى ليلاً ، وكبدت الشمس النباء : صارت
وكبدتها أى وسطها ، وفى الأصل « مكبدة » بالياء وهو تصحيف .

وخطب أعرابي إلى قوم فقالوا : ما تبذل من الصداق ؟ وارفع السيوف^(١)
 فرأى شيئاً كرهه فقال : « والله ما عندى هدى ، وإنى لأكره أن يكون على دين » .
 (حيون الأعيان ٢ : ص ٢٠٠)
 وقيل لأعرابية مات ابنها : « ما أحسن عزائك عن ابنك ! » ، فالتت :
 « إن مصيبتى آمنتنى من المصائب بدمه » .

وقال محمد بن حرب اللالى : قلت لأعرابي : « إني لك قواد » ، قال : « وإن كنت
 من قلبى رائداً » . (البيان والخبير ١ : ١٤٦ ، والبيان والخبير ٢ : ٩٢)
 وقال الأصمى : رأيت أعرابياً أمامه شاة ، فقلت لمن هذه الشاة ؟ قال :
 « هى لله عندى » . (القد القريه ٢ : ٨٦ ، وحيون الأعيان ٢ : ص ٢٠٩)

قولهم فى الاستمناح والاستجداء

٢٥ — أعرابي يحتدى عتبة بن أبى سفيان

اعترض أعرابى لعتبة بن أبى سفيان ، وهو على مكة ، فقال : أيها الخليفة ، فقال :
 لستُ به ، ولم تُبْعِد ، قال : يا أخاه ، قال : أستمقت قتل ، قال :
 « شيخ من بنى عامر يقترب إليك بالمؤومة ، ويختص بالثؤولة ، ويشكو إليك
 كثرة العيال ، ووطأة الزمان ، وشدة فقر ، وتراؤف ضرر ، وعندك ما يسّسه ويصّرف
 عنه يؤسه » قال : « أستمغر الله منك ، وأستعينه عليك ، قد أسرحت لك ريفناك ،
 فليت إسراعتنا إليك ، يقوم بإبطائنا عنك » .
 (البيان والخبير ٣ : ٢٢٠ ، والقند القريه ٢ : ٨١)

(١) السيوف بالفتح والكسر : قتر .

٢٦ - أعرابي يجتدى عمر بن عبد العزيز

وأتى أعرابي عمر بن عبد العزيز ، فقال :

« رجل من أهل البادية ، سألته إليك الحاجة ، وبلغت به الناية ، والله سألتك عن مائة أوى غداً ، فقال عمر : « والله ما سمعت كلمة أبلغ من قاتل ، ولا أوعظ لقول له منها » .
(السند القوي ٢ : ٨٣ ، والأمال ٢ : ١٧٤ ، ولبيلان وصحين ٢ : ٢٣١) .

٢٧ - خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك

وكانت الأعراب تنسج هشام بن عبد الملك بأخطب كل عام ، فتقدم إليهم الحاجب يأمرهم بالإيجاز ، فقام أعرابي ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
يا أمير المؤمنين ، إن الله تبارك وتعالى جعل المطاء حجة ، والمنع مَبْفَضَةٌ ،
فَلَا نَحْبُكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُبْفِضَكَ ^(١) ، فأعطاه وأجرل له . (السند القوي ٢ : ٨٣)

٢٨ - مقام أعرابي بين يدي هشام

وقام أعرابي بين يدي هشام فقال :

« يا أمير المؤمنين ، أنت على الناس ثلاث سنين ، أمّا الأولى : فَلَحَتِ ^(٢) اللحم ،
وأما الثانية : فَأَكَلَتِ الشَّحْمَ ، وأما الثالثة : فهاضت ^(٣) المتظم ، وعندكم فضول
أموال ، فإن كانت لله فاقسموها بين عياده ، وإن كانت لهم ففيم تحطرو ^(٤) عنهم ؟
وإن كانت لكم فتصدقوا عليهم بها ، إن الله يحزى المتصدقين ، قال هشام : هل من
حاجة غير هذه يا أعرابي ؟ قال : « ما ضربتُ إليك أكباد الإبل ، أدريعُ المَجِير ،
وأخوضُ الدُّحَى نخلصُ دون عام » ، فأمر هشام بمال ، فقسّم بين الناس ، وأمر

(١) يروى هذا لحد بن أبي الجهم البصري : قاله في حاضرة هشام أيضاً . انظر الجزء الثاني ص ٢٢٢ .

(٢) من لحا الشجرة : أخذ لحما (بالكسر) وهو قشرها . (٣) هاض المتظم : كسره بعد

الجهود فهو مبيض ، وفي رواية : « وعام أثنى المتظم » أي ومن إلى نقوه (بالكسر) وهو يخ المتظم .

(٤) تحجب وتمنع .

للأعرابي جمال ، قال : « أكلُّ المسلمين له مثل هذا ؟ » قالوا : « لا ، ولا يقوم بذلك بيتُ مال المسلمين » ، قال : « فلا حاجة لي فيما يبيِّت لأئمة الناس على أمير المؤمنين »
(عون الأعيان ٢ : ص ٢٢٨ ولفظه للزبيدي ٢ : ٨٢)

٢٩ - أعرابي يستجلى عبيد الله بن زياد

وقال الثمني : وقف أعرابي بباب عبيد الله بن زياد فقال :

« يا أهل القنطرة ^(١) ، حَبِّب ^(٢) السحاب ، واضمخ الرِّباب ^(٣) ، واستأسدت الذناب ^(٤)
ورُدِمَ السُّد ^(٥) ، وَقَلَّ الحَفْد ^(٦) ، ومات الولد ^(٧) ، وكنت كثير العناء ^(٨) ، صَحِب ^(٩)
الشقاء ، عظيم الدَّلاء ^(١٠) لا اتصال الزمان ، وَغَفَلَ ^(١١) الخدنان ، حَى حِلَال ^(١٢) ، وعدد
ومال ، فَتَفَرَّقَا أَيَدَى سَبَا ^(١٣) ، بين قد الأبناء والآباء ، وكنت حسن الشَّارة ^(١٤) ،
خَصِيب الدَّارَة ^(١٥) سليم الجارة ^(١٦) ، وكان محلى حَى ، وقوى أُمِّي ^(١٧) ، وعزى جدِّي ^(١٨) »

(١) القنطرة : القنطرة والقنطرة ، وفي الأصل : « القنطرة » وهو تحريف - والقنطرة
القنطرة والقنطرة - . (٢) حَبِّب المطر وغيره : احبس ، والرياب : السحاب الأبيض .
(٣) الرِّباب : السحاب ، وفي الأصل : « الرِّباب » . (٤) استأسدت : جمع - الله .
(٥) السُّد : جمع جاف : وهو القنطرة والقنطرة ، وكل طالب فضل أو رزق .
(٦) وصف من الصخب بالصخب وهو شدة الصوت ، والقنطرة جمع صاخ كقاضي ، وفي الأصل : وصف
السفاه وأراد عرفا . (٧) في الأصل : « عظيم القنطرة » وأراد عرفا من « الدلاء » ، والدلاء
كقنطرة جمع مال كقاضي ، وهو النازح في القنطرة المستقر به الله من البحر . يقال : أدليت قنطرة دليتها :
إذا أرسلتها في البحر . ودليتها أدلوها فأنا ذال ، إذا أخرجتها . (٨) الخلل بالضمير : القنطرة ،
والخدنان : ثوب القنطرة وسراويله ، وفي الأصل : « ولا أظن الخدنان » وأراد عرفا . وربما كان الأصل
« ولا يغفل الخدنان » بتكرير لام الجر . (٩) الخلة بالكسر : أقدم القنطرة ، والجمع حلال وحلل
ككتائب وحلب ، وتطلق الخلة على القيود مجازاً نسبة للحل باسم الخلال ، وفي مادة بيت فافقوها .
(١٠) يقال : ذهبوا أيدي سب ، وتفرقوا أيدي سب ، وأيادي سب ، أي ذهبوا ، ذهبوا بأهل سباً
منهم الله في الأرض كل فرق ، فأنط كل طائفة منهم طريقاً على سب ، والله : الطريق . يقال : أخذ
القوم يد سب ، فليل القوم إذا تفرقوا في جهات مختلفة : ذهبوا أيدي سب ، أي فرتهم طريقهم فلي
سلوكها كما تفرق أهل سباً في مذاهب شتى والعرب لا تهز سباً في هذا الموضع ، لأنه كثير في كلامهم
فاستقلوا فيه الهزبة وإن كان أصله هموزاً ، وقد يهز أيدي سب ، وأيادي سب على السكون لكونه
مركباً تركيب خمسة عشر .

(١١) القنطرة : القنطرة والقنطرة ، وفي الأصل : « القنطرة » . (١٢) الدلاء : الدلاء .

(١٣) الجارة : من مذهبها : القنطرة . (١٤) الأسي جمع أسوة : وهي القنطرة .

(١٥) الجدا : القنطرة ، والقنطرة القنطرة .

قضى الله - ولا رُجُآنَ لما قَصَى - بِسَوَافٍ^(١) المال ، وَشَتَاتِ الرجال ، وَتَشْتَرُ الحلال
فَأَعِينُوا مَنْ شَخَصَهُ شَاهِدُهُ ، وَلِيَأْتَهُ وَافِدُهُ ، وَقَرُّهُ سَاحِلُهُ وَقَائِدُهُ .
(زهر الآداب ٣ : ٢٠٧)

٣٠ - أعرابية تستجدي عبد الله بن أبي بكر

ودخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكر بالبصرة ، فوقت بين الثماطين^(٢)
فصالت :

« أوصح الله الأمير وأمتح به ، حَدَرْتُنَا إِلَيْكَ سَنَةً اشْتَدَ بِلَاؤُهَا ، وَانْكَشَفَ
غِطَاؤُهَا ، أَقْوَدُ صَبِيَّةً صَفَاراً ، وَآخِرِينَ كِبَاراً ، فِي بِلَدَةٍ شَاسِعَةٍ ، تَخْفِضُنَا خَافِضَةً ،
وَتَرْفَعُنَا رَافِعَةً ، لِمِلَّتٍ مِنَ الدَّهْرِ ، بَرَّيْنِ عَظَمَى ، وَأَذْهَبَيْنِ لَحَى ، وَتَرَكْنِي وَآلِهَةً ،
أُدُورُ بِالْحُضِيِّضِ ، وَقَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ الْعَرِيضُ ، فَسَأَلْتُ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ : مَنْ الْكَامِلَةُ
فَضَائِلُهُ ، الْمُنْطَى سَائِلُهُ ، الْكَفَى نَائِلُهُ ؟ فَدَلَّيْتُ عَلَيْكَ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى - وَأَنَا إِسْرَاءُ
مِنْ هَوَازِنَ ، قَدْ مَاتَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَالِدُ ، وَأَنْتَ بَدَا اللَّهُ غِيَاثِي ، وَمُنْتَهَى أَمَلِي ، فَاصْلُ
بِي إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : إِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بِلَدِي ، أَوْ تُنَحِّنَ صَعْدِي^(٣) ، أَوْ تَقِيمَ أَوْدِي
فَقَالَ : بَلْ أَجْمَعُنَّ لَكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يُجَرِّى عَلَيْهَا كَمَا يُجَرِّى عَلَى عِيَالِهِ حَتَّى مَاتَ .
(زهر الآداب ٣ : ٣٠٦)

وروى صاحب المقد قال :

قال الأنصمي : وقتت أعرابية على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى
عنهما فقالت :

« إِنِّي أَنْيْتُ مِنْ أَرْضٍ شَاسِعَةٍ ، تَخْفِضُنِي خَافِضَةً ، وَتَرْفَعُنِي رَافِعَةً ، فِي بَوَادِي

(١) السواف بالقلم ويصنع مرضى الإبل ، وصاف المال يسوف ويساف هناك ، أو وقع فيه السواف .

(٢) الساطان من الناس : الجانيان . (٣) تنحدر : السواد .

بَرَّيْنِ لِحَى ، وَهَضَنْ^(١) عَطَى ، وَتَرَكْنِي وَالِمَةَ ، قَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ ، بَعْدَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ،
وَكثْرَةِ مِنَ الْعَدَدِ ، لَا قَرَابَةَ تُؤَلِّفُنِي ، وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِيْنِي ، فَالْتَأَمَّ أَحْيَاءُ الْعَرَبِ ،
مَنْ الْمُرْتَجَى سَيِّئُهُ^(٢) ، لِلْأُمُونِ عَيْنُهُ ، الْكَثِيرُ نَائِلُهُ ، الْمَكْفِيُّ سَائِلُهُ ، فَذَلَّلْتُ عَلَيْكَ ،
وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ ، قَدَّمْتُ الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ ، فَاصْنَعْ فِي أَمْرِي وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثَ : إِمَّا أَنْ
تُخَيِّنَ صَفْدِي ، وَإِمَّا أَنْ تَقِيمَ أَوْدِي ، وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي » قَالَ : يَا أَجْمَعُ
لَكَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهَا . (اللمعة القنبرية ٢ : ٨٢)

٣١ — أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري

وَدَخَلَ أَعْرَابِي عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ ، قَالَ :
« أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ : شَيْخٌ كَبِيرٌ ، حَدَّثَنِي إِلَيْكَ بَارِيَةُ الْعِظَامِ^(١) ، وَمُورُوثَةُ
الْأَسْقَامِ ، وَمُعْطَاةُ الْأَعْوَامِ ، فَذَهَبَتْ أَمْوَالُهُ ، وَذُعِدَّتْ^(٢) آيَالُهُ ، وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُ ،
فَلَمَّا رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يَتَجَمَّرَهُ بِفَضْلِهِ ، وَيَنْقُشَهُ بِسِجْلِهِ^(٣) ، وَيَرُدَّهُ إِلَى أَهْلِهِ ! » قَالَ :
كُلَّ ذَلِكَ ، وَأَمْرُهُ بِمِثْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ . (الامالك ٢ : ٤٩)

٣٢ — أعرابي يستجدي معن بن زائدة

وَقَدَّمَ أَعْرَابِي مِنْ بَنِي كِنَانَةَ عَلَى مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ وَهُوَ بِالْمِمْسِ قَالَ :
« يَا وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ سَبَبًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ وَالرَّحِمِ ، أَقْوَى مِنْ رِخْلَةٍ مِثْلِي مِنْ أَهْلِ
السَّنِّ وَالْحَسَبِ إِلَيْكَ مِنْ بِلَادِهِ ، بِلَا سَبَبٍ وَلَا وَسِيلَةٍ ، إِلَّا دَعَاكَ إِلَى الْمَكَارِمِ ،
وَرَغْبَتِكَ فِي الْمَرْوُوفِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَضَعَنِي مِنْ نَحْسِكَ بِخَيْثُ وَضَعْتَ نَفْسِي مِنْ رِجَائِكَ
فَأَنْفَلَ » فَوَصَّلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ . (اللمعة القنبرية ٢ : ٨٠)

(١) هاض العظام : كسره بعد الجيزد . (٢) السبب : السوط .
(٢) حدته : ساقته ، وهاربة العظام : أي التكنبات التي تفرق العظام ، مؤنثة : مهيبة ، من العاروث
وهو إتيان النار .
(٣) ذمعت : فرقت ، وآبيل جمع إبل . (٥) السجل في الأصل : الدلو النظيفة مملوءة .

٣٣ - خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام

عن أبي زيد قال : بَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا أَعْرَابِي قَالَ :

« يَا مُسْلِمُونَ ، إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، وَالصَّلَاةَ عَلَى نَبِيِّهِ ، إِيَّيْهِ مِنْ أَهْلِ هَذَا اللَّيْلِطِطِ الشَّرْقِيِّ الْمَوَاصِي أَسِيافَ تِهَامَةٍ ^(١) ، عَكَفَتْ عَلَى مِينُونَ تَحْش ^(٢) ، فَاجْتَبَتْ الذَّرَى ، وَهَشَّتْ الْعَرَى ^(٣) ، وَجَحَشَتِ النَّجْمَ ، وَأَعَجَبَتِ الْبَنَمَ ^(٤) ، وَهَمَّتِ الشَّحَمَ ، وَالتَّحَبَّتِ اللَّحْمَ ، وَأَحْجَبَتِ الْقَطَمَ ^(٥) ، وَغَادَرَتِ التَّرَابَ مَوْرًا ، وَالْمَاءَ غَوْرًا ، وَالنَّاسَ أَوْزَاعًا ^(٦) ، وَالنَّبْطَ قُصَاعًا ، وَالضَّهْلَ جُزَاعًا ، وَالْقَامَ جَنْجَاعًا ^(٧) ، يُصَبِّحُنَا الْمَآوَى ، وَيَطْرُقُنَا الْمَآوَى ^(٨) ، فَخَرَجْتُ لَا أَتْلُقُ بَوْصِيدَةً ، وَلَا أَتَفَوِّتُ هَبِيدَةً ^(٩) ، فَالْبَحْصَاتُ وَقِيَّةٌ ، وَالرُّكْبَاتُ زَلِمَةٌ ، وَالْأَطْرَافُ قَقِيَّةٌ ^(١٠) ، وَالْجِسْمُ مُسْلَمٌ ، وَالنَّظَرُ مُذْرَمٌ ^(١١) ، أَغْشُو فَأَغْطِشُ ، وَأَضْحَى فَأُخَشِّشُ ^(١٢) ، أَشْهَلُ ظَالِمًا ، وَأُحْزِنُ رَاكِبًا ^(١٣) ، فَهَلْ مِنْ آسِرٍ

- (١) اللَّيْلِطِطِ : كل شاعر نهر أو واد ، والمَوَاصِي والمَوَاصِل واحد ، يقال لوَاصِي فلان : إذا اتصل به بعض بعض ، وأسياف جمع سيف بالكسر : وهو ساحل البحر . (٢) عَكَفَتْ : أقامت ، والْمِينُونَ الجند ، وعَشْ : جمع عوش كصبور ، وهي التي تحش (يضم الخاء) الكلا أي تحرق .
(٣) اجْتَبَتْ : فتلعت واستأملت ، وهَشَّتْ : كسرت ، والعَرَى جمع عروة ، والعروة : القطعة من الشجر لا يزال باقياً على الجذع ثماء أو الوشم . (٤) جَحَشَتْ : احتلقت ، والْبَنَمَ : ما نجم ولم يستقل من ساق ، وأعجبت : أي جعلها عجبا ، والْحَمَمِ : السبي . فغاد المهازول .
(٥) هَشَّتْ : أذاهت ، والقرب تقول : هَشَّك ما أمرك ، أي أذاهك ما أحرزك ، والْتَحَبَّتِ اللحم : أي مرقت من القطم ، وأحجبت النظم : أي عوجته فصيرته كالحنين . (٦) مَوْرًا : اضطرب وماع ، والغور : القفار ، أَوْزَاعَ : فرق . (٧) النَبْطَ : الماء الذي يستخرج من القهر أول ما تنفجر ، والقُصَاعُ : الماء الملح المر : والضَّهْلُ : القليل من الماء ، والجَزَاعُ : أشد المياه مرارة ، والجَمْجَامُ : المكان الذي لا يطمئن من قده عليه . (٨) الْمَآوَى : الجراد ، والمَآوَى : القلب .
(٩) الْقَطَمَ : الاشتغال ، والرَّصِيدَةُ : كل نسبة ، والمِيَّةُ : حب الخنظل يبالغ حتى يطلب فيخبز . (١٠) الْبَحْصَاتُ جمع بحصة ، وهي لحم يابن القدم ، ووقية : من قولم : وقع الرجل كقرح إذا اشتكى لحم يابن قدمه ، وزله : متشقة ، وقفة وقفة واحد : وهي التي قد تهبست ويبست .
(١١) الْمُسْلَمُ : الغنم الخضر ، والمُذْرَمُ : التمهيد للبحر الذي قد خفف بصره من جوع أو مرض . (١٢) أَغْشُو : أغشى : فأغشى : أصبح ضلماً (بكسر اللام) وأغشى حركة : ضف في البحر ، وضى : لغس كقرح وضى : برزخا ، وأغشى بالتحريك : ضف في البحر خفة ، أو ضف في الجوف بلا وجع أو أن يهرى بالليل دون النهار . (١٣) أَشْهَلُ ظَالِمًا : أي إذا شئت فيسهل ظلمت ، وظلع كنع : غز من مشه ، وأحزن راكبا : أي إذا طوت الجوز ركمت أي كبرت لوجعي .

يَعْمَرُ^(١)، أوداع بخير ؟ وقاكم الله سَطَوَةً القادر ، ومَلَكَه الكاهِر^(٢) ، وسوء
الوارد ، وقَضُوح المَصادِر ، قال : فأعطيت ديناراً وكتبت كلامه ، واستضرت به
مالم أعرفه . (الأمال : ١ : ١١٢)

٣٤ - خطبة الأعرابي السائل في المسجد الجامع بالبصرة

وروى الجاحظ قال :

قال أبو الحسن : سمعت أعرابياً في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة ثلاث
وخمسين ومائة : وهو يقول :

« أما بعد : فإننا أبناء سبيل ، وأنصاء^(٣) طريق ، وقَلَّ^(٤) مَنَعٌ . تصدّخوا علينا ،
فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا حمل بعد الموت ، أما والله إننا لنقوم
هذا المقام ، وفي الصدر حرّازة^(٥) ، وفي القلب غُصّة^(٦) . (البيان والتمهيد : ٢ : ٤٦)

٣٥ - صورة أخرى

وروى أبو علي القالي هذه الخطبة بصورة أخرى ، وهما كها :

عن يونس قال : وقف أعرابي في المسجد الجامع في البصرة فقال :

« قَلَّ النَّيْلُ ، ونَقَصَ الكَيْلُ ، وعَجِفَتِ^(٧) الخيل ، والله ما أصبحنا ننفع
في وَضَح^(٨) ، وما لنا في الديوان وَشْمَةٌ^(٩) ، وإنا لِعِمَالٌ جَرَبَةٌ^(١٠) ، فكل من مُعِين ،
أعانه الله ، يُعِين ابن سبيل ، ونَصُوَ طريق ، وقَلَّ سَنَةٌ ؟ فلا قليل من الأجر ، ولا غنى
عن الله ، ولا حمل بعد الموت » . (الأمال : ٢ : ١١٧)

(١) المير : العلية ، من قولهم : مارم يبرم مبراً . (٢) الكاهر والقاهر : واحد ، وقد قرأ
بعضهم (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَكْهَرْ) .

(٣) أنصاء : جمع نصو كقوله : وهو المهزول ، أي قد حرّنا وأنصنا سلوك الطريق .

(٤) مَنَعٌ : الجلب والقبض ، وقوم قل : مهزومون ، والجمع قولون والقلان ، أي حرّنا القنط .

(٥) الحرّازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه . (٦) حرّك . (٧) القوض : القين ، مري .

وضماً ليهانه . (٨) القوشة : مثل القوش في الفراخ ، يريد الخط .

(٩) الجربة : الكعير ، أو القهال يأكلون ولا ينعون .

٣٦ - صورة أخرى

ورواها صاحب المقد قال : وقف أعرابي على حلقه يؤنس قال :
« الحمد لله ، وأعوذ بالله ، أن أذكرك به وأنساه ، إنا أناس قديمنا المدينة ثلاثون رجلا
لا ندفن ميتاً ولا نتحول من منزل وإن كرهناه ، فرحم الله عبداً تصدق على ابن سبيل ،
ونضو طريق ، وفلّ سنة ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا حل بعد
الموت ، يقول الله عز وجل : (مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ الله قرضاً حسناً) إنا الله
لا يسترض من عوز ، ولكن لينبؤ خيار عباده . » (لفظ القريد ٢ : ٨٢)

٣٧ - أعرابي يستجدي

وقال اللداني : سمعت أعرابياً يسأل وهو يقول :
« رحم الله اسماً لم يجمع أذناه كلامي ، وقدم نفسه ممادة^(١) من سوء مقامي ، فإن
البلاد مجذبة ، والدار مضئمة ، والحال سيئة^(٢) ، والحياه زاجر ينهي عن كلامكم ،
والدمم عاذر يملأ على إخباركم ، والدعاء إحدى الصدكتين ، فرحم الله امرأ أمر
بمخير^(٣) ، أو دعا بخير » ، فقال له بعض القوم : بمن الرجل ؟ قال : « بمن لا تنفكم
معرفة ، ولا تضركم جهالة ، ذلك لا كساب ، يمنع من عز الانتساب . »
(البيان والبيان ٣ : ٢١٧ ، واللفظ القريد ٢ : ٨١ ، والآمال ١ : ١٣٨)

٣٨ - أعرابي يستجدي

وقال الأحمي : أصابت الأعراب أعوام جذبة وشدة وجهد ، فلعلت طائفة منهم
البصرة وبين يديهم أعرابي وهو يقول :

« أيها الناس ، إخوانكم في الدين ، وشركاؤكم في الإسلام ، عابرو سبيل ،

(١) الممادة والممادة والممادة : الالقاء . (٢) وفي الآمال « والحال سيئة » أي محبة .
(٣) دار معاليه مير : جلب لهم الميرة (بالكسر) وهي القطع ، وفي لفظه : « فرحم الله امرأ يبر ،
وعلماً بغير » .

وأفلال بُؤس ، وصَرَعى جَدَب ، تَابَت علينا سِنُونُ ثَلَاثَةَ ، غَبَرَتِ ^(١) النَّعَم ، وأَهْلَكَتِ النَّعَم ، فَأَكَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ جُلُودِهَا فَوْقَ عِظَامِهَا ، فَلَمْ تَزَلْ نَمْلَأُ بِذَلِكَ أَنْفُسَنَا ، وَنَمْنِي بِالنَّيْثِ قُلُوبَنَا ، حَتَّى عَادَ نُحْنَأُ عِظَامَنَا ، وَعَادَ إِشْرَاقُنَا ظِلَالَنَا ، وَأَقْبَلْنَا إِلَيْكُمْ بَعَثَرْنَا الْوَعْرَ ، وَبُكِينَا ^(٢) السَّهْلَ ، وَهَذِهِ آثَارُ مَصَائِبِنَا لِأَمْعَةٍ فِي سَمَاتِنَا ، فَرَحِمَ اللَّهُ مُتَصَدِّقًا مِنْ كَثِيرٍ ، وَمُؤَسِّيًا مِنْ قَلِيلٍ ، فَلَقَدْ عَظُمَتِ الْحَاجَةُ ، وَكَسَفَ الْبَالُ ، وَبَلَغَ الْمَجُودُ ، وَاللَّهُ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ .

٣٩ - أعرابي يستجدي

وقال الأعمشى : كُنتَ فِي حَلَقَةٍ بِالْبَعْرَةِ إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا أَعْرَابِي سَائِلًا ، قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ الْفَقْرَ يَهْتَكَ الْحَبَابُ ، وَيُزِيرُ ^(١) السَّكَّابَ ، وَقَدْ حَمَلْتُنَا سِنُونُ الْمَصَائِبِ ، وَتَسَكَبَتِ الدُّهُورُ ، عَلَى مَرْكَبِهَا الْوَعْرُ ، فَوَاسُوا أَبَا أَبْتَامَ ، وَنَضَوْ زَمَانَ ، وَطَرِدَ يَدَ فَاقَةٍ ، وَطَرِجَ هَلَكَةَ ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ . »

٤٠ - أعرابي يستجدي

وقال الأعمشى : وَقَفَ أَعْرَابِي عَلَيْنَا فَقَالَ : « يَا قَوْمَ : تَابَتِ عَلَيْنَا سِنُونُ بِتَضِيرٍ وَانْتِصَاصٍ ، فَأَتَرَكْتُ لَنَا هَيْبًا وَلَا رَبَئِيًا ^(١) ، وَلَا عَافِطَةً ، وَلَا نَافِطَةً ^(٢) ، وَلَا نَائِغِيَّةً وَلَا رَائِغِيَّةً ، فَأَمَاتَتِ الزَّرْعَ ، وَقَتَلَتِ الصَّرْعَ ، وَعِنْدَكُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَضْلٌ نِعْمَةٌ ، فَأَعِينُونِي مِنْ عَمِيَّةٍ مَا آتَاكُمْ اللَّهُ ، وَارْحَمُوا أَبَا أَبْتَامَ ، وَنَضَوْ زَمَانَ ، فَلَقَدْ خَلَقْتُ أَقْوَامًا يَمْرَضُونَ وَلَا يَكْفُونُ مِنْهُمْ ، وَلَا يَنْتَقِلُونَ مِنْ مَنْزِلٍ ، وَإِنْ كَرِهَوهُ ، وَلَقَدْ مَشَيْتُ حَتَّى اتَّصَلْتُ الدَّمَاءَ ، وَجُئْتُ حَتَّى أَكَلْتُ التَّرَى . »

(١) غيره لطفه بالبرء وأوهى وغيرت وبالياء . (٢) أى يسترنا . (٣) جارية كلاب ونهى ثعالب . (٤) المبح : الفصل ينتج في آخر التناج ، والمربع : الفصل ينتج في المربع ، وهو أول التناج . (٥) النافطة : النسيبة ، من المقط : وهو المصروط ، سقطت كضرب : شرطت نفس عاقلة ، والمقط أبداً : تثير الضمان تثير بالجوهر كما يثير الحمار ، والنافطة : التتر ، من النقط : سقطت كضرب : تثيرت بأنفسها أو سقطت نفسى نافطة ، أو لأنها تنشط بيوها : أى تكفه دفناً ، أو النافطة إتياع للمعاقلة ، أو المعاقلة : الآلة الرماة ، والنافطة : الشاة .

٤١ - أعرابية تستجدي

وقال الأعمى : وقت أعرابية قالت :

« باقوم سَنَة جَرَدَتْ ، وأيدِرْ جَدَّتْ ، وحال جَهَدْتُ ^(١) ، فهل من فاعِلٍ خَيْرٍ ،
وَأَمِيرٍ بِمِيرٍ ؟ رَحِمَ اللهُ من رَحِمٍ ، فَأَقْرَضَ من لا يَظْلَمُ » .

(العقد الفريد ٢ : ٨٠ - ٨٤)

٤٢ - أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي بقوم فقال :

« أَشْكُو إِلَيْكُمْ أَيُّهَا اللَّأُ زَمَانًا ، كَلَّحَ في وَجْهِه ، وَأَنَاحَ عَلَى بَيْكَاسِكَلَهْ ، بَعْدَ
نَمَةٍ مِنَ الْمَالِ ، وَثَرَوَةٍ مِنَ الْمَالِ ، وَغَيْبَةِ مِنَ الْحَالِ ، اغْتَوَرْتَنِي جَدَائِدُهُ ^(٢) ، بَنَيْتُ
مَصَائِبِهِ ، عَنْ قَيْسٍ نَوَائِبِهِ ، فَاتْرَكَ لِي ثَاغِيَهُ ^(٣) أَجْتَدِي ضَرْعَهَا ، وَلَا رَاغِيَةً أُرْنِي
فَمَهَا ، فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ مُعِينٍ عَلَى صَرْفِهِ ، أَوْ مُعَدٍّ ^(٤) عَلَى حَتْفِهِ ؟ » ، فَرَدَّ الْقَوْمُ عَلَيْهِ ،
وَلَمْ يُبَيِّلُوهُ شَيْئًا ، فَأَنشَأَ يَقُولُ :

قَدْ ضَاعَ مِنْ بَأْ كُلِّ مَنْ أَمَثَلَكُمْ جُودًا ، وَلَيْسَ الْجُودُ مِنْ فِئَالِكُمْ
لَا بَارِكَ اللهُ لَكُمْ فِي مَالِكُمْ وَلَا أَزَاحَ السُّوءَ عَنْ عِيَالِكُمْ
فَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ صَلاَحِ حَالِكُمْ

٤٣ - أعرابي يستجدي

وَسَمِعَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ وَهُوَ يَقُولُ :

« يَا قَوْمَ تَصَدَّقُوا عَلَى شَيْخٍ مُعِيلٍ ، وَعَابِرِ سَبِيلٍ ، شَهِدَ لَهُ ظَاهِرُهُ ، وَسَمِعَ شَكْوَاهُ

(١) جهده المرض كنع : هزله .

(٢) سَنَة جَدَاء : محلة جعدة ، والجفاء من كل حلوبة : للذهبية اللبن من حبيب ، والجفودة :
القليلة اللبن من غير حبيب ، والجمع جدائد وجداد . (٣) ثَاغِيَةً : اللقاة من اللقاة بالضم ، وهي صوت
الغنى ، والراغية : اللقاة ، من الرغاء ، وهو صوت الإبل .

(٤) مُعَدٍّ : أعداه عليه : نصره وأعلمه وقواه .

خالقهُ ، بَدَنُهُ مطلوب ، وثوبه مسلوب » ، فقال له : من أنت ؟ قال : رجل من بني سعد في دِيَارِ كَرِمَتِي ، قال : فكم هي ؟ قال : مائة بعير ، قال : دُونَكُمَا في بطن الوادي .
(الحدقة القرية ٢ : ٨٢ - ٨٣)

٤٤ - أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي على قوم قال :
« إِنَّا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أبناء سبيل ، وأنشاء طريق وقائية^(١) ، رحم الله امرأ
أعطى من سعة ، ووَاسَى من كِفَاف^(٢) .
فأعطاه رجل درهما قال : « أَجْرَكَ اللَّهُ من غير أن يَبْتَلِيكَ^(٣) » .

٤٥ - أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي يقوم قال :
« يا قوم : تنابعت علينا سِنُونُ بَحَاد^(١) شِدَاد ، لم يكن للسماء فيها رَجْع^(٢) ،
ولا للأرض فيها صَدْع^(٣) ، فَتَصَبَّ الْعِدَّةُ^(٤) ، وَنَشَفَ الْوَشْلُ^(٥) ، وَأَعْمَلَ الْخَصْبُ^(٦) ،
وَكَلَّحَ الْجَدْبُ ، وَشَفَّ^(٧) الْمَالُ ، وَكَتَفَ الْبَالُ ، وَشَقَّيفَ الْمَلَشُ^(٨) ، وَذَهَبَ الرِّيشُ^(٩) ،
وطرحتني الأيام إليكم غريب الدار ، نَأَى الْخَلْ^(١٠) ، ليس لي مالٌ أَرْجِعُ إليه ، ولا
عشيرة أَسْلُفُ بها ، فَارْحَمِ اللَّهُ امرأ رَحِمَ اغترابي ، وجعل المعروف جوابي » .
(الحدقة القرية ٧ : ٨٠)

(١) أي وحال قاسية ، ووجعا كان الأصل « وفزسة » . (٢) الجاد : السنة التي لا سطر فيها .
(٣) الرج : المطر ، لعمدة كزحين (٤) أي انشقق من التبات ، اقتبسه من الآية الكريمة :
(وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ وَالْأَرْضَ ذَاتَ الصَّدْعِ)
(٥) الله : الله الجاري الذي له مادة لا تنفخ كماء العين ، ونفس الله : غدا ، والوشل : الماء القليل
يصلب من جبل أو صخرة : ولا يصل قطره ، ونشف الماء في الأرض : ذهب « ونشف الخرض الماء
شربه » وأعمل : أجيب .
(٦) شف : رق ، والشقف بالتحريك : يسس الميش وشفته ، الرياش : الخال والخصب والملش

٤٦ - أعرابية تستجلى

وخرج المهدي يطوف بهذا^(١) من الليل ، فسمع أعرابية من جانب المسجد ، وهي تقول :

« قوم متظلمون ، نبت^(٢) عنهم الميون ، وقدحتهم الديون ، وعصتتهم السنون ، بادت رجالهم ، وذهبت أموالهم ، وكثر عيالهم ، أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ، وصية الله ووصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فهل من امرئ يجير ؟ كَلَّاهُ اللهُ فِي سَفَرِهِ ، وَخَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ » .

فأمر نصيراً الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

(النفق القريد ٢ : ٨٠ ، وزهر الآداب ٣ : ٢٤٤)

٤٧ - أعرابي يستجلى

ووقف أعرابي في شهر رمضان على قوم فقال :

« يا قوم : لقد ختمت هذه القريضة على أفواهنا من صُبْحِ أَمْسٍ ، ومعى بنتان لي ، والله ما عليّتهما تحللتا بحلال ، فهل رجل كريم يَرْحَمُ اليوم مقامنا ، ويرد حُشاشتنا^(٣) ؟ مَنَعَهُ اللهُ أَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ ، فَإِنَّهُ مَقَامُ ذُلٍّ وَعَارٍ وَصَغَارٍ » .

فافترق القوم ولم يعطوه شيئاً ، فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعاً ، ثم قال :

« أَشَدُّ وَاللهُ عَلَىَّ مِنْ سُوءِ حَالِي وَفَاقِي ، توهُي فيكم للمواساة ، أَنْتَعَاوُا الطَّرِيقَ ، لَا صَحْبَكُمْ اللهُ ! » .

(النفق القريد ٢ : ٨٧)

(١) أي حين هذا الليل ، أو هو أول الليل إل ذلك .

(٢) انحصتهم وازدوتهم ، وقدحتهم : أنقصتهم .

(٣) الحشاشة : بقية الروح في المريض ، والصغار : القل .

٤٨ - أعرابي يستجدي

وقام أعرابي يسأل فقال :

« أين الوجوه الصُّباح^(١) ، والقول الصُّباح ، والألسُنُ النِّصَّاح ، والأنساب الصُّراح^(٢) ، والمكارم الرِّياح ، والصدور النِّصَّاح ؟ تُمِيزُنِي مِنْ مَقَامِي هَذَا » .
(البيان والعيون ٢ : ٢٢٢)

٤٩ - أعرابي يستجدي

ودعا أعرابي في طريق مكة فقال :

« هل مِنْ عَائِدٍ بَقُضَ ، أَوْ مُؤَسٍّ مِنْ كِفَافٍ^(٣) ؟ » ، فَأَمْسِكَ عَنْهُ فَقَالَ :
« اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا فَتَنْجِزَ ، وَلَا إِلَى النَّاسِ فَتَنْضِيعَ » .
(البيان والعيون ٢ : ٢٢٤)

٥٠ - أعرابي يستجدي

وقف أعرابي فسأل قوماً فقالوا له : عليك بالصَّيَّارَةِ ، قَالَ : هُنَاكَ وَافَقَ قَرَارَةَ الْيَوْمِ !
(البيان والعيون ٢ : ٥٨)

٥١ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ناساً فقال : « جَلَّ اللَّهُ حَظُّكُمْ فِي الْخَيْرِ ، وَلَا جَلَّ حَظُّ السَّائِلِ مِنْكُمْ عِذْرَةً^(٤) صَادِقَةٌ » .
(البيان والعيون ١ : ٢١٥)

٥٢ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ، فقال له صبي من جوف القمار : « بُورِكَ فَيْكِ » ، فقال : قَبِّحَ اللَّهُ هَذَا الْقَمَمَ ، لَقَدْ تَعَلَّمَ الشَّرَّ صَغِيرًا » .
(البيان والعيون ٢ : ١٢٦)

(١) جمع صبيحة : وهي الجميلة من الصبغة كصبغة أي الجمال . (٢) جمع صريحة : وهي الجملة الخالصة . (٣) الكفاف من الرزق : ما كف من الناس وأمنه . (٤) العذرة : اسم من العذر .

٥٣ - أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي على قوم فتموه ، قال :
 « اللهم اشقنا بذكرك ، وأعِزنا من شخطك ، وأولِجنا إلى عفوك ، قد صَنَّ
 خَلْقُكَ برزقك ، فلا تَشَقَّنَا بما عندهم عن طلب ما عندك ، وآتِنَا من الدني
 القُنَمَان^(١) ، وإن كان كثيرها يُشخطك ، فلا خيرَ فيما يُشخطك » .
 (البيان والبيان ٢ : ٢٢٤)

٥٤ - أعرابي يستجدي

وقال أبو الحسن : وقف علينا أعرابي قال :
 « أخ في كتاب الله ، وجار في بلاد الله ، وطالب خيرٍ من رزق الله ، فهل فيكم
 من مؤاس في الله » .
 وسأل أعرابي رجلاً ، فاعتلَّ عليه فقال : « إن كنت كاذباً ، فبجلك الله صادقاً » .
 (المنه والفرية ٢ : ٨٤)

٥٥ - أعرابي يسأل رجلاً حاجة له

أتى أعرابي رجلاً (لم تكن بينه وبينه حرمة) في حاجة له ، قال :
 « إني امتطيتُ إليك الرجاء ، وسمِرتُ على الأمل ، ووقدتُ بالشكر ، وتوسَّلتُ
 بحسن الظن ، لحقق الأمل ، وأُخسِرَ الثَّوْبَةَ . وأكرِمَ القَعْدَ ، وأتممَ الودَّ ،
 وَهَجَلُ المراد » .
 (المنه والفرية ٢ : ٨٢ ، وزمر الآداب ٣ : ١٦٥)

قولهم في بكاء الموتي

٥٦ - أعرابية تبكي ابنها

وَحَبَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأَصَابَتْ بِهِ ، فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ وَجِيَّةٌ
قَالَتْ :

« وَاللهِ يَا بُنَيَّ قَدْ غَدَوْتُكَ رَضِيماً ، وَقَدَدْتُكَ سَرِيماً ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ
مُدَّةٌ أَلْتَدُّ بِبَيْتِكَ فِيهَا ، فَأَصْبَحْتَ بَدَ النَّصَارَةِ وَالْفَضَارَةِ ^(١) ، وَرَوَيْتَنِي الْحَيَاةَ ،
وَالْتَنَشَّمُ فِي طَلِبِ رَوَائِحِهَا ، تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَداً هَلِيداً ، وَرُفَاتَا سَحِيحاً ،
وَصَمِيداً جُرُزاً ^(٢) .

أَيُّ بُنَيَّ قَدْ سَحَبَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ ، وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْيَلَى ، وَرَمَتْكَ
بِمَلَكِ نَسْكَبَةِ الرَّدَى ، أَيُّ بُنَيَّ قَدْ أَشْفَرَنِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحَ دَاجِرٍ غَلَامُهُ ^(٣) ،
ثُمَّ قَالَتْ :

أَيُّ رَبِّ ، وَمَنْكَ الْمَلَلُ ، وَمِنْ خَلْقِكَ الْجُلُوزُ ، وَهَبْتَنِي قُرَّةَ عَيْنٍ ، فَلَمْ
تَمْتَنِّ بِهِ كَثِيراً ، بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكَاً ^(٤) ، ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ ، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ ،
فَصَدَقْتُ وَعْدَكَ ، وَرَضِيتُ قَضَاكَ ، فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَيَّ مِنْ أَسْتَوْدَعْتَهُ
الرَّدَمَ ^(٥) ، وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهُ ، وَآئِينَ وَخَشَتَهُ ، وَأَسْتَرْعِزْزَتَهُ ،
يَوْمَ تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ ^(٦) وَالسَّوَدَاتُ .

-
- (١) النَّصَارَةُ : النِّصَّةُ وَالْحَسَنُ وَالْفَنَى ، وَالْفَضَارَةُ أَيْهَا : النِّصَّةُ وَالصِّمَّةُ وَالنَّصَبُ :
(٢) أَطْبَاقُ جَمْعُ طَبَقٍ : وَهُوَ وَجْهُ الْأَرْضِ ، وَالرُّفَاتُ : الْخَطَامُ ، وَصَمِيداً : مَسْحُوقاً ، وَالصَّمِيدُ :
الْقَرَابُ ، أَوْ وَجْهُ الْأَرْضِ وَأَرْضُ جِزْزٍ : لَا تَنْبُتُ ، أَوْ أَكَلُ نَبَاتِهَا ، أَوْ لَمْ يَصِبْهَا مَطَرٌ .
(٣) أَشْفَرُ الصَّبْعِ وَشَفَرُ كَفَرٍ : أَيْ هَلَاهُ وَأَشْفَرُهُ ، دَاجِرٌ : قَالَ الْأَصْبَحِيُّ : دَجَا اللَّيْلُ ، إِذَا هَوَّالِيسَ
كُلَّ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الظُّلَّةِ ، قَالَ : وَهُوَ قَوْلُهُمْ : دَجَا الْإِسْلَامُ أَيْ تَوَلَّى ، وَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ .
(٤) سَرِيماً . (٥) الرَّدَمُ ، أَيْ الدَّفْنُ ، وَمَا يَسْقُطُ مِنَ الْهَلَاكِ الْهَلَكُ . (٦) الْقَبِيضَاتُ .

فلما أردت الرجوع إلى أهلها وقت على قبره فقالت :
 أى بنى : إني قد تزوّدت لسفري ، فليت شعري ، ما زادك لبعد طريقك ،
 وبومر معادك ! اللهم إني أسألك له الرضا برضاي عنه ، ثم قالت :
 استودعتك من استودعنيك في أحشائي جنيّنا ، وأكسلك الوالدات !
 ما أَمَصَّ^(١) حرارة قلوبهن ، وألقى مضاجعهن ، وأطولَ ليلهن ، وأقصرَ نهارهن ،
 وأقلَّ أنسهن ، وأشدَّ وحشهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن من الأحران .
 فلم تزل تقول هذا ونحوه ، حتى أبكت كل من سمعها ، وحدث الله عز وجل ،
 واسترجعت وصارت ركّاتٍ عند قبره وانطلقت . (زمر الآيات ٢ : ٧)

٥٧ - حديث امرأة سكنت البادية قريبا من قبور أهلها

وروى أبو علي القالي : عن عبد الرحمن عن عمه قال :
 « دَعَتْ يوما في تَفْشَى بالبادية إلى وادٍ خَلَاءَ لَا أُنَيْسَ بِهِ إِلَّا بَيْتٌ مُتَعَتِرٌ^(١) ،
 بِفِنَائِهِ أَعْزُ ، وقد ظَلِمْتُ قِيَمَتَهُ ، فسَلْتُ فإذا مجوْزٌ قد بَرَزَتْ ، كأنها نَمَاطَةٌ^(٢)
 رَاحِمٌ^(٣) ، فقالت : هل من ماء ؟ فقالت : أَوْ كَيْنَ ، قلت : ما كانت يَبْقِي إِلَّا الماءَ ،
 فإذا يَسَّرَ اللهُ اللَّابَنَ فَإِنِّي إِلَيْهِ فَقِيرٌ ، فقامت إلى قَعْبٍ^(٤) فأفرغت فيه ماءً ، وَنَظَلَّتْ
 غَسَلَهُ ، ثم جاءت إلى الأَعْزُ ، فَنَمَرَتْهُنَّ^(٥) حتى احتلبت قُرَابَ^(٦) مِلءِ القَعْبِ ،
 ثم أفرغت عليه ماء حتى رغا وَطَفَّتْ مُمَالَتَهُ^(٧) ، كأنها نَحْمَةٌ بِيضَاءَ ، ثم ناولتني إِيَّاهُ ،
 فشربت حتى تَجَبَّبْتُ^(٨) رِيًّا واطْمَأْنَنْتُ ، فقالت :

- (١) حشفة القصب : يبلغ من قلبه الحزن به كأنه حشفة .
 (٢) منفرج . (٣) الراحم : القوم تحسن إليها ، أرخت الدجاجة عن بيضها وورخت ، وورخت طيه
 فهي مرحم وراحم . (٤) القعب : قدح إلى القصر ، ويشبه به الحافر .
 (٥) أي احتلبت القعب (كقتل) : وهي بقية اللبن في القصر ، وجسمه أنهار .
 (٦) قراب وقريب واحد ، مثل كيار وكبير وجسم وجسم .
 (٧) المالة : الرغوة « وهي مطة الرأ » . (٨) اطأطأت .

إلى أراكِ بمَـتَرَةٍ في هذا الوادى للوحيش ، وَالْحَلَّةُ^(١) منك قريب ، فلو انضمتِ
إلى جنابهم فَأَنتِ بهم ! فقالت :

« يابن أخى ، إني لَأَتْسُ بِالْوَحْشَةِ ، وأستريح إلى الوَحْشَةِ ، ويطمئن قلبي إلى هذا
الوادى للوحيش ، فأندكر من عَهْدَتُ ، فكأنى أخاطب أعيانهم ، وَأَتَرَأَى أَغْصَابَهُمْ^(٢)
وَتَخْخِيلُ لى أُنْدِيَّةُ رجالم ، وَمَلَايِبُ وَلَدَانِهِمْ ، وَمُنْدَى^(٣) أموالهم ، والله يابن أخى
تقد رأيت هذا الوادى بَشِيعِ الدَّيْدِينَ^(٤) بأهل أدواح وِقَاب ، وَتَمَمَ كَالْهَضَابِ ،
وخيل كاللَّهْأَبِ ، وَغَيَانِ كَالْمَلَحِ ، يَبَارُونَ الرِّيحَ ، وَيَحْمُونَ الصَّبَاحَ^(٥) فأحال عليهم
الْجَلَاءَ فَكَأِ بِرَفَقَةٍ^(٦) فَأَصْبَحَتِ الْآثَارُ دَارِسَةً ، وَالْعَاكِلُ طَامِسَةً ، وكذلك سيرة
الدهر فيمن وَثِقَ بِهِ » .

ثم قالت : أرأيتِ بينك في هذا اللَّيْلِ اللَّتَابِينَ^(٧) ، فَتَنَظَرْتُ فَإِذَا قُبُورٌ نَحْوُ أَرْبَعِينَ
أَوْ خَمْسِينَ ، فقالت : أَلَا تَرَى تِلْكَ الْأَجْدَاثُ ؟ قَاتِ نَم ، قالت : ما انطوت إِلَّا عَلَى
أَخٍ أَوْ ابْنِ أَخٍ ، أَوْ عَمٍّ أَوْ ابْنِ عَمٍّ ، فَأَصْبَحُوا قَدْ أُلْمَأَتَ^(٨) عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ ،
وَأَنَا أَتَقَرَّبُ مَا غَلِمَ ، انصَرِفِ رَاشِدًا وَرَحِمَكَ اللَّهُ . (الامتد : ٢ : ٧)

٥٨ — حديث امرأة مات ابنها بين يديها

عن عبد الرحمن عن عمه قال : دخلتُ على امرأة من العرب بأعلى الأرض
في خِيَابِهَا لها ، وبين يديها بُنْيٌ لها ، قد نزل به الموت ، فقادت إليه فَأَغْمَصَتْهُ وَعَصَبَتْهُ
وَسَجَّتْهُ^(٩) ، ثم قالت :

-
- (١) الحلة : جماعة بيوت الناس والجمع حلال ككتيب . (٢) أشخاص جمع شخ كشمس وسهب .
(٣) الغنمة : أن يورد الرجل إبله ، ثم راعها ، ثم يوردها ، ثم راعها ، والمشي : المكان الذي
يتمشى فيه المال . (٤) بَشِيع : صلان ، اللهيان : الحماران ، والقوصة : القشرة للظبية .
(٥) الصباح جمع صبيحة : وهي الجبيلة من الصبابة كسحابية : الجبال .
(٦) تم البيت قات : كسه والقمصة : المكسبة ، والقناسة : المكسبة ، والقرقة الواحدة من
العرف : وهي ضرب من القجر . (٧) اللأ : القنصة ، والمتباين : المتضاد .
(٨) أُلْمَأَتَ أى احترق بالجم ، وغلم : أظلم . (٩) تسجبة الميت : قنطرة .

« يابن أخى ، قلت : ما تائبين ؟ قالت : ما أحق من أليس النسة ، وأطيلت له
النظرة ^(١) ، أن لا يدع التوثق من نفسه ، قبل حل عُقدته ^(٢) ، والمحلول بِمَوْتِهِ ^(٣) ،
وللعالم بينه وبين نفسه » ، قال : وما يخطر من عينها قطرة صبراً واحتساباً ، ثم نظرت
إليه فقالت : والله ما كان مالك يبتلعك ، ولا أمرك ليرثيك ^(٤) ، ثم أشدت قول :
رَجِيبُ الفراع بالتي لا تشينه ^(٥) وإن كانت الفحشاء ضاقت بها ذرعاً ^(٦)
(الأمل ٢ : ٢٨٢ ، والبيان والبيان ٢ : ٢٤١)

قولهم فى الشكوى

٥٩ - أعرابى يشكو حاله

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

« قَدِمَ علينا البصرة رجل من أهل البادية شيخ كبير ، قصصته فوجدته يَحْضِبُ
لحيته ، قال : ما حاجتك ؟ قالت : بلنى ما خَصَّكَ الله به ، فبُشِكَتُ أُخْبِسُ من علك ،
قال : أتيتني وأنا أخضِبُ ، وإن الخضاب لى علامات الكِبَرِ ، وطال والله ما غَدَوْتُ
على صيد الوحوش ، ومشيتُ أمامَ الجيوش ، واختَلْتُ بالرداء ، وهَوْتُ ^(١) بالنساء ،
وَقَرَّيْتُ الضيفَ ، وأرويتُ السيفَ ، وشربتُ الرِّيحَ ، ونادمتُ الجُحْجَاحَ ^(٢) ، فاليوم
قد حَنَانِي الكِبَرُ ، وَضَعَفَ منى البصر ، وجاء بعد الصفو الكدر ، ثم قبض على لحيته ،
وأنشأ يقول :

شَيْبٌ مُتَفَيْئِسُهُ كَيْمَا تَقَرَّرَ بِهِ كِبَيْعُكَ الثَّوْبَ مَطْوِيًّا عَلَى حَرَقٍ
قد كنتُ كالنَّصْنِ تَرْتَلَحُ الرِّيحُ لَهُ فَصِرْتُ عَوْدًا بِلا ماءٍ ولا وَرَقٍ

(١) النظرة : الإجمال . (٢) كناية عن الموت .

(٣) المقوة : الحلة ، أى بقدره . (٤) العرس : امرأة الرجل .

(٥) ضاقت بالأمر ذرعا : ضعفت طاقته ، ولم يجد من المكره فيه مخلصا .

(٦) طوت به : فرحت به . (٧) الجحجج : السيد .

صبراً على الدهر ، إن الدهر ذو غيرِ وأمله منه بين الصفو والرتق^(١)
(الأمل : ١ : ٩٤)

٦٠ - كلمات شتى في الشكوى

قيل لأعرابية أصيبت بابنها : ما أحسنَ عَزَاكِ ! قالت : « إن قَدْرِي إِلهُ أَمْنِي
كلَّ قَدْرٍ سِوَاهُ ، وَإِنْ مَصِيبِي بِهِ هَوَتْ عَلَى الصَّائِبِ بَدَاهُ » ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ قَوْلَ :
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمَتْ فَمَلِكٌ سَكَنْتُ أَحَاذِرُ
لَيْتَ لِلنَّازِلِ وَالْهَاجِرِ خَاوِرٌ وَمَتَّاعِرُ

وقيل لأعرابي : كيف حزنك على وللك ؟ قال « ماتركَ مَمُّ الْفَدَاءِ وَالْمَشَاءِ
لِي حُزْنًا » .

وقيل لأعرابي : ما أَمَحَلَّ جِسْمَكَ ؟ قال : « سِوَاهُ الْفِدَاءِ ، وَجُدُوبَةُ الزَّرْعَى ،
وَإِخْتِلَافُ الْهَمُومِ فِي صَدْرِي » ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

الْهَمُّ مَا لَمْ تَمُضْ لَيْلُهُ دَاهٍ تَضْمَنَهُ الضُّلُوعُ عَظِيمُ
وَلَرُبَّمَا اسْتِيَأَسْتُ ثُمَّ أَقُولُ : لَا إِنْ الَّذِي تَحْمِلُ النَّجَاحَ كَرِيمُ

وقيل لأعرابي قد أخذ به السَّنُّ : كيف أصبحت ؟ قال : « أَصْبَحْتُ قَتِيدَنِي
الشَّعْرَةَ ، وَأَعَثَّرْتُ الْبَيْتَةَ ، قَدْ أَقَامَ الدَّهْرُ صَتْرِي ، بَعْدَ أَنْ أَقَتُ صَتْرَهُ » .

وقال أعرابي : « لقد كنتُ أنكرُ البيضاء ، فصيرتُ أنكرَ السوداء ، فيا خير مبدول ، وبإشْرٍ بَدَل ! » .

وذكر أعرابي منزلاً بَادَ أَهْلُهُ قَالَ : « مَنْزِلٌ وَاللَّهِ رَحَلَتْ عَنْهُ رَبَّاتُ الْخُدُورِ ، وَأَقَامَتْ فِيهِ رَوَاحِلُ^(١) الْقُدُورِ ، وَقَدْ اكْتَسَى بِالنِّبَاتِ كَانَمَا أَلْبَسَ الْحُلَلُ ، وَكَانَ أَهْلُهُ يَغْفُونَ^(٢) فِيهِ آثَارَ الرِّيحِ ، وَأَصْبَحَتْ الرِّيحُ تَغْفُو آثَارَهُمْ ، فَالْعَمْدُ قَرِيبٌ ، وَلِلْمُلْتَقَى بَعِيدٌ .

وذكر أعرابي قوماً تغيرت أحوالهم قَالَ : « أَعْيَنُ وَاللَّهِ كَحِلَّتِ بِالْعَبْرَةِ بَعْدَ الْخَبْرَةِ^(٣) ، وَأَنْفُسٌ لَبِيتَ الْحُزْنَ بَعْدَ السُّرُورِ .

وذكر أعرابي قوماً تغيرت حالهم قَالَ : « كَانُوا وَاللَّهِ فِي عَيْشٍ رَقِيقِ الْخَوَاشِي ، فَطَوَاهُ الدَّهْرُ بَعْدَ سَمَةِ ، حَتَّى لَبِسُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْقَرِّ^(٤) ، وَلَمْ أَرَ صَاحِبًا أَغْرَ^(٥) مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا ظَالِمًا أَغْشَمَ^(٦) مِنَ اللَّوْثِ ، وَمَنْ عَصَفَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَرْذَاهُ^(٧) ، وَمَنْ وَكَّلَ بِهِ اللَّوْثُ أَفْنَاهُ .

ووقف أعرابي على دارٍ قد بادَ أَهْلُهَا قَالَ : « دَارٌ وَاللَّهِ مُتَعَصِّرَةٌ لِلدَّمُوعِ ، حَطَّتْ بِهَا السَّحَابُ أَهْلَهَا ، وَجَرَّتْ بِهَا الرِّيحُ أَذْيَالَهَا .

(١) الرواحل جمع واحلة : وهي في الأصل : الفاتكة للصاحبة لأن ترحل ، والمراد هنا الخوامل التي تحمل القُدُور ، أي الأثافي . (٢) غفا المنزل : دوس ، وغفته الريح : يطحن ويغزم ، وبهاجما عدا ، وغفته الريح أيضاً بالتشديد للمبالغة . (٣) الخبرة : السرور . (٤) القرطظت الثغاف : البرود . (٥) أغرم : أظلم . (٦) أظلمكاه .

وذكر أعرابي رجلاً تغيرت حاله قال : « طَوَّيْتُ صِحْفَتُهُ ، وَذَهَبَ رِزْقُهُ ، وَطَالَبَهُ مُسْرِعٌ إِلَيْهِ ، وَالتَّيْنُ عَنْهُ قَابِضٌ كَفَّيْنِ » .

وذكر أعرابي رجلاً ضاق عينه بعد سعة قال : « كَانَ وَاللَّهِ فِي ظِلِّ عَيْشِي مَلُودٌ ، فَتَدَحَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الدَّهْرِ زَنْدٌ غَيْرُ كَابِيَةٍ ^(١) » .

(المتن الفريد ٢ : ٧٩ - ٨٠)

وذكر أعرابي مصيبة ناله ، قال : « مُصِيبَةٌ وَاللَّهِ تَرَكْتُ سُودَ الرُّمُوسِ بَيْضًا ، وَبَيْضَ الْوُجُوهِ سُودًا ، وَهَوَّكْتُ لِلصَّائِبِ بَعْدَهَا » .

(المتن الفريد ٢ : ٧٩ ، وذر الآداب ٥ : ٥٢٢)

وذكر أعرابي قَلِيمَةً بعض إخوانه قال : « صَفَرْتُ عِيَابَ ^(٢) الْوَدِيِّ وَبَيْتَهُ بَعْدَ امْتِلَائِهَا ، وَأَقْفَرْتُ وَجْهَهُ كَانَتْ بِمَائِهَا ، فَأَذْبَرْتُ مَا كَانَ مُقْبَلًا ، وَأَقْبَلَ مَا كَانَ مَذْبَرًا » .

(المتن الفريد ٢ : ٧٩ ، وذر الآداب ٢ : ٤١)

وقيل لأعرابي : مَا أَذْهَبَ شَبَابَكَ ؟ قال : « مِنْ طَالِ أَمَدُهُ ، وَكَثُرَ وَلَدُهُ ، وَدَفَعَ عَدَدُهُ ، وَذَهَبَ جَلَدُهُ ذَهَبَ شَبَابُهُ » .

(المتن الفريد ٢ : ٧٩ ، والبيان والبيان ٢ : ٥٧)

وسئل أعرابي عن سَرٍّ أَكْدَى ^(٣) فِيهِ ، قال : « مَا عَنَيْنَا إِلَّا مَا قَصَرْنَا فِي صَلَاتِنَا ، فَأَمَّا مَا أَكَلَتْهُ الْمَوَاجِرُ ^(٤) ، وَلَقِيْتَهُ مِنَ الْأَبَاعِرِ ، فَأَمْرٌ اسْتَحْفَفْنَا لِمَا أَمْلَأْنَا » .

(١) الزند : اللود الذي يفتح به النار ، وكبنا للزند : لم يخرج ناره ، وفي الأصل : زند من كلبية وهو تحريفه . (٢) صفرت : خلت ، وعياب جمع عبة بالفتح : ما يجعل فيه القناب . (٣) أصله من : حفر فأكسى : أي صادف السكدة - وهي كدية كثيرة : الأرض المليظة ، وأصلها المشقة المشقة . (٤) المواجه جمع واجرة ، وهي شدة الحر .

وقالت امرأة من الأعراب : « أصبحنا ما يرقد لنا فرس ، وما ينالم لنا حرس » .
(القيد الفريد ٢ : ٨٧)

• • •

وقال أعرابي « مضى لنا سلفُ أهل تواصل ، اعتزلوا^(١) مِنّا ، وانحنوا الأيدي
ذخيرة لمن بعدهم ، يرون اصطناع للمروف عليهم قرصاً لازماً ، وإظهار اليد واجباً ، ثم
جاء الزمان بينين ، انحنوا مِنهم بضاعة ، ويرغم مِرْابحة^(٢) ، وأيديهم تجارة ، واصطناع
المروف مُقَارضة ، كنتقد ، خذ مني وهاب » .

• • •

وقيل لأعرابي في مرضه : ما تشكى ؟ قال : « تمام المدة ، وانضاء اللذة » .

• • •

ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضرّ فقال : « يا هذا :
أنشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ؟ » .
(القيد الفريد ٢ : ٨٥)

• • •

ووصف أعرابي الدنيا قال : « هي رقة^(٣) الشارب ، بجة المصاب ، لا يُتمتك
النهر بصاحب » .

• • •

وقال أعرابي : « حَسْبُكَ من فساد الدنيا أنك ترى أَسِنَّة^(٤) تُوضَع ، وأخفافاً
تُرفَع ، والغدير يُطلَب عند غير أهله ، والفقير قد حلّ غير محله » .
(القيد الفريد ٢ : ٨٦)

• • •

(١) من اعتدّ مالا ؟ اعتداه . (٢) رابحه على الخسرة : أظناه ربحاً .
(٣) كثرة . (٤) جمع سنام ، والفراد ما كانه حالياً .

وقيل لأعرابي : كيف ابتك - وكان به عاقا - قال : « عذابٌ لا يقاومه الصبر ،
وقائمة لا يجب فيها الشكر ، فليتني قد استودعته القبر » . (الله الفريه ٢ : ٩٧)

• • •

عن الأصمعي قال : قيل لأعرابي قديم الحضرة ^(١) ، ما أقدمك ؟ قال : « الحين ^(٢) ،
لاني بَطَلَى التَّيْنِ » . (الأملك ١ : ٢٠٢)

• • •

وأصيب أعرابي بابن له ، فقال وقد قيل له أصير : « أَعْلَى الله أَنْجَلِدْ ، أم في مصيبتك
أَتَبَلِّدُ ؟ والله فَتَجَزَع من أمره أحبُّ إلى الآن من الصبر ، لأن الجزع استكانة ، والضرب
قساوة ، ولئن لم أَجَزَّع من النقص لم أَفْرَح بالمزيد » . (زهر الآداب ٢ : ١٦٤)

• • •

وقيل لأعرابي : لِمَ لَا تَغْرِب في الأرض ؟ قال : « يَمْنَعُنِي من ذلك ، طِفْلُ
بَارِكْ ، وَلَعَنَ سَائِك ، ثم إنى لست بعد ذلك وَاثِمًا يَنْجَح طَلِبَتِي ، ولا مَمْتَنًا قَضَاء
حَاجَتِي ، ولا رَاجِيًا عَطَف قَرَابَتِي ، لأنى أَقْدَم على قوم أطعمهم الشيطانُ ، واستألمهم
السلطانُ ، وساعدهم الزمان ، وأسكرهم حِدَاثَةُ الْأَسْنَانِ » .
(زهر الآداب ٣ : ٢٤٤)

• • •

وقال بعض الأعراب : « نَالْنَا وَشَمِينِي ^(٣) ، وَخَلَقَهُ وَلِيٌّ ، فَأَلْأَرْضُ كَانَهَا وَشِي ^(٤) »

(١) الحضرة : خلاف البداية كالحضر بالصريك . (٢) الحين : الملاح .

(٣) الحين : مظهر الربيع الأول ، والقول : المار الذي يأتى بعد المطر .

(٤) القوش : نقش الثوب ، والمبتري : المختطع النضر ، نسبة إلى صقر ، موضع زعم العرب أنه من

أرض اليمن ، ثم نسبوا إليه كل شيء تصبها من حلقه ، أو جوفه منه .

عَبْقَرِيٌّ ، ثُمَّ أَتَنَّا غَيُومُ جَرَادٍ ، بِمَنَاجِلِ حَرَادٍ^(١) ، نَفَرَتِ الْبِلَادُ ، وَأَهْلَسَتْ
الْمِبَادُ ، فَسَبَّحَانَ مَنْ يُهَيِّئُ الْقَوَى الْأَكُولَ ، بِالضَّعِيفِ لِلْأَكُولِ .

(زمر الآداب ٣ : ٢٤٦)

٦١ - قولهم في العتاب والاعتذار

عَاتِبَ أَعْرَابِيٌّ أَبَاهُ قَالَ : « يَا أَبَتِ ، إِنْ عَظِيمَ حَقِّكَ عَلَيَّ لَا يَذْهَبُ صَنِيرَ حَقِّ
عَلَيْكَ ، وَالَّذِي تَمَثُّ بِهِ^(٢) إِلَيَّ ، أُمْتُ عَمَّتْهُ إِلَيْكَ ، وَلَسْتُ أَرْعَى أَنَا سَوَاهُ ، وَلَكِنِّي
أَقُولُ : لَا يَمِيلُ لَكَ الْاِعْتِدَاءُ . »

(البيان والتمهين ٣ : ٢٢١ ، وزمر الآداب ٣ : ١٠٠)

• • •

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ لَصَدِيقٍ اسْتَبْطَأَهُ فَلَامَهُ : « كَانَتْ بِي إِلَيْكَ زَلَّةٌ يَمَعْنِي مِنْ ذِكْرَهَا
مَا أَمَلْتُ مِنْ تَجَاوُزِكَ عَنْهَا ، وَلَيْسَ ائْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْهَا إِلَّا بِالْإِفْلَاحِ عَنْهَا . »

• • •

وَقَالَ آخِرُ ابْنِ عَمٍّ لَهُ : « وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ تَقْصِيرًا فَأُقَالِعَ ، وَلَا ذَنْبًا فَأُعْتَبَ ،
وَلَسْتُ أَقُولُ إِنَّكَ كَذَبْتَ ، وَلَا إِنِّي أَذْنَبْتُ . » (زمر الآداب ٣ : ١٦٣)

• • •

وَقَالَ آخِرُ ابْنِ عَمٍّ لَهُ : « سَأُخَطِّئُ ذَنْبَكَ إِلَى عُفْرِكَ ، وَإِنْ كُنْتُ مِنْ أَحَدِمَا
عَلَى بَقِيْن ، وَمِنْ الْآخِرِ عَلَى شَكِّ ، وَلَكِنْ رَيْيَمٌ لِلْعُرُوفِ مَنِي إِلَيْكَ ، وَتَقْوَمُ الْحُجَّةُ
لِي عَلَيْكَ . » (زمر الآداب ٣ : ١٦٤ ، والعدة للفريه ٢ : ٨٥)

وَعَدَلَتْ أَعْرَابِيَّةٌ أَبَاهَا فِي الْجُودِ وَإِتْلَافِ مَالِهِ ، قَالَتْ : « حَبْسُ الْمَالِ ، أَخْضَعَ
لِلْعِيَالِ ، مِنْ بَذْلِ الْوَجْهِ فِي السُّؤَالِ ، قَدْ قَلَّ النُّوَالِ ، وَكَثُرَ الْبُخَالِ ، وَقَدْ ائْتَلَفَتْ

(١) المَنَاجِلُ جَمْعُ مَنَاجِلٍ كَثِيرٍ : حَبِيَّةٌ يَلْقَبُ بِهَا الزَّرْعُ . وَحَرَادٌ جَمْعُ حَرَادٍ ، أَيْ الْخَالِطَةِ ، رَفَى الْأَصْلُ
« حَرَادٌ » وَأَرَادَ مَعْرَافًا . (٢) تَمَثُّ بِشَيْءٍ : تَعَمَّلُ بِهِ .

الطارف والنَّادَ ، وبقيت تطلبُ ما في أيدي العباد ، ومن لم يحفظ ما يفعله ، أو شكَّ أن يسمى فيها بضره . (زهر الآداب ٢ : ٢١٦)

٦٢ - قولهم في المدح

دخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « رأيتني فيما أتاملُ من مدحك ، كالخُبِرِ عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر ، الذي لا يخفى على الناظر ، وأجنتُ أني حيثُ انتهى بي القولُ ، منسوبٌ إلى المعجز ، مُقَصَّر عن الناية ، فأنصرفت عن التناء عليك ، إلى الدعاء لك ، ووَكَلْتُ الإخبار عنك ، إلى عِلْمِ الناس بك » . (الأمل ٢ : ٧٢)

• • •

وأتى أعرابي على رجل فقال : « إن خيرك كسريح^(١) ، وإن منكم لمريح ، وإن رفدك لمريح » . (البيان والبيان ٢ : ١٠٥)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً من بني كلاب يذكر رجلاً فقال : « كان والله أقهمُ منه ذا أدنين ، والجوابُ ذا لسانين ، لم أر أحداً كان أرتقَ لخلل رأى منه ، ولا أبعدَ مسافةً رويةً ، ومُراد^(٢) طُرف ، إنما يرى بهمة حيث أشار إليه للكرم ، وما زال والله يتحصى مرارة أخلاق الإخوان ، ويستقيم عذوبة أخلاقه » . (الأمل ٢ : ١٦ ، ولفظه لفريد ٢ : ٨٩ : زهر الآداب ٢ : ٢)

• • •

وقال : سمعت أعرابياً ذكر رجلاً فقال : « كان والله للإخاء وضولاً ، وللإل بدولاً ، وكان الوفاء بهما عليه كفيلاً ، ومن فاضله كان مفضولاً » .

(الأمل ١ : ١١٦ ، ولفظه لفريد ٢ : ٨٩) •

• • •

(١) أي معلاه بلا مطل ولا إبطاء ، وسريح : أي من كنة الطلب .
(٢) رواد الإبل : اختلافتها في الرمي طبقة ومهجرة ، والموضع مراد واستراد .

ووصف أعرابي رجلاً فقال : « ذاك والله من يتنفع بلسه ، وَيُوصَفُ حِفْهُ ،
ولا يُسْتَمَرُّ^(١) ظُلُهُ ، إن قال فضل ، وإن ولي عدل . »

(البيان والبيان ٢ : ١٥٨ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢)

• • •

وذكر أعرابي قوماً فقال : « أدبهم الحكمة ، وأحكمتهم التجاربُ ، ولم تفرِّم
السلامة للنطوية على الملكة ، وجانبوا التسوف التي به قطع الناس مسافة آجالهم ،
فَدَلَّتْ ألسنتهم بالوعد ، وانتبسط أيديهم بالإيجاز ، فأحسنوا القتال ، وشَقَمُوهُ بالقتال . »

(الآداب ٢ : ٢٢ ، والبيان والبيان ٣ : ٢٣١ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٨)

• • •

عن عبد الرحمن عن عمه قال : وصفت أعرابية زوجها بمكارم الأخلاق عند أمها ،
فَقَالَتْ : « يَا أُمَّه ، من تَنَثَّرَ ثوب الثناء ، قَدَّ أَدَّى واجبَ الجزاء ، وفي كَيْتَانِ الشكر
جُحُودٌ لِيَا وَجب من الحق ، ودخولٌ في كُفْرِ النَّمِّ ، » فقالت لها أمها : « أَيْ بُنْيَّةُ :
أَطَبَّتِ الثناء ، وقتَ بالجزاء ، ولم تَدْعِي للذم مَوْضِعاً ، إلى وجدت من عَقَلٍ ، لَمْ يَمَجَلْ
بذم ولا ثناء إلا بعد اختبار ، » فقالت : « يَا أُمَّه ، مامدحتُ حتى اختبرتُ ،
ولا وصفتُ حتى عرفتُ . » (الأمال ١ : ٢٢٥)

ووصف بعض الأعراب أميراً فقال : « إذا أُوْعِدَ آخرٌ ، وإذا وَعَدَ عَجَلٌ ،
وَعَمِيدَ عَفْوٍ ، ووَعْدَهُ إِيْجَازٌ . » (البيان والبيان ٣ : ٢١٧)

• • •

ونعت أعرابي رجلاً فقال : « كَأَنَّ أَلْسَنَ وَالْقُلُوبَ رِيضَتْ لَهُ ، فَمَا تَنْمُقِدُ إِلَّا عَلَى
وَدِّهِ ، وَلَا تَنْطِقُ إِلَّا بِحَمْدِهِ . »

(البيان والبيان ٣ : ٢٣١ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢)

• • •

(١) لا يستمر ، من استمرأ العلم : وجهه مريباً إلى حيثما فيه المنية .

وذكر رجل عند أعرابي فوقع فيه قوم فقال : « أما والله إني لا أكلكم للمأدوم وأعطاكم المَقْرُوم^(١) ، وأكسبكم للمدوم ، وأعطفكم على المحروم » .
(الأمال : ١٦ : ١ ، والبيان والبيان : ١٦٢)

وأعطى رجل أعرابياً فأكثر له ، قال له الأعرابي : « إن كنت جاوزت قدرى عند نفسي ، قد بلغت أَمَلِي فيك » .
(الأمال : ٢ : ٥٠)

ومدح أعرابي رجلاً فقال : « كان والله يُعْنَى^(٢) في طلب للكارم ، غير ضالٍّ في معارج طرقها ، ولا متشاغل عنها بغيرها » .
(الأمال : ٢ : ٥٠ ، والحقه للقرية : ٢ : ٨٩)

ودخل أعرابي على رجل من الولاة فقال : « أصلح الله الأمير : اجلسني زمناً من أزميتك يُجربُها الأعداء ، فأني مسرور حرب^(٣) ، وَرَكَّابُ نُجُبٍ ، شديد على الأعداء لئن على الأصدقاء ، منطوى الحصىلة^(٤) ، قليل الشجعة ، غرار النورم ، قد غدتني الحرب بأفوقها^(٥) ، وَحَلَبْتُ الدهرَ أشطُرَه ، ولا تمنك مني الدمامة^(٦) ، فإن من تحتها شهامة » .
(الحقه للقرية : ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب : ٣ : ١٨٠)

(١) أي المال المَقْرُوم ، فن نرمة حرم حله . (٢) أي يعصب ويصحب .
(٣) أي موقفاً ، وللتجيب جمع نجيب . (٤) حصل الشيء تحصيلاً : جمه ، والاسم الحصىلة ، والمنه مكتم السر ، والتميلة في الأصل : ما يقع في بطن الدابة من اللحم والماء ، وما يدخره الإنسان من طعام أو غيره ، وفي حديث عبد الملك قال الحجاج : « أما بعد فقه وليك العرائن ، ضر إليها مقلوبه التيملة » والمنه ضر إليها غفاً ، والدرار : القليل من كتون . (٥) الأغاويق جمع أنواق ، وهو جمع هيئة بالكسر ، والتميلة : اسم الذين يجتمع في الفرع بين الحليتين . (٦) الدمامة : قبح المنظر .

ومدح أعرابي رجلاً قال : « ذاك والله فسيح الأدب ، مستحْكِم السبب
من أي أقطاره أتيت ، تنى عليه بكرم فيال ، وحسن مقال » .

(زهر الآداب ٢ : ٦ ، والقند للرهيد ٢ : ٨٩)

ومدح أعرابي رجلاً قال « كان والله يسيل من المار وجوهاً مُسَوِّدةً ، وفتح
من الرأي عيوناً مُنْصَدَّةً » .

(القند للرهيد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥)

وذكر أعرابي قومًا عبَّادًا قال : « تركوا والله النعم لينعموا ، لهم عِبَرَاتٌ
متداخلة ، وزَفَرَاتٌ متتابعة ، لا ترام إلَّا في وجهٍ وجهٍ عند الله » .

وذكر أعرابي قومًا قال : « مارأيت أسرع إلى داجٍ يَلْتَلِ ، على فرَسٍ حَسِيبٍ ،
وجل نجيب ^(١) ، ثم لا يفتقر الأولُ السابقُ ، الآخرُ اللاحقَ » .

وذكر أعرابي قومًا قال : « جعلوا أموالهم متداولَ أعراضهم ، فأنلير بهم زائد ،
والمعروف لهم شاهد ، يُعْطُونَهَا بِطَيْبَةِ أَنْفُسِهِمْ إِذَا طُلِبَتْ إِلَيْهِمْ ، ويباشرون المعروف
بإشراق الوجوه إِذَا بُنِيَ لَهُمِمْ » .

وذكر أعرابي قومًا قال : « والله ما أنالوا شيئًا بأطراف أنابهم إلَّا وَطْنَاهُمْ
بأخص ^(٢) أقداننا ، وإنَّ أخصَّهم لَأَدْنَى قِيَالِنَا » .

(١) النجيب : الجبل السريع الخفيف في السير .

(٢) جمع أخص كآخِر : وهو من ياتن القدم ما لم يصب الأرض .

وذكر أعرابي أميراً قال : « إِذَا وَلَّى لَمْ يُطَاقِ بَيْنَ جُفُونِهِ »^(١) ، وأرسل الميؤن على عيونه ، فهو غائب عنهم ، شاهد مهم ، فالحسن راجح ، وليس خائف .

• • •

وذكر أعرابي رجلاً براءة للنطق قال : « كَانَ وَلَقَّه بَارِعَ الْمَنْطِقِ ، جَزَلَ الْأَقْطَافَ ، عَرَبِيَّ اللِّسَانِ ، فَصِيحَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ حَوَاشِي الْكَلَامِ ، بَلِيلَ الرُّيْقِ ، قَلِيلَ الْحَرَكَاتِ ، سَاكِنَ الْإِشَارَاتِ » .

• • •

وذكر أعرابي رجلاً قال : « رَأَيْتُ لَهُ حِلْفًا وَأَنَاءً ، يُحَدِّثُكَ الْحَدِيثَ عَلَى مَقَاطِعِهِ ، وَيُنْشِدُ الشَّمْرَ عَلَى مَذَارِجِهِ »^(٢) ، فلا تسمع له حلفاً ولا إناءً^(٣) .

• • •

وذكر أعرابي قوماً قال : « آتَ^(٤) سَيُوفُهُمْ أَلَّا تَقْفِي دَيْنًا عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَضِيعَ حَقَّهُمْ ، فَمَا أَخَذَ مِنْهُمْ مَرْدُودٌ إِلَيْهِمْ ، وَمَا أَخَذُوا مَتْرُوكٌ لَهُمْ » .

• • •

ومدح أعرابي رجلاً قال : « مَا رَأَيْتُ عَيْنًا قَطُّ أَخْرَقَ لُفْلُفَةَ اللَّيْلِ مِنْ عَيْنِهِ ، وَلَحْظَةً أَشْبَهَ بِلَهْيَبِ النَّارِ مِنْ لَحْظَتِهِ ، لَهُ هَزَّةٌ كَهَزَّةِ السَّيْفِ إِذَا طَرِبَ ، وَجُرْأَةٌ كَجُرْأَةِ الْإِثِّ إِذَا غَضِبَ » .

• • •

ومدح أعرابي رجلاً قال : « كَانَتْ ظُلْمَةٌ لَيْلِهِ كَضَوْهِ نَهَارِهِ ، أَمِيرًا بَارْتِيَادًا ، وَنَاهِيًا عَنِ فُسَادِ ، حَلِيبِ السُّوءِ غَيْرِ مُنْقَادِ » .

• • •

(١) أي لم يمت عن شئ من رعيته ، والبدون : الجواسيس .

(٢) مدارج جمع مفرج ومدرجة : اللهب واللسك . (٣) أحال الكلام إحالة : إذا أفسده .

والحال من الكلام : ما عدل به عن وجهه ، وأحال : أتى بالخال وتكلم به . (٤) حلفت .

وذكر أعرابي رجلاً قال : « اشترى والله عِرْضَهُ من الأذى ، فلو كانت الدنيا له قانقها ، لرأى بَدْعُها عليه حُقُوقًا ، وكان مِنها جأ للأُمُور الشُّكْلَةُ إذا تنالجز الناسُ بالألُمة » .

• • •

وذكر أعرابي رجلاً قال : « يُفَوِّقُ ^(١) الكلمة على اللغى ، فتمرقُ مَرُوقَ السهم من الرِيَّةِ ، فما أصاب قَتَلَ ، وما أخطأ أَشَوَى ^(٢) ، وما غَطَطَ ^(٣) له سهمٌ منذ تحرك لسانُهُ في فيو » .

وذكر أعرابي أخاه قال : « كان والله رَكُوبًا للأهوال ، غير أُلُوفٍ لِلْحِجَالِ ^(٤) إذا أُرْعِدَ ^(٥) لقوم من غير قُرْ ، يبين ضًا كريمة على قومها ، غير مُبْقِيَةٍ لغير ما في يومها » .

• • •

ومدح أعرابي رجلاً قال : « كان والله من شَجَرٍ لَا يُخْلِفُ ثَمَرَهُ ، ومن بَحْرٍ لَا يُخَافُ كَدْرَهُ » .

• • •

وذكر أعرابي رجلاً قال : « ذاك والله فَتَى رماه الله بِاتَّخِيزِ نَاشِئًا ، فأحسن لُبْسَهُ ، وزَيَّنَ به نَفْسَهُ » .

• • •

(١) يمدح ويصوب ، والرمية : ما يرى . (٢) أشواء : أصاب شواء ، والشوى كصا : البدان والرجلان والأطراف وقصيف الرأس وما كان غير مقل . (٣) التطنط : حكاية صوت القتر في التلهاين وما لعبها ، وقد يكون الأصل « وما غطط » أي ما اضطرب من التطنطة وهي اضطراب موج البحر . (٤) الحجال جمع حجلة بالفتح مركب القنبة وموضع يزين بالذهب والفضة والحرير ، والمراد القنبل . (٥) أرعد : أخطاه رعدة .

وملح أعرابي رجلاً قال : « يُعِمُّ أذنيه عن استماع الخلق ، وَيُخْرِسُ لسانه عن التكلم به ، فهو الماء الشَّرب ^(١) ، وَلِلصَّنْع الطَّيِّب . »

• • •

وذكر أعرابي رجلاً قال : « ذاك رجل سبق إلى مروة قبل طلبي إليه ، فاليرض وافر ، والوجه بجائه ، وما أَسْتَقِلَّ ^(٢) بنمة إلا أَقْنَتْنِي بأخرى . »

• • •

وذكر أعرابي رجلاً قال : « ذاك رَضِيع الجود والقطوم به ، عَقِمَ عن الفحشاء ، مُتَّعِمٌ بالقوى ، إِذَا حَذَفَ ^(٣) الألسن عن الرأي ، حَذَفَ بالصواب ، كما يَحْذِفُ الأرنب ، فَإِن طالت الغاية ، ولم يكن من دونها نهاية ، تَمَهَّلَ أمام القوم سابقاً . »

• • •

وذكر أعرابي رجلاً قال : « إِن جليسه لَطِيبٌ عِشْرَتِهِ أَطْرَبُ من الإبل على الخداه ، وَالْمَهْلُ على النِّفاه . »

• • •

وذكر أعرابي رجلاً قال : « كَانَ لَهُ عِلْمٌ لَا يَخَالُطُهُ جِلٌّ ، وَصَدَقَ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ ، كَأَنَّهُ الْوَيْلُ عِنْدَ الْمَحَلِّ ^(٤) . »

• • •

وذكر أعرابي رجلاً قال : « مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ للمعروف منه ، وما رَأَيْتُ للسكر أَبْغَضَ لِأَخِيهِ بُغْضَهُ لَهُ . »

• • •

(١) الفرب والشرب : ما يشرب . المصقم : البليغ ، أو لعل الصوت ، أو من لا يرفع صوته في كلامه ولا يتكلم . (٢) أي وما أحل . وأقنيتني : أرجئني ورددني . (٣) حذفت : رمت . (٤) المحلل .

وقدم أعرابي البادية وقد نال من بني بركمك، قيل له كيف رأيتمهم؟ قال :
« رأيتمهم وقد أنست بهم النعمة ، كأنها من ثيابهم » .

• • •

وذكر أعرابي رجلا قال : « مازل يَبْنِي الجُد ، وَيَشْتَرِي الحمد ، حتى يبلغ
منهُ الجُهد » .

• • •

ودخل أعرابي على بعض الملوك قال : « إن جلا أن يقول للناجح بخلاف
ما يعرف من المدح ، وإني والله ما رأيت أحقَّ للكلام في زمان الملوك منك ،
وأُنشد :

مالي أرى أرواحهم مَهْجُورَةٌ ؟ وَكَأَنَّ بِأَبْكَ يَجْمَعُ الْأَسْوَاقِ
حَابُوكَ أَمْ حَابُوكَ أَمْ شَاوُوا النَّدَى بِيَدِكَ فَاجْتَمَعُوا مِنَ الْأَقَاكِ
إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلْكَارِمِ عَاشِقًا وَالْكَرُمَاتُ قَلِيَّةُ الْمُشْتَقِ
(الغنية العدد ٢ : ٨٨ - ٩٠)

• • •

وخل أعرابي الطريق ليلا ، فلما طلع القمر اعتدى ، فرفع رأسه إليه فقال :
ما أدري ما أقول ؟ أقول : رَضَّكَ اللهُ ؟ قد رَضَّكَ اللهُ ، أم أقول : تَوَرَّكَ اللهُ ؟ قد
تَوَرَّكَ اللهُ ، أم أقول : حَسَّنَكَ اللهُ ؟ قد حَسَّنَكَ اللهُ ، أم أقول : عَمَّرَكَ اللهُ ؟ قد عَمَّرَكَ اللهُ ،
ولكني أقول : جعلني اللهُ فِدَاكَ .

• • •

وذكر أعرابي قومه قال : « كانوا والله إذا اصْطَفَوْا تحت القتَّام^(١) ، خَطَرَتْ
بينهم السَّهَامُ بِوُقُودِ الْجَمَامِ ، وإذا تصالحوا بالسيوف ففَرَّتْ^(٢) المنايا أفواهها ، قَرُبَ

(١) القَتَام : القنار . والحمام الموت . ورواية القته : « كانوا إذا اصطَفَوْا طرقت بينهم السَّهَامُ »

- سحر بين القوم كغرب ونصر : أصلح . (٢) ففرت : نصحت .

يوم عظيم^(١) قد أحسنوا أدبهم ، وحرب عبوس قد ضاحكها أستنهم ، وخطب
شتر^(٢) قد ذلوا عما كبت ، وروم سحاس^(٣) قد كثنوا غلته بالصر حتى ينجل ،
إنما كانوا البحر لقي لا ينكش^(٤) غماره ، ولا ينهته تياره .

(١ : ١ ، ١٢٩ : ١ ، والمطلة القوية ٢ : ٨٨ ، وزمر الآداب ٢ : ٤)

ووصف أعرابي رجلاً قال : « هو أطهر من الماء ، وأرق طبعاً من الهواء ،
وأمنى من السيل ، وأهدى من النجم » . (زمر الآداب ٢ : ٢)

ووصف أعرابي قومه قال : « ليوث حرب ، وليوث جذب ، إن قاتلوا أبغوا ،
وإن بذلوا أنوا » . (زمر الآداب ٢ : ٤)

وقال الأسي : سميت أعرابياً يقول : « إذا ثبتت الأصول في القلوب ، نكت
الأسنة بالفروع ، والله يعلم أن قلبي لك شاكر ، ولساني ذاكر ، ومحال أن يظهر
الوُد السقيم ، من القواد السقيم » . (زمر الآداب ٢ : ١٦٥)

وسئل أعرابي عن قومه قال : « يقتلون القفر ، عند شدة القرم^(٥) ، وأرواح^(٦)
الشتاء ، وهبوب الجربياء^(٧) ، بأسيمة الجزور ، ومترعات^(٨) القدور ، تحسن وجوههم
عند طلب المعروف ، وتنقبس عند لسان السيوف » .

-
- (١) العرانة بالفتح والهمزة والفتحة : الثرانة والأذى ، حرم كسر وحرب وكرم وطم .
(٢) شتر : شهيد مقل . (٣) سحاس من اليال : المظلم القهيد ، وأمر لا يقام له ولا يهتدى لوجهه .
(٤) لا ينكش : لا يبرز ، والفساد جمع غير كشمس : وهو الماء الكثير ، ونهته : كفه وزجره . وفي
رواية القند : « إنما قوى البحر ما ألقته القطم » . ورواية زمر الآداب : « إذا اصطفا مطرت بينهم
السلم ، وإذا تصافوا بالسيوف قفر في الحسام » .
(٥) قفر بتثنية القاف : القرد . (٦) جمع ربح كريح . (٧) ربح القفال كرحبها .
(٨) جمع شربة : وهي المشربة .

ووصف أعرابي قوماً قال : « لم جُود كرام اتست أحوالها ، وبأسُ ليوث
تدبُّها أشبالها ، وحم ملوك انصَحَّت آمالها ، وغرُ صميم آباء شَرَفَتْ أحوالها » .
(ذكر الأهل ١ : ٢ ، ١٦٧)

٦٣ - قولهم في الذم

وذكر أعرابي قوماً قال : « أولئك سُلِخَتْ أَعْقَاؤُهُم بِالْعِجَاء ، وَدُفِنَتْ وَجُوهُهُم
بِالْقُوزِ ، لِيَأْسُهُمْ فِي الدُّنْيَا الْمَلَامَةُ ، وَزَادَهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ النَّدَامَةُ » .

• • •

وذكر أعرابي قوماً قال : « لهم بيوتٌ تُدَخَّلُ حَبَوًا ، إِلَى غَيْرِ تَمَارِقٍ ^(١) ،
وَلَا وَسَائِدَ ، فُصِّحُ الْأَكْسَنِ بَرْدُ السَّائِلِ ، جِمَادُ الْأَكْفِ عَنْ النَّائِلِ ^(٢) » .

• • •

وقال أعرابي : « لَقَدْ صَفَّرَ فُلَانًا فِي عَيْنِي عِظَمُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَأَنَّمَا يَرَى السَّائِلَ
إِذَا أَنَاهُ ، مَلَكَ الْمَوْتَ إِذَا رَأَاهُ » .

• • •

وسئل أعرابي عن رجل قال : « مَا ظَنُّكُمْ بِسَكَّارٍ لَا يَفْقَهُ ، يَتَّبِعُ الصَّدِيقَ ،
وَيَمْنَعِي الشَّفِيقَ ، لَا يَكُونُ فِي مَوْضِعٍ إِلَّا حَرُمَتْ فِيهِ الصَّلَاةُ ، وَلَوْ أَفْلَتَتْ كُلُّهُ سَوْءُ
لَمْ تَنْصُرْ إِلَّا إِلَاهَهُ ، وَلَوْ نَزَلَتْ لَعْنَةُ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ تَقَعْ إِلَّا عَلَيْهِ » .

• • •

(١) التمرق جمع تمرقة (بالضم) : وهي القواعد الصغيرة . (٢) النائل : الساء ، وهو جند القبايين
أو الأنايل (كشمس) : أي يميل ، وقد جمعوا جند الشعر على جماد ككتاب كافى اللسان ، فليكن هذا
مظه ، وقد جده في الأصل « جند » بدون ألف ، وأراه محرفاً ، إذ لا يجمع جند (بالفتح) على جند بلهم
فسكون ، ولا على جند يضمين .

وذكر أعرابي رجلاً قال : « إن فلاناً ليعذبي بإنهمه ، من تسمى باشمه ، ولئن خيبتني فربّ باقية قد ضاعت في طلب رجل كرم » .

• • •

وذكر أعرابي رجلاً قال : « تنذو إليه مراكب الضلالة ، فترجع من عنده ببذور الآثام ، مُمدّم مما تحب ، مُكثّر مما تكره ، وصاحب السوء قطعة من النار » .

• • •

وقال أعرابي لرجل : « أنت وأنت من إذا سأل أُلُف ، وإذا سُئل سَوَّف ، وإذا حَدَّث كُف ، وإذا وعد أخلف ، تنظر نظر حَسود ، وتُعرض إعراض حَقود » .

• • •

وسافر أعرابي إلى رجل لغرمه ، فقال لَمَّا سئل عن سفره : « ما رَبحنا في سفرنا إلا ما قَصَرنا من صلاتنا ، فأما الذي قَبِينَا من الهَواجِر ^(١) ، وَلَقَبْت منا الْأَعْمُرُ ، فَصُوبَةُ لَنَا فِيمَا أَفْسَدْنَا مِنْ حَسَنِ ظَنِّنا » ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

رَجَعْنَا سَالِينَ كَمَا خَرَجْنَا وَمَا خَابَتْ سَرِيَّةُ سَالِينَا

• • •

وذكر أعرابي رجلاً قال : « كان إذا رآني قرّب من حاجبٍ حاجباً ، فأقول له : لا تَحْبِسْ وَجْهَكَ إلى قَبْعِهِ ، فوالله ما أُنْتِيكَ لَطِمْعٍ رَاغِباً ، ولا غُوفٍ رَاهِباً » .

• • •

وذم أعرابي رجلاً قال : « عَبْدُ الْقَمَالِ ، حُرٌّ لِلْقَالِ ، عَظِيمُ الرُّوْاقِ ، دَنَى الْأَخْلَاقِ ، الدَّهْرُ يَرْضُهُ ، وَفَتْهُ تَضَمُّهُ » .

• • •

وقال أعرابي : « دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ ، فَرَأَيْتُ ثِيَابَ أَحْرَارٍ عَلَى أَجْسَادِ عَبِيدَ ، إِبْقَالٌ

(١) الهواجير جمع هاجرة : وهي دابة للحمل .

حَقَّظَهُمْ لِإِدْبَارِ حَقِّ الْكِرَامِ ، شَجَرُ أَسْوَئِهِ عِنْدَ فُرُوعِهِ ، شَتْلُهُمْ عَنِ الْعُرُوفِ رَغْبَتُهُمْ
فِي النَّصْرِ » .

• • •

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا قَال : « ذَلِكَ سُمُّ الْمَجَالِسِ ، أَعْيَا مَا يَكُونُ عِنْدَ جُلْسَانِهِ ،
أَبْلَغُ مَا يَكُونُ عِنْدَ نَفْسِهِ » .

• • •

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا قَال : « ذَلِكَ مَنْ يُدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْجَلْبِ ، أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى
مَنْ يُدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الرُّضِ ، إِنَّهُ لَا مَرَضَ أَوْجِعُ مِنْ قَلَّةِ عَقْلٍ » .

• • •

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا لَمْ يَدْرِكْ بَثْرَهُ قَال : « كَيْفَ يُدْرِكُ بَثْرَهُ مَنْ فِي صَدْرِهِ
مِنْ الْبَلْغَمِ حَشْوٌ مُرَقَّمَةٌ ، لَوْ دَقَّتْ بِوَجْهِهِ الْحِجَارَةُ لَرَضَّهَا ^(١) ، وَلَوْ خَلَا
بِالْكَبَةِ لَسَرَّهَا » .

• • •

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا قَال : « تَسْهَرُ وَأَقْفَرُ زَوْجَتَهُ جُوعًا إِذَا سَهَرَ النَّاسُ شَبِيهَا ، نَمِ
لَا يَخَافُ مَعَ ذَلِكَ عَاجِلَ عَارٍ ، وَلَا آجِلَ نَارٍ ، كَالْبَهِيمَةِ أَكَلَتْ مَا جَمَعَتْ ، وَنَكَحَتْ
مَا وَجَدَتْ » .

• • •

وَسَمِعَ أَعْرَابِي رَجُلًا يَرَعَى قَال : « وَيْحَكَ ! إِنَّمَا يَسْتَجَابُ الْمُؤْمِنُ أَوْ مَظْلُومٌ ،
وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهَا ، وَأَرَاكَ يَخْفَى عَلَيْكَ ثِقَلُ الذُّنُوبِ ، فَيَحْسُنُ عِنْدَكَ مَقَابِخُ الْعِيُوبِ » .

• • •

(١) رَضَّهَا : دَلَّهَا .

وذكر أعرابي رجلاً يَصِفُ قال : « سبي الروية ، قليل النقية ، كثير السماية ، ضيف النكابة » .

• • •

وذكر أعرابي رجلاً قال : « عليه كل يوم من فعله شاهدٌ يَحِقُّه ، وشهاداتُ الأفعال ، أعدل من شهادات الرجال » .

• • •

وذكر أعرابي رجلاً بِذَلَّةٍ قال : « عايش خاملاً ، ومات مؤنوراً » .

• • •

وقال أعرابي لرجل شريف البيت ، ذى الهمة : « ما أحوالك أن يكون عِرْضُكَ لمن يصونه ، فتكون فوق ما أنت دونه » .

• • •

وذكر أعرابي رجلاً قال : « إن حَدَّثْتَهُ يُسَابِقُكَ إلى ذلك الحديث ، وإن سَكَتَ عنه أَخَذَ في التَّهْهَاتِ ^(١) » .

• • •

وذكر أعرابي رجلاً راكباً هواه قال : « والله لو أَقْصَدْتُ إلى ما يَهْوَاهُ ، من العُرْقِ إلى المِيَاهِ ، أَقَرَّه ذلك أو أغناه » .

• • •

وقال أعرابي : « ليت فلاناً أَقَالَني من حسن ظَنِّي به ، فَأَخْتِمَ بصواب إذ بدأت بخطأ ، ولكن من لم تُحْكِمِ التجارب ، أَسْرَعُ بالدَّخَالِ إلى من يستوجب الذم ، وبالذم إلى من يستوجب المدح » .

• • •

(١) قُرعت جمع تومة : وهي ههائل .

وقال أعرابي لرجل : « هل أنت إلا أنت لم تتغير ؟ ولو كنت من حديد مُخْتَصِي وَوُضِفَتْ عَلَى عَيْنٍ لَمْ تَذْبُ » .

• • •

وقال أعرابي لأخيه : « قد كنتُ نَهَيْتُكَ أَنْ تَدْنُسَ عِرْضَكَ بِعِرْضِ فُلَانٍ ، وَأَعْلَيْكَ أَنَّهُ سَمِينُ الْمَالِ ، مَهْزُولُ الْمَرْوَفِ ، مِنْ الْمَرْزُوقِينَ فَجَعَلَهُ ، قَصِيرُ عَمْرِ الْغَنِيِّ ، طَوِيلُ عَمْرِ الْفَقْرِ » .

• • •

وقال أعرابي : « لَا تَرُكْ اللَّهَ حُفَاً فِي سُلَاكِي ^(١) نَاقَةَ حَلَنِي إِلَيْكَ ، وَلَقَدْ أَعَى عَلَيْهَا أَحَقُّ بِالِدْعَاءِ عَلَيْهِ ، إِذْ كَلَّفَهَا الْمَسِيرَ إِلَيْكَ » .

• • •

وذكر أعرابي رجلاً قال : « لَا يُؤْنِسُ جَاراً ، وَلَا يُؤْهِلُ دَاراً ، وَلَا يَبْنِثُ نَزْلاً » .

• • •

وذكر أعرابي امرأةً قبيحةً قال : « تُرْخِي ذَيْلَهَا عَلَى عِرْقِي نَافِئَةً ، وَتُسَدِّلُ خَافِرَهَا عَلَى وَجْهِهَا كَالْحِمَالَةِ ^(٢) » .

• • •

وقال أعرابي لامرأة : « وَاللَّهِ إِنَّكَ لَشُرْفَةُ الْأَذْنَيْنِ ، جَاحِظَةٌ الْمَيْنَيْنِ ، ذَاتُ خَلْقٍ مُتَضَائِلٍ : يُتَجَبَّحُ الْبَاطِلُ ، إِنْ شَبِعَتْ بَطْرَتُ ، وَإِنْ جُمْتُ صَخْبَتِ ^(٣) ، وَإِنْ رَأَيْتِ حَسَنًا دَفَنْتِهِ ، وَإِنْ رَأَيْتِ سَيِّئًا أَدَعَيْتِهِ ، تَعْكُرِمِينَ مِنْ حَقْرِكَ ، وَتُحْقِرِينَ مِنْ أَكْرَمِكَ » .
(العقد للقرطبي ٢ : ٩٠ - ٩٢)

• • •

(١) السلاحيات : عظام الأصابع . (٢) الجمالة : خروقة ينزل بها القنبر .

(٣) الصخب : لغة السموت .

وسأل أعرابي رجلا غمره ، فقال له أخوه : « نزلت وأُفّق بولاي غير مَنظُور ،
وأُتيت رجلا بك غير مسرور ، فلم تُدرك ما سألت ، ولا نلت ما أُمّلت ، فارمحل
بندم ، أو أقيم على عَدَم » . (القد القريه ٢ : ٩٢ ، زمر الآداب ٢ : ٥)

• • •

ودخلت أعرابية على خُدونة بنت المهدي ، فلما خرجت سألت قالت : « والله
لقد رأيتها فإ رأيت طائلا ، كأن بطنها قربة ، كأن نديها دبة ، كأن استها
رقة^(١) ، كأن وجهها وجه ديك قد فُش عَفْرِيقه^(٢) » .
(القد القريه ٢ : ٩٢ ، والآمال ٢ : ١٥٦)

• • •

وذم أعرابي رجلا فقال : « أفسد آخرته بصلاح ديناه ، ففارق ما أصلح غير
راجع إليه ، وقدم على ما أفسد غير منتقل عنه ، ولو صدق رجل نفسه ما كذبه ، ولو
أتى زمامه أوطاه راحته » . (زمر الآداب ٢ : ٦)

• • •

قال الأحمسي : سمعت أعرابية تقول لرجل تخاصمه : « والله لو صوّر الجبل لأظلم
معه النهار ، ولو صوّر العقل لأضاء معه الليل ، وإنك من أفضالنا لمُعَدِم نَخفِ الله ،
ولعلم أن من ورائك حَسْكَ لا يحتاج للدّعي عنده إلى إحضار يَتَنَه » .
(زمر الآداب ٢ : ١٦٢)

• • •

وقال أعرابي يسيب قوما : « هم أقلّ الناس ذُنُوبًا إلى أعدائهم ، وأكثَرهم جُرْمًا
إلى أصدقائهم ، يَصُومُونَ عن المعروف ، وَيُفْطِرُونَ على القبيح » .
(البيان والبيان ٣ : ٢٣٠ ، والقد القريه ٢ : ٩٠)

• • •

ووصف أعرابي رجلا قال: «صَيِّدُ الْقَتْلِ، قَصِيرُ الشَّيْءِ»^(١)، ضَيْقُ الصَّلَاةِ،
الْثَمَنُ النَّجَسِ^(٢)، عَظِيمُ الْكِبَرِ، كَثِيرُ الْفُتُورِ.

(البلاغ والتبيين ١ : ١٥٧ ، والمفرد للقرطبي ٢ : ٩١)

وذكر أعرابي أميراً قال: «يَقْنِي بِالْمُسْوَةِ، وَيَطِيلُ النَّشْوَةَ، وَيَقْبِلُ الرِّشْوَةَ» (١).

(البیان والبیّن ۲ : ۵۰ ، والمجد القریب ۲ : ۹۱)

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أمراً يقول : « لهم اغفرْ لأم أوفى »
قال : « ومن أم أوفى ؟ » قال . « لمرأى ، وإنها لحقاه ميراثاً »^(١) ، أكون فائمة^(٢) لا
لا تبي لها حصة^(٣) ، غير أنها حصة فلا تُترك^(٤) ، وأم غلمان فلا تُترك .

(البیان والتبیین ۲ : ۴۷)

• • •

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت امرأة من العرب تخامم زوجها وهي تقول :
« والله إن شريك لأخفاف^(١) ، وإن خبيثتك لأخيف^(٢) ، وإن شريك لأخفاف^(٣) ،
وإنك لتشجع ليه تخاف ، وتعلم ليه تخاف » ، قال لها : « والله إنك لتكروا
السابقين^(٤) ، فتؤله التخذين^(٥) ، مقاء الرقيقين^(٦) ، مقاضة الكشجين^(٧) خبيثك
جائع ، وشريك شام » .
(الامال ١ : ١٠٤)

• • •

(١) الشجر : الشجرة . (٢) الحجر : الأصل . (٣) القفوة والقشوة والقشوة : بظفت النافذ .
 القشوة : القشوة : ركوب الأمر على غير بيان ، والقشوة : السكر ، والقشوة : الجمل وغيره
 ويكثر الهمزة . (٤) القرطعة : القشوة عليها . (٥) قلة : اسم فاعل من قم : أي أكل
 ما حل الخوان كالمص ، وق : كتبه : (٦) الخلة : الخلة .

(۷) ترك زوجہ و تركه كسح ، و كسر شاذ : أبغضت ، ورجل مفرك بالفتح يفتك النساء و امرأ مفرك : يفتكها الرجل . (۸) اشف ماى الإنا : شربه كله .

(٩) الانجاب : الاصراع . (١٠) الكرواء : الدنية العالين .

(١١) القمراء : الحقيقة ، أو الحقيقة للفتن ، وقيل : هي الجماعة ما بين الفتنين (كالفجراء) .

(١٢) الرنم : أصل البعده، والمقاد : القديسة المنادين ، أو الطهوفه من اللق بالسريرك وهو الطول .

(١٣) المفانسة : المتروعة ، والكشاحان : الحاصرتان .

عن عبد الرحمن عن عمه قال : مرّ أعرابي برجل يكنى أبا النمر - وكان ضخماً جسيماً ، وكان بواباً لبعض الملوك - فقال : « أَعينَ الفقيرَ الحسيرَ ، قال : ما الحفّ سائلكم ، وأكثرَ جائتكم ، أراحنا الله منكم » ، قال له الأعرابي : « لو فرّق قوتُ جِسمك في جِسمِ عشرة منا ، لكفانا طعامك في يومٍ شهراً ، وإنك لعظيم السرّطة^(١) » ، شديد السرّطة ، لو دُرّي بحَبَقَتِكَ بَيْدَرٌ ، لكفّته ربحُ الجُرَيَّاءِ^(٢) » .
(الأمل : ١ : ٢٢٦)

٦٤ - قولهم في الغزل

سئل أعرابي عن امرأة قال : « هي أرقُّ من الهواء ، وأطيبُ من الماء ، وأحسن من النِّماء ، وأبعد من السماء » .
(الأمل : ١ : ٢٠١ ، والقدح للزّبيدي : ٢ : ٩٤)

وذكر أعرابي امرأة قال : « لها جِلْدٌ من لؤلؤ ، مع رائحةٍ لِلنِّسك ، وفي كلِّ عَصُو منها شمسٌ طالعة » .

وذكر أعرابي امرأة قال : « كادَ النِّزالُ أن يكونها ، لولا ما تَمَّ منها وما قَصَّ منه » .

وذكر أعرابي نسوةً خرجن متزّهاتٍ قال : « وجوهٌ كاللذنانير ، وأعناق كاعناق اليمانيّين^(٣) ، وأوساطٌ كأوساط الزّناير ، أقبلن إلينا بِمَجْجُولٍ^(٤) تَحْقُقُ ، وأوشحةٌ تُمَلِّقُ ، وكَمَ أسيرٍ لمن وكَمَ مُطَلِّقٍ » .

(١) البلية ، من سرطه كسر وفرح : ابتله . (٢) الحبة : القشرة ، والبيد : الموضع الذي تناس فيه المهبوب ، والجرياء : ربح الشبال الباردة . (٣) اليمانيّين جمع يمانية : وهو دله البهرة الوحشية . (٤) المَجْجُول جمع مجول بالكسر والفتح : وهو الخلفاء والأوشحة جمع وشاح بالضم والكسر : آدمه يرضى بجمع بالجهر ، تشبه المرأة بين مانتها وكشمها .

ووصف أعرابي امرأة حسناء قال : « تَنِيمُ عن حَشٍّ ^(١) النَّاتِ ، كَأَلَا حِي
النَّبَات ، فَالْمِيد من ذَا ، وَالشَّق من رَاقِه . »

• • •

وذكر أعرابي امرأة قال : « هِيَ الشَّعْمُ الَّذِي لَا بُرءَ مِنْهُ ، وَالْبَرءُ الَّذِي لَا سَقَمَ مَعَهُ
وَهُي أَقْرَبُ مِنَ الْحَشَا ، وَأَبْعَدُ مِنَ النَّبَا . »

• • •

ووصف أعرابي امرأة قال : « بِيضَاءُ جَدَّةٌ ^(٢) لَا يَمَسُّ الثَّوْبُ مِنْهَا
إِلَّا مُشَاشَةٌ ^(٣) كَضِيحَا ، وَحَلَّةٌ تُدِيحَا ، وَرَضَقٌ رَكِبَتْهَا ، وَرَافَقٌ أَلَيْقَهَا ،
وَأَنْشَد :

أَبَتْ الرَّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لِقَمْعِهَا مَسَّ الْبَطُونُ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا
وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الثَّمَنِ تَنَاحَتْ نَبْهَنَ حَاسِدَةً وَهَجَنَ غَيْرُورًا

• • •

وذكر أعرابي امرأة قال : « تَكُ شَمْسٌ بَاحَتْ بِهَا الْأَرْضُ شَمْسَ سَمَاهَا ،
وَلَيْسَ لِي شَفِيعٌ فِي اتِّحَاضِهَا ^(٤) ، وَإِنْ نَفْسِي لَكَتَوَّمُ لَدَانَهَا ، وَلَكِنهَا تَفِيزُ
عِنْدَ امْتِلَاحِهَا . »

• • •

وقال أعرابي في امرأة ودَّعَا لَلْسِير : « وَاللهِ مَا رَأَيْتُ دَمْعَةً تَزَرِّقُقُ مِنْ

(١) حَشٍّ ، وَالْأَقْلَسُ جَمْعُ أَصْحَوَانٍ بِالْفَمِّ : وَمِمَّا نَهَتْ طَيْبُ الرِّيحِ حَوَالِيهِ وَرَقَةُ أَيْغُسٍ ، وَوَسْطُهُ
صَفَرٌ ، وَرَاقِه : أَصْبَحَ .

(٢) الْجَدَّةُ مِنَ الشَّعْرِ : خِلَافُ اللَّبَدِ ، أَوْ الْقَصِيرِ مِنْهُ ، وَجِلُّ جَدِّ الشَّعْرِ وَالْأُنْثَى جَدَّةٌ ، وَالْجَدَّةُ أَيْضًا
الْمَسَّحُ الْخَالِقُ لِمَجْمَعِ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ ، وَالْجَدَّةُ إِذَا ذَهَبَ بِهِ مَلْعَبُ اللَّحْظِ فَلَهُ مَتْنَانِ سَعْمَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ
يَكُونَ مَصْرُوبَ الْمَوَارِحِ شَدِيدِ الْأَسْرِ وَالْخَلْقِ غَيْرِ مَسْتَرَحٍّ وَلَا مُسْطَرَبٍّ ، وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ شَعْرًا جَدًّا غَيْرَ
سَهْلٍ لِأَنَّهُ سَبُوطَةُ الشَّعْرِ فِي الثَّالِثَةِ عَلَى شُعُورِ السَّجَمِ مِنَ الرُّومِ وَالْقُرْسِ ، وَجُودَةُ الشَّعْرِ فِي الثَّالِثَةِ عَلَى
شُعُورِ الْقُرْسِ . (٣) الْمُشَاشَةُ : رَأْسُ الْقَطَمِ ، وَالرَّافِقُ : عِظَامُ فِي الرِّكْبَةِ كَالْأَصَابِعِ الْمُنْسُومَةِ فَهِيَ أَعْدُ
بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ، وَالرَّافِقَةُ : أَسْفَلُ الْأَلَةِ مَعَهُ الْقِيَامُ .

(٤) اتِّحَاضُ دَيْتِهِ وَتَقَالُصُهُ بِمَنْ .

عين بِأُمِّهِ^(١) على ديباجة خَدَّ ، أحسن من عَيْرة أمطرتها عينا ، فأعشت بها قلبى .

• • •

وقال أعرابي : « إن لى قلباً مَرُوعاً^(٢) ، وعينا دُمُوعاً ، فإذا يصنع كل واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما دواؤهما ، وسقمهما شفاؤهما ؟ » .

• • •

وقال أعرابي : « مَا أَشَدَّ جَوَلَةَ الرأى عند الموى ، وَظَلَامَ النفس عن الصُّبَا ! وقد تطلعت كبلى ! لَوْمُ الماذِلين للمُشَقِّين عِرْطَةً فى آذانهم ، وَلَوْنَعَتِ الحب نيران فى أبدانهم ، مع دموع على اللثامى^(٣) ، كَمُزُوبِ السَّوَانِى » .

• • •

وذكر أعرابي امرأة قال : « لقد نَمِيتَ عَيْنٌ نَظَرَتْ إِلَيْهَا ، وَشَقَى قَلْبٌ تَضِيعُ عَلَيْهَا ، ولقد كنت أزورها عند أهلها ، فَيَرْحُبُ بى طَرْفُهَا ، وَيَصْغِي لِسَانُهَا » قيل له فما بلغ من حُبِّك لها ؟ قال : « لَئِنْ ذَاكَرْتُهَا وَبِئْتُ وَبَيْنَهَا عِدْوَةَ الطَّاغُوتِ ، فَأَجِدُ لَذَكْرَهَا رِيحَ السَّلَكِ » .

• • •

وقال أعرابي : « الموى هوان ، ولكن غُلِطَ باسمه ، وإنما يعرف من يقول ، من أَبْكَتَهُ اللَّتَاؤُزُ وَالطَّلُولُ » .

• • •

وذكر أعرابي امرأة قال : « إن لسانى لَذَكَّرُهَا لَدَّلُولُ ، وإن حبَّها لِقَلْبى لَتَتُولُ ، وإن قصيرَ الليل بها لَيَطُولُ » .

• • •

(١) الإثمد ، والكحل ، والديهابة : الكد . (٢) مفرود .

(٣) المنفى جمع مفى : وهو المنزل ، والمزوب جمع غرب كشمس : وهو هلكو الطيبة ، والسوانى جمع سانية : وهى لغة يسى عليها ، والقرب ولذاته .

ووصف أعرابي نساء بيلاعة وجمال فقال : « كَلَامُهُنَّ أَقْتُلُ مِنَ النَّبْلِ ،
وَأَوْقَعُ بِالْقَلْبِ مِنَ الْوَبْلِ بِالْحَلِّ ، فَرَوْعُهُنَّ أَحْسَنُ مِنْ فُرُوعِ النَّخْلِ » .
(القصد القرية ٢ : ٩٢ - ٩٥)

• • •

وقال أعرابي : « دخلت البصرة ، فرأيت أعيناً دُعِجاً^(١) ، وَحَوَاجِبَ رُجَا ،
يَسْتَحِينَ الثِّيَابَ ، وَيَسْكُنِينَ الْأَلْبَابَ » . (القصد القرية ٢ : ٩٢ ، وزعر الآداب ٢ : ١٧)

• • •

وذكر أعرابي نساء قال : « عَلَمَانِ^(٢) فِي سَوَافِينٍ طُولَ ، غَيْرَ قَبِيصَاتِ
الْمَطُولِ^(٣) إِذَا مَشَيْنَ أَشْبَهْنَ الْقِدُولَ ، وَإِنْ رَكِبْنَ أَهْلَنَ الْجُمُولِ^(٤) » .
(زعر الآداب ٢ : ١٧)

• • •

وقال أعرابي : « لقد رأيت بالبصرة بُرُوداً كَأَنَّهَا صُبَّتْ بِأَنْوَارِ الرَّبِيعِ ، فَهِيَ
تَرْوِعُ^(٥) ، وَاللَّابِسُ لَهَا أَرْوَعُ » . (القصد القرية ١٩١٢)

• • •

وقال أعرابي : « شَيْعَةُ الْحَيِّ وَفِيهِمْ أَدْوِيَةُ السَّعَامِ^(٦) ، فَقَرَّانَ بِالْحَذَقِ السَّلَامَ ،
وَعَرَّسَتْ الْأَلْسُنَ عَنِ الْكَلَامِ » . (الأمل ٢ : ٥٠)

• • •

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : « لَا تُثَمِّعِ الْهَوَى بِمِلْكِهِ ، وَلَا مُلِيَّ^(٧) »

(١) دُعِجاً جمع دُعِجاء وصف من الهجج بالتمزيك : وهو سواد العين مع سبها . وزجاء جمع زجاء من
الزجج بالتمزيك أيضاً : وهو دقة الحاجبين في طول .

(٢) عَلَمَانِ جمع طعية : والطعية في الأصل وصف للمرأة في هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت
في بيتها لأنها تصير مطعونة ، وهي فيلة يعني مطعونة لأن زوجها يظلم بها ، والسواكف جمع سالكه :
وهي ناسية مقدم الدق من لدن ، طلق القنوط إلى لقرة القنوة . (٣) عطلت المرأة كل فرج عطلا
بالتصريك وحاولوا : إذا لم يكن عليها حل . (٤) الجبول : المودج : أو الإبل عليها المودج جمع جمل
بالسكر ويفتح . (٥) ترويع : تسبب .

(٦) أي الميوسات المملوءة السقام .

(٧) مله الله حبيبته طمية : منه به وأماه منه طويلا .

بسطه ، وَتَبَسَّ اللَّهُ يَدَهُ ، وَأَوْحَنَ عَصَدَهُ ، فَلَمَّ جَانُّهُ لَا يُنْصِفُ فِي حَكْمٍ ، أَحَى لَا يَنْتَقِ بِمَلْءٍ ، وَلَا يُقْصَرُ فِي ظِلِّ ، وَلَا يَرْعَى قَدَمٌ ، وَلَا يَقْدَحُ لَحْنَ ، وَلَا يُنْقِ عَلَى عَقْلٍ وَفَهْمٍ . لَوْ مَكَتِ الْهَوَى وَأَطِيعَ ، لَرَدَّ الْأُمُورَ عَلَى أَدْبُلُهَا ، وَهَدَّيْنَا عَلَى أَهْلِهَا .

• • •

وسئل أعرابي عن الهوى قال : « هو داءٌ تذكى به النفوس الصَّحَّاحُ ، وَتُقْتَلُ مِنْهُ الْأَرْوَاحُ ، وَهُوَ سَقَمٌ مُسْكَنٌ ، وَحَمِيمٌ ^(١) مُضْطَرَمٌ ، فَالْقُلُوبُ لَهُ مُنْصَبَجَةٌ ، وَالْمِیُونَ سَاكِبَةٌ . »
(زهر الآداب ٣ : ١٨)

• • •

ووصف أعرابي امرأةً يحبها فقال : « فِي زِينَةِ الْخُضُودِ ، وَبَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السُّرُورِ ، وَقَدْ كَرَّهَا فِي اللَّهَبِ ، وَالْهَدْرُ عَنْ الرَّقَبِ ، أَشْجَى إِلَيْنَا مِنْ كُلِّ وَدِّ وَتَيْنِبِ ، وَبِهَا حُرُوفُ فَضْلِ الْخُورِ الْعَيْنِ ، وَاشْتِيقُ بِهَا إِلَيْنِ يَوْمَ الْهَدَيْنِ . »
(زهر الآداب ٣ : ٢٤٤)

• • •

ووصف أعرابي نساءً قال :

« يَلْتَقِمْنَ عَلَى السَّبَائِكِ ^(٢) ، وَيَتَشَبَّهْنَ عَلَى التِّيَازِكِ ^(٣) ، وَيَتَأْتِرْنَ عَلَى الْفَوَائِكِ ^(٤) ، وَيَرْتَقِقْنَ عَلَى الْأَرَائِكِ ^(٥) ، وَيَتَهَادَيْنَ عَلَى الْهَدَائِكِ ^(٦) ، ابْتِسَامُهُنَّ وَمِيعَرُ ^(٧) ، عَنْ وَلِيحٍ كَالْإِغْرِیضِ ^(٨) ، وَهُنَّ إِلَى الصَّبَا صُورٌ ، وَعَنْ أَلْحَا نُورٌ ^(٩) . »
(الأمالي ١ : ٤٤ ، وزهر الآداب ٣ : ١٨)

(١) الحميم : الماء الحار . وفي الأصل : « وحى » وأوله محرقا عن حيم ، وبنية قوله يد : « واليهود ساكبة » .

(٢) التقام على القدم ، والقام على طرف الأنف ، تكلمت المرأة وتلفتت ، والسباكة هنا الأسنان شبيهة لبيادها بالسباكة . (٣) التيازك جمع تيزك كجفجر ، وهو فرج القصير .

(٤) الفوائك جمع فائك : وهو دمل متقه يشق فيه القير لا يقدر على القير .

(٥) الأرائك جمع أرائكة : وهي السرور أو القرش ، وأولها : ابتكا على طرف يد ، أو على الخد .

(٦) يتهادين : مشين مشياً شامخاً ، والهدائك : التناثل جمع دونوك كصفور ، ودونك كزبرج .

(٧) الميعر : المهاد الخفيف ، والوليح : القلق ، كأنه نظم الخوازيق حدة يباينه . قال الشاعر يصف نثر امرأة : وَهَمَّ مِنْ لَبِيبِ كَالْوَلِیْحِ ، وَالْإِغْرِیضِ : القلق حين يفتق منه كالقود ، والجرد (يقصره لقره) .

(٨) صور : موائيل ، ومنه قيل للمائل للفق أسود ، ونور : فقرات من الزينة جمع نوار كصاحب .

قولهم في الوصف ٦٥- أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سئل أعرابي عن مطر قال :

« اسْقَلْ سُدًّا مَعَ انْتِشَارِ الطُّغْلِ ^(١) ، فَخْصًا وَاحْزَالًا ^(٢) ، ثُمَّ اكْتَهَمَتْ أَرْجَاؤُهُ ،
وَاحْمَوَتْ أَرْجَاؤُهُ ، وَابْذَعَتْ قَوَارِقَهُ ^(٣) مَوْتَضًا حَكَّتْ بَوَارِقُهُ ، وَاسْتَطَارَ وَادِقُهُ ، وَلَزَّتْ نَقَتُ
جُوبُهُ ، وَارْتَمَنَ هَيْدَبُهُ ^(٤) ، وَحَشَكْتَ أَخْلَافُهُ ، وَاسْتَلَّتْ أَرَادِقُهُ ، وَانْتَشَرَتْ
أَكْنَفُهُ ^(٥) ؛ فَارْعَدَ مُرْتَجِسٌ ، وَالْبَرْقُ مُخْتَلِسٌ ، وَالْمَاءُ مُنْتَبِجِسٌ ^(٦) ، فَانْفَرَعَ
النَّدَرُ ، وَانْتَبَثَ الزُّجَرُ ^(٧) ، وَخَلَطَ الْأَوْعَالَ بِالْأَجَالِ ، وَقَرْنَ الصَّبْرَانَ بِالرَّعَالِ ^(٨) ،

- (١) اسقل : ارتفع ، والسد : السحاب الذي يمد الأفق : والطلل : الشيء إلى حد الغروب .
(٢) خصا : ارتفع ، واحزال طله . (٣) الكفه من السحاب : الذي يركب عليه مطر ،
وأرجاؤه : نواحيه مع وجعها كصا ، واحومت : اسودت ، وأرجاؤه : أوساطه : جمع وجعها كصا ، وابتذعت
تفرقت : والقوارق جمع قارق ، وهو السحاب الذي ينقطع من مظم السحاب ، وأسد في الإبل ، يقال
ناقة قارق : وهي التي تندم من الإبل عنه تتأججا .
(٤) استطار : انتشر ، والوردق الذي يكون فيه الوردق (كشمس) وهو المطر العظيم القطر ، وارتفعت
التأمت ، وجوبه : فرجه ، وارتمن : استرخى ، والميدب : الذي يظل ويدنو من الأرض مثل طبع القطيفة
(٥) حشكت : ابتلات ، والأخلاف جمع خلف كحمل ، وهو لثافة كالفرع للبترة ، أوداه : ما عير به
والأكناف : القواصي .

(٦) مرتجس : مصوت من الرجس كحمل وهو الصوت ، غطس : كأنه يغفل البصر لشدة لمعانه ،
منتجس : متنجس .

(٧) أروع : ملأ والقدر جمع قدر ، والوجير جمع وجع وجار ككتاب وصحاب : وهو جعر الفصح والصلب ،
وانتث : أخرج نبيتها وهو تراب القبر والقبر ، أي أنه لشدة دم الوجير حتى أخرج ما بداخلها من التراب

(٨) الأوعال جمع وعل ، (كشمس وكف ودلل) : قنوس الجبال ، والأجال جمع أجل كحمل وهو
القطيع من البقر أي أنه لشدة جمع بين القروال - وهي تسكن الجبال - وبين البقر - وهي تسكن القريمان
والقروال ، والصبران جمع صوار كشجاع ، وصبار ككتاب وهو القطيع من البقر ، والقروال جمع وأل كشمس
فرخ القنم ، فالقروال تسكن الجبل (بالصريك وهي الأرض الصلبة المسوية التي) والصبران تسكن القروال
والقريمان ، قرون بينهما .

فَلَاؤِدِيَّةٌ هَدِيرٌ ، وَلِلشَّارَاحِ خَوِيرٌ ، وَلِلتَّلَاعِ زَفِيرٌ ^(١) ، وَحَطَّ التَّنْبَعُ وَالْمُصَمُّ ، مِنَ الْقَتْلِ الشَّمُّ ، إِلَى الْقِيَمَانِ الْمُصَحَّمِ ^(٢) ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْقَتْلِ إِلَّا مُصَمِّمٌ مُجَرَّنَسٌ ، أَوْ دَاحِضٌ مُجَرَّجَمٌ ^(٣) ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ رَبِّ الْمَالِينَ ، عَلَى عِبَادِهِ لِلذَّنْبِينَ .

(الأمال : ١ : ١٧٣)

٦٦- أعرابي يصف مطرا

عن الأعمى قال : سمعت أعرابياً من غفٍّ يذكر مطراً أصاب ^(١) بلادهم في غيبٍ جَدَّبَ قَالُ :

« تَدَارَكَ رَبِّكَ خَلْقَهُ ، وَقَدْ كَلَبَتْ الْأَنْحَالُ ، وَتَقَامَرَتِ الْأَمَالُ ، وَعَكَفَتِ الْيَاسُ ، وَكَلَمَتِ الْأَفْئَاسُ ، وَأَصْبَحَ لِلشَّيْءِ مُصَرِّمًا ^(٢) ، وَلِلزَّبِ مُعْطِمًا ، وَجُعِفَتِ الْحَلَالِيلُ ، وَاسْتَهِنَتِ الْقَتَائِلُ ، فَأَنشَأَ سَحَابًا رُكَامًا ^(٣) ، كَسَهَوْرًا سَجَامًا ، بِرُؤُوفِهِ مَنَاقِبَةً ، وَزَعُودَهُ مَتَقَفِّمَةً ، فَسَحَّ سَاجِيًا ^(٤) رَاكِدًا ، ثَلَاثًا غَيْرَ ذِي فُوقٍ ، ثُمَّ أَمَرَ رَبُّكَ الشَّمَالَ ، فَطَعَرَتْ ^(٥) رُكَامَهُ ، وَفَرَّقَتْ جِهَاتِهِ ، فَأَتَشَعَّ عَمُودًا ، وَقَدْ أَحْيَا

(١) هدير : أي صوت كهدير الابل ، الشرايح جمع شريح ككسى وهو سيل الماء من الحرة إلى السهل .
والفلاح : سائل الماء من الجبال حتى يصب في الوادي . (٢) التبع : شجر يهبط منه القس ينبت في الجبال ، والقم : التزبون الجبل كقفل وقت ، والقفل : أماله الجبال جمع لغة كفرمة ، والقم : المرتفعة جمع شياخ والقيمان جمع قاع : وهي أرض سهلة مطبقة قد الفرجت منها الجبال والأكام ، والسمم : التي تلوها حرة جمع أصم . (٣) الحصم : الذي قد تمسك بالجبال واستع فيها (ويقال الرجل الذي يمسك بهرفخره خوف المقوط : مصم) مجرثم : متجش ، الفاحض : الذي يفضي برجليه عنه الموت ، والمجرثم : المصروع .
(٤) ساب : جلد ، وكلبت : اشغبت ، والأعمال جمع عمل ككس وهو القسط . وعكفت : أقام .
(٥) الماشي : صاحب اللقطة ، طعم الرجل وأشي : كثرت ما شبعه ، والصرم : المقارب المال للقتل ، والمقرب للشي الذي له المال مثل القرب كثرة ، يقال : أترب الرجل إذا كثرت ماله (وقال أيضا : منه) وترب كفرح إذا انفرح كأنه لمصر بالتراب ، واستهنت : استعصمت واحطت ، والقفل جمع حيلة ، وأنشأ أحدث ، وفتش : السحاب أول ما يخرج .

(٦) الركام : التراكم ، والكنود من السحاب قطع كأنها الجبال ، أو التراكم منه ، واحطته كنودة ، وصحاب : سحاب ، ومتافئة : لا مة ، ومتعفة : مصوفة .

(٧) سح : سب ، ساجيا : ساكنا ، واكما : ثابتا ، والقواق : أن يصب صبة ثم يسكن ، ثم يصب أخرى ثم يسكن مأخوذة من فراق لثافة وهو ما بين الخليطين ، كأنه يبلب صبة ثم يسكن ، ثم يبلب أخرى ثم يسكن . (٨) طمرت : أذبت وأباحت ، والجهم : السحاب الذي قد مراق ماله ، نكت : تحصى .

(٢٥ - جهرة خطب العرب - ثالث)

وأغنى، وبلاداً فزوى، والمجدد الذي لا تُسكت نِسْته، ولا تُنْفَد قِسْته، ولا يُخَيَّب
سأله، ولا يُزْر^(١) نأله .
(الأمل : ١ : ١٧٦)

٦٧- أعرابي يصف مطراً

عن الأصمعي قال : « سألت أعرابياً من بني عامر بن صعصعة عن مطر صابٍ
بلا دم فقال :

« نَسَأَ عَرَضاً^(٢) ، يَطْلُعُ نَاعِماً ، ثُمَّ ابْتَسَمَ وَابْتَسَاماً ، فَأَعْسَ فِي الْأَفْطَارِ فَأَسْجَاهَا ، وَامْتَدَّ
فِي الْأَقْدِيقِ فَتَطَاهَا ، ثُمَّ ارْتَجَزَ^(٣) فَهَنَمَ ، ثُمَّ دَوَى فَظَلَمَ ، فَأَرَكُ وَدَثْ ، وَبَشَّ وَطَشْ
ثُمَّ قَطَقَ^(٤) فَأَفْرَطَ ، ثُمَّ دَيْمَ فَأَغَطَ ، ثُمَّ رَكَدَ فَأَنْجَمَ ، ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَمَ ، وَجَلَدَ فَأَنْصَمَ ،
فَقَمَسَ الرَّبَابَ^(٥) وَأَفْرَطَ الزَّيْبَ ، سَبَّأَ نَبَاكَ ، مَا يَرِيدُ احْتِشَاكَ ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَتْ الْحُرُوزُ^(٦)
وَتَضَخَّضَتْ اللَّتُونُ ، سَأَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ ، كَمَا جَلَبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ .
(بلوغ الأرب : ٣ : ٢٤٩)

(١) يزور : يظل ، ومنه قيل : امرأة تزور : إذا كانت قليلة القول .

(٢) العارض : السحاب المترض في الأفق ، وروض البرق كروض : لمع غليظاً ، ولم يهد في كعب الفة
« أمس ، وإنما أغنى فيها » صمى السحاب : دنا من الأرض ، وأسجها : غطاه ، وقواً الأصل : أسجها .
بلله وهو تصحيف . (٣) ارتجز فرط : صات ، وارتجز السحاب : تحرك بطيئاً لكثرة مائه ،
ومهم فرط : إذا صمت له دويماً ، والمهمة : كل صوت مع جمع ، وأرك : ألق بالرك (يفتح فراعديكر)
وهو المطر الثقيل أو هو فوق الدث ، ولفث بالفتح : المطر الضيف ، والقفقة بالفتح : المطرة الضيفة
وقد بشت السحاب كبح ، والفتش : المطر الضيف وهو فوق القرفلة ، طقت السحاب كسمر وسرب .

(٤) قطنقط بالسكسر : المطر المحتاج القنطر ، وقد قطنقط السحاب ، والذبة بالسكسر : مطر
يعوم في سكوة بلا دوي وبق ، أو يعوم أليها ، وقد ديمت السحاب : أغط : دام ولازم ، وأهجت
السحاب : أسرح مطرها ودام ، وقبول : المطر القشيد القضم القنطر ، وقد بليت السحاب كروض : أمطرت ،
وسهم كسمل : سأل وانسب . (٥) قس القربا : كسمر وسرب : غوصها ، وأفرطها : ملاها
حتى فلتت ، وتزوي جمع زوية كقوسه ، وهي القراية لا يطوعها الماء ، وحفرة تنظر فيه الأسد (وهو
المراد هنا) حيث يلقاه لأهم كانوا يطرونها في موضع حال .

(٦) الحزون جمع حزن كشمس وهو القليل من الأرض ، والمهزون جمع من كشمس : وهو ماسلم من
الأرض وارتفع ، والقضض والقضض : الماء القليل ، وقيل هو مالا فرق له ، وقيل هو
الماء إلى الكمين أو إلى أنصاف السور - وفي لغة طيول الكبير - وقد قضض الماء ، والقضض
أيضاً جرى السراب ، والقضض إذا تفرق .

٦٨ - ثلاثة غلة من الأعراب يصفون مطرا

عن الأصمعي قال : سموت غيلة من الأعراب يثاقلون^(١) في غدير ، قلت لهم : أيكم يصفون الغيث وأصله دبرها ؟ فخرجوا إلى قالوا : كلنا ، وم ثلاثة ، قلت لهم : صفوا ، فأبكم ارتفعت ومنه أعطيه الحرم ، قال أحدهم :

« عَنْ لَنَا طَرِضَ قَصْرًا^(٢) ، نَسُوهُ الصَّبَا ، وَتَحْدُوهُ أَيْلُتُوبُ ، يَجِبُو حَبِو
لِلْمَعِيك^(٣) ، حَتَّى إِذَا أَرَاكَ^(٤) صَدُورُهُ ، وَاصْطَلَتْ خُصُورُهُ ، وَرَجَّعَ هَدِيرُهُ ،
وَصَتَّقَ زَيْبُهُ ، وَاسْتَقْلَ نَشَامُهُ^(٥) ، وَتَلَامَ خَصَامُهُ ، وَارْتَجَعَ ارْتِصَامُهُ ، وَأَوْفَدَتْ
سِقَابُهُ^(٦) ، وَامْتَدَّتْ أَطْنَابُهُ ، تَذَلُّوكَ وَدَقُّهُ ، وَتَأَلَّقَ بَرَقُهُ ، وَخَفَزَتْ تَوَالِيهِ^(٧) ،
وَأَنْصَحَتْ عَزَالِيهِ ، فَتَلَوُ الرُّبَى عَمِدًا^(٨) ، وَالتَّرَازُثِدَا ، وَالثَّلَثَ عِقْدًا^(٩) ،
وَالضَّعَاصِيحَ مُتَوَاصِيَةً ، وَالشَّمَابَ مُتَدَلَّصِيَةً . »

(١) يثاقلون في الله . (٢) عن : حرس ، والقصر : قنص ، والصبأ : دوح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والليل . (٣) حكة الرمل كحسر : تفتد وأوتجع ظم يمكن فيه طريق ، ووملة طائفة : فيها فحشة لا يقدر البعير على الوقوف فيها إلا أن يجير ، واحتك البعير واستنك : حيا في المائدة ظم يندرج على السير . وقال دحية : أصبحت إذا لم تحب حيو المصلحة .

(٤) الرقعة : الرقعة ، والمصور جمع غسر : وهو وهظ الإسمان ، والفرج : تذهبه الصوت في الخلق . (٥) القشاش ككاتب وصحاب : السحاب المرتفع ، أو المرتفع يفضه فوق بعض وعصاه : فرجه ، وأصله الفرج بين الأتاني والفتب السبيل وكل حلل أو عرق في بهيم يستقل ويرتفع وغيره ، وأوتج : ارتد ، وارتس : تلوى والظفر ، وارتس الفرج : اشتد امتزازه .

(٦) أوفدت : أشرقت ، والفتاب جمع سلب كفتس وهو عمود اتكبه ، والأطناب جمع طنب كطن وهو جبل طويل يشبه به البركة . (٧) حفزه كضربه : دفعه من غلظه ، وهو الك : الأصبال والمأخير ، والفرال بكسر اللام ونصبها جمع حرلا : وهي سبب الماء من الرطوبة ونحوها ، والفتك : انصبت ، من سلب التيم أوكه . (٨) عمدة الرقى كترج : باله المطر حتى إذا قبضت عليه تفتد لتعوه ، والفرال : الأرض المسببة مكان لته : ته من القاد والفتك وهو الفتك . (٩) الثلث : القباب الخلف من الرمل ، والفتك كفتك وجبل : ما تفتد من الرمل وتراكم ، والفتك كجسر والفتك : الماء البعير ، وعراسية : عراسية ، والفتك به شبه كفترة : وهي للسيل في الرمل ، وما ظم من موائع الأودية : وصدح في الجبل يلقى إليه المطر .

وقال الآخر : « تَرَكَتِ اللَّخَائِلَ ^(١) مِنَ الْأَصْطَارِ ، نَحْنُ حَيْنِ الْبَشَارِ ، وَتَرَامِي بِشُبِّ النَّارِ ، قَوَاعِدُهَا مِتْلَاحِكَةٌ ^(٢) ، وَبَوَائِقُهَا مِتْمَاحِكَةٌ ، وَأَرْجَاؤُهَا مِتْقَاضَةٌ ، وَأَهْجَازُهَا مِتْرَادِفَةٌ ، وَأَرْحَاؤُهَا مِتْرَاصِفَةٌ ، فَوَسَلَتْ الْغَرْبَ بِالْشَرْقِ ، وَالْوَيْلَ بِالْوَدْقِ ، سَعَا دَرَاكَ ^(٣) ، مِتَابَعًا لَكَ كَأَنَّ فَضَحَصَمَتِ الْجَلْجَافِ ^(٤) ، وَأَنْهَرَتِ الْعَصَافِ ، وَحَوَّضَتِ الْأَصَافِ ، ثُمَّ أَقْلَمْتَ عُمُودَ الْأَمَلِ ، مَوْثُوقَةَ الْخَيْلِ » .

قال الثالث : وَاللَّهُ مَا خَلَقْتَهُ بَلَغَ خُسْفًا ، قَالَ : هَلُمَّ الْهَرَمَ أَصِفْهُ لَكَ ، قُلْتَ : لَا ، أَوْ تَقُولُ كَمَا قَالَا ، قَالَ : لَا بُدَّ نَهْمَا ^(٥) وَصَفَا ، وَلَا وَقَفْتُمَا رَصَفًا ، قُلْتَ : هَاتِ اللَّهُ أَبُوكَ ، قَالَ : « بَيْنَا الْخَلْفِيرُ بَيْنَ الْبَلَسِ وَالْإِبْلَاسِ ، قَدْ عَمَّرَمَ الْإِشْفَاقُ ، رَهْبَةً الْإِمْلَاقِ ، وَقَدْ جَنَّتِ الْأَنْوَاءُ ^(٦) ، وَغَرَفَ الْبَلَاءُ ، وَاسْتَوْلَى الْقَنُوطُ عَلَى الْقُلُوبِ ، وَكَثُرَ الْاسْتِغْفَارُ مِنَ الذُّنُوبِ ، ارْتَوَحَ رِبْكَ لِمِبَادِهِ ، فَأَنْشَأَ سَحَابًا مُسْتَجِيرًا ^(٧) كَنْهَوْرًا مُصْنُونِيكَأً مُخْلَوِيكَأً ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ وَاسْتَزَالَ ، فَصَارَ كَالسَّمَاءِ دُونَ السَّمَاءِ ،

(١) خَائِلٌ جَمْعُ خَيْلَةٍ بِضَمِّ الْخَاءِ وَكَسْرِ الْهَاءِ وَالْقِلَّةُ وَالْقِلَّةُ وَتَشْدِيدُ الْهَاءِ الْمَكْسُورَةِ : الصَّلْبَةُ الَّتِي تُصْبَغُ بِمَا طَرَدَ ، وَالْمَشَارُ جَمْعُ طَرَادٍ كَقَفْلَةٍ : وَهِيَ الْفَاتَةُ الَّتِي تُضَيُّ لِحْلَهَا حَشْرَةً أَوْ ثَمَانِيَةً ، أَوْ هِيَ كَالْقَفْلَةِ مِنَ الْقَفَا ، وَالشَّهْبُ جَمْعُ شُهَابٍ كَكُتَابٍ : وَهُوَ شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ سَالِقَةٌ .

(٢) قَوَاعِدُهَا : أَسَافِلُهَا ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَوَاعِدِ الْبَيْتِ : أَيْ أَسْلَمُهُ ، مِتْلَاحِكَةٌ : أَيْ لَمْ تَكُنْ تَقْصُرُ ، وَتَمِيزُهَا مِتْمَاحِكَةٌ : الْفَاتَةُ الْقَدِيمَةُ الْخَلْقِ ، وَبَوَائِقُهَا : أَمَالِهَا جَمْعُ بَاقٍ ، مِنْ بَقِيَ : أَيْ طَالُ وَارْتَقَعَ ، وَمِتْمَاحِكَةٌ : أَيْ يَضْحَكُ فِيهَا رِبْعُهَا ، مِتْقَاضَةٌ : أَيْ يَغْلَبُ بِضَمْنِهَا بِضَمُّ الْمَطَرِ ، وَأَرْحَاؤُهَا : أَوْسَاطُهَا ، مِتْرَاصِفَةٌ : مِتْرَاكَةٌ قَدْ رَصَفَ بِضَمْنِهَا فَرَقَ بِضَمٍّ . (٣) مِتَابَعًا : أَيْ سَبَّحًا مَعَابِدَةً ، وَلِكَأَنَّ : مِتْرَاحًا مِنْ السَّكَاكَةِ كَكُتَابٍ وَهُوَ الْقَرْحَامُ .

(٤) الْجَلْجَافُ جَمْعُ جَنْفٍ كَجَنْفِ كَبْشَرٍ : وَهِيَ الْأَرْضُ الْمُرْتَفِعَةُ لَيْسَتْ بِالْقَلِيلَةِ ، وَخُضْفَتُهَا : جِلَّتْ فِيهَا خُضْفَتُهَا وَالصَّافِصُ جَمْعُ صَفِصَفٍ كَجَنْفٍ : وَهُوَ الْمُتَوَسِّجُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَنْهَرَ الْمَاءُ : أَسَالَ ، وَالْأَصْلَفُ وَالصَّلَفُ : مَا صَلَبَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْجَمْعُ أَسَافِلُهَا ، وَحَوَّضَتْ جِلَّتْ فِيهَا حَيْثُهَا .

(٥) بَلَّةٌ : قَلَّةٌ وَغَلِيظَةٌ ، وَالْخَافِرُ : سَاكِنُ الْخَفَرِ ، وَالْهَلَسُ : الْقَطَابُ وَالْقَشَّةُ ، وَالْإِبْلَاسُ : التَّجِيرُ وَقِلَاسٌ ، وَالْإِشْفَاقُ : الْخَوْفُ ، وَالْإِمْلَاقُ : الْقِلَاقَةُ . (٦) الْأَنْوَاءُ جَمْعُ نَوٍّ : وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَقْطُوعُ النِّجْمِ فِي الْغَرْبِ مَعَ قَبْجَرٍ وَطَلُوحٍ آخَرٍ يُقَابِلُهُ فِي سَاعَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَقْصِفُ الْأَصْطَارَ وَالْقِرَاحَ وَالْحَرَّ وَالْجَرْدَ إِلَيْهَا . (٧) مُسْتَجِيرًا : لَمْ أَجِدْ لَهُ السَّكَاةَ فِي كِتَابِ الْغَنَةِ ، وَبِمَا كَانَ الْأَصْلُ : وَمُسْتَجِيرًا مِنْ أَسْتَهْرَ لَيْسَ إِذَا اتَّسَعَ ، وَالْمُخْلَوِيكَأً : الْقَشْدُ السَّوَادُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ سَمِعْتُ أَسْهَكَ وَأَسْهَكَ : وَأَمْعُونَكَ أَنْصُولُ مِنْ مَعْنَى الْمَلْعَةِ ، وَلَمْ أَجِدْ فِي كِتَابِ الْغَنَةِ .

وَالْأَرْضَ الْمَذْحُومَةَ^(١) فِي لُوحِ الْهَوَاءِ ، فَأَحْسَبَ السُّهُولَ وَأَتَّقَى الْهَجُولَ ، وَأَحْيَا
الرَّجَاءَ ، وَأَمَاتَ الْفَرَّاءَ ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
قال : فَلَا وَاللَّهِ أَتَبْعُ صَدْرِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ دَرَاهِمًا ، وَكُتِبَتْ كَلَامُهُمْ .
(بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٢)

٦٩- أعرابي يصف مطرا

عن الأعمى قال : سألت أعرابيا عن مطر صلبهم بعد جذب قتال :
« ارتاح لنا ربك بعد ما استولى على القنُونُ ، وخامر القلبَ القَنُوطُ ، فأنشأ
بِنَوَى الْجُبْنَةِ^(٢) قَرْعَةً كَالْقَرَضِ مِنْ قَبْلِ التَّيْنِ ، فَأَحْزَلَّتْ عِنْدَ تَرْجُلِ النَّهَارِ ،
لِإِزْمِجِ السَّرَارِ^(٣) ، حَتَّى إِذَا نَهَضَتْ فِي الْأَفْقِ طَالِعَةٌ ؛ أَمَرَ مَسْخَرَهَا الْجَنُوبُ
فَنَسَبَتْ لَهَا ، فَأَنْشَرَتْ أَحْضَانَهَا ، وَأَحْمَوَتْ أَرْكَانَهَا ، وَبَسَقَ عَنَانُهَا^(٤) وَكَفَعَتْ
رَحَاَهَا ، وَانْبَجَتْ كُلَّاهَا ، وَذَمَرَتْ أُخْرَاهَا أَوْلَاهَا ، ثُمَّ اسْتَطَلَّتْ عَنَانِيهَا ،
وَتَفَقَّعَتْ صَوَاعِقُهَا ، ثُمَّ لَزِمَتْ^(٥) جَوَانِبَهَا ، وَتَدَاعَتْ سَوَاكِبُهَا ، وَذَرَتْ حَوَالِيَهَا
فَسَكَتِ الْأَرْضُ طَبَقًا^(٦) سَحَّ قَهْقَبَ ، وَهَمَّ فَأَحْسَبَ ، قَتَلَ الْقِيَامَ ، وَضَحَضَحَ

(١) المذحومة ، والروح : الهواء وأحسب : أدركها ، من أحسب إذا علمه وسفاه حتى شيع
وروى ، وأتق : ملا ، والهجول جمع هبل ككسر : وهو الملقن من الأرض ، والبع والباع :
الشاب .

(٢) الجبنة : منزل القمر ، قرعة : قطعة من السحاب ، والقرض : قرض ، والتين : القيلة ، وترجل
النهار : ارتفع .

(٣) الإزمج : لوعة من ليل الحاقق — والمحال مختلفة : ثلاث ليل من آخر الشهر ، والسراد :
آخر ليلة من الشهر ، وأحضانها جمع حضن كحمل : وهو جانب الشيء ونفسه ، وأحومت : أسودت .
(٤) بسق : ارتفع ، والمنان : السحاب ، رحاها : وسطها ، وانججت : انشقت ، والسكبة من
السحاب : أسفلها — ومن الزادة رقة مستديرة تفرز عليها تحت البرق ، وذمرت : ضجت — والظلمر :
الضباب على القتال ، وحالها : روقها المشبهة للقاتل .

(٥) لزم المطر : ثبت وجاد . (٦) غث طبق : غام واسع يطبق الأرض ، وهضب ككهرب :
مطر .

الفيضان ، وَجَرَّخَ الْأَصْوَابَ ^(١) ، وَأَتَرَخَ الشَّرَاحَ ، فَاحْدَثَ لِقَى جَلَّ كِفَاءً إِسْدَاتَا
إِحْسَانًا ، وَجَزَّاءَ ظَلَمْنَا خُفْرَانَا .
(بلوغ الأرب ٢ : ٢٥٢)

٧- أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا من بني عامر بن لؤي بن ضَمَّة
يصف مطرا قال :

« نَشَأْتُ عِنْدَ الْقَصْرِ ، يَنْوَى الْقَرْ ^(٢) ، حَبِيبًا تَارِضًا ، ضَاكِحًا وَامِضًا ، فَكَلَّا وَلَا ^(٣)
مَا كَانَ ، حَتَّى شَجِيتَ بِهِ أَطَارُ الْهَوَا ، وَاحْصَبْتَ بِهِ السَّمَاءَ ، ثُمَّ أَطَرَقَ ^(٤) فَكَفَّرَ ،
وَتَرَاكُم فَادْلَهَمَ ، وَبَسَقَ فَازْلَأَمَ ، ثُمَّ حَدَثَ بِهِ الرِّيحَ ، فَحَنَّ ، فَالْبَرَقَ مُرْتَوِجًا ،
وَالرَّعْدَ مُتَبَوِّجًا ^(٥) ، وَانْخَرَجَ مُتَبَجِّجًا ، فَأَنْجَمَ ثَلَاثًا ، مُتَعَبِّرًا هَتَاكًا ^(٦) ، أَخْلَفَهُ
حَاشِكَةً ، وَدَفَعَهُ مَتَوَاشِكَةً ، وَسَوَّاهُ مَتَارِكَةً ، ثُمَّ وَدَّعَ مُنْجِبًا ^(٧) ، وَأَقْلَعَ مُنْهَمَا ،
عَمُودَ الْبَلَاءِ ، مُتَوَرِّعًا أَلْهَاءَ ، مُشْكُورَ النَّهَاءِ ، بِطَوَّلٍ ^(٨) ذِي الْكِبَرَاءِ . »

(بلوغ الأرب ٢ : ٢٥٤)

(١) جَوَّجَ السَّيْلَ الْوَادِي : إِذَا كَثُرَ جَنَّتُهُ وَأَقْلَعَ أَجْرَانَهُ ، وَفِي الْأَسْلِ وَخَرَجَ : وَهُوَ مَحْصِفٌ .
وَالْأَصْوَابُ جَمْعُ شَوْجٍ كَشْمَسٌ : وَهُوَ مَنَطَفُ الْوَادِي ، وَالشَّرَاحُ جَمْعُ شَرَحٍ كَشْمَسٌ أَيْضًا : وَهُوَ سَيْلُ الْمَاءِ
مِنَ الْحَرَّةِ (يَفْخُ الْمَاءُ) إِذَا سَبَلَ .

(٢) الْقَصْرُ : الْقَلْعُ ، وَالْقَرْ : مَزْلُ الْقَصْرِ ، وَالْحَبِيبُ : السَّحَابُ يَهْرَفُ مِنَ الْإِقْلَاقِ عَلَى الْأَرْضِ ، أَوْ الْقَلْعِ
بِضَّةٍ لَوْحٍ بَضِي . (٣) كَلَّا فِي الْبَلَاءِ : دَوَّالِغٌ إِذَا أَرَادُوا تَقْلِيلَ مَدَّةٍ قَبْلَ أَوْ ظُهُورِ شَيْءٍ غَنِي
تَالُوا : كَانَتْ فُتْلَةُ كَلَاهٍ وَدِمَا كَرُّوهُ قَتَالُوا كَلَا وَلَا ، قَالَ الشَّامِرُ : يَكُونُ زَوْلُ الْقَوْمِ فِيهَا كَلَا وَلَا : ،
وَالشَّجَا : مَا أَمْرَضَ فِي الْخَلْقِ مِنْ عَظَمِ وَغَمِهِ ، وَفِي شَيْءٍ بِهِ كَرَضِي .

(٤) هُوَ مِنْ أَمْرَقَتِ الْإِبِلَ : تَبِعَ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَادْلَهَمَ : اسْوَدَّ .
(٥) التَّبَوَّجُ : التَّبَاحُ ، وَانْخَرَجَ : السَّحَابُ أَوَّلَ مَا يَهْشَأُ ، مُتَبَجِّجٌ : مُتَفَقِّقٌ .
(٦) الْمَتَارِكُ : السَّرِيعُ ، حَاشِكَةٌ : كَثِيرَةُ الْمَاءِ ، مَتَوَاشِكَةٌ : يَسَارِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَالسَّوَامُ : الْإِبِلُ الْفَرَاصَةُ .
(٧) أَلْهَمَ الْمَطَرَ وَغِيْرَهُ : أَقْلَعَ ، وَمُنْهَمَا : أَيْ سَائِرًا غَيْرَ تَهَامَةٍ ، وَالنَّهَاءُ جَمْعُ نَيْسٍ بِالسَّكْرِ وَالْفَخْخِ وَهُوَ الْقَدِيرُ .
(٨) أَيْ بِطَوَّلِهِ وَقُدْرَتِهِ .

٧١ - أعرابي يصف مطرا

عن أبي عبيدة قال : خرج الثَّمان في بعض أيامه في عَيْبِ سَما ، فلقى أعرابياً على ناقة ، فأمر فأتى به ، قال : كيف تركت الأرض ورايك ؟ قال :

« فَبِغِيحٍ رُحَابٍ ^(١) ، منها السَّهولُ ومنها الصُّمَابُ ، منشوطة بِجِبَالِها ، حاملة لَأَحْمالِها » ، قال : إنما سألتك عن السماء اقل :

« مُطَلَّةٌ ^(٢) مستَقِلَّةٌ ، على غير سِقَابٍ ولا أَطْنابٍ ، يَخْتَلِفُ عَصْرُها ، ويَتَغَيَّبُ سِرُّها ، قال : ليس عن هذا سألتك ا قال : كَقَلِّ ما بدا لك ، قال : هل صابَ الأرضَ غَيْثٌ ؟ قال :

« نَسَمٌ : أُنْخِطُ ^(٣) السماء في أرضنا ثلاثاً رَهْواً ، فَتَرَّتْ وَأَرْزَعَتْ ، وَرَسَّتْ ، ثم خَرَجْتُ من أرض قومي أَقْرُوها ^(٤) ، فإذا هي مُتَوَاصِيَةٌ ، لا خِطِيطةَ بَيْنِها ، حتى هِبْتُ بِبِشَارٍ ، فَنَدَى السَّحَابُ من الْأَصْطَارِ ، فَجاءنا بِالسَّيلِ الْخَرَّارِ ، فَمَلَأَ ^(٥) الْأَكْثَارَ ، وَمَلَأَ الْجَفَارَ ، وَقَوَّرَ عَالِيَ الْأَشْجارِ ، فَأَجْجَرَ الْخَضارَ ، وَمَنَعَ الشُّثَّارَ ، ثُمَّ أَقْلَعَ عن ضَمْعٍ وإِصرارٍ ، فلما اتَّلاَبَتْ ^(٦) لى الْقِيَمَانِ ، وَوَضَحَتِ الشُّبُلُ في الْفَيْطَانِ ، وَفَاتِ الْأَتْنانُ ، من أَطْلالِ الْأَغْصانِ ، فلم أَجد وَزْراً إِلَّا الْفَيْرانَ ، فَفَاتِ وَجَارِ الضَّمْعِ ، فَفَلَدَتْ السَّهولُ

(١) فِجَحٌ جمع لُجَحَةٍ : واسعة ، وكثيرة رُحَابٌ : منشوطة : مشدودة ، من لُطَّ الجبل كسره قدحه (وَلُطَّطِه : حله) . (٢) مُطَلَّةٌ : مرتفعة ، وكثيرة مستقلة ، والسَّحابُ جمع سَقَبٍ كَشَسٍ : وهو هودج السماء والنيران : الليل والنهار ، وسراجها : الشمس والقمر . (٣) نَسَمٌ : أي دلت ولاقت ، والرهو : السكون والثرة من البهائم : للفرزة كالفرزة ، وقد ثرت هي ، والفرزة بالفتح : لك : القوم ، وأرزع المطر الأرض بها ولم تقل ، ووسع للمطر : كثرة ورى الأرض حتى تبلغ به الحافة من إلى أرسائه .

(٤) أَقْرُوها ، والخِطِيطة : الأرض لم تنظر بين مملوئين ، أو أتى طر بعضها ، ومشار : موضع . (٥) عَماها وطسها ، والجفار جمع جفر كَشَسٍ : البُرْثَى لم تطل ، وقودها : قلع من وسطها خرقة مستديرة ، وأَجْجَرَ ، من أَجْجَرَ القصب : أي أدخله في جمره ، والخضار جمع خضر وهو المقيم في الخضرة ، والفسار جمع فسار وهو المسافر لا فعل له . (٦) اتَّلاَبَتْ : والتنان : السحاب ، والأعتان من السماء : نواصيا ، والوزد الملجأ ، والفيران جمع فار : وهو الكهف في الجبل ، والوجار بالكسر والفتح : جمر الفصح وغيرها .

تَجِفَّا^(١)، وزمان أُنْجِفَ، وشجر أَعْتَمَ، في قُفَّةٍ غليظ، فينما نحن كذلك، إذ أنشأ الله تعالى من السماء غيثاً مُنْتَكِفاً^(٢) نَشُوهُ، مُسَبِّحٌ عَزَّالِيهِ، ضِخَاماً قَطْرُهُ، جَوْدًا صَوْبُهُ زَاكِيًا، أُنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى رِزْقًا لَنَا، فَعَيْشٌ بِهْ أَمْوَالُنَا، وَوَصَلٌ بِهْ طَرَقُنَا، وَأَصَابُنَا وَإِنَّا لَيَنْوُطَةُ^(٣) بَعِيدَةُ الْأَرْجَاءِ، ظَاهِرٌ مَعَ مَطَرُهَا، حَتَّى رَأَيْنَا وَمَا نَرَى غَيْرَ السَّمَاءِ وَالْمَاءِ وَصَهَوَاتِ الطَّلُحِ^(٤)، وَضَرَبَ السَّيْلُ التَّجَافَ، وَمَلَأَ الْأَوْدِيَةَ فَرَعَبَهَا، فَا لَمَيْنَا إِلَّا عَشْرًا، حَتَّى رَأَيْنَا رَوْضَةً تَنْدَى .

(بلوغ الأرب ٢ : ٢٥٩)

٧٤— أعرابي يصف مطرا

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال :

« أَصَابَتْكَ سَمَاءٌ فِي وَجْهِكَ يَا أَعْرَابِي » ، قَالَ : « نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، غَيْرَ أَنَّهُ سَحَابٌ طَحْنَاءٌ وَطَفَاءٌ^(١) » ، كَانَ هَوَادِيهَا الدَّلَاءُ ، مُرْجَجِنَةُ النَّوَاحِي ، مَوْصُولَةٌ بِالْأَكَامِ تَكَادُ تَمَسُّ هَامَ الرِّجَالِ ، كَثِيرٌ زَجَلُهَا^(٢) ، قَاصِفٌ رَعْدُهَا ، خَاطِفٌ^(٣) بَرَقُهَا ، حَتِيثٌ وَدْقُهَا ، بَطِيءٌ مَسِيرُهَا ، مُتَمَنِّجٌ قَطْرُهَا ، مَظْلِمٌ نَوُوزُهَا ، قَدْ لَجِثْتُ الْوَحْشَ إِلَى أَوْطَانِهَا ، تَبَحُّثٌ عَنْ أَسْوَاحِهَا بِأَغْلَافِهَا ، مُتَجَمِّعَةٌ بِمَدَشَتِهَا ، فَلَوْلَا اعْتِمَاعُنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) ليس بها نبات ، وأصله من الحيف بالضمير وهو الخزال ، وأصم : يابس ، وأصله من الصم بالضمير وهو ليس في أصل الرخ تخرج منه اليد والقدم ، والقف : ما غلظ من الأرض وأدق ، لم يبلغ أن يكون جبلا : وأنشأ الله الصليب : وضعه . (٢) سكتها : مستهرا كالسكتة ، (والسكتة بالكسر ويضم كل مستهبر) ، وصوبه : مطره . (٣) القنوط : الأرض يختر بها الطلع (والطلع : شجر عظام) والموضع الرقيق من الماء ، أو ليس يواد ولا تلمة بل بين ذلك ، وأهرج : كثر وأسرح . (٤) الصهوة : بركة الماء ، والتجاف جمع نجف بالضمير وجهه : مكان لا يملوه الماء ، أو هي أرض مستديرة مشرفة على ما حولها ، وعرها : ملأها .

(٥) سحابة وطفاء : مسترخية لكثرة ماؤها ، أو هي الدائمة للبح الحظية ، هوداها : أوائها ومقاصها ، مرججة : ثقيلة مهتزة (٦) قزيل : الجلبة ووض الصوت ، مصجر : سائل منصب ، ولجا إليه كنع وفرح ، وأظلاف جمع ظلف بالكسر وهو البقرة والثاة والظبي وشبهها كالظلم لنا ، ولقنن جمع قنة ، وهي قنة الجبل . (٧) زمت هذه الكلمة كي يستقيم بها الكلام وانظر أنها سقطت من الأصل في الطبع .

بَيْضَاءِ الشَّجَرِ ، وَتَمَثَّلْنَا بِقُنْنِ الْجَبَلِ ، لَكِنَّا جَاءَ^(١) فِي بَعْضِ الْأَوْدِيَةِ ، وَلَقَّمِ الطَّرِيقَ ،
فَأَطَالَ اللَّهُ لِلْأُمَةِ بِجَانِكَ ، وَنَأَى لَهَا فِي أَجَلِكَ بِرُكُوكِكَ ، وَعَادَ اللَّهُ بِكَ عَلَى رُجُوكِ ،
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ .

قَالَ سُلَيْمَانُ : « لَمَثَرُ أَيْلِكَ لَنْ كَانَتْ بِدِيَةِ لَقْد أَحْسَنْتَ ، وَإِنْ كَانَتْ مُجَبَّرَةً
لَقَدْ أَجَلْتِ » قَالَ : بَلْ عَجْرَةٌ مَهْدُورَةٌ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : « يَا غَلَامُ أَعْطِهِ ، فَوَاللَّهِ لَصِدِّقَهُ
أَجِبْ إِلَيْنَا مِنْ صِفَتِهِ . »
(الشمس للقرن ٢ : ٩٦)

٧٥- أعرابية تصف مطرا

عَنِ الْأَعْمَشِيِّ قَالَ : « كَانَ شَيْخٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فِي خِيَابِهِ ، وَابْنَةٌ لَهُ بِالْقَيْنَاءِ^(٢) ،
إِذْ سَمِعَ رَعْدًا قَالَ : مَا تَوَزَّيْنِ يَا بُنَيَّةُ ؟ قَالَتْ : أَرَاهَا حَوَاءَ قَرْحَاءِ^(٣) ، كَأَنَّهَا أَقْرَابُ
أَتَانِ قَرْحَاءِ ، ثُمَّ سَمِعَ رَاعِدَةً أُخْرَى قَالَ : كَيْفَ تَرَيْنَهَا ؟ قَالَتْ : أَرَاهَا جَعَّةَ التَّزْجَانِ^(٤)
مُسَاقِلَةَ الْأَكْنَفِ ، تَتَأَلَّقُ بِالْبَرْقِ الْوَلَّافِ ، قَالَ : هَلْ لِي الْفَرْقَةُ^(٥) ، إِنِّي نُوَيْيَا^(٦) .
(بلوغ الأرب ٢ : ٢٥١)

٧٦- أعرابية تصف مطرا

عَنِ الْأَعْمَشِيِّ قَالَ : كَانَ أَعْرَابِي ضَرِيرٌ قَوْدَهُ ابْنَتُهُ ، وَهِيَ تَرعى غَنِيَّاتِ لَهَا ،
فَرَأَتْ سَحَابًا قَالَتْ : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، قَالَ : كَيْفَ تَرَيْنَهَا ؟ قَالَتْ : كَأَنَّهَا
فَرَسٌ دَهْمَاءُ^(٧) تَجْرُ جِلَالَهَا ، قَالَ : ارْعى غَنِيَّاتِكَ ، فَرَعْتَ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبْتَ
جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، قَالَ : كَيْفَ تَرَيْنَهَا ؟ قَالَتْ : كَأَنَّهَا عَيْنُ جَلِّ طَرِيفٍ^(٨) قَالَ : ارْعى

(١) الجفاه : الزينة ، ولقمة الطريق : معطيه ووسطه ، وفي الأصل : « لقم » وهو تحريف .
(٢) القيناء : ما اتسع أمام القار . (٣) حواء : وصف من الحوة بالشم وهي حرة إلى الحواد ،
والفرقة بالشم : وجه الفرس دون الفرة ، والوصف منه أفرح وفرحاء ، والأقرباء جمع قرب كقفل
ومق ، وهو الخاصرة ، والفرقة بالشم : يبيض فيه كثرة ، حار أقر ، وأتان قراء .
(٤) كثيرة الانطراب ، الولائف : المتتابع ، من ولف البرق كومة ولقا وولافا بالكسر : نتاج .
(٥) الفزى : الحفير حول المياه جمع ليل ، وأندليه حمله . (٦) سوداء ، والجلال جمع جل
بالشم والفتح : ما تلبسه الدابة لصان به . (٧) الجبل يتخلل من رمى إلى رمى .

غَنِيَّاتِكَ ، فَرَحْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبْتَ جَادَتِكَ السَّاءُ ، قَالَ : كَيْفَ تَرَيْنَهَا ؟
قَالَتْ : سَطِيعَتْ وَابْيَضَتْ ، قَالَ : أَدْخُلِي غَنِيَّاتِكَ ، قَالَ : جَادَتِ السَّاءُ بَشِيًّا شَقِيًّا^(١) لَهُ
الْبَرْدُ وَأَبْيَعُ ، وَخَفِيزَ وَنَضِرَ^(٢) ، (بلوغ الأرب ٢٦٠٢)

٧٧- أعرابي يصف أرضاً

ووصف أعرابي أرضاً أحدّها قال :
« خَلَعَ شَيْعُهَا ، وَأَجَلَّ رِشْمُهَا ، وَخَضَبَ عَرَضُهَا^(١) ، وَآسَقَ بَيْتُهَا ، وَانْخَضَرَتْ
قُرْبَانُهَا ، وَأَخْوَصَتْ بَطْنَانُهَا^(٢) ، وَأَحْلَسَتْ أَكْلُمُهَا ، وَاعْتَمَ نَبْتُ جَرَاتِيمِهَا^(٣) ،
وَأَجْرَتْ بَقْلَتُهَا وَذُرَّتْهَا وَخَبَلَتْهَا^(٤) ، وَأَعْوَرَتْ خَوَاصِرَ إِبِلِهَا ، وَشَكِرَتْ
حَوْبَتُهَا ، وَنَحِمَتْ قَرْنَتَيْهَا^(٥) ، وَحَدَّ ثَرْلُهَا ، وَحَدَّتْ تَنَاهِيَا ، وَأَمْلَعَتْ ثَمْلُهَا .
وَوَقَّعَ النَّاسُ بِهَا ثَرْتَهَا^(٦) . »

(البيان والبيان ٧٧: ٢)

(١) شَأْنُ قَرْعٍ : أَمْرٌ شَدِيدٌ ، أَوْ فَرَحٌ .
(٢) خَلَعَ الْقَبْلُ : لَوْدَ (وَالْمَلْعُ مِنَ الْقَبْلِ : الْقَبْلُ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهُ أَبَدًا ، وَالْقَبْلُ كَكُتَابٍ : كُلُّ شَيْءٍ
لَهُ شَوْكٌ) وَفَرَحَتْ : حَرَى الْقَبْلُ ، وَشَجَرٌ يَحْمِلُ الْقَبْلَ ، وَالْقَرْعُ : شَجَرٌ سَبِيلٌ ، وَخَضَبَ الشَّجَرُ كَعَرَبٍ
وَمَعَ وَخِي : انْخَضَرَ . (٣) الْقَرْعَةُ : مَجْلُوسٌ لِلنَّاسِ مِنْ قَرْعِهِ الْقَرْعُ ، وَفَرَحَتْ كَقَرْنٍ ، وَأَخْوَصَ
الْقَرْعُ : قَطَرَ بَرْدًا ، أَخْوَصَتْ الْقَبْلَةُ : أَمْرَجَتْ الْقَبْلُ ، وَالْقَبْلَةُ جَمْعُ بَقْلٍ وَهُوَ الْقَبْلُ مِنَ الْأَرْضِ
أَوْ الْقَبْلُ مِنْهَا . (٤) أَطْلَحَ الْقَبْلُ : طَلَعَ الْأَرْضُ بِقَرْعِهِ ، وَأَمْلَعَتْ الْأَرْضُ لَيْسَ عِلَّةً : سَارَ
الْقَبْلُ عَلَيْهَا كَأَنَّهَا كَثْرَةُ الْقَبْلِ كَسَلَتْ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ - وَالْأَرْضُ جَمْعُ بَرْدٍ وَهُوَ بِالْقَبْلِ : وَجَرَتْهُ
لَيْسَ : أَسْلَمَ ، وَاعْتَمَ : أَوْ كَانَهُ لَيْسَ عِلَّةً . (٥) أَجْرَتْ الْقَبْلَةُ : صَارَتْ حَا جَرَةً - وَجَرَأَ كَكُتَابٍ
جَمْعُ جَرٍ بِالْقَبْلِ وَهُوَ صَغِيرٌ كُلُّ شَيْءٍ - وَالْقَبْلَةُ وَاحِدَةٌ الْقَبْلُ وَهُوَ لَيْسَ عَلَى الْقَبْلِ كَثْرَةُ الْجَبَلِ الْخَفِيزُ فِي
وَلَهُ حَبٌّ حَلَوٌّ كُلُّ رَيْحٍ أَوْ رَحْمَةٍ يَأْتِيهِ بِهِ أَطْلَحَ : وَالْقَبْلَةُ وَالْقَبْلَةُ : الْقَبْلُ الْمُرَوِّفُ .
(٦) أَعْوَرَتْ : أَمْلَعَتْ وَقَدْ كَانَ الْقَبْلُ عَلَى خَوَاصِرِهَا لَمَّا تَحْمِلُ (وَالْحَبُّ بِالْقَبْلِ : انْتِطَاعٌ بِقَبْلٍ مِنْ
حَرَى تَرْمَلِ) وَالْقَبْلَةُ : الْحَبْلُ ، وَشَكِرَتْ الْقَبْلَةُ : انْتِطَاعٌ فِيهَا ، وَالْقَبْلَةُ : سَمَتْ ، وَالْقَبْلَةُ : الْأَبْلُ
أَوْ تَقْتَبُهَا (وَأَتَى الْقَبْلُ : قَدْ طَلَعَ الْقَبْلُ (بِالْقَبْلِ) وَهُوَ كَأَنَّهَا سَمَتْ عَلَى قَدَرِ سَمَاتِ الْبَعِيرِ) .
(٧) عَمَدُ الْبَرِّ : بِلْدَةُ الْمَرْحُومَةِ إِذَا تَقَبَّلَتْ عَلَيْهِ تَقَدُّمُ الْقَبْلَةِ ، وَالْقَبْلَةُ جَمْعُ تَبْيَةِ : وَهِيَ مَسْقَرُ الْقَبْلِ
حَيْثُ يَتَبَيَّنُ لِلنَّاسِ مِنَ الْقَبْلِ ، وَطَلَعَتْ تَلْعَبُهَا : أَنْ يَرَى الْقَبْلُ مَقْلًا حَيْثُ إِذَا انْتَبَهَى مِنْهُ لَمْ يَأْخُذْ
حَيْثُ يَلْقَى طَرَفًا لَيْسَ ، وَأَمْلَعَتْ ثَمْلُهَا : أَوْ كَثْرَ ثَمْلُهَا ، وَالْقَبْلَةُ : الْمَرْحُومَةُ وَالْقَبْلَةُ .

٧٨ - رائد يصف أرضاً جديدة

قال أبو الجيب : وصف رائد أرضاً جديدة قال :
« أَغْبَرَتْ جَدَّتُهَا ^(١) ، وَذَرَعَ مَرْتَعَا ، وَقَصِمَ شَجَرُهَا ، وَرَقَّتْ كَرَشُهَا ، وَخَوَّرَ
عَظْمَا . وَالتَّقَى سَرَحَا ^(٢) . وَتَمَيَّزَ ^(٣) أَهْلُهَا . وَدَخَلَ قُلُوبَهُمُ الْوَهْلُ . وَأَمَوَاهُمُ الْهَزْلُ » .
(البيان والهيمن ٢ : ٧٧)

٧٩ - رائد يصف أرضاً

عن محمد بن كُتَيْبَةَ قال : أَخْبَرَنِي بَعْضُ فَصَحَاءِ أَهْلِ بَطْنِ طَبِئٍ قَالَ :
« بَعَثَ قَوْمٌ رَائِدًا . فَقَالُوا : مَا وَرَاءُكَ ؟ قَالَ : عُشْبٌ وَتَعَاشِبٌ ^(١) ، وَكُنَاةٌ
مُتَفَرِّقَةٌ شَيْبٌ ، تَقْلَعُهَا بِأَخْفَاهَا النَّيْبُ ^(٢) » ، قَالُوا : لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا ، هَذَا كَذِبٌ !
فَارْسَلُوا آخَرَ ، فَقَالُوا : مَا وَرَاءُكَ ؟ قَالَ : « عُشْبٌ تَأْدُ مَا دُمُوْنِي ^(٣) » وَعَهْدٌ . مُتَدَارِكٌ
جَدٌ ^(٤) ، كَأَفْخَازِ نَسَارٍ بَنَى سَمَدٌ ، تَشْبَعُ مِنْهُ النَّيْبُ وَهِيَ تَعْدُ ^(٥) » .
(البيان والهيمن ٢ : ٧٩)

(١) الجادة : الطريق إلى الماء ، وذو الخمر : بعد من الماء ، وقصم شجرها : تكسر ، يقال :
سهف قصم كفرج : أي طال عليه ففكر ففكر حده ، وقصم السن : انصاع وتعلم ، وإذا لم يكن للجمال
مرعى إلا الشجر وحده وقت أكراشه . (٢) يعني أنه إذا أكل كل ما يجرح ما يليه ، انفضها عنه الماء .
(٣) تفرقوا في طلب الكلأ ، ولؤلؤ : الفزع ، والهلزل : موت مواشي الرعي .

(٤) الشب : الكلأ الرطب ، والصاشيب : القطع المتفرقة منه . (٥) القتب جمع ناب : وهو
الثقة المسنة . (٦) جده في اللسان : قال الأصمسي : قيل لبعض العرب : أصب لنا موضعاً أي أطلب
فقال والندم : وجدت مكاناً شديداً (يفتح فسكر) وقال زيد بن كثوة : يخرنا رائداً فجاء وقال : عشب
تأد ماؤ (يفتح فسكون) كأنه أسوق بين سمه . وثمة التبت كفرج : ندى فهو ندى ، وما دكع اعتر
وتروى وجرى فيه الماء وتنعم ولان والماد : التاعم من كل شيء ، ولؤلؤ : الذي أسله القول
(والقول : المطر الذي يأتي بعد المطر) ، والعهه : أول مطر الرعي (والرعي : أول مطر الربيع) .

(٧) من قولهم : زيد جمد : أي متراكب مجتمع قد صار بعضه فوق بعض .

(٨) يعني أن العشب قد طال وتم ، والكتب تشبع منه وهي تده : لأنها تتناولوه وهي قائمة لا تخرج مكانها
ولا تطلق رأسها .

٨٠ - رائد يصف أرضاً

وبعث رجل أولاده يرتلون في خِصْب . قال أحدهم : « رأيتُ سَيْلاً . وماء غيلاً^(١) . يسيل سَيْلاً . وخوصه تميل مَيْلاً ، يحسبها الرائد ليلاً » وقال الثاني : « رأيت دِيمةً على دِيمة ، في عهدنا غير قديمة . وَكَلَّا تشبع منه النَّاب قبل القطيعة » .
(البيان والبيان ٢ : ٧٩)

• • •

وروى هذا الوصف عن ابن الكلبي بصورة أخرى قال :
« خطب هند بنته أُنسُ الإلادية ثلاثة نفر من قومها ، وارتضت أنسابهم وجاهلهم ، وأرادت أن تشبر عقوقهم ، قالت لهم : « إني أريد أن ترتدوا إلى مَرَّتِي ، فلما أتوها قالت لأحدهم : ما رأيت ؟ قال : رأيت سَيْلاً وَبَيْتاً ، وماء غدقاً^(٢) سَيْلاً ، يحسبه الجاهل ليلاً ، قالت : أمرت^(٣) ، قال الآخر : رأيت دِيمةً بعد دِيمة ، على عهد غير قديمة ، فالناب تشبع قبل القطيعة ، قال الثالث : رأيت غيلاً مُمَدَّاً مُمَدَّاً^(٤) ، متراكماً جُدّاً ، كأنفاذ نساد بني سعد ، تشبع منه النَّيب وهي نُمَد » .
(بلوغ الأرب ٢ : ٢٥٦)

٨١ - أعرابي يصف أرضه وماله

عن أبي عمرو بن العلاء قال : لقيت أعرابياً بمكة فقلت له : ممن أنت ؟ قال :
أَسَدِي ، قلت : ومن أيهم ؟ قال : نَهْدِي ، قلت : من أى البلاد ؟ قال : من عُحْمَان ،

(١) القيل : الماء الذي يجري بين الشجر .

(٢) اللدق : الماء الكثير . (٣) أمرته أماسيه مريماً كخصيب وزنا وسى .

(٤) الغيث : المطر والكلأ : وقيل : الأصل للمطر ثم سمى ما ينبت به غيثاً ، والمراد هنا الثاني ، ويقال

كعد منه : خض وطيب ومنه .

قلت: فأني لك هذه القصاصة؟ قال: «إنا سكتنا قطراً لا نسمع فيه نائحة النجار»^(١)
 قلت: صف لي أرضك، قال: «سيف أفتيح، وقضاء صمصح، ونبيل مردوح،
 وزمّل أصبغ»^(٢)، قلت: فإمالك؟ قال: الضل، قلت: فأين أنت من الإبل؟
 قال: «إن الضل تحلبها غداء، وسنمها ضياء، وجنحها بناء، وحكربها صلاء،
 ولينها رشاء، وخومها وعاء، وقروها إناء»^(٣). (لعل الأمل من ١٧)

٨٢ - أعرابي يصف بلداً

وذكر أعرابي بلداً قال: «بلد كالترس، ماتمشي فيه الرياح إلا عابرات سبيل،
 ولا يمر فيه الشتر إلا بأذن دليل»^(٤). (الغنية القرية ٢ : ٨٠)

وقال أعرابي: «مردت ببلد ألقى به الصيف»^(٥)، فأنظر غديراً بقصر
 الطرف عن أرجائه، وقد فتت الريح القذى عن مائه، فكانت سلاسل دزج ذات
 فضول»^(٦). (الغنية القرية ٢ : ٩٦)

وسئل أعرابي عن مسافة ما بين بلدين قال: «عزلية، وأديم»^(٧) يوم.
 وقال آخر: «سواد ليلة، أو بياض يوم»^(٨).

(البيان والبيان ٢ : ٥١، والغنية القرية ٢ : ٩٧)

وقال آخر: «إن للسافر ومناحه لتي»^(٩) «إلا ما وثق الله»^(١٠).

(الغنية القرية ٢ : ٥٢)

الحاجة: الصوت، والهمز: الموج. (٢) السيف: ساحل البحر، وسطح القلعة، أو
 لكل سطح سيف، أو إما يقال ذلك لسيف حاد، ولقيح: واسع، والصمصح: ما أسعى من
 الأرض، والصمصح: الصلب، والأصمج: الذي يلو بياضه حرة. (٣) الضل: جريد التفل أو
 ورد، والكروب: أصول السيف للقاطع الفرائس، والقرقاء: الحبل، والقرقرو: أسل التفلقة ينظر
 فتيته له - أو يفتد به لتيته -

(٤) السيف كنهه ويظف: المخرج، في السيف أو يد الريح كالسيف.

(٥) جمع قتل: وهو القليلة. (٦) أديم التاج: ملحه أو بياضه. (٧) التلت: الخلاك.

٨٣ - أعرابي يصف أشد البرد

سئل أعرابي قتيلاً له : ما أشد البرد ؟ قال : ربح جريئاً ، في ظلّ شجرة ،
غيبٌ شجرة ^(١) . (البيان والبيان : ١ : ١٦٢)

٨٤ - أعرابي يصف إبلاً

وقال : سمعت أعرابياً يصف إبلاً قتل :
« إنها لِعِظَامُ الحَنَاجِرِ ، سَيَاطُ اللَّشَاظِرِ ، كَوْمُ بَهَازِرٍ ^(٢) ، تُسَكِدُ خَنَاجِرٍ ^(٣) ،
أَجَوَانُهَا رِغَابٌ ^(٤) ، وَأَعْطَانُهَا رِحَابٌ ، تُنْتَعِجُ مِنَ الْبَهْمِ ^(٥) وَتُيَذَلُّ لِلْجِصِّ .
(الأمل : ١ : ٥٢)

٨٥ - أعرابي يصف ناقة

ووصف أعرابي ناقة فقال : « إِذَا اكْتَالَتْ عَيْنُهَا ، وَأَلَّتْ ^(١) أَذُنُهَا ، وَسَجِحَ ^(٢)
خَدُّهَا ، وَهَدِلَ ^(٣) مِشْفَرُهَا ، وَاسْتَدَارَتْ جُنْبُصُهَا ، فَهِيَ الْكَرِيمَةُ .
(الأمل : ١ : ٢١٧)

(١) الجريء : روح القليل القلوة ، أو الفرج بين المغرب والمساء ، والمساء : السحاب المرتفع ، أو
الكهف ، أو المسطر ، في شب سماء . أي جنب سطر . (٢) المشهورة والمجهود كصفود : الملقوم ،
وجهه مطهر ، والمشفر جمع مشفر كبير : وهو الجود كالشفة للإنسان ، والكريم : العظيم الأمانة جمع أكرام
وكرماء واليهلوا جمع بوزة كيتقة : وهي العظيمة من الفروق .

(٣) القزيرات اللبن من الإبل (والقي لا لبن لما ليس فيه) ، والخطير : القزيرات اللبن
جمع عنبر كخطير وجهه وعنبره واهم . (٤) رغب : رغبة ، وأعطانها : مطركها من اللذيع
من كسب . (٥) البهم جمع بة كرمسة : وهو اللجاج الذي لا يهدى من أين يؤول ، من شدة
بأسه ، والهم جمع بة كربة ، وهم القوم يسكنون في كهف .

(٦) أله الجير : نصب أذنيه وحدهما . (٧) سيج : سهل وحسن . (٨) عذل : استرخى .

٨٦ - أعرابي يصف خيلا

وقال الأحمسي : سمعت أعرابياً يقول : « خرجت علينا خيلٌ مستطيرةُ النفع ^(١) ،
كان هوديتهم ^(٢) أعلام ، وآذانها أطرافُ أقلام ، وفُرساتها أسودُ أجلام » .

٨٧ - أعرابي يصف خيلا

وذكر أعرابي خيلا فقال : « والله ما انحدرت في وادي إلا ملأت بطنه ،
ولا ركبته بطن جبل إلا أشهكت حرته » . (الحدائق ١٠٧ : ١٠٨)

٨٨ - أعرابي يصف خيلا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يصف خيلا فقال : « سباط
المصائل ^(٣) . غلياء المفاصل ، شداد الأبالج ^(٤) ، قُب الأيائل ، كرام التواجل ^(٥) » .
(الأمالي ١ : ٥٧)

٨٩ - أعرابي يصف فرسا

ووصف بعض الأعراب فرسا فقال : « قد انتهى صنوره ، وذَبَلُ فريره ^(٦) ،
وظهر حصيره ^(٧) ، وتفلقت غروره ^(٨) ، واسترخت شاكِلته ^(٩) ، يُقبل بزور
الأسد ، ويُذبر بعجز الذئب » . (البيان والبيان ٣ : ٢٢٢ ، والأمالي ٢ : ٢٥٦)

(١) الغبار . (٢) أو اللها . (٣) المصائل جمع خصلة : وهي كل قطعة من اللحم مسطوية أو
مجمعة ، وقيل : هي ما أجاز من لحم الفيل يشبه من بعض ، وسباط جمع سبط ككف وشس ، وجبل
سهل الجبل إذا كان حسن لونه والاستواء : وظله . (٤) الأبالج جمع أبجل : وهو مرق
ظليق في الرجل أو في الفهد ، يريد أنها قلداء القوائم . (٥) الأيائل جمع أيائل : وهو الخامسة ،
قب جمع آقب ، وصف من القهب كعجب وهو حقة الخصر وضهور البطن ، والتواجل جمع تاجلة : من
نجلته : أي ولده . (٦) القنبر : موضع الحبة من معرفة القنبر . (٧) الحصير : مرق يمتد مفرقا على جنب الفأفة إلى ناحيته بطنها ، أو حبة كلك .
(٨) القنور : النشور في جنده ، واحداً غير بالفتح . (٩) الشاكلة من القنور : الملهدين
عرض الخامسة والثلثة - والثلثة كلفرة : الركبة - .

٩٠- أعرابي يصف خاتماً

وقال أعرابي يصف خاتماً : « شَفَّ^(١) تَقْدِيرُ حَلْفَتِهِ ، وَدَوَّرَ كَرْسِيَ رِفْعَتِهِ ، وَأَحْكَمَ تَرْكِيبَهُ ، وَأَتَمَّنْ تَدْيِيرَهُ ، فَبِهِ يَتِمُّ لَلْكُ ، وَيَقْدُ الْأَمْرُ ، وَيَكْرُمُ الْكِتَابُ ، وَيَشْرَفُ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ » .
(اللسان القرني ٢ : ١٧)

٩١- أعرابي يصف أطيب الطعام

وقال عبد الملك لأعرابي : « مَا أَطْيَبُ الطَّام ؟ » ، قَالَ : « بِكَرْمَةِ سِنَّةٍ^(٢) ، مُتَّعِلَّةٍ غَيْرِ سِنَّةٍ ، فِي قُدُورٍ رَذَمَةٍ^(٣) ، بِشِفَارٍ خَذَمَةٍ^(٤) ، فِي غَدَاةٍ شَيْمَةٍ^(٥) » ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَأَيُّكَ قَدْ أَطْيَبَ^(٦) .
(البيان والبيان ١ : ١٦٢)

٩٢- أعرابي يصف السوق

وعاب رجل السوق^(٧) مَحْضَرَةَ أعرابي قَالَ : « لَا تَعْبَهُ ، فَإِنَّهُ غَدَاةُ الْمَسَافِرِ ، وَطَعَامُ السَّجَّالَانِ ، وَغِدَاءُ اللَّبْكَرِّ^(٨) ، وَبَلْفَةُ^(٩) الْبَرِيضِ ، وَبَسْرُ^(١٠) فَوَادِ الْحَزِينِ ، وَبَرْدُ^(١١) مَنْ نَسَسَ الْحُلُودَ^(١٢) ، وَجِدَّ فِي النَّسَمِينَ ، وَمَنْعَوْتُ فِي الطَّبِّ ، وَتَهَارَهُ^(١٣) بِحُلُو

(١) رَقَّ .

(٢) البكرة : القنعة من الإبل ، والقنعة : الطليعة السنام ، وقطع كعرج ، عيط اللهيعة كضرب واحبطها : غمرها من غير حلة وهي حمية قنعة ، والقنعة : القنعة والمهتلة في جملتها من القنعة كعصرة وهي المرض . (٣) وقطع القصعة كعرج فهي رذمة وروم كصبور : امطأت وقصبت جوانبها .

(٤) شفار جمع شفرة « بالفتح » : وهي السكين العظيم ، وغلفه كعقره : قطعه ، وصيغ : خذم ككتف وصبور ومظم : قاطع . (٥) قنادة : البكرة « بالضم » أو ما بين صلاة للقبر وطلوع الشمس ، وشبهة : ياردة ، وقطعها كعرج . (٦) أطاب الشيء وأطيبه : وجده طيباً .

(٧) السوق : ما يسئل من الخنقة والشمير . (٨) ما يلقح به . (٩) يسر : يكشف ما عليه .

(١٠) الحلود : التي قد حذ أي قد ضرب الحد . (١١) قننار : الذي لم يلت شيء من آدم ،

لأنه لا يمت ولا من ولا ابن . يقال طعام قننار .

الْبَلَمِّ ، وملتوته يُسْقَى الهَم ، وإن شئت كان شراباً ، وإن شئت كان طعاماً ، وإن شئت قَتَرِيداً ، وإن شئت فَخَيْصاً^(١) . (الأمال ٢ : ١٩٧)

٩٣ - أعرابي يصف الجمال

وقيل لأعرابي ما الجمال ؟ قال : « طُولُ القامة ، وَضَخْمُ^(٢) الهامة ، وَرُحْبُ^(٣) الشَّدَقِ ، وَبُعْدُ الصوت » . وسئل آخر : ما الجمال ؟ قال « غُثُورُ العينين ، وإشراف الحاجبين ، وَرُحْبُ الشَّدَقَيْنِ » . (البيان والبيان ١ : ٦٧)

٩٤ - أبو الخش يصف ابنه

وسأل جعفر بن سليمان أبا الخش عن ابنه الخش^(١) - وكان جزع عليه جزعاً شديداً - قال : صف لي الخش ، فقال : « كان أشدق خُرْطُمانيّاً^(٢) ، سائلاً لُمائيّاً ، كأنما ينظر من قُلَّتَيْنِ^(٣) ، كأن ترزقوته يُوَانُ ، أو خالفة^(٤) ، كأن منكبيه كِرْكِرَةٌ جلجل^(٥) ، فها الله عيني إن كنت رأيت قبله أو بعده مثله » . (البيان والبيان ١ : ٦٧)

٩٥ - أعرابي يصف بنيه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي يحكى الرَبَذَةَ : ألك بنون ؟ قال : نعم ، وخالقهم لم تُقَمِّمْ عن مثلهم مُنْجَبَةٌ^(١) ، قلت : صفهم لي ، فقال : « جَهْم ! وما جهم ؟

(١) الخبيص : نقي النقيض يقطط بالصل .

(٢) ضخم ككرم ضخماً وضخامة فهو ضخم . (٣) رحب ككرم وسع رحياً بالضم ورحابة فهو

رحب بالفتح . (٤) الخش في الأصل : الجري - هل القمل في الجبل .

(٥) أشدق : واسع الشدقين : خرطُمانيّاً : طويلاً . (٦) قللت : الفترة في الجبل .

(٧) الوان : عمود الغناب ، والخالفة : عمود من أعمدة البيت في مؤخره ، والكركرة : وحى زور

البحر ويمر ثقلاً : بهلى .

يُنْفِي الْوَهْمَ ، وَيَصُدُّ الدَّهْمَ ^(١) ، وَيَفْرِى الصُّنُوفَ ، وَيَعْلُ السُّيُوفَ ^(٢) ، قُلْتُ :
 ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « غَشَمْتُمْ ! وَمَا غَشَمْتُمْ ؟ مَالُهُ مُقَسَّمٌ ، وَفَرَنَهُ تُجَرَّجَمُ ^(٣) ، جِذْلُ
 حِكَاكٍ ^(٤) ، وَمِذْرَةُ لِسَاكٍ ^(٥) » ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « عَشْرَبُ ! وَمَا عَشْرَبُ ؟
 لَيْثٌ مُحَرَّبٌ ، وَبَحَامٌ مُقَشَّبٌ ^(٦) ، ذِكْرُهُ بَاهِرٌ ، وَخَصْمُهُ عَاثِرٌ ، وَفَنَاؤُهُ رُحَابٌ ^(٧) ،
 وَدَاعِيهِ مُجَابٌ ^(٨) ، قُلْتُ : صِفْ لِي نَفْسَكَ ، قَالَ : « لَيْثٌ أَبُو رَبَائِلَ ^(٩) ، رَكَّابٌ مُعَاذِلٌ
 عَسَافٌ ^(١٠) ، تَجَاهِلٌ ، حَلَّالٌ أَعْيَاءٌ ، نَهَاضٌ يَزَلُّ ^(١١) » . (الأمال ١ : ٥٢)

٩٦ - أعرابي يصف أخويه

عَنِ الْمُتَنَبِّىِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَعْرَابِي عَنْ إِخْوَةٍ ثَلَاثَةٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَحَدِهِمْ : أَخْبِرْنِي
 عَنْ أَخِيكَ زَيْدٍ فَقَالَ : « أَزِيدُ إِنِّيهِ ^(١) ؟ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْكَنَ قَوْرًا ، وَلَا أَبَدَ
 غَوْرًا ، وَلَا آخَذَ لِلدَّنَبِ حُجَّةً قَدْ تَقَدَّمَ رَأْسُهَا مِنْ زَيْدٍ » ، قُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَخِيكَ
 زَائِدٍ قَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ شَدِيدَ الْعُقْدَةِ ، لَيْنَ السَّطَفَةِ ، مَا يُرْضِيهِ أَقْلٌ مِمَّا يُسْخِطُهُ ، فَتَلَّتْ :
 فَأَخْبِرْنِي عَنْ نَفْسِكَ ، قَالَ : « وَاللَّهِ إِنْ أَفْضَلَ مَا فِيَّ كَأَمْرَفَتِي بِفَضْلَيْهَا ، وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ
 لَكُنِيرٌ مُنْتَشِرٌ ^(٢) الرَّأْيَ ، وَلَا تَحْذُولُ الْعَزْمُ » . (الأمال ٢ : ١٤)

-
- (١) يُنْفِي : يَهْزِلُ ، وَالْوَهْمُ : الضَّمُّ الْعَظِيمُ مِنَ الْإِهْلَاءِ ، وَالْدَّهْمُ : الْعَمَلُ الْكَبِيرُ .
 (٢) يَفْرِى : يَهْزِلُ ، وَيَعْلُ : أَيُ يَرُدُّهَا الْعَمَاءُ ثَانِيَةً ، مَأْخُذٌ مِنَ الْعِلَالِ فِي الْحَرْبِ .
 (٣) الْمُجَرَّجَمُ : الْمَصْرُوعُ . (٤) الْجِذْلُ : أَسْلُ الشَّجَرَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِهْلَاءَ الْجَرْبَ تَحْتَكَ بِهِ فَجِدَّةُ
 لَهُ لَذَّةٌ ، وَالْمُنْفِي أَنَّهُ يَنْتَشِرُ بِهِ فِي الْأُمُورِ بِمِثْلَةِ ذَلِكَ الْجِذْلِ الَّذِي تَنْتَشِرُ بِهِ الْإِهْلَاءُ .
 (٥) الْمِذْرَةُ : لِسَانُ الْقَتَمِ ، وَالْمِشْكَلُ عَنْهُمُ ، وَالْقَدَافِعُ عَنْهُمْ ، يُقَالُ : دَوَّهَتْ حَيَّ وَدَوَّاهَتْ : أَيَّ دَفَعَتْ ،
 وَالْكَازُ : الْقَرْحَامُ . (٦) الْحَرْبُ : الْمَغْضَبُ الَّذِي قَدْ أَشْتَدَّ غَضَبُهُ وَاحْتَدَتْ ، وَحَرِيَتْ السَّكِينُ : إِذَا
 أَسَدَّتْ ، وَمُقَشَّبٌ : مَخْلُوطٌ . (٧) بَاهِرٌ غَالِبٌ ، وَرُحَابٌ : مَنَحٌ .
 (٨) رَبَائِلٌ جَمْعُ رَبِيلٍ بِالْكَسْرِ يَهْزُ وَلَا يَهْزُ : وَهُوَ الْأَمَةُ ، وَالْمُعَاذِلُ : الْغَوَامِسُ .
 (٩) الْعَسَافُ : الَّذِي يَرْكَبُ الطَّرِيقَ عَلَى غَيْرِ مَهَابَةٍ ، وَالْأَعْيَاءُ : الْأَقْدَالُ .
 (١٠) الْيَزَلُّ : الَّذِي يَلْجِدُ الَّذِي يَزَلُّ (يَهْمُ الْغَرَى) مِنَ الصَّوَابِ : أَيُّ يَشُقُّ مَتْنَهُ .
 (١١) قَالَ أَبُو عَلٍ الْقَتَاتِلُ : « هَذِهِ التَّهَادَةُ تَلْقَى فِي الْأَسْتِغْنَاءِ قِيَّاسَ الْكَلِمَةِ إِذَا أَسْكُرْتَ أَنَّ يَكُونُ
 رَأْيُ الْمُتَكَلِّمِ عَلَى مَا ذَكَرَ ، لَوْ يَكُونُ عَلَى غِلَافٍ مَا ذَكَرَ » انْظُرْ هَذَا اللَّيْسَ فِي الْأَمَالِ ٢ : ١٥ .
 (١٢) أَيُّ مَفْرَقَةٍ .

قولهم في الدعاء

٩٧ - دعاء أعرابي

قال أبو حاتم : أُمِلَّ عَلَيْنَا أَعْرَابِيَّ قَالَ لَهُ مَرْتَدٌ :

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، وَاجْلِدْ بَارِد ، وَالنَّفْسُ رَطْبَةٌ ، وَاللِّسَانُ مُنْطَلِقٌ ، وَالصَّغْفُ
مِنْشُورَةٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ، وَالتَّوْبَةُ مُقْبُولَةٌ ، وَالْأَنْفُسُ مِرْيَعَةٌ ^(١) ، وَالتَّضَرُّعُ مَرْجُوٌّ ،
قَبْلَ أَنْ يَفْرَقَ ، وَحَشَاكَ النَّفْسُ ^(٢) ، وَعَلَزَ الصَّدْرُ ^(٣) ، وَتَزِيلُ الْأَوْصَالِ ^(٤) ، وَنَعْوَالُ
الشَّعْرِ ، وَاحْتِيَافٌ ^(٥) الْقَرَابِ ، وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حِينَ يَقْفُ الْعَمَلُ ،
وَيَحْضُرُ الْأَجَلُ ، وَيَنْقَطِعُ الْأَمَلُ .

أَعْيَنِي عَلَى اللَّوْتِ وَكَرْبَتِهِ ، وَعَلَى الْقَبْرِ وَعَجَّتِهِ ^(٦) ، وَعَلَى اللَّيْزَانِ وَخِفَّتِهِ ، وَعَلَى
الصَّرَاطِيزِ وَزَلَّتِهِ ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَدَوَعَتِهِ ، اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عَزَمْتُ ، لَا تَنَادِرُ ذَنْبًا ، وَلَا
تَدْعُ كَرْبًا ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا اقْتَرَضْتُ عَلَى وَلَمْ أُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا ثَبْتُ
إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ .

يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ ^(٧) عَلَى مَنِّكَ النَّعْمُ ، وَتَدَارَكْتُ عَنْكَ مِنَ الذَّنُوبِ ، فَكُلَّ الْحَدِّ
عَلَى النَّعْمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذَّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ ، وَأَسْمَيْتَ عَنْ عَذَابِي
غَفِيًّا ، وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ قَتِيرًا .

(١) مَرَجٌ كَفَرَحٌ : أَشْرٌ وَهَلَرٌ وَفَلْطٌ وَاعْتَالٌ وَتَبَخَّرَ فَهُوَ مَرَجٌ وَمَرِجٌ .

(٢) الْحَشَا : شُعَةُ الزَّجَعِ . (٣) الْعَلَزُ : قَلَقٌ وَخَفَةٌ وَمَلَحٌ يَسْبِبُ الْمَرِيضَ وَالْمَحْضَرَّ .

(٤) تَزِيلَتِ وَتَزَالِمَتِ : تَفَرَّقَتِ ، وَالْأَوْصَالُ : الْمَفَاصِلُ . (٥) الْإِحْتِيَافُ : الْفَصَالُ مِنَ الْخَيْفِ وَهُوَ
الْجَوْرُ ، وَالرَّادُ أَكَلُ تَرَابِ الْقَبْرِ الْجَفَةِ ، وَاللَّيُّ فِي كِتَابِ الْقَلَمِ وَالتَّحْيِيفُ وَتَحْيِيفُ الْقَلَمِ : إِذَا تَقَصَّصَتْ
مِنْ حَالَتِهِ .

(٦) لَعَلَهُ مِنْ قَمِ الْقَلَمِ : أَيْ خَطَاهُ قَالَتِمْ ، أَوْ مِنْ غَيْبِهِ وَبَالِغِهِ : أَيْ بُلَاغِهِ وَكَرْبٍ طَائِبٍ .

(٧) تَظَاهَرُوا إِذَا تَمَارَعُوا : أَيْ تَنَاهَتْ .

اللهم إني أسألك نجاح الأمل ، عند انقطاع الأجل ، اللهم اجعل خير عَمَلِي ما وَدَّيَ
أَجَلِي ، اللهم اجعلني من الذين إذا أُعْطِيَتْهُمْ شُكْرُوا ، وإذا أُبْطِغَتْهُمْ صَبَرُوا ، وإذا
أُذْكَرَتْهُمْ ذَكَرُوا ، واجعل لي قلباً تَوَّاباً أَوْاباً ، لا فاجراً ولا مُرْتَاباً ، اجعلني من
الذين إذا أَحْسَنُوا ازدادوا ، وإذا أَسَاءُوا استغفروا .

اللهم لا تَحْقُقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ ^(١) ، ولا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ ، واحفظني في كل ما تَحِيطُ
بِهِ شَفِيقِي ، وتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سَبْحَتِي ^(٢) ، وَتَحِيزُ عَنْهُ قُوَّتِي ، أَدْعُوكَ دَعَاءَ ضَعِيفٍ قَهْلُهُ ،
مُظَاهِرَةً ذَنْوِيهِ ، ضَعِيفٍ عَلَى غَسِّهِ ، دَعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ ضَعِيفٌ ، وَمُتَّعُهُ ^(٣) عَاجِزَةً ، قد
انْتَهَتْ عُذَّتُهُ ، وَخَلَقْتَ ^(٤) جِدَّتُهُ ، وَتَمَّ ظَلَمُوهُ . اللهم لا تَحْبِئْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ ، ولا
تَمَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ ، والحمد لله على طول السَّيِّئَةِ ^(٥) ، وَحَسَنَ التَّبَاعَةِ ^(٦) ، وَتَشْجِيعِ
الْعُرُوقِ ، وَإِسَاعَةِ الرِّيقِ ، وتأخر الشَّدَائِدِ ، والحمد لله على حِلْمِهِ بِعَدْلِهِ ، وعلى عَفْوِهِ
بِعَدِّ قُدْرَتِهِ ، والحمد لله الذي لَا يُودِي ^(٧) قَتِيلَهُ ، وَلَا يَحْبِئُ سُوْلَهُ ، وَلَا يَرُدُّ رَسُوْلَهُ ،
اللهم إني أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَمِنَ الْفَقْلِ إِلَّا لَكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ
ذُورًا ، أَوْ أَغْشَى فُجُورًا ، أَوْ أَكُونُ بِكَ مَفْرُورًا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ،
وَعُضَالِ الدَّاءِ ، وَخَبِيئَةِ الرَّجَاءِ ، وَزَوَالِ النِّعْمَةِ .

(القلعة القديرة ٧٧ : ٢ ، والبيان والخبير ٢ : ٢٢٤ - ١٢٧ - ١٢٨)

- (١) يعني إلى قوله تعالى : « أَفَرَأَيْتَ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » .
(٢) لطف من السَّحْبِ : وهو الغُطْبُ والانتشار في الأرض ، والإيجاد في السَّحْبِ ، والتصرف في المعالي .
(٣) اللطف : القوة .
(٤) خلق القرب كتمس وكرم وسع : بل ، والقظم : ما بين القربين والقوردين .
(٥) الإمهال والتأخير . (٦) التَّباعَةُ مثل التَّبعَةِ يَتَّبِعُ فَكُسِرَ . قال القاسم :
أَكَلْتُ حَبِيلَةَ دَجَا زَمَنَ الْقَضَمِ وَالْجَبَابَةِ
لَمْ يَلْجُوا مِنْ رَجَمِ سَوْدِ الْوَرَقِ وَالْقَبَابَةِ
« لأنهم كانوا قد انقلوا إلها من حين عبودهم زماناً ، ثم أصابهم مجاعة فأكلوه » - والمحس كشس :
تمر يظلم بالسمن والبن المحس ليسين شديداً ، ثم يتغير منه نواء .
(٧) ودى القتل كرمى : أسلى « به » ، والسول : وهو ما سألته .

٩٨ - دعاء أعرابي

ودعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة قال :

« إِلَهِي مَنْ أَوَّلَى بِالضَّعِيفِ وَالزَّالِمِ وَأَنْتَ خَلَقْتَنِي ؟ وَمَنْ أَوَّلَى بِالضُّعْفِ مِنْكَ عَنِي
وَعَلَيْكَ بِي مَا ضَرَّ ، وَقَضَاؤُكَ بِي مُحِيطٌ ؟ أَطَعْتُكَ بِقَوْلِكَ وَلِلَّهِ لَكَ ، وَعَصَيْتُكَ بِعَمَلِكَ ،
فَأَسْأَلُكَ يَا إِلَهِي - بِوَجُوبِ رَحْمَتِكَ وَاقْطَاعِ حَقِّي ، وَانْقِصَارِي إِلَيْكَ وَغِنَاكَ عَنِي -
أَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي . »

إِلَهِي لَمْ أَحْسِنَ حَقِّي أَطَعْتَنِي ، فَتَجَاوَزَ عَنِ الذُّنُوبِ الَّتِي كَتَبْتَ عَلَيَّ ، اللَّهُمَّ إِنَّا
أَطَعْنَاكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ : شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ،
وَلَمْ نَعْصِكَ فِي أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ : الشِّرْكَ بِكَ ، فَاغْفِرْ لِي مَا بَيْنَ ذَلِكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ آتَسُّ الْوُائِسِينَ لِأَوْلِيائِكَ ، وَأَحْضَرُهُمُ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ ، إِلَهِي أَنْتَ
شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ ، وَالطَّلَعُ عَلَى ضَمَائِهِمْ ، وَسِرِّي لَكَ مَكْشُوفٌ ، وَأَنَا إِلَيْكَ مَلْهُوفٌ ،
إِذَا أَوْحَشْتَنِي الْفَرَبَةَ آتَسُّ ذِكْرُكَ ، وَإِذَا أَكَبْتَ عَلَيَّ الْفُؤُومَ لَجَأْتُ إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ
بِكَ ، عَلِمًا بِأَنْ أَرْزَمَةَ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِكَ ، وَمَصْدَرَهَا عَنِ قَضَائِكَ ، فَأَقْلِبْ^(١) إِلَيْكَ
مُتَّقِنُورًا لِي ، مَعْصُومًا بِطَاعَتِكَ بَقِيَّةَ عَمْرِي ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . »

٩٩ - دعاء أعرابي

وقال الأعمى : حَبَّجْتَ فَرَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَوْفُودٍ سَأَى إِلَيْهِ الْوُقُودُ^(٢) ، قَدْ ضَعُفَتْ قُوَّتِي ، وَذَهَبَتْ مَتْنِي ، وَأَنْبَتَ
إِلَيْكَ بِذُنُوبٍ لَا تَنْقِصُهَا الْأَنْهَارُ ، وَلَا تَحْتَمِلُهَا الْبَحَارُ ، أَسْتَجِيرُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ،
وَبِغُفْرِكَ مِنْ عِقَابِكَ ، ثُمَّ لَفَتَ فَقَالَ : « أَيُّهَا الشَّقَوْنَ ، ارْحَمْنَا مِنْ شَيْئَتِكَ الْخَطَايَا ،

(١) الله : حله . (٢) والله إليه وعليه : قدم ، ولم وفود والله كفيس وركع ولوفد .

وَعَمَرَتْهُ الْبَلَايَا ، اَرْحَمُوا مِنْ قَطْعِ الْبِلَادِ ، وَخَلَّفَ مَا مَلَكَ مِنَ الْتَلَادِ . اَرْحَمُوا مِنْ وَبْخَتِهِ
الذُّنُوبِ ، وَظَهَرَتْ مِنْهُ الْمَيُوبِ ، اَرْحَمُوا أَسِيرَ ضَرْ ، وَطَرِيدَ قَرْ ، أَسْأَلُكُمْ بِالَّذِي
أَعْمَلْتُمْ الرِّغْبَةَ إِلَيْهِ ، إِلَّا مَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ أَنْ يَهَبَ لِي عَظِيمَ جُزْئِي ، ثُمَّ وَضَعَ فِي خَلْقَةِ
بِالْبَابِ خَذَهُ وَقَالَ : ضَرَعَ خَدِي لَكَ ، وَذَلَّ مَقَامِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

عَظِيمُ الذَّنْبِ مَكْرُوبٌ مِنْ الْخُسَيْرَاتِ مَسْلُوبٌ
وَقَدْ أَصْبَحْتَ ذَا قَهْرٍ وَمَا عَنْدَكَ مَطْلُوبُ

١٠٠ - دُعَاءُ أَعْرَابِي

وَسَمِعَ أَعْرَابِي يَرْفَعُ عَشِيَّةَ عَمْرَةٍ وَهُوَ يَقُولُ :

« اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ عَشِيَّةٌ مِنْ عَشَائِي مَحَبَّتِكَ ، وَأَحَدُ أَيَّامِ زُلْفَتِكَ ^(١) ، يَأْتِلُ فِيهَا مِنْ
سَجَاةٍ إِلَيْكَ مِنْ خَلْقِكَ أَنْ لَا يُشْرَكَ بِكَ شَيْئًا ، بِكُلِّ لِسَانٍ فِيهَا يُدْعَى ، وَلِكُلِّ خَيْرٍ فِيهَا
يُرْجَى ، أَنْتَكَ الْمَصَادُ مِنْ الْبِلَادِ السَّحِيقِ ^(٢) ، وَدَعْتِكَ الْعَنَاءَ ^(٣) مِنْ شُعْبِ الْمَضِيقِ ،
وَجَاءَ مَا لَا خُلْفَ لَهُ مِنْ وَعْدِكَ ، وَلَا انْقِطَاعَ لَهُ مِنْ جَزِيلِ عَطَائِكَ ، أَبَدْتَ لَكَ وَجُوهَهَا
لِلْمُصُونَةِ ، صَابِرَةً عَلَى وَهَجِ السَّأَمِ ^(٤) ، وَبَرَدِ اللَّيَالِي ، تَرْجُو بِذَلِكَ رِضْوَانَكَ ،
يَا غَفَّارُ ، يَا مُسْتَزَادًا مِنْ نِعَمِهِ ، وَمُسْتَعَاذًا مِنْ نِقَمِهِ ، اَرْحَمَ صَوْتِ حَزَنِ دُعَاكَ
بِرَفِيرٍ وَشَبِيقٍ . »

ثُمَّ بَسَطَ كِلْتَا يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَيْكَ دَاعِيًا

(١) الزُّلْفَةُ : الْقُرْبَةُ . (٢) البَحِيدُ . (٣) العَنَاءُ جَمْعُ عَانٍ مِنْ مَنَا : أَمَّا ذَلْ وَخْفِيعُ ، وَفِي
رَوَايَةِ الْأَمَالِ : « أَنْتَكَ الْخُصَامُ مِنَ الْقَبْرِ الْعَبِيقِ ، وَجَاءَتْ إِلَيْكَ الْمَهَارِقُ مِنْ شَبِّ الْخَشِيقِ » وَالْخُصَامُ
الْإِبِلُ الْمَهْزُولَةُ ، وَالْمَهَارِقُ جَمْعُ مَهْرَقٍ (يَضْمُ الْمِيمُ وَفَتْحُ الْهَاءِ) : الصَّغَرَاءُ لِلْمَاءِ .

(٤) السَّأَمُ جَمْعُ سَمٍّ مَكْسُورٍ ، وَهُوَ الرِّيحُ الْحَارَّةُ تَكُونُ غَالِبًا بِالْمَهَارِ ، وَفِي رَوَايَةِ الْأَمَالِ : « عَلَى لُحْجِ
السَّأَمِ ، وَبَرْدِ لَيْلِ السَّأَمِ » - وَلَيْلُ السَّأَمِ (كَكُتَابِ) وَلَيْلُ تَمَسٍّ : أَطْوَلُ لَيْلِ الشَّهْرِ - وَفِي رَوَايَةِ
الْأَمَالِ : « تَصْطَكُ تَنْظَرُهَا عَلَى مَعَةِ الْقَفْلَةِ ، فَكَيْفَ أَيْلَسَ مِنْهَا مَعَةِ الْفَرَجَةِ » - وَأَسْأَلُ الْقَفْلَ
(الصَّهْرِيكَ) ، وَالرَّجُوعُ مِنَ السَّفَرِ : وَيُطْلَقُ عَلَى الْإِجْتِنَاءِ فِي السَّفَرِ كَمَا هُنَا تَقْتَضِيهِ بِالرَّجُوعِ - .

فلا كَفَيْتَنِي سَاهِيًا ، بِنِعْمَتِكَ الَّتِي تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ عِنْدَ الْغَلَّةِ ، فَلَا أَبَأْسَ بِهَا عِنْدَ
التَّوْبَةِ ، لَا تَقْطَعْ رَجَائِي مِنْكَ لِمَا قَدَّمْتَ مِنْ إِقْرَافٍ ^(١) آتَاكَ ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَصِلُ
إِلَيْكَ إِلَّا بِكَ ، فَهَبْ لِي يَا رَبُّ الصَّلَاحَ فِي الْوَلَدِ ، وَالْأَمْنَ فِي الْبَلَدِ ، وَالْعَافِيَةَ فِي الْجَسَدِ
وَعَافِيٍّ مِنْ شَرِّ الْجَسَدِ ، وَمِنْ شَرِّ الدَّهْرِ النَّكَدِ ^(٢) .

(الحمد لله عليه ٢ : ٧٧ ، والأمال ٢ : ٢٢٢)

١٠١ - دعاء أعرابي

وَدَعَا أَعْرَابِي فَقَالَ : « يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ ، وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ ،
وَيَا مُجِيرَ الضُّعْفِ ^(٣) ، وَيَا مُنْقِذَ الْمَلِكِي ، وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ ، أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ لَكَ سَوَادُ
الَّيْلِ ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ ، وَضَوْءُ الْقَمَرِ ، وَشُعَاعُ الشَّمْسِ ، وَخَفِيفُ الشَّجَرِ ، وَدَوِيُّ اللَّاهِ ^(٤)
يَا مُحْسِنَ ، يَا مُجِيلَ ، يَا مُفْضِلَ ، لَا أَسْأَلُكَ الْخَيْرَ بِخَيْرِهِمْ عِنْدَكَ ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ
بِرَحْمَتِكَ ، فَاجْعَلِ الْعَافِيَةَ لِي شِمَارًا وَدِتَارًا ^(٥) ، وَجَنَّةَ دُونَ كُلِّ بَلَاءٍ . »

١٠٢ - دعاء أعرابي

وَقَالَ الْأَعْمَى : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا فِي فَلَائِهِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَهُوَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ :
« اللَّهُمَّ إِنْ اسْتَغْفَرْتُ إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لَوْلَمْ ، وَإِنْ تَرَكْتُ اسْتَغْفَارَ مَعَ
مَعْرِفَتِي بِسَمَةِ رَحْمَتِكَ لَمَعُزْ ، إِلَهِي كَمْ تَحَبَّبْتَ إِلَيَّ بِنِعْمَتِكَ ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي ، وَكَمْ
أَتَبَنَّصُّ إِلَيْكَ بِذُنُوبِي ، وَأَنَا قَتِيرٌ إِلَيْكَ ، سَبَّحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَّى . »

(١) اقْرَفَ الذَّنْبُ : أَتَاهُ وَضَعَهُ .

(٢) يُقَالُ : رَجُلٌ شَكَّ كَتْفَ رَجُلٍ وَشَسَّ وَأَشَكَّهُ : ذَوَّمْ صِرَ .

(٣) الضُّعْفُ جَمْعُ ضَعْفٍ . (٤) اللَّاهِي : أَمَّا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ فَهِيَ الْمُتَّكِلُ فِيهَا إِلَى سَيِّئِهِ جُلُوفُهُ .

(٥) الدِّتَارُ : مَا يَلِيهِ مِنْ شَرِّ الْجَسَدِ ، وَالدِّتَارُ : مَا يَلِيهِ نَوَاقِصُ الشَّعَارِ ، وَالْجَنَّةُ : الْوَقَايَةُ .

١٠٣- دعاء أعرابي

قال : سمعت أعرابياً يقول في دعائه : « اللهم إن ذنوبى إليك لا تنفرك ! وإن رحمتك إلي لا تنقصك ، فاعف عني ما لا يحضرك ، وهب لي ما لا ينقصك » .

١٠٤- دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً وهو يقول في دعائه : « اللهم إني أسألك عمل الخاطئين ، وخوف العاملين حتى أتتعم بترك النعم ^(١) طمعا فيا وعدت . وخوفاً مما أوعدت اللهم أعذني من سطواتك ، وأجزني من شمتاك ، سبقت لي ذنوب ، وأنت تغفر لمن محبوب ^(٢) ، إليك بك أتوسل ، ومنك إليك أفر » .

١٠٥- دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « اللهم إن قوما آمنوا بك بالستهم ، ليخفوا دمامهم ، فأدر كوا ما أملوا ، وقد آمننا بك بقلوبنا ، لتجبرنا من عذابك ، فأدر ك منا ما أملناه » .

١٠٦- دعاء أعرابي

قال : ورأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة ، رافعا يديه إلى السماء ، وهو يقول : « رب أترك مذهبنا ، وتوحيده في قلوبنا ؟ وما إهلاك فعل ! ولئن فعلت لكتجمننا مع قوم طلال أبضنام لك » .

١٠٧- دعاء أعرابي

وقال: سمعت أعرابياً يقول في صلاته : « الحمد لله حمداً لا يَبْلُغُ جديده ، ولا يُحَقِّقُ عَدِيدَهُ ^(١) . ولا يُبْلَغُ حدودُهُ ، اللهم اجعل الموت خيراً غائباً ننتظره ، واجعل القبر خيراً بيّناً نَعْمُرُهُ ، واجعل ما بئده خيراً لنا منه . اللهم إن عِيقَ قد أغرَزَ رِقَتَا دُمُوعاً من خَشْيَتِكَ ، فَاعْفِرِ الزَّلَّةَ ، وَعُدْ بِعَمَلِكَ ، على جمل مَنْ لم يَرْجُ عُنُوكَ » .

١٠٨- دعاء أعرابي

وقال : رأيت أعرابياً أخذَ بِمُحَلِّقِ بابِ الكعبة وهو يقول :
« سَأَلْتُكَ عِنْدَ بَابِكَ ، ذَهَبْتَ أَيَّامُهُ ، وَبَقِيَتْ آثَامُهُ ، وَاقْطَعْتَ شَهْوَتَهُ ، وَبَقِيَتْ تَبَاعُثُهُ ، فَارْضَ عَنْهُ ، وَإِنْ لَمْ تَرْضَ عَنْهُ فَاعْفُ عَنْهُ غَيْرَ رَاضٍ » .

١٠٩- دعاء أعرابي

قال : ودعا أعرابي عند الكعبة فقال : « اللهم إني لأشرفَ إلا بفِعَالٍ ، ولا فِعالٍ إلا بِعَمَلٍ ، فَأَعْطِنِي مَا أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى شَرْفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

١١٠- دعاء أعرابي

عن طلوس قال : « بينما أنا بمكة إذ دَفَعْتُ إلى الحجاج بن يوسف ، فَنَقَى لِي وَسْطاً فَبَلَسْتُ ، فَيَبِينَا نَحْنُ نَتَحَدَّثُ إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ أَعْرَابِي فِي الْوَادِي رَافِئاً صَوْتَهُ بِالطَّبِيبَةِ ،

قال الحجاج . على بالملكي . فأني به قال : من الرجل ؟ قال : من أقناء الناس ^(١) .
قال : ليس عن هذا سألتك . قال : نعم سألتني . قال : من أي البلدان أنت ؟
قال : من أهل اليمن . قال له الحجاج . فكيف خلفت محمد بن يوسف - يعني أخاه -
وكان عاملاً على اليمن - قال : خلفته عظيمًا جسيمًا خراجًا ولأجل . قال : ليس عن هذا
سألتك ، قال : نعم سألتني ، قال : كيف خلفت سيرته في الناس ؟ قال : خلفته ظلوماً
غشوماً ^(٢) ، عاصياً للخالق ، مُطِيعاً للمخلوق ، فازور ^(٣) من ذلك الحجاج ، وقال .
ما أقدمك لهذا ، وقد تعلم مكاتبة مني ! قال له الأعرابي : أقترأ بمكانة منك أعز مني
بمكانتي من الله تبارك وتعالى ، وأنا وإفدُ بيته ، وغانِي دَيْنَه ، ومصدقُ نبِيه
حلى الله عليه وسلم ؟ فَوَجَمَ ^(٤) لها الحجاج ، ولم يُحر له جواباً ^(٥) ، حتى خرج الرجل
بلا إذن .

قال طاوس : فجمته حتى أتى اللذيم فتملق بأستار الكعبة ، قال : بك أعوذ ،
وإليك ألوذ ، فأجبل لي في اللّهب إلى جوارك ، والرضا بضمائك ، مندوحة ^(٦) ،
عن منع الباخلين ، ورغني عما بأيدي الساترين ، اللهم عذِّ بفرجك القريب ، ومعروفك .
القديم ، وعادتك الحسنة .

قال طاوس : ثم اخفي في الناس ، فألقيته بِمِرَكَاتٍ قائماً على قدميه وهو يقول :
« اللهم إن كنت لم تقبل حبي ونصي ^(٧) وتبني ، فلا تخزني أجرة للعاصب على
مصيبته ، فلا أعلم مصيبة أعظم ممن ورد حوضك ، وانصرف محروماً من
وجه رقيبك » .

(١) يقال « هو من أقناء الناس » إذا لم يعلم من هو ، واحده فقركيل أو فناكسا .

(٢) ظلوماً . (٣) ازور : انصرف وقال : أي قلبته . (٤) وجم : سكت على لفظ .

(٥) أي لم يرد . (٦) أي مفسداً .

(٧) في الأصل « ونصي » ولراء محرفاً عن « نصبي » ، ويؤيده قوله بعد « ونصي » .

١١١ - دعاء أعرابي

وقال الأنصبي . رأيت أعرابياً يلوف بالسكبة وهو يقول :
« إلهي عَجَّتْ »^(١) إليك الأصواتُ ، بضروبٍ من اللغات ، يسألونك الحاجات
وحاجتي إليك إلهي أن تذكرني على طول البكاء ، إذا نسيني أهلُ الدنيا ، اللهم هب لي
حُكَّ ، وأرض عني خُفَّكَ ، اللهم لا تُعَيِّقني في طلب مالم تَهْدِرْ لي ، وما قَدَّرته لي
فيسره لي .

١١٢ - دعاء أعرابي

قال : ودعت أعرابية لابن لها وجَّته إلى حاجة فقالت : « كان الله صاحبك
في أمرك ، وخليفتك في أمرك ، وَوَلِيَّ تُجْنَحِ طَلَبِكَ »^(٢) ، انصُرْ مُصَاحِباً مَكْلُوءاً^(٣) ،
لا أشتت الله بك عدواً ، ولا أرى مُجَبِّحَك فيك سوءاً .
(المعجم الفريد ٢ : ٧٩ - ٧٩)

١١٣ - دعاء أعرابي

وقال الأنصبي : خرجت أعرابية إلى مَيِّ قَطَّع بها الطريقُ فقالت :
« يارب . أعطيت وأخذت ، وأصمتت وسلبت ، وكلُّ ذلك منك عدلٌ وقَضَلٌ ،
والذي عَظُمَ على انغلاقِ أمرك ، لا بَسَطْتُ لسانِي بمسألةٍ أحدي غيرك ، ولا بَدَلْتُ
رغبتِي إلا إليك ، بإقرّةِ أعين السائلين : أَهْنِئني بِجُودِ منك أَتَجَبَّحُ^(٤) في فردوس

(١) حج يجر بكسر العين وفصحها : صاح ورفح صوته .

(٢) التَّجَبَّح : التَّجَلَّع ، والمُطْلَب : ما يطلب . (٣) من كلامه كتمه : حرمه .

(٤) تَجَبَّح : تمكن في الكلام والحلول ، وتَجَبَّح القادر : توسلها ، والقادر ليس جمع فردوس

نَفْسُهُ ، وَأَقْلَبَ فِي رُؤُوقِ نَفْسِهِ ^(١) أَحْلَى مِنَ الرَّجُلَةِ ^(٢) ، وَأَغْنَى مِنَ الْعَيْلَةِ ،
وَأَسْدَلُ عَلَى سَيْرِكَ الَّذِي لَا تَحْرِقُهُ الرِّيحُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الرِّيحُ ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .
(البیان والخبیر ٢ : ٧٨ ، والمقد الفريد ٢ : ١٣٨)

١١٤ - أدعية شتى

ومات ابن لأعرابي قال : « اللهم إني وهبتُ له ما قَصَّرَ فيه من رِيٍّ ، فَهَبْ لِي
ما قَصَّرَ فيه من طاعتك ، فَإِنَّكَ أَجودُ وَأَكْرَمُ » .
(المقد الفريد ٢ : ٧٩ ، والبيان والخبير ٣ : ١٣٨)

• • •

ووقف أعرابي في بعض المواسم قال : « اللهم إني لك عَلَى حَقٍّ فَصَدِّقْ بِهَا عَلَيَّ ،
وَلْنَأْسَ تَبِعَاتٍ قَبْلِي فَصَلِّهَا عَنِّي ، وَقَدْ أُوجِبْتَ لِكُلِّ ضَيْفٍ قَوْمِي ^(٣) ، وَأَنَا ضَيْفُكَ
الْيَوْمَ ، فَاجْعَلْ قَرَأَى فِيهَا الْجَنَّةَ » .
(المقد الفريد ٢ : ٧٨ ، والبيان والخبير ٢ : ٤٨)

• • •

وقال سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ :
« اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي خَيْرَ مَا عِنْدَكَ لِشَرِّ مَا عِنْدِي ، وَإِنْ لَمْ تَنْقُبْ لِي نَعْيَ وَنَعَصَى ،
فَلَا تَحْرِمْنِي أَجْرَ الْمَصَابِ عَلَى مَصِيبَتِهِ » .
(زهر الآداب ٣ : ١٦٢)

• • •

وقال الْأَمْسِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ لِرَجُلٍ : « أَطْعَمَكَ اللَّهُ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي لَهُ ،
فَقَدْ أَحْيَيْتَنِي بِقَتْلِ جَوْعِي ، وَدَفَعْتَ عَنِّي سُوءَ ظَنِّي ، فَحَفِظَكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ جَنْبٍ ، وَفَرَّجَ
عَنكَ كُلَّ كَرْبٍ ، وَغَفَرَ لَكَ كُلَّ ذَنْبٍ » .
(المقد الفريد ٢ : ٨٤)

• • •

(١) فِي الْأَصْلِ « دَارُوق » وَهُوَ الْمَصْدَرُ ، وَأَرَادَ عَرَفًا عَنْ « رُؤُوق » وَهُوَ الْفِعْلُ ، وَالنَّفْسُ :
الْقِسْمَةُ وَالنَّفْسُ . (٢) رَجُلٌ كَفَرَحَ فَهُوَ رَجُلٌ وَرَجُلَانِ : إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ظَهْرٌ يَرْكَبُهُ ، وَالرَّجُلَةُ بِالْفَتْحِ
مُؤَكَّرٌ : شِدَّةُ اللَّحْيِ ، وَالْمَيْلَةُ : الْفَقْرُ .

(٣) قَرَى الْفَيْفُ كَرَى ، قَرَى : أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَالْقَرَى أَيْضًا : مَا قَرَى بِهِ الْفَيْفُ .

عن الأصمى قال : رأيت أعرابيا يصلى وهو يقول : أسألك القفيرة^(١) ،
والناقة الغزيرة ، والشرف فى المشيرة ، فإنها عليك بسيرة . (الأمال ٢ : ٢٢)

• • •

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يدعو لرجل فقال : « جَنِّبَكَ اللهُ
الأمريين^(٢) ، وكفالك شرَّ الأجوفين^(٣) ، وأذاقك البردين^(٤) » .
(الأمال ٢ : ٧٢ ، والبيان والتبيين ٢ : ١٣٧)

• • •

ودعا أعرابى فقال : « اللهم إني أسألك النقاء ، والتماء ، وطيب الإثاء^(٥) ،
وحطَّ الأعداء ، ورضع الأولياء » . (البيان والتبيين ١ : ١٦٢)

• • •

وقال أعرابى : « اللهم لَا تُنْزِلْنِي ماء سَوًى ، فَأَكُونَ امْرَأً سَوًى » وقال أعرابى .
« اللهم قِنِي عَثَرَاتِ الكرام » . (البيان والتبيين ١ : ٢١٥)

• • •

ووهب رجل لأعرابى شيئا فقال : « جعل الله للمعروف إليك سبيلا ، وللغير
عليك ذليلا ، وجعل عندك رفدا^(٦) جزيلا ، وأجأك بقاء طويلا ، وأبلاك^(٧)
بلا . جيلا » .

• • •

وقال الأصمى : سمعت أعرابيا يدعو وهو يقول : اللهم ارزقني مالا أُسْنِيتَ^(٨)
به الأعداء ، وَبَيْنَ أَصُولِ بِهِمْ تَلَى الْأَقْيَافِ » . (البيان والتبيين ٢ : ٢٢٤)

(١) القفيرة : المفخرة . (٢) الأمريان : الفقير والمكرم ، أو الجرح والمرى . (٣) الأجوفان :
البلبن والفرج . (٤) البردان : برد اللين وبرد العالية . (٥) الإثاء : الرزق ، من أتت القفيرة
أنرا وإثاء : طلع نحرها ، أو بها صلاحها ، أو كثر حملها . (٦) الرقة : العطاء والصلاة .
(٧) الإبلاد : الإثام والإحسان ، أبلطت منه بلاد حسنا ، وأبلاد الله بلاد حسنا .
(٨) كسبه : حصره ولذاته ، ورد المعنى بهيئة .

ودعت أعرابية على رجل قالت : « أمكن الله منك عدوا حسودا ، وَفَجَع بك صديقا وَذودا ، وسلط عليك هما يَصْنِيكَ ، وجاراً يُؤْذِيكَ .

(العقد الفريد ٢ : ٩١)

• • •

ودعا أعرابي قال : « أعوذ بك من الفَوَاقِر^(١) والبواقر ، ومن جارٍ سوء ، في دار اللقائمة والظلمن ، ومما يَنْكُسرُ رأس المرء ، وَيُغْرَى به لثام الناس » .

• • •

وقال أعرابي : « أعوذ بك من سَقَم ، وعداوة ذي رَحِمٍ ودَعْوَاه ، ومن فاجرٍ وَجَدَوَاه^(٢) ، وعمل لاترضاه » .

(البيان والعيون ٢ : ١٣٦)

• • •

ودعت أعرابية لرجل قالت : « كَبَتَ اللهُ كلَّ عدو لك إلا نَفْسَكَ » .
ودعا أعرابي قال : « اللهم هب لي حَقَّكَ ، وأرض عني خلقك » .
وقال أعرابي : « اللهم إنك أمرتنا أن نَعْفُو عَنْ ظُلْمنا ، وقد ظَلَمْنَا أنفسنا فاعف عنا » .

(البيان والعيون ٢ : ١٣٧)

• • •

وقال أعرابي : « منعكم الله مِنِّحَةٍ ليست بِعِدَاءٍ ، ولا نَكَدَاءٍ ، ولا ذات داء » .
وقال أعرابي : « اللهم إنك حَبَسْتَ عنا قَطْرَ السماء ، فَذَابَ الشحم ، وذهب اللحم وَرَقَّ العظم ، فارحم أَيْنَ الآتِ ، وحنين الحائِة ، اللهم أرحم تحيرها في مَرَاتِعِها ، وأَيْنِها في مَرَابِضِها » .

• • •

(١) الفَوَاقِر جمع فاقرة : وهي الحاجة ، والبواقر جمع باقرة : وهي الفتنة الصالحة للألفة للشاة لبعثها .

(٢) الجَدَوَى : السلية .

وحج أعرابي فقال : « اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله ، وإن كان في الأرض فأخْرِجْه ، وإن كان نائياً فَرَبِّهِ ، وإن كان قريباً فَيَسِّرْهُ » .

(البيان والبيان ٣ : ١٣٨)

• • •

ومات ولد لرجل من الأعراب فصرى عليه ، فقال : « اللهم إن كنت تعلم أنه كريم الجَدِّين ، سهِّلْ الخَدَّين ، فاغفر له وإلَّا فلا » .

(الأمان ١ : ٢٠٧)

• • •

وقالت أعرابية لرجل : « وماك الله بليلة لا أُخْتِ لها » أى لا تمشي بعدها .

(الأمان ١ : ٢١٧)

• • •

ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أعوذ بك أن أفْتَقِرَ في غناك ، أو أَضِلَّ في هداك ، أو أَذِلَّ في عزك ، أو أَضَامَ في سلطانك ، أو أَضْطَهِّدَ والأمرُ إليك » .

(زهر الآداب ٣ : ١٦٨)

• • •

وقال الأعمى : سمعت أعرابية تقول : « اللهم ارزقني عملَ الخائفين ، وخوفَ العاملين ، حتى أنعمَ بتركِ التَّعَمُّرِ ، رَجُلَهُ لِمَا وَعَدْتَ ، وخوفاً مما أوعَدْتَ » .

وقال آخر : « اللهم من أراد بنا سوءاً فأحِطْهُ به كإحاطة التَّسْلَانِدِ ، بأعناقِ الولائدِ ^(١) ، وأزْرِغْهُ على هامَتِهِ كرسوخ السَّجِيلِ ^(٢) ، على هامِ أصحابِ الفيلِ » .

(زهر الآداب ٣ : ٢٤٦)

(١) الولاد جمع ولادة ، ومن السمية . (٢) السجيل : طين مطبوخ ، يغير إلى قوله تلك : « وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ » وإلهام المحامد .

١١٥ - نوادر وملح لبعض الأعراب

« غزا أعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم قبيل له : ما رأيت مع رسول الله غزائك هذه ؟ قال : وضع عنا نصف الصلاة ^(١) ، وأرجو في الغزاة الأخرى أن يضع النصف الباقي » .

• • •

ودخل أعرابي المسجد ، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس ، فقام يصلي ، فلما فرغ ، قال : اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً ، « قال النبي عليه الصلاة والسلام : لقد تمجّرت ^(٢) وأسيما يا أعرابي » .

• • •

وخرج الحجاج متصيداً بالمدينة ، فوقف على أعرابي يرعى إبلآ له ، فقال له : يا أعرابي ، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج ؟ قال له الأعرابي : غشوم ظلوم ، لا حياة الله ، فقال : فلي لا شكوتوه إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : فأظلم وأغشم ، فبينما هو كذلك إذ أحاطت به الخليل ، فأوماً الحجاج إلى الأعرابي ، فأخذ وحيل ، فلما صار معه ، قال : من هذا ؟ قالوا له : الحجاج ، فحرك دابته حتى صار بالقرب منه ، ثم ناداه يا حجاج ، قال : ما تشاء يا أعرابي ؟ قال : السر الذي بيني وبينك أحب أن يكون مكتوماً ، فضحك الحجاج ، وأمر بتخية سبيله .

• • •

« وخرج أبو العباس السفاح متزّهاً بالأنبار ، فأمن في نزته ، وانتبذ من أصحابه ، فوافى خيآ لأعرابي ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟ قال : من كنانة ، قال : من أي كنانة ؟ قال : من أبفض كنانة إلى كنانة ، قال : فأنت إذن من قريش ؟ قال :

(١) يعني صلاة القصر . (٢) أي ضيقت ما وسع الله وعصمت به نفسك دون غيره .

نعم ، قال : فن أي قريش ؟ قال : من أبغض قريش إلى قريش ، قال : فأنت إذن من ولد عبد المطلب ؟ قال : نعم ، قال : فن أي ولد عبد المطلب ؟ قال : من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب ، قال : فأنت إذن أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ووثب إليه ، فاستحسن ما رأى منه ، وأمر له بمنازة .

• • •

وولَّى يوسف بن عمر الثقفي صاحب العراق أعرابياً على عمل له ، فأصاب عليه خيانة فقتله ، فلما قدم عليه ، قال له : يا عدو الله ، أكلت مال الله ، قال الأعرابي : قال من آكل إذا لم آكل مال الله ؟ لقد راودت إبليس أن يعطيني فلاناً واحداً فافضل ، فضحك منه وخلق سيئه .

• • •

وأخذ الحجاج أعرابياً لهما بالمدينة فأمر بضربه ، فلما قرعه بسوط قال : يارب شكراً ، حتى ضربه سبعة سوط ، فلقبه أشقب ، فقال له : تدري لم ضربك الحجاج سبعة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك ، إن الله تعالى يقول : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، قال : وهذا في القرآن ؟ قال : نعم ، قال الأعرابي :

يارب لا شكراً فلا تردني أسأت في شكري فاعف عني
باعد ثواب الشاكرين مني

• • •

ونزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة ، وقد دجنت^(١) عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه ، قالت : يا أبا جعفر هذه دجاجة لي كنت أذجنها وأعلفها من قوتي ، وألئسها في آناء الليل ، فكأنما ألس بنق زلت عن كبدي ، فنذرت الله أن

(١) دجن اللحم والعلة وغيرهما كصر : ألفت الهوت .

أدفعها في أكرم بقعة تسكون ، فلم أجد تلك البقعة للباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفعها فيه ، فضحك عبد الله بن جعفر ، وأمر لها بخمسة درهم .

• • •

وَمِمَّنْ أَعْرَابِيٌّ هُوَ يَقُولُ فِي الطَّوْفِ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمِّي » ، قِيلَ لَهُ : مَا لَكَ لَا تَذْكُرُ أَبَاكَ ؟ قَالَ : أَبِي رَجُلٌ يَحْتَالُ لِنَفْسِهِ ، وَأُمِّي فَبَائِسَةٌ ضَعِيفَةٌ .

• • •

« وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : رَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا كَانَ أَفْهَ كَوْزٍ ، مِنْ عِظَمِهِ ، فَأَنَا نَضَحْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ : مَا يُضَحِّكُكُمْ ؟ فَوَافَقَهُ لَقَدْ كُنْتُ فِي قَوْمٍ ، مَا كُنْتُ فِيهِمْ إِلَّا أَفْطَسًا ! » .

• • •

« وَجِيءَ بِأَعْرَابِيٍّ إِلَى السَّاطِرَانِ وَمَعَهُ كِتَابٌ قَدْ كُتِبَ فِيهِ قِصَّتُهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : « هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَّةً » ، قِيلَ لَهُ بِقَالَ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالَ : « هَذَا اللَّهُ شَرٌّ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، إِنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُؤْتَى بِحَسَنَاتِي وَسَيِّئَاتِي ، وَأَنْتُمْ جِئْتُمْ بِسَيِّئَاتِي وَتَرَكْتُمْ حَسَنَاتِي » .

• • •

« وَاشْتَرَى أَعْرَابِيٌّ غُلَامًا قَلِيلَ اللَّبَاحِ : هَلْ فِيهِ مِنْ عَيْبٍ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنَّهُ يَبُولُ فِي الْفِرَاشِ ، قَالَ ، هَذَا لَيْسَ بِعَيْبٍ ، إِنْ وَجَدَ فَرَاشًا فَلْيَبُولْ فِيهِ » .

• • •

وَمِمَّنْ أَعْرَابِيٌّ يَقُولُ وَهُوَ يَنْشُدُ أَبْنَاهُ ، قَالُوا لَهُ ، صِفْهُ ، قَالَ : كَأَنَّهُ دُنَيْنِيرٌ ، قَالُوا : لَمْ نَرَهُ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ الْقَوْمُ أَنْ أَقْبَلَ الْأَعْرَابِيَّ ، وَحَلَّى عُنُقَهُ جُمْلًا^(١) ، قَالُوا ، هَذَا الَّذِي قُلْتَ فِيهِ دُنَيْنِيرٌ ؟ قَالَ ، الْقَرْنَتِي^(٢) فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَاءُ .

• • •

(١) الجمل : الحريه .

(٢) القرني : دويبة من عشائى الأرض فواله الخشاء إذا سها أحلققت فصارت مثل النكرة .

وقيل لأعرابي ، ما يمنحك أن تنزو ؟ قال ، والله إني لأبغض الموت كلى فراشى ، فكيف أن أمضى إليه ركضاً ؟ .

• • •

« وخرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كان ببعض الطريق راجعاً يريد أهله ، لقيه ابن عم له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال ، أعلم أنك لما خرجت ، وكانت لك ثلاثة أيام ، وقع في بيتك الحريق ، فرفع الأعرابي يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسن هذا يارب ! تأمرنا بجماعة بيتك أنت ، وتحرب بيوتنا ! » .

• • •

وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كانت في بعض الطريق عطبت راحلتها ، فرفست يديها إلى السماء ، وقالت ، « يارب أخرجنى من بيتي إلى بيتك ، فلا يبقى ولا بيتك ! » .

• • •

وعرضت السجون بعد هلاك المجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يحب على واحد منهم قتل ولا صلب ، وفيهم أعرابي ، أخذ يبول في أصل مدينة واسط ، فكان فيمن أطلق ، فأنشأ يقول :

إذا ما خرجنا من مدينة واسط خربنا وبُلنا لآنحاف عِقابا

• • •

ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان فقال : « والله لن آتروتموه لتَمْسِكَنَّ منه بِذُنَابِي^(١) عيش أغبر » .

• • •

ونظر أعرابي إلى رجل سمين فقال « أرى عليك قطيفة من نَسَجِ أضراسك » .

• • •

وقال أعرابي : « اللهم إني أسألك مِيتَةً كَمِيتَةِ أَبِي خَارِجَةَ ، أَكُلَ بَذْجًا ^(١) ،
وشربَ مِشْعَلًا ^(٢) ، ونَظَمَ في الشمسِ ، فَمَاتَ دَفَنَ شَيْبَانَ رَيَّانَ » .

• • •

وقيل لأبي النخس الأعرابي : أَيَسُرُّكَ أَنْتَ خليفة ، وَأَنْ أَمْتَكَ حُرَّةً ،
قال : لَا والله ما يسرني ، قيل له : ولم ؟ قال ، « لَأَنَّهُا كَانَتْ تَنْعَبُ الْأُمَّةَ ،
وتَضِيعُ الْأُمَّةَ » .

• • •

وحضر أعرابي سَفَرَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَلَّ يَمْرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ
الْحَاجِبُ : مَا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، قَالَ : مَنْ أَجْدَبَ انْتَجِعَ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ
وقال للحاجب : إِذَا خَرَجَ عِنَّا فَلَا يَمُذُّ إِلَيْنَا .

• • •

وشهد بعد هذا سَفَرَتَهُ أَعْرَابِي آخَرُ ، فَرَفَّ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَيْضًا ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ ،
مَا يَلِيكَ فَكُلْ يَا عَرَابِي ، قَالَ : مَنْ أَخْصَبَ تَخَيَّرْ ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ ، فَقَرَّبَهُ
وَأَكْرَمَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ .

« وحضر أعرابي سَفَرَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا أَتَى بِالْقَالُودِجِ ، جَلَّ يُسْرِعُ فِيهِ ،
فَقَالَ سُلَيْمَانُ : أَتَدْرِي مَا نَأْكُلُ يَا أَعْرَابِي ، قَالَ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي لِأَجِدُ رِيقًا
هَنِيئًا ، وَمُرْدَرَدًا ^(٣) لَيْنًا ، وَأُظْلِمُهُ الصَّرَاطَ لِلْسَقِيمِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، فَضَحِكَ
سُلَيْمَانُ وَقَالَ : أَزَيْدُكَ مِنْهُ يَا أَعْرَابِي ؟ فَإِنَّهُمْ يَذْكُرُونَ أَنَّهُ يَزِيدُ فِي الدَّمَاعِ ، قَالَ :
كَذَّبُوكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ رَأْسُكَ مِثْلَ رَأْسِ الْبَهْلِ ! » .

• • •

« وحضر سَفَرَةَ سُلَيْمَانَ أَعْرَابِي ، فَنَظَرَ إِلَى شَفَرَةٍ فِي قَعَةِ الْأَعْرَابِي ، فَقَالَ : أَرَى

(١) البَج : وَلَهُ الْهَضَانُ .

(٢) المِشْعَل : شَيْءٌ مِنْ جُلُودِ لَهْ أَرِيجَ قَوَائِمُ فِيهِ فِيهِ ، وَشَرِبَ مِشْعَلًا فِي شَرِبَ مَا فِيهِ .

(٣) ازدرده : اِيْظَمُهُ .

شعرة في قمطك يا أعرابي، قال، وإنك لقرابني مُراعاة من يُبصر الشعرة في لقمي !
والله لا واكُلْتُكَ أبداً، قال : استرها يا أعرابي، فإنها زنة، ولا أعود لثلمها .

• • •

وقال الأعمى : قلت لأعرابي : أنتهز^(١) إسرائيل ؟ قال : إني إذن لرجل سوء،
قلت له : أضبر^(٢) فلسطين ؟ قال : إني إذا لقوي .

• • •

وسمع أعرابي إماماً يقرأ : « وَلَا تُنْكِحُوا^(٣) الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا » - فقرأها
بفتح التاء - فقال : ولا إن آمَنُوا أيضاً لم نَنكِحْهُمْ ، فقيل له إنه يلحن وليس هكذا
يُقرأ ، قال : « أَخْرُوهُ قُبْحَهُ اللهُ ! لا تجملوه إماماً ، فإنه يحِلُّ ما حَرَّمَ اللهُ » .
(لفظه الفريه ٢ : ١٠٠ - ١٠٥)

• • •

وخطب أعرابي فلما أجمله بمض الأمر عن التصدير بالتصعيد ، والاستفتاح بالتجديد ،
قال : « أما بعد ، بنير ملال لقد كر الله ، ولا إشار غيرهِ عليه ، فإنا قول كذا ، ونسأل
كذا » فرأوا من أن تكون خطبته بئراء وشوهاً^(٤) .
(البيان والبيان ٢١٢ : ٢١٥)

• • •

ودفعوا إلى أعرابية علكاً^(٥) لتعضه ، فلم تفعل ، فقيل لها في ذلك ، فقالت :
« ما فيه إلا تعب الأضراس ، وخيبة الحنَّجرة » . (البيان والبيان ٢ : ٤٧)

• • •

(١) من طلق المهر : القنز . (٢) أي تزوجوا .
(٣) وكانوا يسمون الخطبة التي لم يصب صاحبها بالتصعيد، ويضع كلامه بالتجديد والبراء، ويسمون
التي تعرض بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « القوماء » .
(٤) لفظ : البلاء (بالضم) .

وقيل لأعرابي : عند مَنْ تحب أن يكون ظلمك ؟ قال : « عند أم صبي راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبير جائع ، أو ذى رحم قاطع » .

(البيان والبيان : ١٩١ : ٢)

• • •

وقال أعرابي :

« لولا ثلاث هُنَّ عيشُ الدهر ، والنوم ، وأم عمرو ،
لما خَشِيتُ مَنْ مَضِيقُ القبر » .

(البيان والبيان : ١٠١ : ٢)

• • •

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ سورة براءة فقال : « ينبغي أن يكون هذا آخر القرآن » ،
قيل له : ولم ؟ قال : « رأيت عهوجاً تُنبَذُ » .

(البيان والبيان : ١٦٩ : ٢)

• • •

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ : « وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ، تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا
جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا^(١) » ، قلما يفتح الكاف ، قال الأعرابي : « لا يكون » ،
فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، قال الأعرابي : « يكون » .

(البيان والبيان : ١٧٤ : ٢)

(١) ذات الألواح والفسر : هي السفينة ، والفسر ما تشبه به الألواح من السليبر وغيره ما جمع دسار
ككتاب ، بأعيننا : يرى منا أى مخلوقة ، وقد جرى كفر بآلئنا لقال ، أى الكافرين : ألقوا
مقابلهم .

الباب الرابع

في

خطب النكاح

١ - خطبة قريش في الجاهلية

دوى الجاحظ قال :

كانت خطبة قريش في الجاهلية - يعني خطبة النساء :

« باسمك اللهم ، ذُكِرَتْ^(١) فلانة ، وفلانٌ بها مشفوفٌ ، باسمك اللهم ،
لك ما سألتَ ولنا ما أعطيتَ » .

٢ - خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة

« الحمد لله الحمود بنعمته ، للمعبود بقدرته ، للرهبوب من عذابه ، للرغوب فيما عنده ،
النافذ أمره في سماءه وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وميزهم بأحكامه ، وأعزهم
بدينه ، وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه . ثم إن الله تعالى جعل المصاهرة نسباً لاحقاً ،
وأصراً مفترضاً ، ووَشَّجَ^(٢) به الأرحامَ ، وألزمه الأنام ، قال تبارك اسمه ، وتعالى ذكره :

(١) ذكر فلان فلانة ذكراً (يفتح فـ) : خطبها أو تعرض لطلبها .

(٢) وشجت المروق والافصال كونه : انتبهت وانفصلت وتماثلت ، ورحم واشجة وورقية :

مفتبكة مصئلة ، وقد وشجها الله توفيقاً ، وفي الأصل : « وشج به الأرحام » وأراه محرفاً .

« وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا » ، فَأَمَرَ اللَّهُ بِحَرْبِهِ إِلَى قَضَائِهِ ، وَلِكُلِّ قَضَاءٍ قَدَرٌ ، وَلِكُلِّ قَدَرٍ أَجَلٌ « يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » .

ثم إن ربِّي أمرني أن أزوجه فاطمة من علي بن أبي طالب ، وقد زوجتها إياه على أربع مائة مثقال فضة ، إن رضى بذلك علي .

٣ - خطبة الإمام علي - كرم الله وجهه

وخطب الإمام علي - كرم الله وجهه حين تزوجه بالسيدة فاطمة رضى الله عنها فقال :
« الحمد لله الذي قَرَّبَ من حَامِدِيهِ ، ودَنَا من سَائِلِيهِ ، ووَعَدَ بِالْجَنَّةِ من يَتَّقِيهِ ، وَقَطَعَ بالنار عدد من يَعْصِيهِ . أَحَدَهُ بِجَمِيعِ عَامِلِهِ وَأَيَادِيهِ ، وَأَشْكِرُهُ شُكْرَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ خَالِقُهُ وَبَارِيهِ ، وَمُصَوِّرُهُ وَمُنْشِئُهُ ، وَمِمْتُهُ وَنُحْيِيهِ ، ومَقْرَبُهُ وَمُنْتَجِيهِ ، وَمُثْبِتُهُ وَمُجَازِيهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَبْلُغُهُ وَتَرْضِيهِ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَوةُ تَنْزِلُهُ وَتَنْدِيهِ ، وَتَمَرُّهُ وَتُعْلِيهِ ، وَتُشْرِفُهُ وَتُجَبِّئُهُ .

أما بعد : فَإِنْ اجْتَمَعْنَا مِمَّا قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيهِ ، وَالنِّكَاحُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَأَذِنَ فِيهِ ، وَهَذَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ زَوَّجَنِي فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ عَلَى صَدَاقٍ أَرْبَع مِائَةَ دِرْهَمٍ وَثَمَانِينَ دِرْهَمًا ، وَرَضِيَتْ بِهِ فَاسْأَلُوهُ ، وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا » .

٤ - خطبة عتبة بن أبي سفيان

خطب عثمان بن عتبة بن أبي سفيان إلى عتبة بن أبي سفيان ابنته ، فأفاده على نفسه ، وكان حديثاً فقال :

« أَقْرَبُ قَرِيبٍ ، خَطَبَ أَحَبَّ حَبِيبٍ ، لَا أَسْتَطِيعُ لَهُ رَدًّا ، وَلَا أَجِدُ مِنْ إِسْعَافِهِ بُدًّا ، قَدْ زَوَّجْتُكُمَا وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْهَا ، وَهِيَ أَلْصَقُ بِقَلْبِي مِنْكَ ، فَأَكْرِمْنَاهَا يَتَذَبُّ

عَلَى لِسَانِي ذِكْرُكَ، وَلَا تُهِنْنَهَا فَيَصْغُرَ عِنْدِي قَدْرُكَ، وَقَدْ قَرَّبْتُكَ مَع قُرْبِكَ، فَلَا تُبْعِدْ قَلْبِي مِنْ قَلْبِكَ .

٥ - خطبة شبيب بن شيبه

وَقَالَ الْعُتْبِيُّ : زَوْجَ شَبِيبِ بْنِ شَيْبَةَ ابْنَةَ بَنْتِ سَوَّارَ^(١) الْقَاضِي ، قَتَلْنَا : الْيَوْمَ يَمُوبَ عُبَّابَهُ^(٢) ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَكَلَّمُ قَالَ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ الْمَرْقَةَ مِنَّا وَمِنْكُمْ ، بَنَّا وَبِكُمْ^(٣) ، تَمْنَعُنَا مِنَ الْإِكْثَارِ ، وَإِنْ فَلَانًا ذَكَرَ فَلَانَةٌ . »

٦ - خطبة الحسن البصري

« وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ فِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ ، بَعْدَ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمَعَ بِهَذَا النِّكَاحِ الْأَرْحَامَ لِلتَّقَطُّعِ ، وَالْأَنْسَابَ لِلتَّفْرِقَةِ ، وَجَمَلَ ذَلِكَ فِي سُنَّةٍ مِنْ دِينِهِ ، وَمُنْهَاجٍ وَاضِحٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَقَدْ خُطِبَ إِلَيْكُمْ فَلَانٌ ، وَعَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةٌ ، وَهُوَ يَبْذُلُ مِنَ الصَّدَاقِ كَذَا ، فَاسْتَخِيرُوا اللَّهَ ، وَرُدُّوْهُ خَيْرًا ، يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ . »

٧ - خطبة ابن الفقير

وَقَالَ الْعُتْبِيُّ : حَضَرَتْ ابْنُ الْفَقِيرِ خُطْبَ عَلَى نَفْسِهِ امْرَأَةً مِنْ بَاهِلَةَ قَالَ :

« وَمَا حَسَنَ أَنْ يَمْدَحَ الرَّءْفَةَ وَلَكِنْ أَخْلَاقًا تَذُمَّ وَتَمْدَحُ وَإِنْ فَلَانَةٌ ذَكَرَتْ لِي . »

(١) هو سوار بن عبد الله من قسمة البصرة وعطياتها - انظر البيان والخبير ١ : ١٦١ - والرائي
أمال السيد المرتضى ٤ : ٢٢ حديثا غريبا للجاحظ عنه في وقاره وشبهه من نفسه وملكه من حركة -
(٢) لأن ولدي القرويين عطيان . (٣) أي المارقة منا بكم ، والمارقة منكم هنا .

٨ - خطبة عمر بن عبد العزيز

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز :
« قد زوجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة » ، قال : « جزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً ،
قد أجزلت العطية ، وكفيت للسألة » .

٩ - خطبة أخرى له

وحدث محمد بن عبيد الله القرشي عن أبي القدام قال :
كانت قريش تستحسن من الخاطب الإطالة ، ومن المخطوب إليه التقصير ^(١) ،
فشهدت محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خطب إلى عمر بن عبد العزيز أخيه أم عمر
بنت عبد العزيز ، فتكلم محمد بن عبد الوليد بكلام جاز المفظ ، قال عمر :
« الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد وآل النبياء ، أما بعد : فإن الرغبة
منك دعتك إلينا ، والرغبة فيك أجابتك منا ، وقد أحسن بك ظناً من أودعك
كريمته ، واختارك ولم يختار عليك ، وقد زوجتكها على كتاب الله : إمساكاً بممروفي
أو تسريحاً بإحسان » .

١٠ - خطبة بلال

وخطب بلال إلى قوم من خثعم نفسه ولأخيه ، فحيد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« أنا بلال وهذا أخى ، كنا ضالّين فهدانا الله ، عبدين فأعتنا الله ، فقيرين
فأغنانا الله ، فإن تزوجونا فالحمد لله ، وإن تردونا فالاستمان الله » .

(١) وكذلك روى الجاحظ في البيان والبعث (١ : ٦٤) قال : « والله في عطية التكلح أن يطيل
المخاطب ، ويقصر المخبب ، والمقصود في زهر الآداب (٢ : ٢١) قال الأصمسي : « كانوا يستحسنون من
المخاطب إلى الرجل حرمة الإطالة ، لتدل على الرغبة ، ومن المخطوب إليه الإيجاز ليدل على الإجابة » .

١١ - خطبة خالد بن صفوان

وزوج خالد بن صفوان مولاة من أمته ، فقال له العبد : لو دعوت الناس وخطبت ! قال : أذعنهم أنت ، فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا ، تكلم خالد بن صفوان ، قال : « أما بعد : فإن الله أعظم وأجل من أن يذكر في نكاح هذين الكلبيين ، وأنا أشهدكم أي زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية » .

١٢ - خطبة أعرابي

وخطب الفضل الرقاشي إلى قوم من بني تميم فخطب لنفسه ، فلما فرغ قام أعرابي منهم فقال : « تَوَسَّلَتْ بِمَحْرُومَةٍ ، وَأَوَّلَيْتَ بِحَقٍّ ، وَاسْتَنْدَيْتَ إِلَى خَيْرٍ ، وَدَعَوْتَ إِلَى سُوءٍ ، فَفَرَضْتُكَ مَقْبُولٍ ، وَمَا سَأَلْتُ مَبْنُولٍ ، وَحَاجَتُكَ مَقْضِيَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » . قال الفضل : لو كان الأعرابي حمد الله في أول كلامه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم لفصحني يومئذ .

١٣ - خطبة المأمون

وقال يحيى بن أكرم : أراد للمأمون أن يزوجه ابنته من علي بن موسى الرضا ، فقال : يا يحيى تكلم ، فأجلبته أن أقول : « أنكحت » ، قلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم الأكبر ، والإمام الأعظم ، وأنت أولى بالكلام ، فقال : « الحمد لله الذي تصاغرت الأمور بمشيئته ، ولا إله إلا هو إقراراً ببروبيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره ، أما بعد : فإن الله قد جعل النكاح ديناً ، ورضيه حكماً ، وأنزله وحياً ، ليكون سبب للناسبة ، ألا وإني قد زوجت ابنة المأمون من علي بن موسى ،

وأمرتها أربعمائة درهم ، اقتداءً بِسُنَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتباعاً إلى ما درج إليه السلف ، والحمد لله رب العالمين .

وخطب رجل إلى قوم ، فَأَتَى بِنِ يَخْطُبُ لَهُ ، فَاسْتَفْتَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ ، وَأَطَالَ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَأَطَالَ ، ثُمَّ ذَكَرَ الْبَدَأَ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَاقْتَصَرَ ذِكْرَ الْقُرُونِ ، حَتَّى ضَجِرَ مَنْ حَضَرَ ، وَانْتَفَتَحَ إِلَى الْخَاطِبِ ، فَقَالَ : مَا أَتَمَّكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ قَدْ أَتَيْتُ أَتَمِّي مِنْ طَوْلِ خَطْبِكَ ، وَهِيَ طَالِقٌ إِنْ تَزَوَّجْتَهَا بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ ، فَضَحَكَ الْقَوْمُ ، وَعَقَدُوا فِي مَجْلِسٍ آخَرَ .

(مفتاح الأفكار ص ٦٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠ ، ولفقه الفريه ٢ : ١٦٣)

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢٨ ، والبيان والبيان ١ : ٢١٥ ،

٢١٧ - ٢ : ٥٠ : ١٤٠ - ٣ : ٢٢١ ، وزهر الآداب ٢ : ٣٠ ، ٣١)

الباب الخامس

في

خطب من أرتج عليهم

ونوادر طريفة لبعض الخطباء

روى الجاحظ قال : صعد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه المنبر ، فأرتج عليه ، فقال :

« إن أبا بكر وعمر كانا يُمدَّان لهذا المقام مقالا ، وأتم إلى إمام عادل أحوجُ منكم إلى إمام خطيب » .

...

وروى ابن عبد ربه قال : أول خطبة خطبها عثمان بن عفان أرتج عليه ، فقال :
« أيها الناس : إن أوَّلَ كلِّ مرَّ كُتبِ صعب ، وإن أعشَنَ تأتاكم الخطبُ على وجهها ، وسيجعل الله بعد عُسرٍ يُسرًا إن شاء الله » .

...

ولما قدَّم يزيد بن أبي سُفيان الشام والياً عليها لأبي بكر ، خطب الناس فأرتج عليه ،
فناد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فناد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فقال :
« يا أهل الشام ، عسى الله أن يحمل من بعد عُسرٍ يُسرًا ، ومن بعد عِيٍّ يئانا ،

وَأَتَمَّ إِلَى إِمَامٍ فَعَلَّ (١) ، أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَاتِلٍ (٢) ، ثُمَّ نَزَلَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَاسْتَحْسَنَهُ .

• • •

وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَلَّى ثَابِتَ قُطَيْبَةَ (٣) بَعْضَ قُرَى خُرَّاسَانَ (٤) ، فَلَمَّا صَعِدَ الْمُنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، ثُمَّ أَرْتَجِعُ عَلَيْهِ ، فَنَزَلَ وَهُوَ يَقُولُ :

فَالَا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بَسِيفِي إِذَا جَدَّ الْوَعَى خَطِيبُ
فَقِيلَ لَهُ : « لَوْ قُلْتَهَا فَوْقَ الْمُنْبَرِ ، لَكُنْتَ أَخْطَبَ النَّاسِ » .

• • •

وَخَطَبَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ لِمَا وَلَّى ، فَحَصِّرَ فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي كُنْتُ أَعْدَدْتُ مَقَالًا أَقُومُ بِهِ فِيكُمْ ، فَصَحِّبْتُ عَنْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ (٥) ، وَأَتَمَّ إِلَى إِمَامٍ عَدْلٍ ، أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيبٍ ، وَإِنِّي أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّهُمْ كَمَ عَمَّا نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ » .

• • •

وَصَعِدَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَوْمًا الْمُنْبَرِ بِالْبَصْرَةِ لِيُخْطَبَ فَأَرْتَجِعُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ :

- (١) فِي مِثْقَالِ الْأَعْيَالِ : « إِمَامٌ عَادِلٌ » . (٢) وَفِي أَسَالِ السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى أَنَّهُ هَذَا الْقَوْلُ يَرَوِي لِمُتَّانَ بْنِ مِفْهَانَ ، وَفِي رَوَايَاتِهَا : « إِمَامٌ ضَالٌّ » وَ « إِمَامٌ قَوَالٌ » بِسَيِّئَةِ الْمَالَاتِ ، وَفِي الْأَعْلَاقِ أَنَّهُ يَرَوِي لثَابِتِ قُطَيْبَةَ ، وَفِيهِ : « أَمِيرٌ قَوَالٌ » وَ « أَمِيرٌ قَوَالٌ » .
- (٣) هُوَ ثَابِتُ بْنُ كَعْبٍ ، وَلَقِبَ قُطَيْبَةَ لِأَنَّهُ سَمَّاهُ أَسَابِيهُ فِي إِسْدَى حَبِيبِهِ ، فَلَقَّبَ بِهَا فِي بَعْضِ حُرُوبِ الْفَرَسِ ، فَكَانَ يَجْعَلُ عَلَيْهَا قُطَيْبَةَ ، وَهُوَ شَاحِرٌ فَارَسَ شَجَاعٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْقَدَوَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَكَانَ فِيهِ حَسَابَةٌ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، وَكَانَ يُولِيهِ أَمَالًا مِنْ أَمَالِ الْقَتَرِ ، فَبَعِدَ فِيهَا مَكَاتُهُ لِكِتَابَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ ، وَتَمَّ مَالُهُ إِلَى قَوْلِ الرَّجِيَّةِ ، وَلَهُ قَصِيدَةٌ فِي الْإِرْجَاءِ ، انْظُرْ تَرْجُمَهُ فِي الْأَعْلَاقِ ج ١٢ ص ٤٧ .
- (٤) وَفِي رَوَايَةٍ : أَنَّهُ خَطَبَ عَلِيَّ بْنَ سَيْسَةَ ، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى : « فَخَطَبَ النَّاسَ فَحَصِّرَ فَقَالَ : مَنْ يَخْلُقُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهُوَ ضَلُّلٌ ، وَأَرْتَجِعُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَخْلُقْ بِكَلِمَةٍ » ، فَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الْمُنْبَرِ قَالَ لِبَيْتِ الْمَلَكُورِ .
- (٥) الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : « وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهٌُ مُخْتَصِرٌ » .

« أيها الناس : أما بعد ، فإن هذا الكلام يحى أحيانا ، ويمزب أحيانا ، فيسبح عند تحيته سببه ^(١) ، ويمزب عند عزوبه طلبه ، ولربما كوبر فآبى ^(٢) ، وعولج ففأى ، فالتأبى ^(٣) لجه ، خير من التعاطى لأبيته ، وتركه عند تنكره ، أفضل من طلبه عند تمدره ، وقد يخلج ^(٤) من الجرى جئاته ، وينقطع من الدرب ^(٥) لسانه ، فلا يبطره ذلك ولا يكسره ، وسأعود فأقول إن شاء الله » ، ثم نزل ، فأرئى حصيرا أبلغ منه .

• • •

وصعد أبو القنبر من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
أما بعد ، فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا ، قال :
فما ينفعني ما أريد أن أقول ليكم ، ثم نزل ؛ فلما كان في الجمعة الثانية ، وصعد المنبر وقال : أما بعد ، أرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فما حاجكم إلى أن أقول لكم ما علمتم ؟ ثم نزل ؛ فلما كانت الجمعة الثالثة ، قال : أمّا بعد : فأرتج عليه ، قال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا :
بعضنا يدرى ، وبعضنا لا يدرى ، قال : فليخبر الذى يدرى منكم الذى لا يدرى ،
ثم نزل .

• • •

وولى الإمامة رجل من بني هاشم يعرف بالاندان ، فلما صعد المنبر أرتج عليه ،
فقال :

-
- (١) السب : الطاء ، وفي رواية : « ليسب منه جميعه سبه » .
(٢) وفي رواية : « فسا » أى لشد وصب . (٣) تلقى له : ترقى ، وفي رواية :
« فالتقى » بالتون . (٤) يخلج : يضطرب .
(٥) الحاد اللسان : وفي رواية : « ويرتج على البليغ لسانه » ، وفي أخرى : « وقد يرتج على
السن لسانه » ، ولا ينظره القول إذا اتسع ، ولا يهسر إذا امتنع ، ومن لم تمكن له الخطوة ، فخلق أن
تمن له النبوة ، وفي أخرى : « وقد يعاصى على الدرب لسانه » ، ثم لا يكابر القول إذا امتنع ، ولا يرد
إذا اتسع ، وأولى الناس من طرد على النبوة ، ولم يؤخذ على الكبرة ، من عرف ميدانه ، اشهر إحسانه
وسأعود وأقول » .

« حَيَّا الله هذه الوجوه ، وجلس في ذكائها ، إني قد أسرت طائفتي بالليل أن لا يرى أحداً إلا أنا في به ، وإن كنت أنا هو » ، ثم نزل .

• • •

وخطب عبد الله بن عامر^(١) بالبصرة في يوم أضْحَى ، فأرج عليه ، فكث ساعة ، ثم قال :

« والله لا أجمع عليكم عيًّا وكُلُومًا ، من أخذ شاةً من الشوق فعلى له ، وثمنها على » .

• • •

قال الجاحظ : ولما حَصِرَ عبد الله بن عامر على منبر البصرة ، شقَّ ذلك عليه ، فقال له زياد : « أيها الأمير ، إنك إن أقتَ عاتةً من تَرَى ، أصابه أكثر مما أصابك » .

• • •

وكان سعيد بن محمد الكليلي على قِنَاسِرِينَ^(٢) ، فومب عليه زُفر بن الحارث ، فأخرجه منها ، وباع لابن الزبير^(٣) ، فلما قد زفر على اللبر قال : « الحمد لله الذي أصدقني مقعد النادر الفاجر » ، وَحَصِرَ ، فضحك الناس من قوله .

• • •

وصد عدي بن أرطاة^(٤) اللبر ، فلما رأى جماعة الناس حَصِرَ فقال : « الحمد لله الذي يُطْعِم هؤلاء ويُسْتَقِيم » .

• • •

وصد رَوْح بن حاتم اللبر ، فلما رَأَمَ شَفَنُوا^(٥) أبصارهم ، وضحوا أسباعهم نحوه .

(١) انظر هامش الجزء الأول ص ٣٥٥ . (٢) كورة بالشلم . (٣) انظر هامش الجزء

الثاني ص ١٤١ .

(٤) كان حامل زيدي بن عبد الملك على البصرة .

(٥) شفة كسرية وعطه شغونا : نظر إليه بآخر عينيه ، أو رفع طرفه ناظرًا إليه كلفصيح أركان الكار .

بَحِيرَ قَالَ : « نَكُتُوا رُءُوسَكُمْ ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ ، فَإِنَّ النَّبِيرَ مَرْكَبٌ صَبَبٌ ، وَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ فَتَحَ قُلُوبَ نَيْسَرٍ » .

• • •

وكان عبد ربه اليشكري عاملاً ليعسى بن موسى^(١) على اللدائن ، فصعد النبر ، حمد الله وأرتج عليه ، فسكت ثم قال : « والله إني لأكون في بيتي فتجىء على لسان ألف كلمة ، فإذا قُتُّ على أعوادكم هذه جاء الشيطان فحَاحَاها من صدري ، وقد كنتُ وما في الأيام يوم أحبُّ إلىَّ من يوم الجمعة ، فصرتُ وما في الأيام يوم أبغضُ إلىَّ من يوم الجمعة ، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه » .

• • •

وأرتج على مَن بن زائدة ، فضرب النبر برجله ، ثم قال : « فَتَى حُرُوبٌ ، لَا فَتَى مَنَابِرٍ » .

• • •

وحلث عيسى بن عمر قال :

خطب أميرٌ مرةً فاقطع نخيلٌ ، فبمَثَ إلى قوم من القبائل عابوا ذلك وَلَقَّهْمُ^(٢) ، وفيهم يَزْبُوعِيُّ جَلَدٌ ، فقال : اخطبوا ، قَامَ واحدٌ فَرَّ في الخطبة ، حتى إذا بلغ « أما بعدُ » قال : أما بعد ، أما بعد ، ولم يَدْرِ ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتِي طَالِقٌ ثَلَاثًا لم أَرِدْ أَنْ أُجَمِّعَ^(٣) اليوم فَنَمَتِي ، وخطب آخر ، فلما بلغ « أما بعد » بقي ونظر فإذا إنسان ينظر إليه ، فقال : لمنك الله ! ترى ما أنا فيه ، وتلحنى ببصرك أيضاً ! وقال أحدهم : رأيتُ أَقْرَأَ^(٤) من السفن تجري بيني وبين الناس ، وصَمِدُ البربوعِ خطب فقال : « أما بعد » فوالله ما أدرى ما أقول ، ولا فيم أقتمونى ، أقول ماذا ؟

(١) هو عيسى بن موسى ابن أبي المصور وكان أمير الكوفة . (٢) لقهم : جمعهم .

(٣) جمع قنن بالتشديد : أي شهدوا الجمعة ، كما يقال : شهدوا : أي شهدوا فيه .

(٤) اقترأ : جمع تقرأ كمنصور . وهي السفينة أو الطويلة أو العظيمة .

قال بعضهم : قل في الزيت ، قال : « الزيت مبارك^(١) » ، فكلوا منه وأدهنوا .
قال : هو قول الشُّطَار^(٢) اليوم ، إذا قيل لم فلت ذا ؟ قل في شأن الزيت ،
وفي حال الزيت .

• • •

وروى الجاحظ أنه قيل لرجل من الوجوه : قم فاصمد للنبر وتكلم ، فلما صمد
حصير وقال : « الحمد لله الذي يرزق هؤلاء » وبقي ساكناً فأنزلوه . وصعد آخر ،
فلما استوى قائماً ، وقابل بوجهه وجوه الناس ، وقعت عينه على صلعة^(٣) رجل قال :
« اللهم التّن هذه الصلعة » .

• • •

وقيل لوازع اليشكرى : قم فاصمد للنبر وتكلم ، فلما رأى جمع الناس قال :
« لولا أن امرأتى لنها الله حملتى على إتيان الجمعة اليوم ما جمعت ، وأنا أشهدكم
أنها منى طالق ثلاثاً » .

• • •

ودعى أيوب بن القريّة لكلام ، فاحتبس القول عليه ، قال : « قد طال السر ،
وسقط القمر ، واشتد المطر ، فاذا يُنْقَطَرُ ؟ » فأجابه فتى من عبد القيس قال :
« قد طال الأرق ، وسقط الشفق ، وكثر اللثق^(٤) » ، فلينطق من نطق .

• • •

() يشير إلى الآية الكرمة : « الله نور السموات والأرض ، مثل نور
كيسكة فيها مصباح ، للمصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري
يوقد من شجرة مباركة ، زيتونه لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء
ولو لم يمسسه نار ، نور على نور » .

(١) الشُّطَار جمع شاطر : وهو من أمها أطله غيلاً ، والمراد به هنا أهل الحطارة وأصحاب النوادر
والفكاهات . (٢) الصلعة : موضع الصلع .

(٣) لثق ربما كفوح : ركعت ربيع وكثر نعله .

وجاء في أمالي السيد المرتضى :

روى أن بعض خلفاء بني العباس - وأغله الرشيد - صعد للنبر ليخطب ، فسقطت على وجهه دُبابة ، فطردها ، فرجست ، فغصير وأرتج عليه ، قال : أعوذ بالله السميع العليم « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ : إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ » (١) مِنْهُ ، ضَمَفَ الطَّالِبُ وَالطَّلُوبُ ، ثم نزل ، فاستحسن ذلك منه .

• • •

وروى أن رجلا صعد للنبر ألهم يزيد بن معاوية ، وكان واليا على قوم فقال لهم : « أيها الناس : إني إن لم أكن فارسا طبيا (٢) بهذا القرآن ، فلن ممي من أشعار العرب ما أرجو أن يكون خلفا عنه ، وما أساء قتال أخو البراجم حيث قال :

وما عاجلاتُ الطير يُدْنِينَ لِقَى رَشَادًا ، ولا من رَيْنِينَ يَجِيبُ (٣)
وَرُبُّ أُمُورٍ لَا تَصْبِرُكَ صَبْرَةً وَقَلْبٌ مِنْ غَشَائِينَ وَجِيبُ (٤)
ولا خيرَ فمينَ لَا يَوْمُطُنْ ضَمُّ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ
وفي الشكِّ قَرِيطٌ وَفِي الْكُزْمِ قُوَّةٌ وَيُخْطِئُ الْتَقَى فِي حَدِيدٍ وَيُصِيبُ (٥)

قال رجل من كلب : إن هذا للنبر لم يُنْقَبْ للشعر ، بل لِيُحْمَدَ الله تعالى ،

(١) وكانوا يطوفون أسنانهم بالقلب ولا يعرفون عليها الأبراب ، فيعدل للهاب من الكرى نياكه . (٢) فارسا حاذقا .

(٣) كانت العرب تدين بالطير السلق وهو ملاك ميات ، بأن يمر من مبارك إلى مبارك ، وتسلم بالبرج ، وهو ملاك مبارك ، بأن يمر من مبارك إلى مبارك ، وذلك لأنه لا يمكنه ربه إلا بأن تصرفه ، وربما كان أجسم بين الطير لطير ، فيجدها ، وعاجلات الطير من أن يخرج الإنسان من منزله إذا أراد أن يزجر الطير ، فامر به أول ما يصير فهو عاجلات الطير ، وإن أبطلت عنه وانتظرا فقه زالت أي أبطلت ، والأول معتم محمودة ، وهناك مرسوم .

(٤) غشية غشية وغشقة : غشقة ، ووجب القلب وجبا : حلق وانطرب . (٥) الحلس : الثقل والضمين ، والأبيات لضابط بن الحارث الجرجي (انظر زهر الأدب ٢ : ٨٨) .

وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ وآلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَلِقُرْآنٍ ، قَالَ : أَمَا لَوْ أُنْشِدْتُمْ
شعر رجل من كلب لَسَرَّكُمْ ، فَكُتِبَ إِلَى يَزِيدَ بِذَلِكَ فَعَزَلَهُ ، وَقَالَ : قَدْ كُنْتُ
أُرَاكَ جَاهِلًا أَحَقُّ ، وَلَمْ أَحْبَبْ أَنْ الْحَقُّ يَبْلُغَ بِكَ إِلَى هَذَا اللَّبْلُغِ ، فَقَالَ لَهُ : أَحَقُّ مَنْ
مَنْ وَلَّانِي !

• • •

وخطب عَتَّابُ بْنُ وَرْقَانَ ^(١) نَحْتٌ عَلَى الْجِهَادِ فَقَالَ : هَذَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
فِي كِتَابِهِ :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْفِتَالُ عَلَيْنَا وَحَتَّى الْفَانِيَاتِ جَزَاءُ الذُّيُولِ ^(٢)

• • •

وخطب يومًا فقال : هَذَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « إِنَّمَا يَضَافِلُ لِلنَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ ،
وَكُلٌّ مَاهُوَ آتٍ قَرِيبٌ » قَالُوا لَهُ : « إِنْ هَذَا لَيْسَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ » قَالَ : « مَا ظَنَنْتُ
إِلَّا أَنَّهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ » .

• • •

وخطب وَكَيْعُ بْنُ أَبِي سُودٍ ^(٣) بَحْرُاسَانَ فَقَالَ : « إِنْ اللَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ » فَقِيلَ لَهُ : « إِنَّمَا سِتَّةُ أَهْمٍ » قَالَ : « وَأَيُّكَ قَدْ قُتِلَتْهَا
وَأَيُّ لَأَسْتَقْلَاهَا ! » .

• • •

وصعد الذُّبَيْرُ فَقَالَ : « إِنْ رِيحَةً لَمْ تَزَلْ غَضَابًا عَلَى اللَّهِ مَذْبَحَتْ بَنِيَّةً مِنْ مُغَرٍّ ،

(١) انظر الجزء الثاني ص ٤١٢ و ٤١٣ . (٢) البيت لسر بن أبي ربيعة ، وذلك أن مصعب بن الزبير
بعد أن قتل المختار بن أبي عبيد الثقفي دعا امرأته - وهي بنت النعمان بن بشير - إلى الجهاد من المختار ،
فأبته فقتلها ، فقال في ذلك ابن أبي ربيعة :

إِنْ مِنْ أَعْظَمِ الْكِبَارِ عَنِّي	قَتَلَ حِينَئِذٍ غَاثَةَ حُلَيْلٍ
قَتَلْتُ بِأَمْلٍ عَلَى خَيْرِ ذَنْبٍ	إِنْ تَدْرِيهَا مِنْ قَتْلِ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْفِتَالُ عَلَيْنَا	وَحَتَّى الْفَانِيَاتِ جَزَاءُ الذُّيُولِ

و السيلول كصغور : المرأة الغنية الجسلة المسنة الطويلة اللحم . (٣) انظر الجزء الثاني ص ٢١٢

ألا وإن ربيعة قومٌ كُتِفَ^(١) ، فإذا رأيتموهم فاطمئِنوا الخيل في منَاصِرِها ، فإن فرسا لم يُطعَنَّ في منَاصِرِهِ إلا كان أشدَّ على فارسه من عدوه^(٢) .

• • •

وضربت بنو مازن أُلحُلاتَ بن يزيد الجُناشِيِّ ، فجاءت جماعة منهم ، فيهم غالبُ أبو الفَرزدق فقال : « يقوم كونوا كما قال الله : لا يبيحِز القوم إذا تعاونوا » .

• • •

وخطب على بن زياد الإيادي ، قال : « أقول لكم كما قال النبى الصالح قومه : « مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ^(٣) » ، قالوا له : « ليس هذا من قول عبد صالح ، إنما هو من قول فرعون » ، قال : من قاله فقد أحسن .

• • •

وروى الطبرى أن عبد الله بن الزبير كان ولَّى أخاه عُبَيْدَةَ عَلَى المدينة ، ثم نزعهُ عنها ، وكان سبب عزله إياه أنه خطب الناس ، فقال لهم : قد رأيتم ما صنِعَ^(٤) بقوم في ناقة قيمتها سَحْمَانَةٌ دِرْهَم ، فسعى مَقُومُ الناقة ، وبلغ ذلك ابن الزبير فقال : إن هذا هو التكلف .

وروى الجاحظ وابن عبد ربه هذا الخبر قتالا : خطب والى الهيماء^(٥) ، قال : « إن الله لا يَمُارُ^(٦) عبادَه على اللامى ، وقد أهلك الله أمة عظيمة في ناقة ما كانت تساوى مائتي درهم » ، فسعى مَقُومُ ناقة الله .

• • •

(١) كُتِفَ جمع أَكْتَفَ وهو من يَنْهَزُ في الحرب ، ومن لا تَرى معه في الحرب ، ومن لا يَبْشُرُ مل رأسه . (٢) وروى الطبرى أن عبد الله بن عترة قال ذلك القول لأصحابه بخراسان ، قال لهم : « إذا لقيتمُ الكليل فاطمئِنوا في مناصِرِها ، فإنه إن طعن فرس في فترته إلا أدبر أورس بصلابه » . (الطبرى ٤٦ : ٧) . (٣) الآية السكوتية : « قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى » .

(٤) يشير إلى نمود قوم صالح عليه السلام — انظر حاشى الجزء الثانى ص ٣٥٢ .

(٥) لعلمها المدينة . (٦) له لا يقرم .

وخطب فَبَيْعَةً ، وهو خليفة أبيه^(١) على خُرَاسَانَ ، وأتاه كتابه ، قال :
« هذا كتاب الأمير ، وهو والله أهلٌ لأنْ أُطِيعَ ، وهو أبى وأكبر منى » .

• • •

ودعى مُصَنَّبُ بْنُ حَيَّانٍ لِيُخَاطَبَ فِي نِكَاحِ خَصِيرٍ قَالَ : « لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ
شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالَتْ أُمُّ الْجَارِيَةِ ، عَجَّلَ اللَّهُ مَوْتَكَ ، أَلِهَذَا دَعَوَاكَ ؟ » .

• • •

وخطب أمير المؤمنين للوالى - وهكذا لقبه - خطبة نِكَاحِ خَصِيرٍ ، قال :
« اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ وَنُسْتَعِينُكَ وَلَا نُشْرِكَ بِكَ » .

• • •

وخطب قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى مِئْبَرِ خُرَاسَانَ ، فَسَقَطَ التَّقْصِيبُ مِنْ يَدِهِ ، فَضَاءَلَ لَهُ
عَدُوهُ بِالشَّرِّ ، وَاعْتَمَّ صَدِيقُهُ ، فَحَرَفَ ذَلِكَ قَتِيبَةً ، فَأَخَذَهُ وَقَالَ : « لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنَنْتُ
الْعَدُو ، وَخَافَ الصَّدِيقُ^(٢) ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
فَالْقَتَّ عَصَاها وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِبَابِ لِلْأَسْفَرِ^(٣) »

• • •

وَتَكَلَّمَ صَعَصَمَةُ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَحَرَّقَ ، قَالَ مَعَاوِيَةُ : بَهْرَكَ^(٤) الْقَوْلُ ! قَالَ
صَعَصَمَةُ : إِنْ الْجِيلَادُ نَضَّاحَةٌ بِالْمَاءِ .

• • •

وَشَخْصَ يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَكَلَّمَ قَالَ هِشَامُ :
حَامَاتُ مِنْ خَلْفٍ مِثْلَ هَذَا ! قَالَ الْأَبْرَشُ الْكَلْبِيُّ : لَيْسَ هُنَاكَ ، أَمَا تَرَاهُ يَرْتَشَحُ
جَبِينَهُ لِضَيْقِ صَدْرِهِ ! قَالَ يَزِيدُ : مَا لِفُلَانٍ رَشَحَ ، وَلَكِنْ لَجُلُوسِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

• • •

(١) هو المهلب بن أبي صفرة ، وكان ولياً على خراسان - انظر الجزء الثاني ص ٢٨٠ .

(٢) وفي رواية : « كما ساء الصديق ، وسر العدو » . (٣) لقوى : للغيرة البهيمية .

(٤) لى غلوك .

وقال عبيد الله بن زياد : « نِمْ الشيءَ الإمارةُ ، لولا قَصَمَةُ البريد ، والتشرف
لنُطِبَ » .

• • •

وقيل لعبد الملك بن مروان : عَجِلْ عليك الشيبُ يا أمير المؤمنين ، قال : كيف
لا يَنْجَلُ على ، وأنا أعرض عقل على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ؟
« أو قال : شيبني صمود للنابر والخوف من اللحن » .

(. لسانه القوية ٢ : ١٦٢ - ١٦٣ و ٢ : ٢٥٦ ، وحيود الأخبار ٢ : ص ٢٤٧ و ٢٥٦ و
٢٥٩ ، ولسان السبع المرتضى ١٩٥٤ - ٢٢ ، والألفاظ ١٣ : ٤٧ ، ١٧ ، ١١١ ، وتاريخ الطبري
ج ٧ : ص ٩٠ ، ج ٨ : ١٨٨ ، والبيان ١ : ٧٤ ، ١٦٣ ، ١٨٦ - ٢ : ١٢٢ ، ١٢٦ ،
١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، والآمال ١ : ١١١ ، وتجليد الكلل ١ : ١٧ ، وشرح العمود
ص ١٢٥ ، ٢٠٥ ، والمصابين ص ٢١) .

بدء الخطب وختامها

قال ابن قُتَيْبَةَ في عيون الأخبار :

تَبِعْتُ خُطْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدْتُ أَوَائِلَ أَكْثَرِهَا :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ، وَنُسْتَعِينُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ،
وَنُؤَمِّدُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَهْلَانَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ،
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » ، وَوَجَدْتُ
فِي بَعْضِهَا : « أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْشِكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ » ، وَوَجَدْتُ
كُلَّ خُطْبَةٍ مِفْتَاحَهَا الْحَمْدُ ، إِلَّا خُطْبَةَ الْمِيدِ ، فَإِنَّ مِفْتَاحَهَا التَّكْوِينُ .

(عيون الأعيان ١٢٢ ص ٢٢١)

وروى ابن عبد ربه في العقد قال :

« وَكَانَ آخِرُ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ عُرِفَ أَنَّهُ قَدْ فَرَّغَ مِنْ خُطْبَتِهِ :
اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ زَمَانِي آخِرَهُ ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ ، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ » .
وَكَانَ آخِرُ كَلَامِ غُرِّ النَّبِيِّ إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ عُرِفَ أَنَّهُ فَرَّغَ مِنْ خُطْبَتِهِ : « اللَّهُمَّ
لَا تُدْغِنِي فِي عَمْرَةٍ ، وَلَا تَأْخُذْنِي عَلَى غِرْمَةٍ ، وَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ النَّافِلِينَ » .
وَكَانَ عِبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّ ذَنْبِي قَدْ عَظُمْتُ
وَجَلَّتْ أَنْ تُخَفِّصَ ، وَهِيَ صَغِيرَةٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ فَاعْفُ عَنِّي » .

(العقد الفرید ٢ : ١٢٢ ، ١٢٧)

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ

فهرس ذيل الجهرة

الباب الأول

في خطب الأندلسيين والمغاربة

- رقم الصفحة الخطبة أو القصة
- ١٦٢ خطبة عبد الرحمن الداخل يوم حربه مع يوسف الفهري
- ١٦٣ عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده قنصرين
- ١٦٤ عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده بيته بفتح سرقسطة
- ١٦٤ تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر
- ١٦٦ عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضاً
- ١٦٧ يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه
- ١٦٨ وفاء الوزير بن غاثم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز
- ١٦٩ خطبة منذر بن سعيد البلوطي في الاحتفال بقدم رسل ملك الروم
- ١٧٣ خطبة أخرى له
- ١٧٣ أحد حماد الرمادي الشاعر والمنصور بن أبي عامر
- ١٧٧ ابن البانة الشاعر وعز الدولة بن المتعمم بن صبادح
- ١٧٨ دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدى بحضرة ابن تاشفين
- ١٧٩ موعظة ابن أبي رندة الطرطوشي للأفضل بن أمير الجيوش
- ١٨٠ خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين
- ١٨٣ مقال لسان الدين ابن الخطيب في الحفز على الجهاد
- ١٨٤ مخاطبة به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني
- ١٨٧ وصية لسان الدين لأولاده
- ٢٠١ خطبة وعظية له
- ٢٠٨ وصية موسى بن سعيد الغنى لابنه
- ٢١٧ خطبة ابن قزيات المتزوجة الألف
- ٢١٩ القاضي حياض التي ضمنها سور القرآن

- ٢٢٢ خطبة سعيد بن أحمد المقرئ التي ضمنها سور القرآن
٢٢٤ : الكنعني التي ضمنها سور القرآن أيضاً

الباب الثاني

في خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها

- ٢٢٦ خطبة أبي بكر بن عبد الله بالمدينة
٢٣٠ وصية أمي مع الأزد لشاب يقوده
٢٣١ : رجل لآخر وقد أراد سفرأ
٢٣١ : : لابنه وقد أراد التزوج
٢٣٢ : بعض العلماء لابنه
٢٣٢ : لبعض الحكماء
٢٣٢ : أخرى
٢٣٣ : :
٢٣٣ حفلة لبعض الحكماء
٢٣٤ نصيحة :
٢٣٤ كلمات شتى لبعض الحكماء
٢٣٥ رجل من العرب والحجاج
٢٣٦ أحد الوافدين على عمر بن عبد العزيز
٢٣٦ كاتب وأمير
٢٣٧ وصف الملباة
٢٣٨ بعض البلغاء يصف رجلاً
٢٣٩ خمس جوار من العرب يصفن خيل آبائهن
٢٤١ رجل من العرب يصف مطراً

الباب الثالث

في نشر الأعراب

- ٢٤٢ قولهم في الوعظ والتوصية
٢٤٢ مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك

- ٢٤٣ أعرابي يصف هشام بن عبد الملك
 ٢٤٣ خطبة أعرابي
 ٢٤٤ و أخرى
 ٢٤٤ و
 ٢٤٤ أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر
 ٢٤٥ أعرابية توصي ابنها
 ٢٤٦ أعرابي يوصي ابنة
 ٢٤٦ و ينصح لابنه
 ٢٤٦ و و
 ٢٤٦ و لأخيه
 ٢٤٧ و يخطب أخاه
 ٢٤٧ و صاحب
 ٢٤٧ و أخاه
 ٢٤٨ و رجلا
 ٢٤٨ و و
 ٢٤٨ و و
 ٢٤٨ كلام أعرابي لابن عمه
 ٢٤٩ كلمات حكيمة للأعراب
 ٢٥٤ أجوبة الأعراب
 ٢٥٤ مجاورة أعرابي للحجاج
 ٢٥٥ مسالة الحجاج أعرابياً فصيحاً
 ٢٥٥ مجاورة أعرابي لعبد الملك بن مروان
 ٢٥٦ مجاورة أعرابي لخالد بن عبد الله القسري
 ٢٥٦ أجوبة شتى
 ٢٥٩ قولهم في الاستدناح والاستجداء
 ٢٥٩ أعرابي يمتدح عتبة بن أبي سفیان
 ٢٦٠ أعرابي يمتدح عمر بن عبد العزيز

رقم الصفحة	الخطبة أو القوسية
٢٦٠	خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك
٢٦٠	مقام أعرابي بين يدي هشام
٢٦١	أعرابي يستجدي عبيد الله بن زياد
٢٦٢	أعرابية تستجدي عبد الله بن أبي بكر
٢٦٣	أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري
٢٦٣	و و معي بن زائلة
٢٦٤	خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام
٢٦٥	و و و الجامع بالبصرة
٢٦٥	صورة أخرى
٢٦٦	و و
٢٦٦	أعرابي يستجدي
٢٦٦	و و
٢٦٧	و و
٢٦٧	و و
٢٦٨	أعرابية تستجدي
٢٦٨	أعرابي يستجدي
٢٦٨	و و
٢٦٩	و و
٢٦٩	و و
٢٧٠	أعرابية تستجدي
٢٧٠	أعرابي يستجدي
٢٧١	و و
٢٧١	و و
٢٧١	و و
٢٧١	و و
٢٧١	و و
٢٧٢	و و
٢٧٢	و و

- ٢٧٢ أعرابي يمال رجلا حاجة له
 ٢٧٣ قولهم في بكاء المولى
 ٢٧٣ أعرابية تبيكي ابنها
 ٢٧٤ حديث امرأة سكنت البادية قريبا من قبور أهلها
 ٢٧٥ حديث امرأة مات ابنها بين يديها
 ٢٧٦ قولهم في الشكوى
 ٢٧٦ أعرابي يشكو حائه
 ٢٧٧ كلمات شقي في الشكوى
 ٢٨٢ قولهم في العتاب والاعتذار
 ٢٨٣ قولهم في الملح
 ٢٩٢ قولهم في الهم
 ٢٩٩ قولهم في النزل
 ٣٠٤ قولهم في الوصف
 ٣٠٤ أعرابي يصف مطرا
 ٣٠٥ " " "
 ٣٠٦ " " "
 ٣٠٧ ثلاثة غلثة من الأعراب يصفون مطرا
 ٣٠٩ أعرابي يصف مطرا
 ٣١٠ " " "
 ٣١١ " " "
 ٣١٢ " " "
 ٣١٢ " " "
 ٣١٣ " " "
 ٣١٤ أعرابية تصف مطرا
 ٣١٤ " " "
 ٣١٥ " " " أرضا

رقم الصفحة	خطبة أو القصة	رقم الصفحة	خطبة أو القصة
٣١٦	رائد يصف أرضاً جديدة	٣٢٤	قولهم في الدعاء
٣١٦	د	٣٢٤	دعاء أعرابي
٣١٧	د	٣٢٦	د
٣١٧	أعرابي يصف أرضه وواله	٣٢٦	د
٣١٨	د	٣٢٧	د
٣١٩	د	٣٢٨	د
٣١٩	د	٣٢٨	د
٣١٩	د	٣٢٩	د
٣٢٠	د	٣٢٩	د
٣٢٠	د	٣٢٩	د
٣٢٠	د	٣٢٩	د
٣٢٠	د	٣٣٠	د
٣٢١	د	٣٣٠	د
٣٢١	د	٣٣٠	د
٣٢١	د	٣٣٠	د
٣٢٢	د	٣٣٢	د
٣٢٢	د	٣٣٢	د
٣٢٣	أعرابي يصف أخويه	٣٣٣	أدعية شتى
		٣٣٧	نوادير وملح لبعض الأعراب

الباب الرابع

في خطب النكاح

٣٤٤	خطبة قريش في الجاهلية
٣٤٤	د النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة
٣٤٥	د الإمام علي كرم الله وجهه
٣٤٥	د عتبة بن أبي سفيان

رقم الصفحة	الخطبة أو القصيدة
٣٤٦	خطبة شبيب بن شبة
٣٤٦	الحسن البصري
٣٤٦	ابن الفقير
٣٤٧	عمر بن عبد العزيز
٣٤٧	أخرى له
٣٤٧	بلال
٣٤٨	خالد بن صفوان
٣٤٨	أهرازي
٣٤٨	المأمون

الباب الخامس

٣٥٠ في خطب من أرتج عليهم ونوادير طريقة لبعض الخطباء
٣٦١ بدء الخطب وختامها

تم المكتتاب بحسن توقيقه وعونه تعالى
وسيتبعه إن شاء الله كتاب

جمهرة رسائل العرب
في عصور العربية الزاهرة

